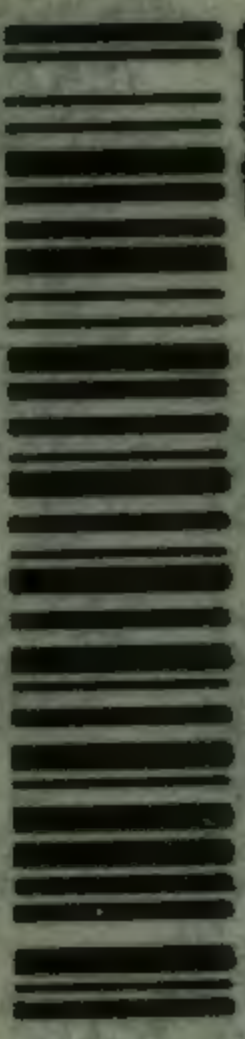


 Bibliotheca Alexandrina

0503366



جامعة المنيا
كلية الآداب
قسم التاريخ

أسواق إفريقية

خالد

العصر الفاطمي وبني زيري

٢٩٦ - ٤٤٠ هـ / ٩٠٨ - ١٠٥٢ م

مقدم من

محمد عبد الله عبد الله

للحصول على درجة الماجستير في الآداب

تاريخ إسلامي

إشراف

د. محمد محمود إكرام

أستاذ التاريخ والحضارة الإسلامية ورئيس قسم

التاريخ بكلية الآداب - جامعة المنيا

١٤٢٠ هـ / ٢٠٠٠ م

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

﴿يَرْفَعُ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا مِنْكُمْ
وَالَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ دَرَجَاتٍ﴾

صدق الله العظيم

سورة المجادلة الآية ١١

إهداء

إلى

أسرتي الغالية

فهرس الموضوعات

الصفحة	الموضوع
أ-١	المقدمة :
٩-١	دراسة لأهم المصادر "
٧١-١٠	الفصل الأول : تعريف إفريقية
١٢-١١	حدود إفريقية
١٤-١٢	إقليم إفريقية وأهميته
١٧-١٥	ارض إفريقية الزراعية
٢٨-١٨	الموارد المائية
٢٩-٢٨	نظم الري
٤٠-٢٩	أهم المنتجات الزراعية فى إفريقية
٣٢-٣٠	القمح والشعير
٣٣-٣٢	البقول
٣٨-٣٣	الفاكهة والثمار
٣٩	الأشجار
٤٠-٣٩	النباتات الطبية والعطرية
٤٠	الصناعة
٤٣-٤١	الموارد المعدنية
٤٣	أهم الحرف الصناعية بإفريقية
٤٣	حرفة استخراج المرجان
٤٥-٤٤	حرفة الحدود والنحاسة
٤٦-٤٥	حرفة الصباغة
٤٨-٤٦	حرفة الصناعات الجلدية
٤٩-٤٨	حرفة صناعة السروج
٥١-٤٩	الحرف الخشبية
٥٢-٥١	حرفة صناعة الأبسطة والسجاجيد والحصر
٥٢	حرفة صناعة طحن الحبوب
٥٣	حرفة صناعة الصدفيات

تابع فهرس الموضوعات

الصفحة	الموضوع
٧١-٥٣	أهم الصناعات فى إفريقيا
٦١-٥٣	صناعة النسيج والطرز
٦١	صناعة الخمور والمربات والأشربة
٦٢-٦١	صناعة الزيوت والسمن
٦٣-٦٢	صناعة الحلوى
٦٣	صناعة العطور
٦٢-٦٣	صناعة الخزف والزجاج
٦٢	صناعة استخراج الملح
٧١-٦٨	دور صناعة السفن
١٢٨-٧٢	الفصل الثانى : مراكز التجارة فى إفريقيا
١٠١-٧٣	أهم المراكز التجارية البحرية وإفريقية
٧٧-٧٤	برقة
٧٩-٧٧	سرت
٨٢-٨٠	طرابلس
٨٥-٨٢	قابس
٩٢-٨٥	المهدية
٩٦-٩٢	سوسة
٩٩-٩٦	تونس
١٠٠-٩٩	صفاقس
١٠١-١٠٠	بجاية
١٠٣-١٠١	بونة
١٠٥-١٠٣	تتس
١٠٧-١٠٥	مرسى الخرز
١١٨-١٠٧	أهم المراكز التجارية البرية فى إفريقيا
١١٢-١٠٧	القيروان
١١٤-١١٢	قفصة

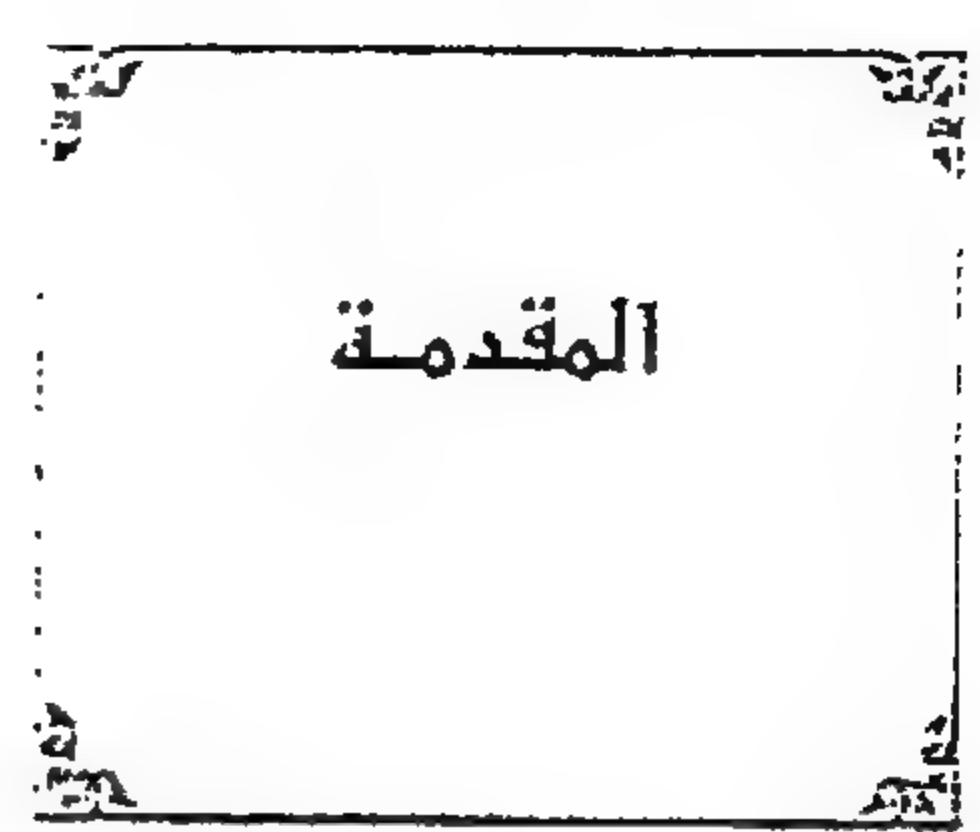
تابع فهرس الموضوعات

الصفحة	الموضوع
١١٦-١١٤	قسطيانية
١٢٥-١١٦	التجارة الداخلية
١٢٨-١٢٥	الطرق بين مراكز التجارة
١٦٤-١٢٩	الفصل الثالث: الأسواق وتنظيمها
١٣١-١٣٠	أسس إقامة الأسواق
١٣٢-١٣١	أقسام السوق
١٣٣-١٣٢	مزايا وعيوب تقسيم الأسواق
١٣٩-١٣٤	أهم الحرف (الوظائف) داخل الأسواق
١٣٦-١٣٤	السمسرة
١٣٧-١٣٦	الدلالون
١٣٩-١٣٧	الوكلاء
١٤٣-١٣٩	المنشآت التجارية
١٤١-١٤٠	الفنادق
١٤٣-١٤١	القيصريات
١٤٦-١٤٣	نظم الأسواق في المدن
١٤٨-١٤٦	نظم البيع
١٥٢-١٤٨	الأسعار
١٦٤-١٥٢	طوائف التجار
٢٠٦-١٦٥	الفصل الرابع : نظم المعاملات المالية والتجارية
١٨٩-١٦٦	المعاملات المالية
١٨٦-١٦	السكة
١٨٧-١٨٦	الصكوك
١٨٩-١٨٨	السفاتج
١٩٠-١٨٩	نظم المعاملات التجارية (الموازين)
١٩٢-١٩٠	المكايل

تابع فهرس الموضوعات

الموضوع	الصفحة
دور المحتسب في ضبط العملة	١٩٨-١٩٢
دور المحتسب في الأسواق	٢٠١-١٩٨
النشاط التجارى وأثره على نواحى الحياة فى إفريقيا	٢٠٤-٢٠١
المكوس التجارية الشرعية (العشور)	٢١١-٢٠٥
المكوس التجارية غير الشرعية (الضرائب)	٢١٦-٢١١
الخاتمة	٢١٩-٢١٧
الملاحق	٢٤١-٢٢٠
المصادر والمراجع	٢٦٢-٢٤٢
ملخص الرسالة	٢٦٥-٢٦٣

المقدمة



المقدمة

المقدمة

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

الحمد لله الذى خلق الإنسان وعلمه البيان ، والصلاة والسلام على سيدنا محمد (صلى الله عليه وسلم) وعلى آله الاطهار واصحابه ومن إتبع سنته واهتدى بهديه إلى يوم الدين . وبعد :

يتناول بحث (أسواق إفريقية خلال العصر الفاطمى وبنى زيرى من سنة ٢٩٦ - ٤٤٠هـ / ٩٠٨ - ١٠٥٢ م) إقليم إفريقية الذى ظل منذ الفتح الإسلامى له وحتى قيام الخلافة الفاطمية به (٢٩٦هـ / ٩٠٨ م) أحد الأقاليم التى تمثل الخلافة الأموية ثم العباسية بعدها يأتى بأمرهما وينتهى بنواهيها ويسير على نهج السياسة الموضوعة له لايحيد عنها . ومنذ سنة (٢٩٦هـ / ٩٠٨ م) بدأت مرحلة جديدة فى حياة هذا الاقليم الهام إذ تمتع بالاستقلال التام عن المشرق فى كافة نواحي حياته ، ونزع عن نفسه عباءة التبعية للمشرق الإسلامى ، فصار له تحت الحكم الفاطمى حدوده المستقلة وسياسته المعروفة المحددة وذلك لأول مرة فى تاريخه ، وصار لإقليم إفريقية موقفاً مغايراً تماماً للمشرق الإسلامى فبدأ يعاملة معاملة الند للند والسيد للسيد بل صار أكثر من ذلك حيث بدأ بمد نفوذه إلى مناطق المشرق الإسلامى قارضاً عليها سيطرته وسياسته .

وفى ظل الخلافة الفاطمية وحكم بنى زيرى من بعدهم أخذ هذا الاقليم يبنى ثمار فوائدها هذا الاستقلال وعادت بمردودها على جميع نواحي الحياة به سياسياً واقتصادياً وحضارياً . وفى المجال السياسى صارت له حكومة مركزية قوية تقوم برسم سياسته داخلياً وخارجياً ومثل إحدى المناطق المركزية للخلافة الإسلامية . أما فى المجال الاقتصادى فنشأت به الصناعات المختلفة وتقدمت تقدماً ملحوظاً وبدأ الاستغلال المنظم لموارده المعدنية المختلفة ، كما نمت به الزراعة وكثر انتاج المحاصيل الزراعية على اختلافها وزادت الرقعة الزراعية . وفى المجال التجارى بشقيه الداخلى والخارجى فقد انتعشت به انتعاشاً ملحوظاً وزادت صادراته سواء الزراعية أم المعدنية وصارت اسواق مدنه مكتظة بجميع أنواع السلع والبضائع وغدى قبلة للتجار من كل مكان وبدأ عقد المعاهدات التجارية مع الدول المجاورة له وازدادت ثروة الأهالى به بما انعكس بدوره على نواحي حياتهم المختلفة .

من هنا كانت أهمية هذا البحث " أسواق إفريقية خلال العصر الفاطمى وبنى زيرى ٢٩٦ - ٤٤٠هـ / ٩٠٨ - ١٠٥٢ م ، وفى سبيل إعداد وتقديم هذا البحث واجهت الباحث

ب

صعوبات كثيرة منها قلة وندرة المصادر الخاصة التي تلقى الضوء على الجانب الحضارى لهذا الاقليم فى تلك الفترة ، وبقاء معظم المصادر التي تشير إلى اقليم إفريقية فى صورة مخطوطات لم يحقق الكثير منها ، إلى جانب تبعثر ماكتب عن هذا الاقليم خاصة الجانب الحضارى فى كتب التاريخ والجغرافيا والرحلات فيما بين السطور مما تطلب بذل الجهد والتدقيق من أجل الوصول إليها وجمعها .

لذا فإن موضوع بحث " أسواق إفريقية خلال العصر الفاطمى وبنى زيرى " يمثل جانب هام من جوانب الدراسة الحضارية فى هذا الاقليم ويسهم فىلقاء الضوء على التاريخ الحضارى فى فترة تعد الاعظم فى تاريخه على الاطلاق .

ولا ادعى أنه لم تقم دراسات سابقة تناولت هذا الاقليم بالدراسة سياسياً وحضارياً دراسة وافية تضمنتها إصدارات المؤرخين المحدثين إلى جانب الرسائل العلمية ايضا مثل رسالة " مجتمع إفريقية خلال عصر الولاة " للدكتور نريمان عبدالكريم : تناولت فيها الحياة السياسية والادارية والاقتصادية والاجتماعية لاقليم إفريقية خلال فترة حكم الولاة لها وهى رسالة غير مطبوعه بمكتبه الرسائل بجامعة عين شمس ورسالة " الحياة الاقتصادية والاجتماعية فى مدن المغرب الساحلية " للباحثة فتحية محمود على تناولت فيها الحياة الاقتصادية والاجتماعية فى ست مدن ساحلية فقط ولم تشر إلى المدن الداخلية أو القرى ، وهى رسالة ماجستير بمكتبة الرسائل بكلية الآداب جامعة المنيا .

وفى سبيل كتابة هذا البحث قام الباحث باتباع المنهج العلمى الذى يقوم على استقصاء الحقائق واستخلاص المادة الدراسية المتأنية وتقديم التفصيلات والتوضيحات والتحليل والتفسير إلى جانب الاستنتاج والربط ، وبفضل من الله وتوفيقه وبما توافر من مادة علمية تمكن الباحث من تقديم هذه الدراسة ، وتم تقسيم البحث إلى اربعة فصول إلى جانب المقدمة والخاتمة التى أوضح فيها الباحث النتائج التى توصلت إليها تلك الدراسة .

الفصل الأول : تناول الباحث فى هذا الفصل حدود إفريقية والاهمية التى حظى بها هذا الاقليم مستعرضا آراء المؤرخين المختلفة حول ماجاء عن حدود إفريقية وأهميتها ، إلى جانب الجانب الزراعى التى تضمنت ذكر أنواع التربة والموارد المائية المختلفة كالانهار والبحيرات والعيون والآبار ، كما أشار الباحث إلى نظم الري المتبعة فى المناطق المختلفة لإفريقية وأهم المحاصيل الزراعية والفاكهة والثمار والاشجار بالاضافة إلى الصناعة وأهم الموارد المعدنية ومناطقها وأنواعها من حديد ونحاس وذهب ... الخ ، وأهم

ج

الصناعات والحرف التي قامت عليها والعوامل الطبيعية والبشرية التي ساعدت على قيامها وتقدمها ، ودور الخلفاء الفاطميين وحكام بنى زيرى في هذا الشأن .

الفصل الثانى : تناول فيه الباحث التجاره وأهم مراكزها وتقسيمها إلى مراكز تجارية بحرية وبرية داخلية وخارجية ، وتم تعريف كل مركز منها على حده متضمناً تاريخ الفتح وعناصر السكان وأهم ما تتميز به من موارد زراعية وصناعية ... الخ ولم يغفل الباحث بقية المراكز الاخرى فقام بتعريفها فى حواشى البحث ، كما تناول الباحث أيضا التجارة الداخلية وأهميتها بين قرى ومدن الاقليم وأهم الطرق التجارية التي ربطت بينهما وماكان يتم تبادلها من سلع وبضائع فيما بينها .

الفصل الثالث : تناول فيه الباحث الاسواق وتنظيمها فعرف معنى السوق وأهم الاسس والقواعد المتبعة فى إقامة الاسواق من حيث الارتفاعات والاتساعات والتقسيمات الداخلية مشيراً إلى مزايا وعيوب هذا التقسيم ، كما أشار الباحث أيضا إلى أماكن إقامة الاسواق وكيفية اختيارها ، وتناول الباحث أيضا فى هذا الفصل أهم الوظائف التي وجدت داخل السوق كالسمسار والدلال والوكيل وعرف كلا منها على حده وأهمية تلك الوظائف فى تنشيط العمل التجارى ، والشروط والأداب التي يجب توافرها فيمن يتولى تلك الوظائف ، بالإضافة إلى نظم الاسواق ونظم البيع والاسعار وطوائف التجار وماكانوا يتعرضون له من محن وشدائد .

الفصل الرابع : تناول فيه الباحث نظم الضرائب التجارية وقسمها إلى ضرائب شرعية (العشور) التي فرضت على التجار بمختلف طوائفهم ومقدار تلك العشور وأهم الشروط الواجب توافرها فى متولى العشور ودور ولى الامر فى مراقبة هؤلاء العمال وتقويم ارائهم وفرض العقوبة على المخالفين منهم . إلى جانب الضرائب غير الشرعية (المكوس) وأهم السلع والبضائع التي فرضت عليها ومقدارها وشرعيتها ودور كل مدينة فى دفعها وسياسة الخلفاء الفاطميين وحكام بنى زيرى فى فرض تلك الضرائب ، وتناول الباحث أيضا السكه مستعرضا تاريخ السكه الفاطمية منذ قيام الخلافة الفاطمية وأهميتها وحرص هؤلاء الخلفاء ومن تبعهم على جودتها ونقاها . والدور الذى قامت به دور ضرب السكه والعناية التي لاقتها وشروط اختيار المتولى لها ، وتناول الباحث كذلك الموازين والمكاييل المستخدمة داخل الاقليم فإشار إلى أنواعها وأهميتها داخل السوق وأهميه دار المعيار التي كان ينوط إليها العمل على صناعة تلك الموازين والمكاييل والارطال ، وأخيراً تناول الباحث الدور الهام الحسبة داخل الاسواق فى ضبط العملة والاسواق وقام بتعريف

الحسبة شرعاً ولغته ؟ واول من أحدثها فى الاسلام ، وتاريخ نشأتها والقواعد، والآداب الخاصة التى يجب توافرها فى الشخص الذى توكل إليه وطبيعته الحسبه والوسائل التى يتخذها لمساعدته فى سبيل القيام بعمله ، وعلاقة الحسبة بوظيفة القضاء والمظالم ومراتب الحسبة ... الخ إلى جانب الأثر الحسن للنشاط التجارى على مختلف نواحي الحياة داخل اقليم إفريقية خلال العصر الفاطمى وبنى زيرى .

والله ولى التوفيق .،

بحث لأهم المصادر
والمراجع

بحث لأهم المصادر والمراجع

بحث فى أهم المصادر :

ترجع أهمية المصادر التى اعتمدت عليها فى بحثى إلى أن بعض مؤلفيها عاشوا خلال فترة البحث وبعضهم كان على صلة وثيقة بكبار رجال الدولة الفاطمية والزييرية . والبعض الآخر قام بزيارة إقليم إفريقية فى خلال تلك الفترة التى يتناولها البحث وقام بكتابة مآرأه وشاهدوه فكانت من المصادر الاساسية لنا ، ومن ثم غدت أهمية دراسة " أسواق إفريقية خلال العصر الفاطمى وبنى زيرى"

المخطوطات :

اعتمدت فى كتابة هذا البحث على عدد من المخطوطات الهامة التى اثرت البحث بما حوته صفحاتها من معلومات مفيدة تخص الجوانب المختلفة للبحث مثل مخطوط ترتيب المدارك وتقريب المسالك للقاضى عياض موسى اليحصيى (المتوفى ٥٤٤هـ-١١٦٤م) وهو مخطوط بدار الكتب المصرية تحت رمز ح رقم ٩٦٧٣٠ فى أربعة أجزاء وهو يحوى معلومات هامة عن الناحية الاقتصادية والاجتماعية خاصة الجزء الأول والثانى منه وقد أفاد البحث فيما تناوله عن الزراعة والصناعة والتجارة والجانب الاجتماعى لإفريقية ، ميكرو فيلم ٣٨٦٠٢، ٣٨٥٩٦ . "سيرة الحاكم وحمزة بن على" المؤلف مجهول ، وهو مخطوط بدار الكتب المصرية رمز عقائد تيموريه رقم ٥٧٩ ميكرو فيلم ٣٠٧٣٨ ، وهو يتناول سيرة الخليفة الحاكم بأمر الله وأهم الأعمال التى قامت فى عهده حتى تاريخ وفاته ثم يتناول اعمال حمزه بن على الوزير الأول للخليفة الحاكم وما قام به من اعمال ثم يتناول عنصر الـروز . وقد أفاد البحث كثيراً حول ما جاء عن اعمال الحاكم بأمر الله وتولية الحكم واختفاءه وموته وما قيل عن تاريخ إختفاءه وموته وأسبابها وهو مخطوط هام رغم أن ما به من معلومات عن الحاكم بأمر الله موجوده فى المصادر المطبوعة واعتماد كائنها على ما كتبه المقريزى وغيره ، ومخطوط "السيرة وأخبار الأئمة" لمؤلفه أبى زكريا يحيى ابن أبى بكر (المتوفى فى النصف الثانى من القرن الرابع الهجرى) ، وهو مخطوط بدار الكتب رمز ح رقم ٩٠٣٠ / ميكرو فيلم/ ١٨٤٢٥ وهو يتناول تاريخ الرستميين . الاباضية بعد انهيار الدولة الرستمية والعلاقة بينهم وبين الخلافة الفاطمية وغيرها من المعلومات عن علاقة الرستميين بالمدراريين إلى جانب موقف أبى يزيد وثورته ودور الاباضية فى تلك الثورة وترجع أهمية هذا المخطط إلى اعتماده على من سبقه من المؤرخين وربما كان قد عاصر العصر الرستمى الأخير وعاصر الأحداث الأولى للخلافة الفاطمية وقد أفاد هذه المخطوط البحث كثيراً حول ما جاء عن ثورة أبى يزيد ودور الخلفاء الفاطميين مثل المنصور والقائم فى حربه ودور الخلافة الفاطمية فى اسقاط الدولة الرستمية.

"سير أبي الربيع الوسياني" لمؤلفة سليمان بن عبدالسلام ابن حسان بن عبدالله المتوفى سنة ٤١٨ هـ - ١٠٢٠ م وهو من مؤرخي الاباضية وترجع أهمية هذا المخطوط إلى معاشته لفترة هامة من الفترات التي تخص البحث وعيش الاحداث والوقائع . رمزح رقم ٩١١٣ ميكروفيلم ٣٢٧١ .

"سيرة جعفر الحاجب " لمحمد بن محمد اليماني الذي توفي في القرن الرابع الهجري العاشر الميلادي وهو مخطوط بدار الكتب رمزح تاريخ المخطوط ١٢٦٤ هـ رقم ١١٤٩٧ ميكروفيلم ١٦٤٦٥٦٠٢ وهو يتناول سيرة الخليفة الفاطمي الأول عبيدالله المهدي وصاحبه جعفر بن علي منذ خروجه من سلطه بالشام حتى دخوله إفريقية ودخوله السجن ودور القائد أبي عبدالله الشيعي وحروبه ودوره . وقد أفاد البحث كثيراً فيما جاء من معلومات هامة حول الخليفة الفاطمي المهدي ودوره وأعماله ودور أبي عبدالله وفتوحاته في إفريقية وقيام الخلافة الفاطمية .

"استتار الأمام" لأحمد ابن إبراهيم الوسياني المتوفى أواخر القرن الرابع الهجري نهاية القرن العاشر الميلادي وهو يتناول حياة الأمام المهدي في سجل ماسة وهو مخطوط بدار الكتب تحت رمزح رقم ١١٤٩٧ ميكروفيلم ١٨٣٩٦ ، ١٦٤٥ م وقد أفاد البحث كثيراً حول ما جاء من معلومات عن حياة المهدي ورحلته ووصوله إلى سجل ماسة وسجنه بها .

"رياض النفوس في طبقات فقهاء مدينة القيروان وتونس" ، لمؤلفة أبي بكر عبدالله محمد المالكى مخطوط بدار الكتب رمزح رقم ٦٣٥٠ / ميكروفيلم ٣٨٦٢١ / وهو يتناول طبقات الفقهاء في إفريقية وقد أفاد البحث فيما جاء به من معلومات عن حياة المهدي الفاطمي ورحلته ووصوله إلى الحكم بقيادة مع ما تعرض له من صعاب ودور أبي عبدالله الشيعي في افتتاح مدن إفريقية المختلفة وقضاءه على الدول القائمة مثل الرستميين والمدراربيين والغالبة.

ثانياً: المصادر المطبوعة :

" المغرب في ذكر بلاد إفريقية والمغرب " وهو جزء من كتاب المسالك والممالك الذي قام بتأليفه أبي عبيد عبدالله بن عبدالعزيز البكري ت ٤٨٧ هـ - ١٠٩٩ م وهو كتاب يحوى معلومات وفيرة هامة حولة إقليم إفريقية من حيث الوصف الدقيق لها وتعريفها ولماذا سميت بهذا الاسم ؟ مع ذكر الآراء المختلفة في ذلك ، كما حوى معلومات إقتصادية على جانب كبير من الأهمية حول مجال الزراعة والصناعة والتجارة والموارد المائية والطرق إلى جانب الوصف الدقيق لقرى ومدن إفريقية ومميزات كل منها وأهم ما تشتهر به ، وقد أفاد البحث كثيراً في التعريف بإفريقية وأهم المراكز التجارية بها وأهم الطرق التجارية والموارد المعدنية الموجودة بها

والموارد المائية ونظم الري المستخدمة في إفريقيا ، وترجع أهمية هذا المصدر الى قرابة من فترة البحث واعتماده على كتب ومؤلفات من سبقه مثل الليث بن سعد وابن لبيعه ، ومسلمه بن عبد الملك وابن الرقيق .

"معجم البلدان " الذي ألفه شهاب الدين أبو عبدالله ياقوت الحموي المتوفى ٦٢٦هـ — ٢٢٩م وهو معجم جغرافي هام يحوى بين جنباته معلومات جغرافية هامة تشمل قرى ومدن العالم الاسلامى المختلفة واصفا اياها وصفاً دقيقاً وأهم ما تتميز به من موارد مختلفة وطرق مواصلاتها وصناعاتها وزراعاتها وأهم تجاراتها ، وقد افاد البحث كثيراً حول كل ما جاء عن مدن إفريقيا المختلفة حيث ذكرها مضبوطة الأسماء وذكر مواقعها والطرق التى ربطت بينها، كما ذكر فى نفس الوقت تعريفاً لإفريقية يختلف عما ذكره من قبله من المؤرخين ، وهو يتكون من خمسة أجزاء ، وترجع أهمية هذا المصدر إلى إعماده على المؤرخين الهامين من أمثال القضاعى والطبرى والبكرى .

"الكامل فى التاريخ "لمؤلفه عز الدين بن الأثير المتوفى ٦٣٠هـ — ١٢٣٤م وهو من المصادر الهامة الذى يحوى بين طياته معلومات هامة حول العالم الإسلامى وعلاقاته الخارجية والدول المختلفة التى نشأت سواء المستقلة أو ما كانت فى كنف الخلافة وترجمات عن أهم الشخصيات الإسلامية وأهم ما قاموا به من أعمال ، وهذا المصدر يعد من أكثر المصادر من حيث غزارة المادة والمعلومات به ولقد أفاد البحث كثيراً حول ما جاء به من معلومات هامة عن إقليم إفريقية وما قامت به من دول غير أن ما يعيب هذا المصدر هو تبعثر المعلومات حول إفريقية فى أجزائه المختلفة وترجع أهمية هذا المصدر الى اعتماده على ما كتبه مؤلفى المشرق والمغرب الذين يفضل رواياتهم عن المشرقيين إلى جانب توافر المصادر والكتابات وكثرة الوثائق حول إفريقية بما جعله ملماً بما يكتب .

"البيان المغرب فى أخبار الاندلس والمغرب " الذى قام بتأليفه ابن عذارى المراكشى المتوفى فى نهاية القرن السابع الهجرى الثالث عشر الميلادى، وهو يتكون من ثلاثة أجزاء يحوى كما ذكر مؤلفه: نبذاً ولمعاً من عيون التواريخ والاخبار نحو المغرب العربى على طول تاريخه وما جاوره من أقاليم، وقد اختص ابن عذارى إقليم إفريقيا بالجزء الأول الذى حققه بروفنسال وتناول فى هذا الجزء أخبار إفريقيا منذ الفتح الإسلامى لها ومعرفاً حدودها وأهميتها الدينية وأسماء أمراءها والدول التى قامت بها وما قاموا به من أعمال ودخول العرب لها وقضائهم على حضارتها وعمرانها إلى غير ذلك من الاخبار حتى قيام دولة المرابطين، وقد أفاد البحث كثيراً حول تعريف إفريقية وحدودها وتراجم وأعمال الخلفاء الفاطميين وحكام بنى زيرى، وتعريف مدن إفريقية المختلفة وأهم ما تميزت به هذه المدن من معادن وصناعات

وتجارة وزراعة وموارد مائية إلى غير ذلك من المعلومات الهامة فهو يعد أحد الموسوعات الهامة عن المغرب العربي .

"العبر وديوان المبتدأ والخبر في أخبار العرب والعجم والبربر ومن عاصرهم من ذوى السلطان الأكبر" المسمى "بتاريخ ابن خلدون" إختصاراً والذي قام بتأليفه عبدالرحمن بن محمد بن خلدون الحضرمي المتوفى ٨٠٨هـ - ١٤٠٥ - ١٤٠٦م وهو من المصادر الهامة في تاريخ المغرب لكثرة ما به من معلومات غزيرة وربما يعبر إسمه عن مضمونه حول كل ما يخص العرب والمسلمين ودولهم المختلفة وتراجم أهم الشخصيات الإسلامية سواء الخلفاء والأمراء والملوك وعلاقة المسلمين بالدول الأخرى وقد أفاد البحث كثيراً حول ما جاء به من معلومات لإقليم إفريقية حول تضاريسه وجغرافيته والخلفاء الفاطميين وحكام بنى زيرى وأهم ما قاموا به من أعمال ، كما استفدت كثيراً من مقدمة ابن خلدون، التى حوت الكثير من المعلومات عن فضل علم التاريخ وطبيعة العمران والحضر والبدو وأسباب المعاش والتكسب والعلوم والصنائع والحرف والشارات الخاصة بالملك مثل السكة والخاتم والطرارز وغيرها والتجار ونقل السلع ، وقد أفادت تلك المعلومات البحث كثيراً حول ما جاء بتعريف السكة والطرارز والحرف والصناعات والأسعار ، وترجع أهمية هذا المصدر الى اشتغال ابن خلدون بالسياسة وقربه من صانعى القرار وإطلاعه على كثير من الوثائق والكتب التى قام بتأليفها من سبقه وهو يعد من أغزر المصادر بالمعلومات ولاغنى للباحثين فى المغرب عن هذا المصدر .

واعتمدت على كتب الرحلات مثل كتاب "رحلة التيجانى" لمؤلفه أبى عبدالله محمد ابن أحمد التيجانى المتوفى سنة ٧١٩هـ - ١٣٣١م وهو يعد وثيقة تاريخيه وجغرافية هامة لإقليم إفريقية بفضل ما به من معلومات هامة تناول تاريخ الفتح وأهم المدن مع ما تميزت به من الناحية الاقتصادية وذكر أهم المحاصيل والأشجار والثمار والفاكهة وطرق التجارة وقد أفاد البحث كثيراً فى المعلومات التى ذكرها عن التجارة والمحاصيل والطرق وأهم الأشجار والفواكه ، وترجع أهمية هذا المصدر إلى إعتما د التيجانى على المؤلفات السابقة إضافة إلى أنه نقل كثير من هذه المعلومات بناء على مشاهدته وعينه أثناء رحلته التى قام بها لإقليم إفريقية مدة ثلاثة أعوام من ٧٠٦ إلى ٧٠٩هـ .

"صفة المغرب" المأخوذ من كتاب البلدان والذي قام بكتابته أحمد بن أبى يعقوب ابن واضح المعروف باليعقوبى والمتوفى سنة ٢٨٢هـ - ٨٩٤م وهو يحوى كثيراً من المعلومات حول مدن إفريقية وتاريخ الفتح وعناصر السكان ومناطق تركزم قبل قيام الخلافة الفاطمية وقد أمد البحث بمعلومات وفيرة حول مدن إفريقية وعناصر السكان بها وتاريخ فتحها إلى غير ذلك من المعلومات عن الزراعة والصناعة والتجارة وطرق المواصلات ، وترجع أهمية هذا

المصدر إلى قربه من فترة البحث وأن معلوماته عن مشاهدة عينية نتيجة لترحالة وتجواله داخل إفريقية كما يعتبر أحد المؤرخين الشيعة .

"صورة الأرض" لأبي القاسم محمد بن حوقل النصيبى المتوفى ٣٨٠هـ - ٩٩٢ وهو كتاب جغرافى هام يضم بين جوانبه معلومات جغرافية عن الأقاليم الإسلامية مثل مصر والشام والجزيرة والمغرب وغيرها وقد أثرى البحث بما جاء به من معلومات حول إقليم إفريقية تخص الزراعة والصناعة والتجارة والطرق والمسافات بين مدن الأقاليم المختلفة وترجع أهمية هذا المصدر إلى أن ما جاء به من معلومات عن إفريقية كان نتيجة المطالعة والمشاهدة حيث قام بزيارة إفريقية أثناء الحكم الفاطمى لها .

"أحسن التقاسيم فى معرفة الأقاليم" تأليف شمس الدين أبو عبد الله محمد المقدسى المعروف بالبشارى المتوفى ٣٨٧هـ / ٩٩٩م وهو مصدر كسابقة يتناول الأقاليم الإسلامية المختلفة بما تشتهر به من زراعة وصناعة وتجارة ومسافات وتتاول إفريقية كاحد الأقاليم الواقعة فى المغرب العربى الذى قسمه إلى أقاليم تضم برقه وإفريقية وتاهرت وسجلماسه وفاس والسوس الأقصى وصقيله والاندلس ، ورغم ما جاء بهذا المصدر من معلومات مختصرة عن مدن إفريقية وما اشتهرت به من معادن ومحاصيل وطرق تجارية إلا أنها أفادت البحث كثيراً ، وتعود أهمية هذا المصدر إلى أنه شاهد عيان لكل ما كتبه عن إفريقية التى قام بزيارتها وهو من الكتاب المعاصرين للفترة الأولى من سنوات البحث فمعلوماته قيمه رغم كونه ليس من أهالى الأقليم .

"المسالك والممالك" لأبى أسحق ابراهيم بن محمد الفارسى الاصطخرى المعروف بالكرخى المتوفى سنة ٣٠٩هـ - ٩٥١م وهو كتاب يتناول إقليم إفريقية بمدنه المختلفة معروفاً إياها وأهم ما تشتهر به، وموقعها وطرق التجارة والمسافات بينهما، رغم قلة معلوماته فهو من المصادر الهامة التى أفادت البحث حول ما جاء عن مدن إفريقية وما اشتهرت به تلك المدن من معادن وزروع وغيرها .

"المعجب فى تلخيص اخبار المغرب"، الذى ألفه عبد الواحد المراكشى المتوفى ٦٤٧هـ - ١٢٥٩م فاعتمدت عليه فى الكثير من المعلومات فهو مصدر يتناول أقاليم المغرب والاندلس ذاكراً اسم المدينة وموضحاً أهم ما تتميز به حيث قام بذكر مختلف مدن إفريقية وذكر للمسافات بينها وتتاول تعريف إفريقية ، وحدودها العرضية والطولية وترجع أهمية المصدر إلى اعتماده على ما كتبه الجغرافيون مثل البكرى وابن دقماق وابن خرداذبه والفرغانى وغيرها .

"فتوح إفريقيا والاندلس" الذى ألفه عبدالرحمن بن عبدالحكم الذى توفى سنة ٢٥٧هـ — ٨٦٩م وهو مصدر يتناول تاريخ فتح المغرب وإفريقيه فهو من المصادر الهامة التى تشير إلى قادة الفتح لكل مدينة بإفريقية وترجع أهمية هذا المصدر إلى اعتماده على الرواه المشاركة والمغاربة على السواء وهو أقدم المصادر التى تتناول تاريخ فتح إفريقية وذكره لعدد كثير من الروايات التى يتضمنها الحدث الواحد .

"المؤنس فى أخبار إفريقية وتونس" والذى قام بتأليفه محمد بن أبى القاسم الرعينى المعروف بابن أبى دينار المتوفى سنة ١٠٩٢هـ — ١٧٥٢م وهو كتاب مقسم إلى سبعة أبواب فى تعريف تونس وتعريف إفريقية وكيفية فتحها والدولة الفاطمية والدولة الصنهاجية والدولة الحفصية وأخيرا الدولة العثمانية إلى جانب خاتمة تتناول فيها مآثر ومفاخر تونس وما وقع بها من أحداث وما تميزت به دون غيرها وقد أمدنا هذا المصدر رغم تأخره بمعلومات وفيره عن تونس وتراجع عن الخلفاء الفاطميين وحكام بنى زيرى وما قاموا به من اعمال وترجع أهمية هذا المصدر إلى اعتماده على المؤلفات الكثيرة التى ألفها المؤرخون والجغرافيون السابقين له.

"تهاية الرتبة فى طلب الحسبة" الذى ألفه عبدالرحمن بن نصر الشينرى المتوفى سنة ٥٨٩هـ — ١١٩٣م وهو مصدر هام يحوى إحدى وأربعين باباً وهو يتناول الحسبة والمحتسب وشروط إختياره والموازن والمكايل والارطال وقد أفاد هذا المصدر البحث إفاده هامه فى كل ما يتصل بالحسبة وتعريفها والمحتسب والشروط الخاصة به وأنواع التجار والصناع والحرفيين داخل الأسواق وأساليب الغش وطرق تجنبها وكشفها ، وترجع أهمية هذا المصدر إلى أنه يعد أول المؤلفات عن الحسبة فى المشرق الإسلامى وهو أحد المصادر التى اعتمد عليها من جاء بعده من الكتاب مثل ابن الأخوه وابن بسام .

"الاحكام السلطانية والولايات الدينيه" الذى ألفه أبى الحسن على بن على بن محمد بن حسن البصرى البغدادى الماوردى المتوفى سنة ٤٥٠هـ — ١٠٦٢م وهو كتاب يتكون من أربعة أجزاء تحوى عشرون بابا للامامه والوزارة والاماره والحسبه والقضاء والمظالم وأفاد البحث كثيرا فى تعريف المحتسب والحسبه ومراتبها والمعاملات المنكره داخل الأسواق ، وترجع أهمية هذا المصدر إلى أنه يعد من أقدم الكتب التى تناولت الحسبة والأسواق .

"الأحكام السلطانية" أبى يعلى محمد بن الحسين الفراء المتوفى ٤٥٨هـ — ١٠٧م وهو ككتاب الماوردى وقد افاد البحث كثيرا فيما يختص بالحسبه والمحتسب والشروط الواجب توافرها فى المحتسب وما يقوم بها من أعمال داخل الأسواق .

"نهاية الأرب فى فنون الأدب" الذى ألفه شهاب الدين ابن احمد بن عبد الوهاب النويرى المتوفى سنة ٧٣٣هـ - ١٣٤٥م وهو من كتب الموسوعات ويشتمل على ١٨ جزءاً يضم بين جناباته كل ما يمت للحياه بصله إلى جانب الزرع والتاريخ والدول والاسلحة ، وقد امد البحث بمعلومات هامت حول الحسبه والمحتسب .

"وفيات الاعيان وأنباء أبناء الزمان" أبى العباسى شمس الدين أحمد بن محمد ابن أبى بكر بن خلكان المتوفى سنة ٦٨١هـ - ٩٩٣م وهو مصدر يتكون من خمسة أجزاء يحوى تراجم الملوك والخلفاء والامراء والقادة المسلمين فهو من كتب التراجم وقد امد البحث بمعلومات وافيه عن الخلفاء الفاطميين وحكام بنى زيرى وغيرهم وأهم أعمالهم وتاريخ ميلادهم ووفاتهم وصفاتهم وغير ذلك كما أوضح معلومات قليلة عن مدن إفريقيه .

"سيرة الاستاذ جوذر" لمؤلفة أبى على منصور العزيزى الجوزرى المتوفى فى القرن الرابع الهجرى العاشر الميلادى ويعد هذا المصدر من أهم المصادر التى أفادت البحث نظرا لمعاصرة مؤلفه لفترة هامة من فترات البحث خاصة اثناء حكم الخلفاء الأوائل للفاطميين مثل المهدي والقائم المنصور والمعز وهو شاهد عيان لما تناوله من معلومات حيث يعد أحد الموظفين البارزين فى البلاط الفاطمى وهو يتناول سير الخلفاء الفاطميين وأهم أعمالهم وانشاءاتهم إلى جانب المعلومات الهامة التى تمس جوانب الحياة المختلفة . وقد افاد البحث فى المعلومات الهامة الخاصة بالناحية التجارية والصناعية والزراعية .

"صبح الأعشى فى صناعة الانشاء" الذى ألفه شهاب الدين أحمد بن على ابن احمد القلقشندى المتوفى سنة ٨٢١هـ - ١٤١٨م وهو من الكتب الموسوعية الضخمة التى تحوى معلومات متنوعة حول مختلف العلوم والفنون وقد افادنا كثيراً بمعلوماته الهامة عن إفريقية وتعريفها وتعريف حدودها ووصف مدنها وما تشتهر به من صناعة وزراعة وتجارة وموارد مائيه إلى جانب ترجمات الخلفاء الفاطميين وحكام بنى زيرى وأهم أعمالهم ، وترجع أهمية هذا المصدر إلى اعتماده على مؤلفات من سبقه من الرواه والمؤرخون أمثال بن سعيد إلى جانب كثرة المؤلفات فى عهده وتوليته ديوان الانشاء .

"الخطط المقريرية" التى ألفها تقى الدينى احمد بن على بن عبد القادر بن محمد المعروف بالمقريرى المتوفى سنة ٨٤٥هـ - ١٤٤١م وهو من الكتب الهامة غزيرة الماده جمه الفائدة يتكون من أربع أجزاء تناول فيها المقريرى كل ما يخص مصر وما قام بها من دول والمظاهر الاجتماعية والاقتصادية والأسواق والخراج وغيرها .

وقد أفاد البحث حول ما جاء عن الخلفاء الفاطميين وأهم أعمالهم منذ عبيدالله المهدي حتى انهيار الخلافة بمصر وأفاد البحث أيضا حول ما جاء بشأن المكوس والعشور والأسواق والحسبه . ونرجع أهميته إلى كثرة المصادر التي اعتمد عليها والتي كانت متوافرة في عهده.

"اتعاط الحنفا بأخبار الأئمة الفاطميين الخلفاء" لمؤلفه المقرئ وهو يتكون من أربعة أجزاء وهو تاريخ للخلفاء الفاطميين والدولة الفاطمية منذ بدايتها حتى نهايتها وقد أفادنا كثيرا حول تراجم هؤلاء الخلفاء وأهم ما قاموا به من انشاءات واعمال وغيرها .

"إحياء علوم الدين" للإمام أبي حامد محمد بن محمد الغزالي المتوفى في سنة ٨٠٦هـ - ١٠٥٧م وهو يتكون من أربعة أجزاء ضم في جوانبه كل ما يتصل بحياة المسلم وتناول تعاليم الاسلام وأقوال الرسول صلى الله عليه وسلم وآداب الكسب والمعاش والحلال والحرام والنكاح والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر الخ وقد أفاد البحث في الجزء الخاص بالحسبه والمحتسب والشروط الخاصة ومراتب الحسبة ودور المحتسب في مراقبة الأسواق ومذكراتها ومذكرات الشوارع .

"الروض المعطار في خبر الأقطار" محمد بن عبد المنعم الحميري المتوفى سنة ٩٠٠هـ - ١١١٢م وهو معجم جغرافي هام تناول فيه مدن العالم الإسلامي موضحاً موقعها وطرق المسالك إليها وأهم ما تشتهر به من موارد زراعية وصناعية ، وقد أفاد البحث كثيرا حول ما جاء من وصف لمدن إفريقية المختلفة من الناحية الزراعية والمحاصيل والموارد المائية والموارد المعدنية والطرق فيما بينها وترجع أهمية هذا المصدر إلى اعتماده على مؤلفات هامة لمن سبقه من المؤرخين والجغرافيين مثل البكري وابن حوقل وياقوت والاستبصار .

"الاستبصار في عجائب الأمصار" لمؤلف مغربي مجهول توفي سنة ٥٨٧هـ - ١١٩م وهو كتاب يتناول بالدراسة مدن إقليم إفريقية وما تشتهر به كل مدينة من موارد وطرق وقد أفاد هذا المصدر البحث كثيرا في الجانب الزراعي والصناعي والتجاري وموارد المياه وغيرها وترجع أهمية هذا المصدر رغم ورود هذه المعلومات في كتب من سبقوه ومن أخذ عنهم واعتمد عليهم مثل البكري وغيره .

ومن قواميس اللغة اعتمدت على :

"لسان العرب" لمؤلفه جمال الدين محمد بن مكرم الانصاري المعروف بابن منظور المتوفى سنة ٧١١هـ - ١٣٢٣م وهو يتكون من عشرون جزءاً وقد أفاد البحث كثيرا في تعريفات بعض الأسماء لغوياً مثل السوق والحسبة والطاراز والصكوك والمكس والقفيز والسكة .. الخ واعتمدت في البحث أيضا على "القاموس المحيط" لمجد الدين محمد بن يعقوب

الفيروزبادى المتوفى ٨١٧هـ - ٤٢٩م وهو يتكون من أربعة أجزاء ويتناول المصطلحات من حيث اللغة فيعرفها مثل كتاب لسان العرب ، واعتمدت كذلك على "كتاب المخصص" لأبى الحسن على بن اسماعيل النحوى اللغوى الاندلسى المعروف بابن سيده المتوفى سنة ٤٥٨هـ - ١٠٧٠م ، واعتمدت كذلك على "كتاب المغرب فى ترتيب المغرب" لأبى الفتح ناصر بن على المطرزي المتوفى سنة ٦١٦هـ - ٩٢٨م .

"اخبار الدول وآثار الأول فى التاريخ" الذى قام بتأليفه أحمد ابن يوسف القرمانى المتوفى سنة ١٠١٩هـ - ١١٦٠م وهو معجم جغرافى يتناول المدن والبلاد حسب ترتيب الحروف الهجائية فيعرفها ويتناول أهم ما يميزها وما تشتهر به من موارد طبيعية وطرق ومسافات ، وقد أفاد البحث كثيراً فيما يختص بمدن إفريقيا التى تناولها فى كتابة رغم وجود هذه المعلومات فى كتب من سبقه وترجع أهمية هذا المصدر إلى إعماده على كتب الادريسي والبكرى وياقوت . "آثار البلاد وأخبار العباد" لذكر بابن محمد بن محمود القزوينى المتوفى ٦٢٨هـ - ١٢٣٨م وهو من الكتب الجغرافية التى تتناول بالتعريف المدن المختلفة وأهم ما تشتهر به من موارد طبيعية وزراعة وصناعة وتجارة وغيرها ، وقد أفاد البحث فيما جاء به من معلومات هامة عن مدن إفريقية . "تقويم البلدان" وكتاب "المختصر فى اخبار البشر" لتاريخ ابى الفداء " المتوفى سنة ٧٣٢هـ - ١٣٤٤م والأول كتاب جغرافى يتناول بشكل مختصر المدن وأهم ما تتميز به من موارد ومسالك وطرق أما الكتاب الثانى فيتناول تراجم حول الخلفاء والقادة والملوك والسلطين موضحاً أهم ما قاموا به من أعمال وتاريخ الميلاد والوفاء وتولى العرش وغيرها وقد أفاد هذا المصدر البحث كثيراً سواء حول تعريف مدن إفريقيا أم التزاجم حول الحلفاء الفاطميين وحكام بنى زيرى وغيرهم وترجع أهمية هذين المصدرين إلى اعتماد مؤلفهما على مؤلفات وكتب من سبقوه من المؤرخين والجغرافيين مثل الادريسي والبكرى وابن سعيد وغيرهم . "كشف القناع عن تضمين الصناع" لأبى على الحسن بن رحال المعدانى المتوفى سنة ١١٤٠هـ - ١٧٢٨م . وهو كتاب يتناول عملية تضمين الصناع لأعمالهم وصناعاتهم وآراء الفقهاء واختلافهم فى عملية التضمين وقد أفاد البحث كثيراً حول ما جاء عن تضمين الصناع والسمسار والدلال ، وترجع أهمية هذا المصدر إلى إعماده على من سبقه مثل البوسى وابومحمد عبدالسلام الفاسى وغيرهم .

كما أعتمدت على كتب المؤرخين المحدثين وبعض الأبحاث المفيدة التى أثرت البحث فى مجالات شتى ، واعتمد أيضاً على المراجع الأجنبية والمترجمة التى تناولت جوانب مختلفة تخص البحث وكذلك بعض الدوريات العلمية والرسائل العلمية .

الفصل الأول

الفصل الأول

تعريف إفريقيا

- حدود إفريقيا .
- إقليم إفريقية وأهميته .
- أهم المحاصيل الزراعية .
- الصناعة في إفريقيا .

حدود إفريقية:

تميزت حدود إفريقية خاصة الطولية بالتمدد وعدم الثبات، وذلك على مدار تاريخها، لاسيما الجانب الغربى منها، ولم تتفق آراء المؤرخين ^(١) على تحديد من أين تبدأ أو إلى أين تنتهى ، وذلك عكس إتفاقهم على تحديد حدها العرضى . وهذا يرجع إلى وجود حاجزين طبيعيين ، هما البحر المتوسط شمالاً ، والصحراء الكبرى جنوباً . ويبدأ حد إفريقية طولاً من مدينة أنطابلس - برقه - شرقاً حتى مدينة قسطنطينية الهواء غرباً، وهى مسافة تقرب من خمس وخمسين مرحلة ، أما حدها العرضى فيبدأ شمالاً من البحر المتوسط ، وينتهى جنوباً

(١) ذكر عبدالرحمن بن عبدالله بن عبد الحكم قولين : أحدهما: ما جاء فى خطاب عمرو بن العاص إلى أمير المؤمنين عمر بن الخطاب "إن الله قد فتح علينا اطرابلس وليس بينها وبين إفريقيا إلا تسعة أيام وفى موضع آخر ذكر حدود إفريقية تشمل مدينة طرابلس فقال: وكان مستقر سلطان إفريقيا يومئذ بمدينة يقال لها قرطاجنة وكان عليها ملك يقال له جرجير، كان هرقل قد استخلفه فخلع هرقل وضرب الدنانير على وجهه ، وكان سلطانه ما بين أطرابلس إلى طنجة " فتوح إفريقيا والاندلس ، تحقيق عبدالله أنيس الطباع ، الشركة العالمية للكتاب ، بيروت ١٩٨٧ ص ٣٣ - ٣٥ فتوح مصر وأخبارها الطبعة الأولى ، مطبعة مديولى ، القاهرة ١٩٩١م ص ١٨٣ أما المقدسى المعروف بالبشارى فقد جعل إفريقية بدءاً من مدينة صبرة واقتطع منها برقة وطرابلس ، وجعلها كورة قائمة بذاتها فقال: " وأما إفريقية فقصبته القيروان ، ومن مدنها صبرة : أسفاقس .. الخ ، احسن التقاسيم فى معرفة الأقاليم ، الطبعة الثالثة ، مكتبة مديولى ، القاهرة ص ٢١٦-٢١٧ وذكر أبى عبيد البكرى حدود إفريقية فقال: " وحدود إفريقية طولها من برقة شرقاً إلى طنجة الخضراء غرباً ، وإسم طنجة مورطانية وعرضها من البحر إلى الرمال التى هى أول بلاد السودان ، المغرب فى ذكر بلاد إفريقية والمغرب ، مكتبة المثنى ، بغداد ص ٢١-أما شهاب الدين أبى عبدالله ياقوت بن عبدالله الحموى الرومى البغدادى فقال: " وحد إفريقية من طرابلس الغرب من جهة برقة والاسكندرية إلى بجاية وقيل: إلى مليانه فتكون مسافة طولها نحو شهرين ونصف " ، معجم البلدان دار الكتاب العربى ، بيروت ، ج ١ ص ٢٢٨. وذكر ابن عزارى المراكشى: أن إفريقية جزء من المغرب بعد تقسيمه فقال " وقسم من إطرابلس وهى بلاد الجريد ويقال أيضاً بلاد الزاب الأعلى، وإلى هذه البلاد بلاد الزاب الأسفل ، وحدها إلى مدينة تيهرت " البيان المغرب فى أخبار الاندلس والمغرب تحقيق ج.س كولان وليفى بروفنسال ، دار الثقافة بيروت ج ١ ، ص ٥ ، أما محمد ابن أبى القاسم الرعينى القيروانى المعروف بابن أبى دينار : فقد ذكر تعريف البكرى وغيره ثم قال : " إفريقية من بلاد المغرب وعند أهل العلم ان اطلق اسم إفريقية فإنما يعنون به بلد القيروان ، وأما أهل السير فيجعلونه اقليماً مستقلاً وله حدود ولهم اختلاف فيه ، وإفريقية اوسط بلاد المغرب ، وخير الأمور أوسطها ، كتاب المؤنس فى أخبار إفريقية وتونس ، الطبعة الأولى ، مطبعة الدولة التونسية بحاضرتها المحمية ١٢٨٦ ، ص ١٥ .

حسب قرب أو بعد الصحراء من المناطق العمرانية (١) . وقد ضمت إفريقية (٢) فى عهد الفاطميين جميع المناطق التى خضعت للحكم الاغلبى ، فشملت تونس الحالية وبرقه، وطرابلس، ومنطقة قسنطينة عدا جبل الأوراس الذى خضع للخوارج ثم منطقة الجريد ومنطقة القبائل الصغرى وتاهرت وسجلماسة (٣) .

إقليم إفريقية وأهميته :

حظى إقليم إفريقية بأهمية كبرى فى جميع نواحيه ، ففى الناحية الاقتصادية حوى المواد المعدنية الهامة مثل الحديد، والنحاس ، والذهب ، والفضة ، والرصاص، والرخام ، بجانب

(١) عبدالواحد المراكشى : المعجب فى تلخيص أخبار المغرب (من لدن فتح الاندلس ص إلى اخر عصر الموحدين) (مع ما يتصل من تاريخ هذه الفترة من أخبار الشعراء وأعيان الكتاب) تعليق محمد سعيد العريان ومحمد العربى مطبعة الاستقامة ، القاهرة ، ص ٣٤٩ .

(٢) كما اختلفت آراء المؤرخين فى حدود إفريقية اختلفت آراؤهم بشأن تسميتها بهذا الاسم فالبعض منهم ذكر اكثر من رأى فى هذا الأمر فقال البكرى: قال قوم انها إفريقية أى صاحبة السماء ، وقال آخرون سميت إفريقية لان افريقس بن أبرهة بن الرايش غزا نحو الغرب حتى انتهى إلى طنجة فى ارض بربر ، وهو الذى بنى إفريقية وباسمه سميت ، وقيل : سميت بافريق بن ابراهيم عليه السلام من زوجة الثانية قطورى ، وقال قوم : انما سموا الأفارقة وبلادهم إفريقية لأنهم من ولد فاروق بن مصرم وقد زعموا أن اسم إفريقية لبيبه سميت ببنت يافوه بن يونس الذى بنى مدينة منفيش بمصر ، وهى التى ملكت ملك إفريقية اجمع فسمى بها . وذكر مثله بن أبى دينار فقال : وقبل انما سميت بإفريقية لانها فرقت بين المشرق والمغرب ، ولا يفرق بين الاثنين إلا أحسنهما ، وقيل : سميت إفريقية باسم أهلها وهم الأفارقة : والافارقة من ولد فاروق بن مصرم وقال آخرون: الأفارقة من ذرية قوط بن حام بن نوح عليه السلام ، وغير ذلك من الآراء ، انظر البكرى : المغرب ، ص ٢١ ياقوت الحموى : معجم البلدان ج ١ ص ٢٢٨ . أبى العباس شمس الدين أحمد بن محمد بن أبى بكر بن خلكان : وفيات الاعيان وأنباء أبناء الزمان ، تحقيق احسان عباس ، دار الثقافة ، بيروت ج ١ ص ٥٥ . وانظر ابن أبى دينار : المؤنس ص ١٥ ، ١٦ وانظر ايفر : دائرة المعارف الإسلاميه النسخة العربية إعداد وتحرير ابراهيم زكى خورشيد وأحمد الشنتاوى ود. عبدالحميد يونس ، دار الشعب ، بدون ، ماده إفريقية ج ٣ ، ص ٥٨١-٥٨٤ .

(٣) حسين مؤنس : معالم تاريخ المغرب والاندلس ، الطبعة الأولى ، دار ومطابع المستقبل ، القاهرة سنة ١٩٨٠ ص ٢٢ وانظر الهادى روجى إدريس : الدولة الصنهاجية تاريخ إفريقية فى عهد بنى زيرى من القرن ١٠-١٢م ، ترجمة حمادى الساعلى ، الطبعة الأولى ، دار الغرب الإسلامى ١٩٩٢م ج ١ ص ٤٠ ، ٤١ . وذكر عماد الدين اسماعيل بن محمد بن عمر المعروف بأبو الفدا : صاحب حمة حدود إفريقية فقال " وقصر أحمد آخر حد إفريقية من جهة الشرق وأول حدبرقه . ويونة على آخر سلطنه بجاية وأول حد سلطنة إفريقية " (تقويم البلدان ، دار صادر ، بيروت ، ص ١٤١ ، ١٤٧. فليشر : دائرة المعارف الإسلاميه بونة ج ٢ ص ٣٣٨ - ٣٣٩ .

الاحجار الكريمة كاللؤلؤ والمرجان ، وأيضاً الاحجار المستخدمة في المطاحن ، مما ترتب عليه قيام العديد من الصناعات المعدنية الهامة والتي ساعدت على سد حاجته من المصنوعات المختلفة بل وقام بتصديرها إلى المناطق المجاورة له ^(١) . كما وجدت بمدنه خامات الصلصال والرمال المستخدمة في صناعة الزجاج ، مما مهد الطريق لقيام الصناعات الزجاجية والفخارية حتى نافست منتجات غيرها من البلدان ، ^(٢) وتمتع إقليم إفريقية بوجود ثروة حيوانية ضخمة، ممثلة في الابقار، والاغنام، والماعز، والخيول، والابل ، والتي كانوا يربونها بأعداد ضخمة، بالإضافة إلى الثروة الداجنة مثل: الدجاج، والحمام، والأوز، والكراكي، وغيرهما من طيور الصيد، ^(٣) كما اختص هذا الإقليم بثروته الزراعية المتنوعة من المحاصيل المختلفة، مثل القمح، والشعير، والغلات، والبقول، والحمص والبسلا، وغيرها من الأنواع الأخرى، ^(٤) إلى جانب كثرة أشجار الفاكهة، والورود، والتي كانت بعض مدنه تحتوى على الف صنف منها، هذا إلى جانب النباتات الطبية ^(٥) . ولاننسى شهرته الكبيرة من أصناف التمور المتميزة والتي يضرب بها المثل وكانت أكثر جهاتها إنتاجاً هي منطقة الجريد مما جعل إفريقية اكبر مركز لإنتاج التمور في شمال أفريقيا بل والعالم الاسلامي ^(٦) .

كما برزت أهمية إفريقية كإحدى القلاع الحربية الهامة المدافعة عن الاسلام ضد هجمات الغرب ، وعمرت مدنها بدور الصناعة والأربطة مثل مدن سوسة وصفاقس ^(٧)

(١) أبى القاسم ابن حوقل النصيبى : صورة الأرض ، دار مكتبة الحياة ، بيروت ، ص ٧٧ وانظر البكرى : المغرب ص ٣٣ و ص ٨٣ و ص ٨٥ .

(٢) أبى القدا : تقويم البلدان ص ١٤٧ . وانظر أبى العباس أحمد بن على القلقشندى : صبح الاعشى فى صناعة الانشاء ، الجزء الخامس ، نسخة مصورة عن الطبعة الاميرية ص ١٠٨ وانظر جورج مارسيه : بلاد المغرب وعلاقاتها بالمشرق الإسلامى فى العصور الوسطى ، ترجمة محمود عبدالصمد هيكل ، راجعه واستخرج نصوصه د. مصطفى أبو ضيف أحمد ، منشأة المعارف بالاسكندرية سنة ١٩٩١ ، ص ٢٠٨ .

(٣) ابن حوقل : صورة الارض ص ٨٥ ، ٨٦ ، ٩٥ وانظر القلقشندى : صبح الاعشى جـ ٥ ، ص ١١٣ .

(٤) القلقشندى : صبح الاعشى ، جـ ٥ ص ١١٢ .

(٥) البكرى : المغرب ص ٣٢ ، ٤٠ .

(٦) مجهول : الاستبصار فى عجائب الامصار ، تحقيق دوى فينا ١٨٥٢ ص ٣٦ ، آدم متر : الحضارة الإسلامية فى القرن الرابع الهجرى ، لجنة التأليف والترجمة جـ ٢ ص ٢٥٩ .

(٧) البكرى : المغرب ٢٣٥ ص ٣٦ ، ٣٨ ، ٥٧ . اليعقوبى : صفة المغرب المأخوذة من كتاب البلدان ، طبعة ليدن ، ص ١١ .

وبنشرت^(١) فكانت الركيزة الأساسية التي انطلقت منها الجيوش والأساطيل الإسلامية لغزو بلاد الروم ، والجزر الواقعة في البحر المتوسط ^(٢) .

ومثل إقليم إفريقية أهمية كبرى للمشرق الاسلامي خاصة في البدايات الأولى من الفتح الاسلامي، وذلك عن طريق امداده بأعداد كبيرة من الرقيق الذين إستخدموا في الزراعة، والوحدات العسكرية، هذا إلى جانب الرقيق من النساء اللاتي كان لهن وضعاً ممتازاً داخل الدولة الاسلامية ، وإفريقية خلال الحكم الفاطمي وبنى زيري ^(٣).

ولم تقتصر أهمية إفريقية على تلك النواحي فقط بل كانت أهميتها الدينية والعلمية لا تقل بحال من الأحوال عن ذلك، ^(٤) "إفريقية" إقليم عظيم جمع المحاسن الجميلة والفوائد الجلييلة، والمدن العظيمة، والمزارع الكريمة، والمياه العذبة، والفواكه اليابسة، والرطوبة والمباني المنيفة، والمعادن الشريفة، والمسارح المعدة للضرع، والآثار البديعة للزرع، وجميع ما يحتاج إليه وتقبل النفوس عليه ^(٥) .

(١) زكريا بن محمد بن محمود القزويني : آثار البلاد وأخبار العباد ، دار بيروت للطباعة والنشر، ١٩٧٩ ص ١٥٩ .

(٢) ابن عزاري : البيان جـ ١ ، ص ١٠٣ . ابن أبي دينار : المؤنس ، ص ٣٥ . إبراهيم على طرخان : المسلمون في اوربا في العصور الوسطى ، مؤسسة سجل العرب ، الادارة العامة للثقافة بوزارة التعليم العالي ١٩٦٦م ، ص ٨٧ وما بعدها. جورج مارسيه : بلاد المغرب ص ٧١ وما بعدها . الهادي إدريس : الدولة الصنهاجية ، جـ ١ ، ٢٠٧ ، ٢١١ .

- Trevor Cairns, Barbarians Chirstians and Muslims, Cambridge University press, New Yourk Newrochelle Melbourn Sedney. Page 74.

(٣) ابن عذاري : البيان ، جـ ١ ، ص ٢٧ ، ص ٤٣ . حسن حسني عبدالوهاب : شهيرات التونسيات ، المطبعة التونسية ١٣٥٣هـ ص ٣١-٣٢ ، ص ٤٧-٤٩ . جورج مارسيه : بلاد المغرب ، ص ٢٧ . أرشيبالد لويس : القوى البحرية والتجارية في حوض البحر المتوسط ٥٠٠-١١٠٠ ، ترجمة أحمد محمد عيسى ، تقديم محمد شفيق غربال ، مكتبة النهضة المصرية ١٩٦٠ ، ص ٢٥٦ .

(٤) أبي عبدالله محمد بن حارث بن أسد الخشني : قضاة قرطبة وعلماء إفريقية ، نشر السيد عزت العطار الحسيني ، مكتبة الخانجي ، القاهرة ١٩٩٤م ، ص ١٧٧ وما بعدها . البكري : المغرب ص ٢١-٢٢ . ابن عزاري : البيان ، جـ ١ ، ص ٦-٨ . ابوزيد عبدالرحمن محمد الانصاري الاسيدي الدباغ : معالم الايمان في معرفة اهل القيروان ، تحقيق إبراهيم شبوح ، مكتبة الخانجي ، القاهرة ١٩٦٨ ، جـ ١ ، ص ٤-٥ . محمد العروسي المطوي : سيرة القيروان ، الدار العربية للكتاب ، تونس ١٩٨١ ، ص ٤٣-٩٥ .

(٥) ابن أبي دينار : المؤنس ، ص ١٦ .

أرض إفريقية الزراعية :

تنوعت الأرض الزراعية ^(١) بإفريقية فكانت منها : الأرض الخصبة الممتازة ، والجيدة ، والرديئة ، ووجدت الأراضي الخصبة حيث توفرت مصادر المياه الدائمة كالأنهار ، والتي قامت بإمدادها إلى جانب المياه بالعناصر المغذية للتربة من الطمي والمعادن المختلفة ، والتي لا غنى للنبات عنها ، وكانت أكثر أراضي إفريقية تتميز بالخصوبة والجودة فمن المدن التي اشتهرت بخصوبة أرضها مدينة قابس والتي جادت بها زراعة الانواع المختلفة من النباتات والمحاصيل ^(٢) . كما تميزت أراضي مدينة جلولا ^(٣) بخصوبتها ، وجادت بها زراعة البقول ، والفاكهة إلى جانب الانواع الاخرى من الرياحين والاشجار ، ^(٤) أما مدينة تونس فقد تكونت لها دلالة عظيمة الخصب جادت بجميع الغلات والفاكهة ، وانتشرت بها البساتين والجنات ^(٥) ومثلت أراضي مدينة الانصاريين أجود أنواع الأراضي الزراعية ، وزرع بها محصول القمح الذي يعد من أحسن وأجود الانواع بها ^(٦) ، كما جادت الطبيعة على مدينة بونة فحببتها بأرض زراعية خصبة جعلتها من أنزه مدن الاقليم ، ^(٧) وفي الجنوب حيث منطقة الجريد

(١) تعتبر احدى أهم المخترعات والاكتشافات التي وفق اليها الانسان وهي مرحلة هامة نقلت الانسان من مرحلة الجمع والالتقاط والرعى وانتاج الحيوان إلى مرحلة التوطن والاعتماد على النفس وزراعة ما يهمه من المحاصيل وهي مورداً متجدداً وساعدت على قيام القرى والمدن وبناء الحضارات، يسرى عبدالرازق الجوهري : دراسات في جغرافية الموارد الاقتصادية ، منشأة المعارف بالاسكندرية سنة ١٩٧٣ ص ١٠٥ .

(٢) مجهول : الاستبصار ، ص ٣ . محمد بن عبدالمنعم الحميري : الروض المعطار في خبر الاقطار ، تحقيق إحسان عباس ، مكتبة لبنان ، بيروت ١٩٧٤ م ، ص ٤٥٠ .

(٣) مدينة جلولا: إحدى مدن إفريقية . وهي قديمة البناء أزيله . قيل إفتتحها عبدالملك بن مروان وقيل معاوية بن حديج سنة ٤٥هـ - ٦٥٧م . تكثر بها المياه . وتتميز بخصوبة أرضها ، كما تكثر بها البساتين المليئة بالاشجار المثمرة بكافة أنواع الفاكهة والثمار ، كما تكثر بها أنواع الازهار والرياحين التي يغلب عليها نوع النرجس والياسمين ، وهي إحدى المناطق التي تعتمد عليها مدينة القيروان في إمدادها بالفاكهة وتشتهر إضافة إلى ذلك بكثرة عسلها وطيبه الذي يضرب به المثل . أنظر ابن عبدالحكم : فتوح إفريقية ، ص ٤٨ ، فتوح مصر وأخبارها ، ص ١٩٣-١٩٤ . البكري : المغرب ، ص ٣٢ . مجهول : الاستبصار ، ص ٩ . ياقوت الحموي : معجم البلدان ، ج ٢ ، ص ١٨١-١٨٢ . ابن عزاري : البيان المغرب ، ج ١ ، ص ١٧ - ١٨ . حسين مؤنس : فتح العرب للمغرب ، مكتبة الثقافة الدينية ، القاهرة ، ص ١٢٣-١٢٤ .

(٤) البكري : المغرب ، ص ٣٢ . مجهول : الاستبصار ، ص ٩ .

(٥) ابن حوقل : صورة الأرض ، ص ٧٥ .

(٦) المصدر السابق ، ص ٤٧ . جورج مارسيه : بلاد المغرب ، ص ٢٠٥ .

(٧) الحميري : الروض المعطار ، ص ١١٥ . المراكشي : المعجب ، ص ٣٥١-٣٥٢ . أبو الفدا :

تقويم البلدان ، ص ١٤١ .

وجدت الأراضي الخصبة في مدينة قفصة التي أنتجت جميع المحاصيل الزراعية^(١) كما تميزت أراضي مدينة بسكرة بخصوبتها، فأنتجت أنواع مختلفة من الغلات والمحاصيل^(٢) وتميزت أراضي مدينة الغدير بخصوبتها، وذلك لقربها من فحص عجيسة^(٣) وفي الشرق من إفريقية حيث تقع مدينة طرابلس التي تعد أرضها من أخصب الأراضي الزراعية بإفريقية خاصة الجانب الذي يمثل فحص سوبجين حيث ضربت لخصوبته الامثال ، وكان يخرج من الحبوب كميات ضخمة، وكان يصاب للحب به مائة حبة^(٤) أما أراضي مدينة باجة فتأتي في المرتبة الأولى كأفضل وأجود الأراضي الخصبة ، فهي سوداء مشققة تجود بها جميع الزراعات حتى اعتبرت مخزناً للغلال لاقليم إفريقية^(٥) .

وأما عن خصوبة أراضي مدينة بنى مزغنى^(٦) فقد كانت على غاية ما تكون من ناحية الخصوبة^(٧) . كما تميزت بعض الأراضي الجبلية بخصوبتها، لتوفر مصادر الري الدائم لها ، فجل أسرو من الجبال التي قامت به المدن الخصبة^(٨) .

واشتهرت أيضا مدينة القيروان بجودة أرضها الزراعية وخصوبتها العالية خاصة الجزء الغربى منها المعروف عندهم بفحص الدرامة فكان يصاب به للحب مائه حبة، وهو من

-
- (١) مجهول : الاستبصار ، ص ٣٦ وما بعدها . أبو الفدا : تقويم البلدان ، ص ١٤٣ .
 (٢) المصدر السابق ، ص ١١٤ .
 (٣) المصدر السابق، ص ٥٤ .
 (٤) البكرى : المغرب ، ص ٩ .
 (٥) نفس المصدر: ص ٥٦-٥٧ . مجهول : الاستبصار ، ص ٤٧ ، ارشيبالد لويس : القوى البحرية ، ص ٣٢٩ .
 (٦) بنى مزغنى : جزيرة على شاطئ البحر المتوسط مسورة بها عيون ماء يلجأ إليها التجار، وأصحاب السفن، في تزويدهم بالمياه العذبة، وهي تواجه من الاندلس جزيرة ميورقة، وبها كثيراً من الآثار مما يدل على عظيم أمرها فى القدم، وهي تتصل بفحص متيج الكبير المساحة ذو الخصوبة العالية ، والقرى الكثيرة ، والانهار، وهو نحو مرحلتين ، والمدينة مرسى هام مأمون الملاحة يستخدمه الأهالى والتجار فى سفرهم إلى خارج إفريقية ، انظر المقدسى : أحسن التقاسم ، ص ٢٢٨، البكرى : المغرب ، ص ٦٦ . مجهول : الاستبصار ، ص ٢٢-٢٣ . أبو الفدا : تقويم البلدان : ص ١٣٧ . القلقشندي : صبح الاعشى ، ج ٥ ص ١٠٩-١١٠ .
 (٧) أبى اسحق إبراهيم بن محمد الفارسى الاصطخرى المعروف بالكرخى : المسالك والممالك ، تحقيق محمد شفيق غربال ، محمد جابر ، وزارة الثقافة والارشاد القومى سنة ١٩٦١ ، ص ٣٤ .
 (٨) مجهول : الاستبصار ، ص ٥٢ .

أفضل الأراضي وأحسنها هواءاً، هذا إلى جانب أراضي الساحل^(١) والتي انتشرت به زراعات الزيتون^(٢) وكانت أراضي مدينه طبنة تتميز بالخصوبة لتوفر مصدر الري الدائم لها والذي أمدّها بها نهر بيطام فساعد على تكوين كثير من الفحوص بها،^(٣) وبصفة عامة يمكن القول أن إفريقية خلال الحكم الفاطمي وبني زيري ظلت محتفظة إن لم تكن فاقت ذلك - بموقعها الهام، من حيث شهرتها كأحدى المناطق الزراعية الهامة ذات الانتاج الوفير، خاصة الحبوب^(٤) . واشتهرت أيضا أراضي مدينتي لربس^(٥) وأبه^(٦) بالخصوبة إلى جانب كثير من قرى إفريقية^(٧) .

-
- (١) الساحل : سمي بهذا الاسم لكثرة الاشجار المثمرة به من الزيتون والكروم وهو قرى كثيرة ظل موجوداً حتى غزو الأعراب لإفريقية فقصوا على جميع الزراعات به وافسدوه . انظر : أبو محمد عبدالله بن محمد احمد التيجاني : رحلة التيجاني ، تقديم حسنى عبدالوهاب ، المطبعة الرسمية بتونس سنة ١٩٥٨م.
- (٢) البكري : المغرب ، ص ٢٤ . جورج مارسيه : بلاد المغرب ، ص ٢٠٥ . لويس : القوى البحرية، ص ٣٢٩ .
- (٣) نفس المصدر ، ص ٥١ .
- (٤) لويس : القوى البحرية ، ص ٣٢٩ .
- (٥) لربس : مدينة قريبة من القيروان ، على مسيرة ثلاثة أيام ، مسورة ولها ربض كبير . أرضها تمتاز بالخصوبة وتوجد بها الزراعة المختلفة خاصة الزعفران ، كما تعرف ببلاد العنبر . استولى عليها الفاطميون سنة ٢٩٦هـ / ٩٠٨م ، وقتل أهلها مع فلول جيش الاغلبة داخل مسجدها حتى قيل أن الدماء كانت تسيل من أبوابه كالماء . وهي أسفل جبل يسمى بورغ ، وتكثر حولها الأسواق بها الآبار، وعيون الماء ، منها عين رياح، وعين زياد، وهي من أطيب العيون ، وبها معدن الحديد أيضا انظر اليعقوبي : صفة المغرب ، ص ١٠ . ابن حوقل : صورة الأرض ، ص ٨٦ . المقدسي : أحسن التقاسيم ، ص ٢٢٦-٢٢٧ . البكري : المغرب ، ص ٤٦ .
- (٦) أبه : مدينة تبعد عن القيروان نحو ثلاثة أيام وتشتهر بزراعة الفاكهه والزعفران، عبدالرحمن ابن ابي بكر جلال الدين السيوطي : مرصد الاطلاع في اسماء الامكنة والبقاع ، نسخه بدار الكتب المصرية ١٩٣١، ص ٩ .
- (٧) ابن حوقل : صورة الأرض ، ص ٨٦ - ٨٧ .

الموارد المائية :

لم تبخل الطبيعة على إفريقية فحبتها بموارد مائية غزيرة ، ومتنوعة ما بين الانهار والآبار ، والبحيرات ، والعيون مما أدى إلى قيام الزراعة وتنوع المحاصيل وزيادة الانتاج الزراعى ، ولقد اشتهرت أكثر مدن الإقليم بوجود هذه الموارد فمدينة تونس كان بهانهر بجرده وهو من الانهار الكبيره على طريق المغرب ^(١) وكان لنفزاوه ^(٢) نهر جار ترين جانبية أشجار النخيل ^(٣) .

وتميزت بعض المدن بوجود أكثر من نهر بها مثل مدينة فابس حيث ينزل إليها نهران يخترقان غوطتها من الجبل الواقع جنوبها ^(٤) وهما ينبعان من عين خرايه (جاريه) فى جبل ما بين القبله والمغرب ويظل يجرى حتى يصب فى البحر المتوسط ^(٥) وفى الشرق من مدينة بنزرت ^(٦) يجرى نهر كبير يشقها ، وتقع على جانبيه المنازه والبساتين ، ويصب فى البحر المتوسط ^(٧) ولجزائر بنى مزغنى نهر أيضاً يخترق فحصبها ، ^(٨) واشتهرت مدينة طرفه القريبة من مدينة مرسى الخرز بنهرها الكبير ، والذي استخدم إلى جانب رى الأراضى بأنه

-
- (١) الاصطخرى : المسالك والممالك ، ص ٣٣ .
- (٢) نفزاوة : من بلاد الجريد ، وقيل انها قطر مثل قسطنطينية ، به المدن ، والقصور والعمائر الكثيرة المتصلة الأهله بالسكان ، ومن مدنها طره ، وهى مسوره ، لها غابة كبيرة كثيرة النخل ، والزيتون وجميع الفواكه وعاصمتها تسمى بشره وينزلها العمال ، بها قوم من الأفارقة القدم والبربر ، تبعد عن قسطنطينية ثلاثة مراحل ، انظر اليعقوبى : صفة المغرب ، ص ١٠ - ١١ . مجهول : الاستبصار ص ٤٤-٤٥ . القزوينى : آثار البلاد ، ص ٢٧٨ .
- (٣) البكرى : المغرب ، ص ٤٧ .
- (٤) القلقشندى : صبح الاعشى ، ج ٥ ص ١١٤ .
- (٥) مجهول : الاستبصار ، ص ٣ .
- (٦) بنزرت : إحدى مدن الاقليم الثالث ، وهى ميناء لمدينة تونس ضمن إقليم وسطفوره الذى يضم أيضاً مدن متيجيه وابنلونه ، وبنزرت هى عاصمة الاقليم ، افتتحها معاوية بن حديج سنة ٤٥ هـ ولها إلى جانب نهرها بحيرة كبيرة ، وهى من اكثر المدن انتاجا للأسماك التى تتعدد أنواعها بعدد شهور السنة ، تكثر بها القلاع والاربطة والحصون للدفاع عن الساحل وتقع على مسيرة يومين من مدينة تونس ولها آثار قديمة وبحيط بها سور ضخيم قديم ، انظر ابن حوقل ، صورة الأرض ص ٧٥ البكرى : المغرب ، ص ٥٨ . القزوينى : آثار البلاد ، ص ١٥٩ ، ابن أبى دينار : المؤنس : ص ٢٥ . القلقشندى : صبح الاعشى ، ج ٥ ، ص ١٠٥ ، حسين مؤنس : فتح العرب للمغرب ، ص ١٢٥ .
- (٧) البكرى : المغرب ، ص ٥٨ . مجهول : الاستبصار ، ص ١٥ .
- (٨) مجهول : الاستبصار ، ص ٢٣ .

أحد الأنهار التي تستخدمها السفن التجارية وذلك حتى باب المدينة، ^(١) وكان لمدينتي بونة وباجة نهر يجرى بينهما ^(٢) وعلى مسافة ميلين أو أقل من مدينة بجاية يقع نهر كبير تتفرع منه عدة أنهر صغيرة تستخدم لرى الأراضي الزراعية بها ^(٣) ولمدينة سجلماسة نهر يسمى زيز ^(٤).

وتميزت مدن إقليم الجريد ^(٥) بأنهارها الكثيرة فكان بمدينة قفصة نهران كبيران ^(٦) ولمدينة توزر ^(٧) نهر أيضا يستخدم فى الزراعة ^(٨) ولمدينة المسيلة ^(٩) نهر كبير يجرى فى الجانب الغربى منها ويسمى نهر سهر، أو سهور، وهو ينبع من عيون ماء داخل مدينة غدير واروا ويستمر فى جريانه حتى يدخل الصحراء ويغوص فيها ^(١٠).

-
- (١) مجهول : الاستبصار ، ص ١٦ .
 (٢) أبو الفدا : تقويم البلدان ، ص ١٤١ .
 (٣) البكرى : المغرب ص ٥٠ . مجهول : الاستبصار ص ٢١ .
 (٤) اليعقوبى : صفة المغرب ، ص ٢١ .
 (٥) إقليم الجريد : سمي بهذا الاسم لكثرة زراعة اشجار النخيل به ، وهو مدن كثيرة وأقطار واسعة وعمائر متصلة ، كثيرة الخصب وتكثر به زراعة الزيتون والفاكهة أيضا. وجميع الخيرات وهو آخر بلاد إفريقية على طرف الصحراء ويشتهر بكثرة المياه والعيون . وأول مدن الاقليم على البحر المتوسط: مدينة قابس . انظر مجهول : الاستبصار ص ٣٦ .
 (٦) البكرى : المغرب ص ٤٧ .
 (٧) توزر : عاصمة إقليم قسطنطينية ، كبيرة قديمة البناء لها سور من الحجارة والطوب ، وتكثر حولها الارباض الواسعة ، بها اربعة أبواب وهى أكثر المدن انتاجا للتمر . انظر : مجهول : الاستبصار ص ٤١-٤٢ .
 (٨) القلقشندى : صبح الاعشى ، ج ٥ ، ص ١٠٦ .
 (٩) المسيلة : بناها على بن حمدون الاندلسى سنة ٣١٣هـ - ٣١٥هـ / ٩٢٥م - ٩٢٧م فى عهد عبيدالله المهدي ، فى وسط أرض البربر من بنى برزال وبنى كهلان على مقربة من هواره وهى حصينة عليها سوران بينهما جدول ماء يلتف حولها وهى قرب مدينة قديمة تسمى الرمانية يطل عليها جبل الأوراس وهو مساكن هواره الخوارج ومستقر الكاهنة كثيرة الماشية والزراعة حولها بربر من بنى برزال وبنى زنداج ، وبالقرب منها مدينتى القباب وبشليقه ، وهى عاصمة إقليم الزاب . انظر : ابن حوقل : صورة الارض ، ص ٨٥ . ابن عزارى : البيان ، ج ١ ، ص ١٩٠ ، ٢١٤ ، ٢١٥ . أبو الفدا : تقويم البلدان ، ص ١٣٩ .
 (١٠) البكرى : المغرب ، ص ٥٩ - ٦٠ . القلقشندى : صبح الاعشى ، ج ٥ ، ص ١٠٧ .

واشتهرت مدينة مقرة بأنها ذات أنهار ^(١) كما اشتهرت مدينة طبنة ^(٢) بنهرها الكبير الذى يسمى بيطام، وهو من الانهار الكبيرة ، التى تتميز بفيضاتها ^(٣) وهو يشق غابتها وتتفرع منه أنهر صغيره (جداول) كثيرة يعتمد عليها أهلها فى شربهم وفى رى أرضهم الزراعيه ^(٤) . ومن الانهار الكبيرة نهر مدينة بسكره ^(٥) الذى ينبع من جبال الاوراس ^(٦) ويبلغ طوله ستة أميال ويخترق قراها وغابتها ^(٧) . وتعتبر جبال الاوراس أحد الخزانات الهامه للمياه بإفريقية وتمد مدن إفريقية بالانهار وهى تبعد عن القيروان مسيرة ستة أيام وعاصمته تسمى شروس ^(٨) .

- (١) البكرى : المغرب ، ص ٥١ .
- (٢) طبنة : عاصمة إقليم الزاب ينزلها الولاة وأهلها أخلاط من الناس من قریش والعرب والعجم والبربر والروم والافارقة . انظر اليعقوبى : صفة المغرب ، ص ١١ .
- (٣) البكرى : المغرب ، ص ٥١ .
- (٤) أبو الفدا : تقويم البلدان ، ص ١٣٩ .
- (٥) بسكرة : إحدى مدن الزاب وقيل انها العاصمه ، تشتهر بإنتاجها الضخم من التمر ذو الاجناس المختلفة تكثر بها آبار المياه العذبه وهى دار فقه وعلم ، أهلها بالسكان ، عليها سور وخنادق ، وبهامساجد وحمامات كثيرة ، ولها ثلاثة أبواب ، وتشتهر أيضاً بتجارة الملح وبها بربر من مغراوة وسدراته وأهلها على مذهب أهل المدينة ومن أبوابها باب المقبره ، باب الحمام وباب ثالث ، وسكانها من المولدون ، وبها كثير من المدن مثل جمونه وطولقه وميليلي وبنطيوس . انظر : البكرى : المغرب ، ص ٥٢ . الحميرى : الروض ، ص ١١٣ . القلقشندي : صبح الاعشى ، ج ٥ ، ص ١٠٧ .
- (٦) جبال الاوراس : يسمى أيضا جبل المصامده ودرن وجزوله وبايكست ، وهو موطن البربر من لواته ، كما يسمى أيضاً جبل نفوسة ، يشق بلاد المغرب وإفريقية كما تكثر بها المعادن وكان موطناً للعديد من قبائل البربر مثل اوربه وجراوه وهواره وكتامه ولواته ونغزاوه قبل الفتح الإسلامى وكانت قبائل لواته وضريسهم يقيمون فى منطقة الهضاب قرب مدينة باغايه وكانوا يرحلون شتاء للصحراء لحماية ابلهم من التقلبات الجوية ومثلت هذه الجبال مكاناً مركزياً لثورات البربر مثل الكاهنة فى عهد حسان بن النعمان وأبى يزيد فى عهد القائم الفاطمى ، ولم يستطع الفاطميون السيطرة على هذا الجبل لمنعته الطبيعية وأرسل المهدي جيوشه فى محاولة منه لغزو نفوسه سنة ٣١٠ هـ ٩٢٢م لكنها لاقت الهزيمة على يد أهالى نفوسه ثم حاول بعدها فى العام التالى لكنه لاقى الهزيمة للمرة الثانية . أبو الربيع عبدالسلام الوسيانى : سير أبى الربيع ، مخطوط ورقه ٢٧ . أبو زكريا : السيرة وأخبار الأئمة ، مخطوط ورقه ١١٧ ، البكرى : المغرب ، ص ٩ . مجهول : الاستبصار ، ص ٥٠ . الحميرى : الروض المعطار ، ص ٧٦-٧٧ . عبدالواحد ذنون طه : استيطان القبائل البربرية فى شمال إفريقية ، حوليات الجامعة التونسية ، تونس ١٩٨٠ ، ج ١٨ ، ص ٢٨٩ - ٢٩١ .
- (٧) أبو الفدا : تقويم البلدان ، ص ١٣٩ .
- (٨) البكرى : المغرب ، ص ١١ .

ولمدينة الخضراء نهر كبير يتميز بالفيضان في بعض الاوقات ولقرية مجدول غدير يسمى بحيرة مجدول (١) .

ولمدينة تهودة (٢) نهر كبير ينصب اليها من جبال الأوراس (٣). وتعتبر مدينة نفطة (٤) أكثر مدن قسطنطينية من حيث كثرة المياه حتى قيل ان جميع شرب قسطنطينية يوزن إلا نقطه فإن شربها جزاف بغير وزن (٥) ويعتبر نهر شلف (٦) من أشهر أنهار إفريقيا وهو يمد كثيراً من المدن والقرى الواقعة على ضفتيه بحاجتها من المياه (٧) .

-
- (١) البكري : المغرب ، ص ٧٥ .
- (٢) تهوده : إحدى مدن إفريقية الأهلة بالسكان ، ويطلق عليها مدينة السحر ، وهي كثيرة الثمار والنخيل والمزروعات ، قديمة البناء ، تشتهر بالتجارة وكثرة الأموال ، وتكثر حولها الأرباض التي يحيط بها خندق مستدير حول المدينة بها جامع جليل ، ومساجد كثيرة وأسواق وفنادق ، سكانها من العرب وقوم من قريش ، كما تكثر حولها البساتين المليئة بأنصاف النباتات والثمار ، يلتف حولها أكثر من عشرين قرية ، قريبة من مدينة بسكرة ، رويت عنها أحاديث كثيرة منسوبة إلى النبي صلى الله عليه وسلم والتي نهى فيها عن سكنى هذه أتمدينة وهي المدينة التي استشهد بها عقبة بن نافع مع باقي جيشه على يد كسيلة الأوربي عقب عودته من غزو المغرب الأقصى وهي أرض لقبيلة تهوده البربرية . انظر : ابن عبدالحكم : فتوح أفريقيا والأندلس ، ص ٥٨-٥٩ . أبو العرب محمد بن أحمد بن تميم القيرواني : طبقات علماء إفريقية وتونس ، تحقيق على الشاذلي ونعيم حسن ، الدار التونسية للنشر ص ٥٩-٦٠ . البكري : المغرب ، ص ٧٢-٧٣ . ابن عذارى : البيان ، ج ١ ، ص ٢٨-٣٠ . صفى الدين عبدالمؤمن عبدالحق البغدادي : مرصد الإطلاع على أسماء الأمكنة والبقاع ، وهو مختصر معجم البلدان لياقوت الحموي ، تحقيق على محمد البجاوي ، دار المعرفة ، بيروت ١٩٥٤ ج ١ ، ص ٢٨٣ . حسين مؤنس : فتح العرب ، ص ١٩٩ . احمد صليحه : تونس، منف للنشر والخدمات الإعلامية ، القاهرة ، ص ٥٥ : ٦٠ .
- (٣) البكري : المغرب ، ص ٧٢ .
- (٤) نفطة : إحدى مدن قسطنطينية قديمة البناء خصبه تكثر بها الزراعة وأهلها من بقايا الروم انظر مجهول : الاستبصار ، ص ٤٣ .
- (٥) البكري : المغرب ، ص ٧٤-٧٥ .
- (٦) نهر شلف : نهر صغير يجري من الجنوب إلى الشمال حتى جنوبى مدينة الجزائر ثم يسير غربا بحزاء الساحل ويصب في البحر المتوسط قرب مدينة وهران ، وهو ينبع من جبال الأوراس وهو الحد الفاصل بين إفريقية والمغرب الاوسط . انظر : حسين مؤنس : معالم تاريخ المغرب والأندلس، ص ٢٢ ، ٤٨ .
- (٧) ابن حوقل : صورة الارض ، ص ٨٩ .

أما نهر تتاتين وهو نهر مدينة تنس فيجربى إليها من جبال الأوراس ،على مسيره يوم من القبله، ويدور حولها من ناحية الجوف ،والشرق، ويصب في البحر المتوسط. (١) ويعتبر نهر مدينة متيجه (٢) من الانهار الهامة كثيرة الاستخدام فلا يكتفى أهل المدينة برى ذراعاتهم منه فقط ، بل ينشئون عليه الأرحاء ، وتتفرع منه شعبه إلى داخل المدينة حيث يستغلها أهلها فيما يحتاجون. (٣) وعلى الطريق من القيروان إلى قلعة أبى طويل كثيراً من الانهار تعتمد عليها مدينتى تبسا (٤) وسببيه خاصة نهر ملاق والذى تقع على الضفة الشرقية منه مدينة تبسا (٥) .

كما كثرت الأنهار بإقليم الزاب (٦) الذى يعد أحد الاقسام الثلاثة التى يتكون منها إقليم

- (١) البكرى : المغرب ، ص ٧٢ .
- (٢) متيجة : بلد واسع به عدة مدن وحصون ، وهو بلد زرع وعمارة ، وتكثر بها البساتين والمياه ، كما يقال لها قزرونه. وهى تقع على الطريق من أشير حتى مدينة جزائر بنى مزغنى، ومن أكثر محاصيلها الزراعيه الكتان وتقوم بتصديره إلى خارجها انظر اليعقوبى : صفة المغرب ، ص ١٣ المقدسى : أحسن التقاسيم ، ص ٢٢٨ البكرى : المغرب ، ص ٦٥ .
- (٣) المقدسى : أحسن التقاسيم ، ص ٢٢٨ .
- (٤) تبسا: من المدن القديمة البناء :تكثر بها المباني ، والآثار التى تدل على عظم مكانتها قديما فهى المدينة الثانية ، بعد قرطاجنة كما تدل بذلك آثارها مثل دار الملعب، والهيكل الذى يظهر كأنه حديث البناء ، وإلى جانبها وادى ملاق الذى يقل مأوه صيفاً وهو صعب المجاز، وعليه جبل يسمى ملاق أيضاً وهو شاق العلو يرى من على مسيرة أيام ، وبالقرب منها جبل يسمى بالكثف ، وهى تقع على الطريق من القيروان إلى مدينة قلعة أبى طويل انظر البكرى : المغرب ، ص ٤٩ . مجهول : الاستبصار ، ص ٤٩-٥٠ .
- (٥) البكرى : المغرب ، ص ٤٩ .
- (٦) الزاب: إقليم يقع على طرف الصحراء ، وهو يشبه إقليم الجريد ويتميز بارتفاع درجات الحرارة به ، كما تكثر به الخلجان وتكثر به المدن والعمائر المتصلة وهو كثير المياه من الانهار والعيون ويبعد عن القيروان مسافة عشرة مراحل ،ومن مدنه الهامة باغاية وهى قديمة البناء وبها قبائل من الجند إلى جانب أناس من خراسان ، وعجم ، من بقايا الروم ، وحولها قبائل بربرية من هواره بجبل الأوراس ومن مدنه أيضا المسيلة ونقاوس ، وطبنة ، وبسكرة وتاهودة وغيرها امتدح الشاعر الأندلسى ابن هانى الزاب وواليه جعفر بن على بن حمدون قائلاً :

ورأيت حولى وفد كل قبيلة حتى توهمت العراق الزابا
أرض وطئت الدر رضراضا بها والمسك تريا والرياض حبابا
وسمعت فيها كل خطبه فيصل حتى حسبت ملوكها أعرابا

اليعقوبى : صفة المغرب ، ص ١١ . التيجانى : رحلة التيجانى ، ص ٢٨١-٢٨٢ .

إفريقية^(١) ولمدينه تاهرت^(٢) نهران كبيران يعتمد عليهما الاهالى اعتماداً كبيراً ، سواء فى شربهم ، أو لرى زراعاتهم ، وأحد هذان النهران يأتى إليها من ناحية القبلة ، ويسمى نهر منية والآخر : يأتياها من جهة الشرق وينبع من عيون تسمى تاتش^(٣) ، ومن أنهار إفريقية الهامه نهر سيرات ، الذى يجرى تحت قلعة هواره وله فحص - وادى - يسمى باسمه ويبلغ طوله نحو الاربعين ميلاً^(٤) وبين مدينتى المسيلة واشير يوجد نهر جوذة ويوجد لمدينة مليانه^(٥) نهر كبير

(١) مؤنس : معالم ، ص ٤٨ .

(٢) تاهرت مدينتان القديمه على مسافه خمسة أميال من الحديثه ، وللحديثه أربعة أبواب هى الصفا والمنازل والأندلس والمواجن ، وهى على سفح جبل جزول ولها قلعه تسمى المعصومه وهى كثيره الثلج والامطار والبرد حولها كثير من قبائل البربر من لواته وهواره وزواغه ومطماطه وزناته ، تم بناءها بعد ١٤٠ هـ / ٧٥٢ م ، وصارت عاصمة الدولة الرستمية التى أنشأها عبدالرحمن بن رستم وكان آخر ملوكهم يقطان ابن أبى يقطان حيث قتل على يد ابو عبدالله القائد الفاطمى سنة ٢٩٦ هـ / ٩٠٨ م ، وكانت مفرده فى الدواوين قديماً ، ولها أسواق كثيره عامه واثنى عشر حماماً وقيل أنها آخر حد إفريقية وكان عقبه قد افتتحها فى حملته الثانيه على المغرب وكان أول من تولاها للفاطميين أبوحميد دواس اللهيصى وقد استحسن الإباضية موقع هذه المدينة الذى كان ملكاً لبربر صنهاجة والذين رفضوا بيع هذا المكان ولكن فى نفس الوقت قاموا باعطائه للإباضية نظير استصلاحه وان يكون لهم نصيب فى خراجهم ثم شرع الإباضية فى ازاله الاجام والشجر وقاموا باختطاط المدينة واستعانوا فى ذلك بما كان يأتى اليهم من أموال إباضية طرابلس وقد افتتحها ابو عبدالله الشيعى وهو فى طريقه الى مدينة سجلماسة حتى يؤمن ظهره ويخرج الخليفه الفاطمى عبيدالله وابنه من السجن وبذلك قضى على حكم الدولة الرستمية ثم قام جيشه بسلب المدينة . أبو زكريا يحيى ابن ابى بكر : كتاب السيرة واخبار الأئمة ، مخطوط ٩٠٣٠ ورقه ١١ - ١٣ - ١٤ - ٣٦ - ٣٧ . أبو العباس احمد بن سعيد الدرجينى : طبقات المشايخ بالمغرب ، تحقيق إبراهيم طلالى ، القاهرة ١٩٧٤ ، ج ١ ، ص ٩٤ - ٩٥ .

اليقوبى : صفة المغرب ، ص ١٤ . الاصطخرى : المسالك والممالك ، ص ٣٤ . ابن حوقل : صورة الأرض ، ص ٨٦ ، ٩٣ . ابن عزارى : البيان ، ج ١ ، ص ٢٥ ، ص ٩٧ - ٩٨ . أبو الفدا : تقويم البلدان ، ص ١٣٩ . القلقشندى : صبح الاعشى ، ج ٥ ، ص ١١١ . القزوينى : آثار البلاد ، ص ١٦٩ .

Georges Marcais : دائرة المعارف الإسلامية ، مادة تاهرت ، ج ٩ ص ١٦٠ - ١٦١ .

(٣) البكرى : المغرب ، ص ٤٤ .

(٤) نفس المصدر ، ص ٦٩ - ٧٠ .

(٥) مليانة : مدينة كبيرة قديمه البناء يرجع بنائها إلى زمن الروم ، حصينه تقع على جبل زكار وتتميز بالخصوبه وكثرة منتجاتها الزراعيه قام بتجديد عمارتها زيرى بن مناد الصنهاجى ، وهى تشرف على كثير من القرى والفحوص الواسعة ويكثر حولها البربر وجبلها يتميز بالخضرة صيفاً وشتاءً انظر مجهول : الاستبصار ، ص ٥٩ . القزوينى : آثار البلاد ، ص ٢٧٣ .

تطحن عليه الارحاء^(١)، وإلى جانب الأنهار وجدت موارد مائية منها البحيرات والآبار والعيون والمواجل ، والتي استغلت مياهها استغلالاً جيداً سواء للشرب أم للرى، ومن المناطق التي وجدت بها عيون الماء جزيرة صغيرة بين مدينتي توزر ونفزاوه وهى من العيون العزبة التي استخدمت فى تزويد المسافرين على هذا الطريق بمياه الشرب،^(٢) ولمدينة المسيلة عينان ماء ثرتان شديدتا العمق لا يدرك لهما قعر يسميان : عين سليمان، والأخرى تالانتيرغ ، كما اشتهرت مدينة غدير واروا بعيون مياهها الغزيرة منها عين مخذ ومن هذه العيون كان منبعث نهر سهر الشهير.^(٣) ولمدينة ميله عيون ماء منها: عين أبى السباع وهى تقع بجانب أحد أبواب المدينة ، وهى عين مجلوبة تحت الأرض من جبل بنى ياروت ، وقد أجرى الأهالى منها ساقية تشق سوقهم ويتحكمون فى مياهها، فإذا قل الماء صيفاً قاموا بأجراء المياه بها يومان اسبوعيا هما: السبت ، والاحد ، وتوجد بها عين ماء أخرى شديدة البرودة وتستخدم مياهها فى علاج المرضى المحمومين ويطلق عليها عين الحما.^(٤) ولمدينة مذكود عاصمة إقليم قمونية آبار عزبة الماء ، بعيدة الرشاء ، ولقرية جمونس الصابون القريبة من مذكود آبار ماء، تتميز بالعزوبه^(٥) .

ولمدينة بونة عين ماء عزبة على ساحل البحر، منقورة فى الصخر، وكان اعتماد أهلها عليها فى شربهم .^(٦) ومن المدن التى انتشرت بها عيون الماء والصهاريج مدينة قرطاجنة (قرطاج)^(٧) منها العين المسماة عين جفان ، وهى من أحسن العيون ، وكان عبيدالله المهدي

(١) البكرى : المغرب ، ص ٦٠-٦١ .

(٢) مجهول : الاستبصار ، ص ٤٥ .

(٣) البكرى : المغرب ، ص ٥٩-٦٠ .

(٤) نفس المصدر ، ص ٦٤ .

(٥) نفس المصدر ، ص ٧٥ .

(٦) الحميرى : الروض المعطار ، ص ١١٥ .

(٧) قرطاجنة (قرطاج) عاصمة إفريقية قديماً قبل الإسلام وهى من أعظم المدن بها ويرجع بنائها إلى زمن داود عليه السلام بينها وبين روما سبعين عاما بها كثير من الآثار التى تبدل على عظمتها ، قيل خربها عبدالله بن سعد بن أبى سرح حين غزا إفريقية بعد أن صالح أهلها على جزية مقدارها ثلاثمائة قنطار ذهباً وعاد إلى مصر سنة ٢٧ هـ وقيل خربها حسان بن النعمان سنة ٧٩ هـ بعد أن فتحها وهزم الروم بها وهى على عشرة أميال من مدينة تونس وميناؤها واحد يسمى رادس ، كان ملكها قديماً يسمى أنبيل حارب الروم وانتصر عليهم لكنه هزم فى النهاية على يد القائد شبيون الذى خرب المدينة ، وعلى أبوابها صور لجميع الحيوانات كما صور على حيطانها الصناع مسكون بالآتهم بها كثيرا من المباني الاثرية مثل قصرى الأختين من الرخام الذى لا يشبه بعضه بعضاً وبها قصر آخر على البحر يسمى قومس ، وكانت تعتمد فى حروبها على الجند المرتزقة خاصة ضد روما ، وكانت

٢٩٧-٣٢٢هـ - ٩٠٩-٩٣٤م يأمر السقائين بحمل كميات كبيرة من مياهها إلى قصره، ثم قام ببناء قناة تحمل المياه فيها إلى قصره مباشرة ، ووجدت بها المواجل : منها ما عرف بمواجل الشياطين وهي مكونة من ثمانية عشر صهريجاً بعضها فوق بعض ويبلغ إرتفاعها مائتي ذراع وعمقها ستة قيام ، وكان يسمع لمائها عند سقوطه دوى هائل ^(١) وعلى ساحل البحر بمدينة جزائر بنى مزغنى وجدت عين ماء عذبة اعتمد عليها أهلها فى سد حاجاتهم منها من المياه^(٢).

كما وجدت بمدينة غدامس ^(٣) عين ماء ازليه قديمة البناء وتفيض منها المياه، وتستخدم فى الشرب ورى الأراضى الزراعية ^(٤) وبمدينة طرابلس جباب للمياه بنيت فوقها السواقي ^(٥) كما وجدت بمدينة بنزرت بحيرة للماء العذب صغيرة المساحة وتقع فى الجزء الجنوبى منها، وتبلغ مساحتها أربعة أميال فى مثلها وكان فى الجانب الشرقى منها بحيرة أخرى مالحة المياه، وهي أكبر مساحة من العذبة ^(٦) وعلى مسيرة يوم عن بونة فى الجانب الغربى من المدينة وجدت

= حكومتها مكونة من الاستقراطيين من التجار وأصحاب المزارع وقادة الجيش بدأ نجمها يعلو بعد خراب مدينة صور وسقوطها فى يد الاثوريين ، وكان يطلق عليها أيضاً سبيطله انظر : اليعقوبى : صفة المغرب ، ص ١٠ . أبو محمد احمد بن اعثم الكوفى : كتاب الفتوح ، الطبعة الأولى ، دار الندوة الجديدة ، بيروت ، ص ١٣٥-١٣٧ . البكرى : المغرب ، ص ٤١-٥٤ . ابن عزارى : البيان ، ج ١ ، ص ١٣٤ . أبو الفدا : تقويم البلدان ، ص ١٤١ . سراج الدين ابى حفص ابن عمر ابن الوردى : خريدة العجائب وفريدة الغرائب ، مطبعة مصطفى البابى الحلبي واولاده ، القاهرة ١٩٣٩ ص ٢٥ ، احمد ابن يوسف القرمانى : اخبار الدول واثار الاول فى التاريخ ، تحقيق احمد حطيط ، د. فهمى سعد ، عالم الكتب ، بيروت ج ٣ ، ص ٤٣٥ . ابن ابى دينار : المؤنس ص ١٨ وما بعدها . احمد صليحه : تونس ، ص ٤١-٤٢ .

- (١) البكرى : المغرب ، ص ٤٤ . مجهول : الاستبصار ، ص ١٤ .
- (٢) ابن حوقل : صورة الارض ، ص ٧٨ .
- (٣) غدامس : اسمها البربرى القديم سيداموس ، وهي إحدى واحات مدينة طرابلس وهي قديمة لا يعرف زمن بناؤها، دخلتها الديانة المسيحية زمن البيزنطيين ، وكانت تخضع للروم حتى دخول الإسلام إفريقية ، انتشر بها المذهب الاباضى فى أوائل القرن الثانى الهجرى ، يعتمد اغلب سكانها على التجاره مع مصر والسودان وطرابلس. افتتحها عقبه بن نافع سنة ٤٢هـ وسنه ٤٩هـ انظر ابن عبدالحكم : فتوح افريقيا ، ص ٥٣ . عز الدين أبى الحسن على ابن ابى الكرم محمد بن محمد بن عبدالكريم : أسد الغابة فى معرفة الصحابة ، تحقيق محمد ابراهيم ، دار الشرق القاهرة ، ١٩٧٠ ج ٤ ص ٦٠ . القزوينى : آثار البلاد ، ج ٣ ص ٢٧٧ . أحمد صليحه : تونس ، ص ٨٧-٨٨ .
- (٤) القلقشندى : صبح الاعشى ، ج ٥ ، ص ١٠٨ .
- (٥) أبو الفدا : تقويم البلدان ، ص ١٤٧ . القلقشندى : صبح الاعشى ، ج ٥ ، ص ١٠٥ .
- (٦) أبو الفدا : تقويم البلدان ، ص ١٤٣ . القلقشندى : صبح الأعشى ، ج ٥ ، ص ١٠٥ .

بحيرة ماء بها ^(١)، كما انتشرت مواجل الماء بنواحي إفريقية ، فكانت القيروان تشتهر بهذه المواجل ، وبخارجها خمسة عشر ماجلاً بنيت في فترات متعددة، ومنها ما تم بناؤه في عهد

بنى أميه خاصه عهد هشام بن عبد الملك ١٠٥-١٢٥هـ ٧١٧-٧٣٧م ^(٢) ومنها ما تم بناؤه زمن الأغالبة خاصة زمن احمد بن الاغلب ^(٣) وهو أعظمها وكان بباب تونس بالقيروان ^(٤)، كما أنتشرت الابار والصهاريج بمدينة تونس أيضاً ^(٥)، أما المهدية فقد كانت اكثر المدن من حيث عدد المواجل ، وكان عددها يبلغ نحو ثلاثمائة وستون ماجلاً ^(٦) واعتمدت جزيرة شريك ^(٧) على ما بها من الآبار ولمدينة أجدابيه ^(٨) آبار ماء منقوره في الجبل ، تتميز إلى

(١) البكرى : المغرب ، ص ٥٨ .

(٢) هشام بن عبد الملك : يكنى ابو الوليد بويح بالخلافة سنة ١٠٥هـ حتى ١٢٥هـ - ٧١٧م ٧٣٧م كان حازماً عاقلاً بخيلاً حسوداً للناس . فيه غلظة شديد القسوة بعيد الرحمة طويل اللسان ، أحول حسن الحول توفي بالرصافه من أرض قنسرين في ربيع الأول سنة ١٢٥هـ ٧٣٧م وكانت مدة خلافته تسعة عشرة سنة وخمسة أشهر ودفن بها، أبي محمد عبدالله ابن مسلم ابن قتيبة الدينوري : الأمامه والسياسة (تاريخ الخلفاء) ، تحقيق على شيرى ، الطبعة الاولى ، دار الاضواء ، بيروت ، ١٩٩٠ ج ٢ ، ص ١٤٢- ١٤٣ ، شهاب الدين إبراهيم ابن أبى الدم الحموى : التاريخ الإسلامى المعروف باسم التاريخ المظفرى ، ج ١ ، تحقيق حامد زيان ، دار الثقافة للنشر والتوزيع ، القاهرة سنة ١٩٨٥ ص ٣٠٦ ، ٣٢٨ ، ابن خلكان : وفیات الاعيان ، ج ٤ ، ص ٢٣٨ - ٢٣٩ . عماد الدين ابوالفدا إسماعيل بن كثير الدمشقى : البدايه والنهاية ، مكتب تحقيق التراث ، دار احياء التراث العربى بيروت سنة ١٩٩٣م ج ٩ ، ص ٣٨٣ - ٣٨٦ ، جلال الدين السيوطى : تاريخ الخلفاء ، دار المعرفة ، بيروت ١٩٩٧ ، ص ٢١٨-٢٢٠ .

(٣) أبو إبراهيم احمد بن محمد بن الاغلب : تولى حكم إفريقية وله من العمر عشرون عاماً وكان حسن السيرة ، كريم الاخلاق ، والافعال ، من أجود الناس واسمهم ، وأرفقهم بالرعية ، تميز بتدينه واجتنبه للمظالم . كان سخيّاً ، يعطى الضعفاء والمساكين، بنى ماجل مدينة القيروان سنة ٢٤٨هـ - ٨٦٠م توفي في ذى الحجة من سنة ٢٤٩هـ - ٨٦١م . وكانت مدة ولايته سبع سنين وعشرة أشهر، وله من العمر ثمانية وعشرون عاماً . أنظر البكرى : المغرب ص ٢٦ . ابن عزارى : البيان ج ١ ، ص ١١٢- ١١٣ . ابن أبى دينار : المؤنس ص ٤٩ .

(٤) البكرى : المغرب ، ص ٢٦ . مجهول : الاستبصار ، ص ٥ . أحمد صليحه : تونس ، ص ١٠٢ .

(٥) القلقشندى : صبح الاعشى ، ج ٥ ص ١٠٢ .

(٦) مجهول : الاستبصار ، ص ٨ .

(٧) جزيرة شريك : تنسب إلى واليها شريك العيسى . وعاصمتها مدينة منزل باشو وهى كبيرة المساحة بها جامع وحمامات ، وثلاث رحاب وأسواقها عامرة ، تجمع بها الروم عقب دخول عبدالله بن سعد بن أبى سرح إفريقية وانتقلوا منها إلى إقليبيه . وما حولها ثم إلى جزيرة قوسره وأقاموا بها حتى خلافة عبد الملك بن مروان ، غزاها عبد الملك بن قطن عن طريق البحر وخرب وفتح بها وتبعد عاصمتها عن تونس نحو مرحلة ، كما افتتحها حنش بن عبدالله الصنغانى فى إمارة أبى المهاجر دينار . انظر اليعقوبى : صفة المغرب ، ص ٣ . المقدسى : أحسن التقاسيم ، ص ٢٢٧ . البكرى : المغرب ، ص ٤٥ . ابن أبى دينار : المؤنس ، ص ٢٦ .

بحيرة ماء بها ^(١) . كما انتشرت مواجل الماء بنواحي إفريقية ، فكانت القيروان تشتهر بهذه المواجل ، وبخارجها خمسة عشر ماجلاً بنيت في فترات متعددة، ومنها ما تم بناؤه في عهد

بنى أمية خاصه عهد هشام بن عبد الملك ١٠٥-١٢٥هـ ٧١٧-٧٣٧م ^(٢) ومنها ما تم بناؤه زمن الأغالبة خاصة زمن احمد بن الاغلب ^(٣) وهو أعظمها وكان بباب تونس بالقيروان ^(٤) كما أنتشرت الابار والصهاريج بمدينة تونس أيضاً ^(٥) أما المهدية فقد كانت اكثر المدن من حيث عدد المواجل ، وكان عددها يبلغ نحو ثلاثمائة وستون ماجلاً. ^(٦) واعتمدت جزيرة شريك ^(٧) على ما بها من الآبار ولمدينة أجدايبه ^(٨) آبار ماء منقوره في الجبل ، تتميز إلى

(١) البكري : المغرب ، ص ٥٨ .

(٢) هشام بن عبد الملك : يكنى ابو الوليد بويغ بالخلافة سنة ١٠٥هـ حتى ١٢٥هـ - ٧١٧م - ٧٣٧م كان

حازماً عاقلاً بخيلاً حسوداً للناس . فيه غلظة شديد القسوة بعيد الرحمة طويل اللسان ، أحول حسن الحول توفي بالرصافه من أرض قنسرين في ربيع الأول سنة ١٢٥هـ ٧٣٧م وكانت مدة خلافته تسعة عشرة سنة وخمسة أشهر ودفن بها ابي محمد عبدالله ابن مسلم ابن قتيبة الدينوري : الأمامه والسياسة (تاريخ الخلفاء) ، تحقيق على شيرى ، الطبعة الاولى ، دار الاضواء ، بيروت ، ١٩٩٠ ج ٢ ، ص ١٤٢ - ١٤٣ ، شهاب الدين ابراهيم ابن أبى الدم الحموى : التاريخ الإسلامى المعروف باسم التاريخ المظفرى ، ج ١ ، تحقيق حامد زيان ، دار الثقافة للنشر والتوزيع ، القاهرة سنة ١٩٨٥ ص ٣٠٦ ، ٣٢٨ ، ابن خلكان : وفيات الاعيان ، ج ٤ ، ص ٢٣٨ - ٢٣٩ . عماد الدين ابوالفدا إسماعيل بن كثير الدمشقى : البدايه والنهاية ، مكتب تحقيق التراث ، دار احياء التراث العربى بيروت سنة ١٩٩٣م ج ٩ ، ص ٣٨٣ - ٣٨٦ ، جلال الدين السيوطى : تاريخ الخلفاء ، دار المعرفة ، بيروت ١٩٩٧ ، ص ٢١٨ - ٢٢٠ .

(٣) أبو إبراهيم احمد بن محمد بن الاغلب : تولى حكم إفريقية وله من العمر عشرون عاماً وكان

حسن السيرة ، كريم الاخلاق ، والافعال ، من أجود الناس واسمهم ، وأرفقهم بالرعية ، تميز بتدينه واجتنابه للمظالم . كان سخياً ، يعطى الضعفاء والمساكين ، بنى ماجل مدينة القيروان سنة ٢٤٨هـ ٨٦٠م توفي في ذى الحجة من سنة ٢٤٩هـ ٨٦١م . وكانت مدة ولايته سبع سنين وعشرة أشهر ، وله من العمر ثمانية وعشرون عاماً . أنظر البكري : المغرب ص ٢٦ . ابن عزارى : البيان ج ١ ، ص ١١٢ - ١١٣ . ابن أبى دينار : المؤنس ص ٤٩ .

(٤) البكري : المغرب ، ص ٢٦ . مجهول : الاستبصار ، ص ٥ . أحمد صليحه : تونس ، ص ١٠٢ .

(٥) القلقشندى : صبح الاعشى ، ج ٥ ص ١٠٢ .

(٦) مجهول : الاستبصار ، ص ٨ .

(٧) جزيرة شريك : تنسب إلى واليها شريك العيسى . وعاصمتها مدينة منزل باشو وهى كبيرة المساحة

بها جامع وحمامات ، وثلاث رحاب وأسواقها عامرة ، تجمع بها الروم عقب دخول عبدالله بن سعد بن ابي سرح إفريقية وانتقلوا منها إلى إقليبيه . وما حولها ثم إلى جزيرة قوسره وأقاموا بها حتى خلافة عبد الملك بن مروان ، غزاها عبد الملك بن قطن عن طريق البحر وضرب وفتح بها وتبعد عاصمتها عن تونس نحو مرحلة ، كما افتتحها حنش بن عبدالله الصفاني في إمارة أبى المهاجر دينار . انظر اليعقوبى : صفة المغرب ، ص ٣ . المقدسى : أحسن التقاسيم ، ص ٢٢٧ . البكري : المغرب ، ص ٤٥ . ابن أبى دينار : المؤنس ، ص ٢٦ .

(٨) أجدايبه : مدينة صحراوية مبانيها من الطين والحجارة والأجر ، لها جامع ، يقطن حولها كثير من

البربر . وهى مدينة تجارية هامة ، لها مرسى يسمى الماحور ، ويكثر بها شجر الأراك ، وهى رخيصة الاسعار . واكثر أهلها قبط أنظر ابن حوقل : صورة الارض ، ص ٧٠ . البكري : المغرب ،

جانب عذوبة مائها وطيبتها أيضاً ، كما اعتمد أهالى مدينة برقة على مياه الأمطار التى يجمعونها داخل المواجل التى أقاموها لذلك (١) .

وتأتى مدينه قفصة كإحدى المدن التى تشتهر بكثرة عيون الماء بها والتى تتصف بالعذوبة والصفاء ، ومنها الكبيرة والصغيرة مثل: عين الوادى الكبير والتى تبلغ مساحتها أربعين ذراعاً فى مثلها ، وفوقها عين أصغر منها يربط بينهما قنطرة وهى توجد بجوار باب الجامع ، ومنها عين المنستير وهى من أحسن ما يرى من العيون. (٢) كما انتشرت آبار المياه فى قرى إفريقية مثل اركوا ونمردوان ، ومهريين ، وتامديت ، ودكمة وهى قرى تقع على الطريق من القيروان إلى المسيلة. (٣) كما انتشرت بكثير من مراسى إفريقية آبار المياه العذبة إلى جانب الأنهار (٤) .

نظم الري :-

لم يغفل حكام إفريقية الاهتمام بنظم الري ، والتى اختلفت طرقها من منطقة إلى أخرى. فكان هناك رى الحياض: وهى الطريقة التى يلجأ إليها الفلاحون فى الأرض التى تغمرها مياه الأنهار لفترات طويلة وكانت هذه الطريقة يستخدمها أهالى مدينة قفصة عند زيادة نهرها فى فصل الشتاء . (٥) كما كانت مدينة سجاماسة إحدى المناطق التى يستخدم فلاحوها هذه الطريقة فى الري ، وهى تشبه طريقة أهل مصر فى الزراعة. (٦) أما فى المناطق التى تقل بها المياه مثل المدن الصحراوية -أجدابية- فكان الفلاحون بها يلجأون إلى الجمال لحمل الماء على ظهورها حتى مناطق الزرع بها. (٧) وانتشرت كثيراً من الآلات مثل: السواقي ، والنواعير ،

(١) ابن حوقل : صورة الأرض ، ص ٦٩ .

(٢) مجهول : الاستبصار ، ص ٣٨-٣٩ .

(٣) المصدر السابق ، ص ٨٦ .

(٤) البكرى : المغرب ، ص ٨١ ٨٣ .

(٥) مجهول : الاستبصار ، ص ٣٨ .

(٦) ابن حوقل : صورة الأرض ، ص ٩٠ .

(٧) البكرى : المغرب ، ص ١٠ .

والدواليب.^(١) فى مناطق عدة من إفريقية خاصة على الأنهار مثل : مدينة باجة حيث كانت تنتشر على أنهارها الصغيرة ^(٢) .

كما أعتمدت بعض المناطق على الأمطار كأحد أنظمة الري المتبعة بها. ^(٣) ومن نظم الري المستخدمة فى إفريقية : الري عن طريق القناطر والسواقي ، فى مدينة توزر أقيمت قنوات الماء من الحجارة وكانت تقسم تقسيما منظما لايزيد بعضها عن بعض شيئا : وكانت سعة الساقية شبرين فى ارتفاع متر ، واستخدم أيضا القادوس فى تحديد كميات المياه المطلوبة للري لكل حقل على حدة ^(٤) .

ولقد أولى الفاطميون نظم الري عناية كبيرة رغبة منهم فى زيادة الانتاج الزراعى، فقد أنشأ عبيدالله المهدي (٢٩٧-٣٢٢هـ / ٩٠٩-٩٣٤م) قناة للماء من قرية مناشس حتى المهديّة عن طريق الأقداس حتى تصب فى الصهاريج الخاصة بها ^(٥) .

واعتمد الاهالى على الآبار والعيون المتوفرة لديهم فى الري مثل اهالى جزيرة شريك حيث كان اعتمادهم عليها فى سقى حقولهم ^(٦) .

أهم المنتجات الزراعية فى إفريقية :

لاقى الجانب الزراعى عناية فائقة من جانب حكام إفريقية : لما للزراعة من أهمية فى حياة الشعوب ، ولم يكن الانتاج الزراعى قاصراً على سد حاجة الإستهلاك الداخلى بل فاق ذلك بكثير ، مما سمح بتصديره إلى خارج إفريقية ، ومن ثم فقد إمتاز إقليم إفريقية بمنتجاته من كافة الزراعات والمحاصيل الهامة والتي يأتى على رأسها محصولى القمح والشعير ، وتركزت زراعتهم فى مساحات ومناطق كبيرة فالقمح المحصول العالمى الرئيسى الذى يعول عليه الإنسان فى حياته الغذائية ، ويأتى الشعير فى المرتبة الثانية من حيث الأهمية الغذائية ومثل فى بعض مناطق إفريقية المرتبة الأولى قبل القمح فى الغذاء لبعض السكان ^(٧) .

(١) آلات من صنع الانسان من الخشب يستخدمها الفلاحون عند انخفاض منسوب المياه عن الأرض

الزراعية وكان يستخدمها الانسان إما بنفسه او عن طريق الحيوانات .

(٢) مجهول : الاستبصار ، ص ٢١ .

(٣) ابن حوقل : صورة الأرض ، ص ٨٦ .

(٤) البكرى : المغرب ، ص ٤٨ - ٤٩ .

(٥) نفس المصدر : ص ٢٩ - ٣٠ .

(٦) المقدسى : احسن التقاسيم ، ص ١١ .

(٧) ابن حوقل : صورة الأرض ، ص ٩٢ . البكرى : المغرب ، ص ٧٤ .

وبرزت عدة عوامل هامة كان لها الفضل الأكبر في زيادة الانتاج الزراعى ، منها ، توفر المصادر الدائمة للرى كالأنهار والعيون والآبار ، ومنها أيضا عناية الحكام وإهتمام الأهالى بأمور الزراعة ورغبتهم في زيادة محاصيلهم أملا في زيادة الدخل لهم ، ومن العوامل الأخرى إقامة الجسور ، والقناطر ، وحفر الآبار في مختلف مدن وقرى إفريقية إلى جانب استتباب الأمن بين ربوع الأقليم .

القمح والشعير :

ومثلت المناطق الشرقية لإفريقية أهمية خاصة في إنتاج القمح بكميات كبيرة اثناء الحكم الفاطمي وبنى زيرى ، وذلك عما كانت عليه في عصور سابقة. ^(١) وتعتبر مدينة الأنصاريين ^(٢) من أهم مناطق زراعة القمح في إفريقية والذي يعد من أجود وأحسن أنواع القمح في إفريقية . ^(٣) وكان محصولي القمح والشعير من أكثر المحاصيل زراعة ، وإنتاجاً بمدينة بجابة . ^(٤) واحتل محصولي القمح والشعير النصيب الأكبر والأوفر من الإنتاج بمدينة باغاية . ^(٥) ومن المناطق غزيرة الإنتاج الزراعى خاصة القمح والشعير مدن آجر . ^(٦) وطافجنه ، التى كان لأهلها من الغلات كالقمح والشعير أمر عظيم ، والمتصلة بنواحي الأربس ، ومدينة تامديت مثل القمح والشعير أكثر غلاتها. ^(٧) كما أشتهرت مدينة طبنة بكثرة زراعة القمح والشعير. ^(٨) ومن أشهر محاصيل مدينة المسيلة كان القمح والشعير ^(٩). ولم

(١) جورج مارسية : بلاد المغرب ، ص ٢٠٥ ، وانظر عبدالواحد ذنون طه : استيطان القبائل

البربرية ، حوليات الجامعة التونسية ، تونس ، عدد ١٨ ، ١٩٨٠ ، ص ٢٨٨ .

(٢) مدينة الأنصاريين: مدينة هامة على مسيرة يوم من مدينة الأربس، تشتهر بخصوبة أرضها وغزارة

انتاجها سميت بذلك لنزول قوم من الأنصار من ولد جابر بن عبدالله بها. البكرى : المغرب ، ص ٤٧

(٣) جورج مارسية : بلاد المغرب ، ص ٢٠٥ .

(٤) ابن حوقل : صورة الأرض ، ص ٨٤ .

(٥) نفس المصدر والصفحة .

(٦) آجر: قرية بها حصن وقنطرة ، بينها وبين مدينة القيروان منزل، تكثر بها الحجارة ، وهى من

المناطق الوعرة صعبة المسلك ، تكثر بها الحيوانات الضارية كالأسود ، ودائما ، تتعرض للرياح

العاصفة . السيوطى : مراصد الاطلاع فى أسماء الامكنه والبقاع ، ص ٢٩ .

(٧) البكرى : المغرب ، ص ٥٣ .

(٨) أبو الفدا : تقويم البلدان ، ص ١٣٩ .

(٩) ابن حوقل : صورة الأرض ، ص ٨٥ .

تختلف القرية عن المدينة في الإنتاج الزراعى بل هى المكان الطبيعى للزراعة وهى وظيفتها الطبيعية ، فكانت قرى اركوا ونمردوان ودكمة وفيرة الإنتاج الزراعى (١) .

وحظيت مدينة قسنطينة بإنتاج وفير من القمح ، وهو من أحسن الأنواع بإفريقية، فكان يقيم بأرضها مائة سنة من غير أن يصيبه فساد بما يدل على نقاء (٢) .

أما أعظم مدن إفريقية إنتاجاً للغلات لاسيما القمح، كانت مدينة باجة، إذ أجمعت المصادر على كثرة الحنطة والشعير بها فلم تكن تساويها مدينة أخرى في إنتاجها ، إذ ليس بجميع المغرب كهو عندها كثرة وجودة ونقاء إلى جوهر فى نفس حبوبها (٣) .

وكان إنتاجها من الكثرة حيث يغطى إحتياجات أهلها، واحتياجات غيرها من المدن، ولذلك أطلق عليها هري إفريقية، فإن منها يمتار جميع تلك البلاد، عربها، وبربرها ، لكثرة طعامها ورخصه (٤) فكان فى بعض المواسم يكثر الإنتاج وعند ذلك لم يكن للحنطة بها قيمة حتى أن وقر البعير من الحنطة كان يباع بدرهمين فقط (٥) .

كما اشتهرت برشك بزراعة القمح والشعير وكان انتاجهم يزيد عن حاجتهم (٦) وتميزت مدينة قلعه بنى حماد بوفرة الإنتاج بها وبرخص الأثمان التى كانت تباع بها الحنطة (٧) ويبلغ إنتاج بونة فى بعض السنوات إنتاجا كما لا قدر له (٨) وتميزت مدينة مرسى الدجاج (٩) بمحصولها الوفير من القمح والشعير بكميات تفيض عن إحتياجاتهم، بل كان هذا الإنتاج يغرق من حولهم ممن يجاورهم (١٠) .

-
- (١) ابن حوقل : صورة الأرض ، ص ٨٦ .
 - (٢) أبو الفدا : تقويم البلدان ، ص ١٤١ .
 - (٣) ابن حوقل : صورة الأرض ، ٧٦ . البكرى : المغرب ، ص ٥٦ . مجهول : الاستبصار ، ص ٤٧ .
 - (٤) الحميرى : الروض المعطار ، ص ٧٥ .
 - (٥) البكرى : المغرب ، ص ٥٦ .
 - (٦) ابن حوقل : صورة الأرض ، ص ٧٨ .
 - (٧) الحميرى : الروض المعطار ، ص ٤٦٩ .
 - (٨) المصدر السابق ، ص ٧٧ .
 - (٩) مرسى الدجاج : مدينة قديمة أزليه. على شاطئ البحر مسوره بها آثار للكواثل قريبة من جزيرة ميورقة وتكثر بها البساتين والجنات . مجهول : الاستبصار ، ص ٢٢ .
 - (١٠) ابن حوقل : صورة الأرض ، ص ٧٧ .

وهناك مدينة شروس. ^(١) التي تميزت بإنتاجها الغزير من الشعير الذي كان يمثل أكثر زراعاتهم إنتاجاً وكان يحتل المكان الأول في صدارة الحبوب التي يعتمد عليها أهلها، كطعام أساسي لهم، فكانوا يستخدمونه في صناعة الخبز الذي كان أطيب طعاماً من خبز الحنطة، وبشعيرهم ^(٢) لذة ليس لخبز من أخبار الأرض لأنه ينفرد بلذته ليست في خبز إلا ما كان من سميذا أو حوارى قد تأنق صانعه فيه ^(٣).

البقول

ومن المحاصيل الانتاجية الهامة البقول بأنواعها الكثيرة والتي تمت زراعتها في مناطق إقليم إفريقية المختلفة ، وكان منها الفول ، والعدس ، والذرة ، والدخن ، والجلبان ، والبسلا ، التي تسمى عندهم البسين ^(٤) وساهمت البقول في سد حاجات السكان الغذائية، وكانت المهدية رفهة الغلات ^(٥) وكما تميزت بأجده في زراعة القمح والشعير، تميزت بمحصولها الوفير من البقول التي تنتجها أرضها. فكانت تجود فيها زراعة جميع أنواع البذور، وبها حمص وفول قل ما يرى مثله في موضع ^(٦).

واشتهرت جلولا القريبة من القيروان بالإنتاج الغزير من البقول، إذ كانت تسد حاجات غيرها من المدن المجاورة من البقول ، خاصة القيروان ، حيث كان يرد منها إلى القيروان كل يوم من أحمال البقول مالا يحصى ^(٧).

واشتهرت قرية زرور، القريبة. من القيروان بإنتاج وافر من البقول ، خاصة الجزر، ^(٨) كما إشتهرت مدينة تونس بكثرة إنتاجها من الغلات. ^(٩) وأغلب زراعات مدينة سيبييه وهي

(١) مدينة شروس : عاصمة قرى جبل نفوسة كبيرة أهله جليله، أهلها إياضية، ليس بها ولا فيما حولها

جامع، وهي أزيد من ثلاثمائة قرية، تبعد عن طرابلس خمسة أيام، تشتهر بكثرة المياه والزروع والفاكهة ، ومثلها مدينة جادوا. وجبل نفوسة الموطن الأصلي للإياضية ولم يدخل ساكنوه تحت إمرة أحد منذ عهد الخليفة على بن أبي طالب ولم يسكنه غير الخوارج . البكري : المغرب ، ص ٢٩

(٢) الشعير : احد المحاصيل الزراعية الهامة . وهو يزرع عقب القمح وغيره ، ويزرع عزاقاً في الارض الرطبة . وتقدم زراعته على زراعة القمح بأيام وكذلك حصاده . شرف الدين الاسعد مذهب بن ابي المليج المعروف بابن مماتي : قوانين الدواوين ، تحقيق عزيز سوريال ، طبعة الامير عمر طوسون ، الطبعة الاولى ، مكتبة مدبولي ، القاهرة ، ١٩٩١م ، ص ٢٥٩ .

(٣) ابن حوقل : صورة الأرض ، ص ٩٢-٩٣ .

(٤) القلقشندي : صبح الاعشى ، ج ٥ ، ص ١١٢ .

(٥) المصدر السابق ، ص ٧٣ .

(٦) الحميري : الروض المعطار ، ص ٧٥ .

(٧) البكري : المغرب ، ص ٣٢ .

على الطريق من إفريقية إلى تاهرت ، الكمون ، والكرويا ، والبقول .^(١) ومدينة تاهرت خصبة واسعة الزروع .^(٢) واشتهرت بونة بخصوبة أرضها وزروعها .^(٣) وتميز إنتاج مدينة وهران بالغزارة والوفرة حيث كان يحمل منها الغلال إلى غيرها من المدن .^(٤)

واشتهرت مدينة باديس بإنتاج الشعير الذى كانوا يعولون عليه كثيراً ويقومون بزراعته مرتين فى العام الواحد .^(٥)

الفاكهة والثمار :

لاقت المحاصيل البستانيه الاهتمام الكبير، والعناية الفائقة ، من جانب الخلفاء الفاطميين وحكام بنى زيرى ، وحرصوا أشد الحرص على رعايتها والإكثار منها، مثل عنايتهم بغيرها من المحاصيل الرئيسية ، وقاموا بزراعتها فى مناطق خاصة بها وحول قصورهم، ولنا فى بستان وادى القصارين القريب من المنصورية المثل حيث زرعت به الأصناف والأنواع المختلفة من الأشجار، والرياحين ، حتى غدا من أجمل البساتين فى إفريقية وكان ذلك من عمل المعز لدين الله الفاطمى (٣٤١-٣٦٥هـ / ٩٥٣-٩٧٧م).^(٦) ولم يكن بنى زيرى بأقل إهتماماً بذلك ، فقد غرست الأشجار والأزهار حول قصر المنصورية الذى أنشأه المنصور الصنهاجى (٣٧٣-٣٨٦هـ / ٩٨٥-٩٩٨م) ^(٧) ومن ثم كثرت زراعات الفاكهة ، والأشجار والثمار المختلفة ، وتتنوع تنوعاً كثيراً داخل إقليم إفريقية ، ومما ساعد على ذلك أيضاً وقوع إفريقية داخل ما يعرف بإقليم البحر المتوسط ، والإقليم الصحراوى، فتميزت فاكهته وثماره بالتنوع والجمع بين منتجات هذين الإقليمين ، ومن المدن التى إشتهرت بكثرة إنتاجها من الفاكهة خاصة الموز ، وحب العزيز ، مدينة قابس .^(٨) كما كثرت بها أشجار التوت وكانت

-
- (٨) البكرى : المغرب ، ص ٢٨ .
 (٩) ابن حوقل : صورة الأرض ، ص ٧٥ .
 (١) ابن حوقل : صورة الأرض ، ص ٨٤ .
 (٢) الأصبخري : المسالك والممالك ، ص ٣٤ .
 (٣) أبو الفدا : تقويم البلدان ، ص ١٤١ .
 (٤) ابن حوقل : صورة الأرض ، ص ٢٩ .
 (٥) البكرى : المغرب ، ص ٧٤ .
 (٦) حسن إبراهيم ، طه أحمد شرف : المعز لدين الله ، الطبعة الثانية ، مكتبة النهضة المصرية ، القاهرة، ١٩٦٤ ، ص ٢٠٨ .
 (٧) ابن أبى دینار : المؤنس ، ص ٧٦ . حسن عبدالوهاب : شهيرات التونسيات ، ص ٣٩ .
 (٨) أبو الفدا : تقويم البلدان ، ص ١٤٣ .

المساحة المنزرعة بالبساتين بها تبلغ أربعة ^(١) أميال ، وأشتهرت مدينة رقادة ^(٢) بتنوع فاكهتها ومحاصيلها البستانية حيث كانت من أكثر بلاد إفريقية من حيث عدد البساتين والفاكهة. ^(٣) أما مدينة جلولا فيمكن القول أنها مدينة الفاكهة فهي كثيرة الأشجار، غزيرة الفاكهة، والثمار، وكان يرد منها كل يوم أحمال الفاكهة التي لا تحصى كثرة إلى القيروان، وذلك لكثرة جناتها حولها ^(٤) وكانت مدينة ناحية كثيرة الإنتاج من الفاكهة لاسيما التين العظيم الذي يصدر خارجها ^(٥) .

وتميزت قفصة بتنوع أشجار الفاكهة بها ، والتي تمتد بإنتاجها منه مدينة القيروان، ولكنه غلب على محصولها الفستق ، والتي تمثل المنطقة الرئيسية في إنتاجه وبكميات ضخمة سمحت لها بتصديره ، ليس فقط لمدن إفريقية الأخرى بل إلى خارج حدودها حيث مصر، والأندلس، وسجلماسة ^(٦) كما كان يكثر إنتاج الفستق فيما حولها من مدن وقرى تابعة لها مثل

(١) البكري : المغرب ، ص ١٧ .

(٢) رقادة : أنشأها إبراهيم بن أحمد بن الأغلب (٢٦١-٢٧٨هـ / ٨٧٣-٨٩٠م) واتخذها عاصمة له. حتى استطاع ابو عبدالله الشيعي دخولها سنة ٢٩٧هـ / ٩٠٩م ، وظلت عاصمة للفاطميين حتى بناء مدينة المهدية = وانتقل منها عبيدالله المهدي سنة ٣٠٨هـ / ٩٢٠م ، وهي تبعد عن القيروان أربعة أميال ، تكثر بها القصور = والحمامات ، وتبلغ مساحتها ٢٤ ألف ذراع ، وتعد من أجمل وأنزه مدن إقليم إفريقية وأحسنها هواءاً ، وتكثر بها البساتين، وعن سبب تسميتها بهذا الاسم قيل أن ابي الخطاب زعيم الإباضية قاتل ورفجومه في هذا المكان وكانت منيه في ذلك الوقت، فقتل منهم أعداداً كثيرة فسميت رقاده لرقاد جثثهم في هذا المكان. وقيل أيضاً من دخلها يظل ضاحكاً مستبشراً بغير سبب، كما قيل أيضاً أن مؤسسها إبراهيم ابن احمد غلبه الأرق ذات يوم فخرج يتنزه إلى أن وصل إلى هذا المكان فنام فيه وسميت لذلك رقاده وقد اصابها الوهن والضعف بعد بناء مدينة المهدية سنة ٣٠٠هـ. ٩١٢م. انظر اليعقوبي : صفة المغرب ، ص ٨-٩. الأصبخري : المسالك والممالك ، ص ٣٤ ، البكري : المغرب ، ص ٢٧ . ابن عزاري : البيان ، ج١ ، ص ١١٧ . مجهول : الاستبصار ، ج٦ . القزويني : آثار البلاد ، ص ١٩١ . ابن خلكان : وفيات الاعيان ، ج٣ ، ص ١١٩ ، أبو الفدا : تقويم البلدان ، ص ١٤٣ . ابن الوردي : خريدة العجائب ، ص ١٩ . السيوطي : مراصد الاطلاع ، ص ٤٧٧ . ابن ابي دينار : المؤنس ، ص ٤٩ .

(٣) مجهول : الاستبصار ، ص ٩ ، القزويني : آثار البلاد ، ص ١٩٩ .

(٤) البكري : المغرب ، ص ٣٢ .

(٥) ابن حوقل : صورة الأرض ، ص ٨٩ .

(٦) سجلماسة : إحدى مدن إقليم إفريقية . تتميز بكثرة عمرانها وقراها وضخامة أسواقها، حتى قيل إن الشخص يسير في أسواقها نصف يوم فلا يقطعها، وهي حسنة البناء، والعمائر ومبانيها عالية، وعبرة عن قصور وعمارات متصلة . كما تتميز بخصوبة تربتها وإنتاجها الزراعي الغزير، وكثرة البساتين بها ، ولها نهر ينصب إليها من جهة الشرق يسمى نهر زيز، وهي تقع في منطقة تتميز بالخصب ، وتمتد مسافة كبيرة على طول شواطئ نهرها لمسافة تبلغ أربعة فراسخ خارج المدينة، وهي تعد

مدينة طراق^(١)، وفي جزيرة جرية حيث وجدت بها بساتين العنب والتين وغيرهما من سائر الفاكهة وأشتهرت بشكل خاص بإنتاجها من التفاح المتميز الذي قل أن يوجد له نظير فى أى بقعة من بقاع الأرض حيث تميز بالصفاء ، والجفاف ، وطيب المذاق ، والرائحة الذكية العطرية ، التى توجد من المسافات البعيدة والأميال العديدة^(٢)، وأيضاً كانت مدينتا متيجة وباغاي يشتهران بكثرة أصناف الفاكهة ، والثمار المنزرعة بهما^(٣)، وغللب على مدينة بنى

= من أهم المراكز التجارية داخل إقليم إفريقية ولها شهرة واسعة على المستوى العالمى فهى ملتقى لطرق القوافل التجارية من مختلف المدن والأقطار ، لا سيما وانها منطقة التجارة المركزية جنوب الصحراء فمنها وإليها تنطلق تلك القوافل على مدار العام ، كما تتميز بكثير من الصناعات مثل الصناعات الصوفية التى تمارسها النساء ، وهى قريبة من منطقة انتاج خام الذهب ، كما تتميز بجوها شديد الحر صيفاً شديد البرودة شتاءً ، ويتميز أهلها بضعف أبصارهم ، وهى إحدى مناطق الرعى الهامة للماشية والتى كان يجتمع بها البربر للرعى والتسوق قبل بنائها، وصلها الخليفة الفاطمى عبيدالله المهدي وهو فى رحلته من مدينة سلمية إلى إفريقية وتم القبض عليه وسجن بها حتى خلصه قائده أبو عبدالله وأقام بها ٤٠ يوماً قبل انتقاله إلى مدينة رقادة ، وكان البربر يقيمون فى تلك المنطقة فى خيام لهم قبل ان يشرعوا فى بناء سجلماسة سنة ١٤٠هـ - ٧٥٢م ، وكان أول من تولى الحكم والرئاسة بها هو عيسى بن يزيد الأسود الذى مات مصلوباً نتيجة لعدم رضا البربر عن سياسته . ثم تولى بعده أبو القاسم سمغون بن واسول المكناسى ، وكان صاحب ماشية كثيرة وظل واليا عليها حتى سنة ١٦٨ هـ ، ٧٨٠م ، ثم أخذ ابنائوه يتناوبون الحكم بعد ذلك فى نفس الوقت الذى أخذ عمران سجلماسة يزداد، حتى تولى الحكم بها اليسع بن ميمون بن مدرار سنة ٢٧٠ هـ ، ٧٨٢م ، وتلقب بالمنتصر بالله ، وهو الذى قام بسجن الخليفة الفاطمى وأهل بيته ، ثم قتل هذا الوالى على يد أبى عبدالله الشيعى سنة ٢٩٦ هـ ، ٩٠٨م . وبموته انقرضت الدولة المدرارية التى ظلت قائمه مدة ١٦٥ سنة ، ثم تولاها بعد ذلك ولاية يخضعون للخلافة الفاطمية . أنظر محمد بن محمد اليماني : سيرة الحاجب جعفر بن على وخروج المهدي من سلمية ووصوله إلى سجلماسة ، مخطوط بدار الكتب رمز ح رقم ١١٤٩٧ . ورقه ١٤ و ١٨ و ٢٥ و ١٢٠ . اليعقوبى : صفة المغرب ، ص ٢١ . الاصطخرى : المسالك والممالك ، ص ٣٤ . المقدسى : احسن التقاسيم ، ص ٢٣١ . محمد بن احمد البيرونى : كتاب الجماهر فى معرفة الجواهر ، مكتبة المثنى ، القاهرة ، ص ٢٤١ . ابن عزارى : البيان ، ج ١ ، ص ١٥٦ - ١٥٧ - ٢٠٦ . بن الوردي : خريدة العجائب ، ص ١٨ . القرمانى : اخبار الدول : ج ٣ ، ص ٣٨٥ . دائرة المعارف الإسلامية ، مادة سجلماسة ، الجزء ١١ ، ص ٣٠٠ - ٣٠١ .

(١) البكرى : المغرب ، ص ٤٧ .

(٢) التيجانى : رحلة التيجانى ، ص ١٢٢ .

(٣) المقدسى : احسن التقاسيم ، ص ٢٢٧ - ٢٢٨ .

مزغنى إنتاج التين بكيمات غزيرة وكان يصدر منها إلى غيرها من المدن خاصة مدينة القيروان^(١).

وتأتى مدينة قسنطينية^(٢) كإحدى المدن الهامة التى عنى أهلها بزراعة مختلف الأنواع من أشجار الفاكهة مثل اللوز، والجذر، والكروم، فى مساحات كبيرة منها،^(٣) وناقست مدينة القل ميناء قسنطينية الهام على البحر المتوسط فكثرت بها أشجار العنب، والتفاح، الجليل.^(٤) ولم يكتف أهالى إفريقية بزراعة المحاصيل البستانية فى السهول، والوديان، والأرض المنبسطة، بل قاموا بزراعة الجبال المرتفعة، ونوعوا غرسها، حتى أتت بنصيب وافر وهام من أنواع الفاكهة، فهذا جبل بنى زلدوى ينتج أنواعاً شتى، مثل، التفاح، والسفرجل، والأعنان، من أنواع لا يوجد مثلها.^(٥) وبالمثل شاركت مدينة بونة بالأنواع المختلفة من الفاكهة، ولكن غلب عليها نوع خاص عرفت به بين مثيلاتها من المدن وهو محصول العنان.^(٦) فكان يطلق عليها بلد العنان وأبت مدينة جيجل إلا أن تشارك غيرها بإنتاج غزير من الفاكهة سد حاجة غيرها، وأستطاع فلاحوها الوصول بالإنتاج إلى كميات فاقت حاجتهم، فأخذوا فى تصدير محصولى العنب والرطب إلى مدينة بجاية^(٧).

(١) ابن حوقل : صورة الأرض ، ص ٧٨ .

(٢) قسنطينية: مدينة قديمة البناء ، ذات كثافة سكانية عالية ، كبيرة المساحة ، حصينة ذات منعه، مقامة، على جبل منقطع مرتفع به بعض الاستدارة ، لا يتم الوصول إليها إلا من الجهة الغربية لها، أطلق عليها قسنطينية الهواء لعلوها وأرتفاعها، تكثر بها المياه ولها ثلاثة أنهار كبيرة تستخدمها السفن التجارية، وهذه الأنهار تتبع من عيون ماء تسمى عيون اشقاروس (سود) وتصب هذه الأنهار فى خندق عميق بنيت فى أسفله ثلاثة قناطر، مقامة بعضها فوق بعض، ولها جسر يطلق عليه اسم العبور، وتسكن بها قبائل بربرية من أهل ميله ونفزاوة وقسطيلية. وهى كثيرة التجارة والربح وتعد أول مملكة إفريقية من ناحية الغرب، ولها مرسى يسمى مرسى سفده وهى على مسيرة ١٨ ميل من مدينة المسيلة وهى تعد إحدى مدن الغرب الأوسط فى آخر الأقليم الثالث حيث الطول ٢٦ درجة و ٤٠ دقيقة والعرض ٣٣ درجة و ٢٢ دقيقة، انظر البكرى : المغرب ، ص ٦٣ . ابو الفدا : تقويم البلدان ، ص ١٣٩ . القلقشندى : صبح الاعشى ، ج ٥ ، ص ١١٠ . الحميرى : الروض المعطار ، ص ٤٨٠-٤٨١ ، القرماني : اخبار البلاد ، ج ٣ ، ص ٤٣٣ .

(٣) ابن حوقل : صورة الأرض ، ص ٩١ .

(٤) مجهول : الاستبصار ، ص ١٨ .

(٥) نفس المصدر ، ص ٥٤ .

(٦) الحميرى : الروض المعطار ، ص ١١٥ .

(٧) مجهول : الاستبصار ، ص ١٨ .

ومن الشمال إلى الجنوب تلك المنطقة التي اشتهرت بإنتاجها الغزير من التمر حتى أطلق عليها بلاد الجريد، إلا أن الفاكهة استطاعت أن تزاحم وتأخذ نوعاً من الإهتمام والعناية ، فكان لها نصيب وافر من الزراعة، ومن المدن التي اشتهرت بزراعة أشجار الفاكهة مدينتى نفطة، وتقيوس ، فكانت الانواع الكثيرة من الفاكهة تملأ غاباتها، وشاركتها مدينة الحامة بإنتاجها الوفير من العنب الذى كانت له إستخدامات عديدة ، ف بجانب أكله طازجاً كان يتم عصره لعمل الشراب - النبيذ - فكان من أطيب أنواع الأشربة ، كما كان الأهالى يستخدمونه فى عمل نوع من الزيت إستعملوه فى إنارة مصابيحهم . كما كانت مدينة تـفـزاوـه كثيرة الفاكهة أيضاً .^(١) وامتازت مدينة توزر - التي تعد أكثر المدن إنتاجاً للبلح فى تلك المنطقة - بكثرة البساتين التي حوت بداخلها الأنواع العديدة من الفاكهة والتي لا يضاهيها مثلها، منها الاترج الذى لا يعلم فى بلد آخر مثله من حيث جلالته وحلاوته ، إلى جانب فاكهة الترنجيين والمخيطة .^(٢) واشتهرت مدينة نقاوس بثمارها الجبلية وعرفت بأنها بلد الجوز .^(٣) والذى كان من أكثر الأنواع إنتاجاً حيث تم تصديره إلى أكثر تلك البلاد، إلى مدينتى قلعة بنى حماد وبجاية .^(٤) كما كان محصولى العنب والسفرجل المعنق كبير الحجم والذى يشبه القرع الصغير ، ويتميز بالطرافة من أهم محاصيل مدينة برشك ، واللذان تميزا بوفرة الإنتاج وكانا يجدان طريقهما إلى خارج المدينة .^(٥) وعلى مسيرة اثني عشر ميلاً من القيروان، كانت مدينة قلشانة كثيرة البساتين ، ومن أكثر فاكهتها التين الأخضر ، الذى يجد طريقه إلى مدينة القيروان القريبة .^(٦) وكان رستاق قموده يشتهر بكثرة أشجار الفاكهة من التين ، والزيتون ، واللوز وبالمثل رستاق تبسا، وقبيشة ، حيث كانت تكثر بهما أشجار الفاكهة .^(٧) ومن إقليم قموينه كانت عاصمته مدينة مذكود من أكثر المدن التي تزرع حولها أصناف الفاكهة لاسيما التين الذى يفوق غيره من الأنواع الأخرى ويحمل منها زيبيا إلى القيروان فيكون أعلى الأنواع سعراً بها وأكثرها طلباً، وتلتف حولها أشجار التين كالغابة حتى أنها من كثرتها تحجب رؤية القادمين إليها فلا يستطيعون رؤيتها إلا عند القرب منها^(٨) .

(١) مجهول : الاستبصار ، ٤٣-٤٤ .

(٢) البكرى : المغرب ، ص ٤٨-٤٩ .

(٣) المقدسى : أحسن التقاسيم ، ص ٢٣٠ .

(٤) مجهول : الاستبصار ، ص ٦٠ .

(٥) ابن حوقل : صورة الأرض ، ص ٧٨ .

(٦) البكرى : المغرب ، ص ٢٩ .

(٧) المقدسى : أحسن التقاسيم ، ص ٢٢٧ .

(٨) البكرى : المغرب ، ص ٧٥ .

وامتازت مدينة المسيلة بوفرة إنتاجها من الفاكهة ، وبكثرة بساتينها ، وجناتها ، التي زينت ضفتي نهر سهر بها وكانت مملوءة بأشجار الكروم ، والسفرجل ، والذي يزيد إنتاجه عن حاجتهم ويصدر الفائض منه إلى غيرهم ^(١) وكانت مدينة باجة كثيرة الإنتاج من السفرجل ، والعنب ، وبالمثل مدينة الخضراء التي تميزت بإنتاجها من السفرجل الفارسي المعنق. ^(٢) وتأتي مدينة تاهرت كأحدى المدن الهامة في إنتاج الفاكهة وجميع أنواع الثمار الأخرى غير أنها اشتهرت بإنتاجها من السفرجل الفارسي ، الذي يفوق في حسنه وطعمه ورائحته الأنواع الأخرى. ^(٣) وكان العنب بمدينة الغدير من أكثر الفاكهة إنتاجاً ، حتى كان يباع القنطار منه بدرهم. ^(٤) وفي داخل مدينة زويله انتشرت البساتين ، والجنات ، محتوية بداخلها مالد وطاب من أصناف الفاكهة والثمار ^(٥) .

وكانت بقسطينية جميع الأنواع من الفاكهة حتى قيل من كثرتها لا تسأل عن كثرة البساتين. ^(٦) ومن المدن الهامة ذات النصيب الوافر من الفاكهة والثمار المختلفة الأنواع والألوان حسنة المذاق والطعم مدينة تونس ، فهي تشتهر باللوز الفريك ، والرمان ، والأنرج الجليل والتين الخارمي ، والسفرجل ، والعناب الرفيع ، في قدر الجوز ، وكانت من أطيب مدن إفريقية ، ثمرة وأنفسها فاكهة. ^(٧) واشتهرت مدينة سطيف الواقعة بين القيروان وتاهرت بتنوع فاكهتها لاسيما الجوز الطيب الذي يحمل منها غيرها ^(٨) ومن أنواع الفاكهة الأخرى الكمثرى والزعرور ، والخوخ ، والمشمش على أنواع ، والتوت الأبيض ، والتوت الأسود - الفرصاد - والقراصيا والليمون والليم والنارنج ، والمصغ . وهي - فاكهة فوق قدر البندقه لونها بين الحمرة والصفرة وطعمها بين الحموضة والقبض شبيه بطعم السفرجل ولا توجد إلا في فصل الشتاء وتقطف خضراء من الشجر وتقل وتدفي مثل الموز ثم تؤكل ، والبطيخ الأصفر - الشامام - وهو كثير الأنواع أما الأخضر فقليل ويسمى الدلاع ^(٩) .

(١) ابن حوقل : صورة الارض ، ٨٥ .

(٢) البكري : المغرب ، ص ٥٦ ، ابن حوقل : صورة الارض ، ص ٨٩ ، الحميري : الروض المعطار ، ص ٧٥ .

(٣) البكري : المغرب ، ص ٦٧ ، القلقشندي : صبح الاعشى ، ج ٥ ، ص ١١١ .

(٤) البكري : المغرب ، ص ٦٠ .

(٥) التيجاني : رحلة التيجاني ، ص ٣٢٤ .

(٦) المقدسي : أحسن التقاسيم ، ص ٢٣٠ .

(٧) البكري : المغرب ، ص ٤١ ، القزويني : آثار البلاد ، ص ١٧٣ ، صليحه : تونس ، ص ٢٥ .

(٨) أبو الفدا : تقويم البلدان ، ص ١٤١ .

(٩) القلقشندي : صبح الاعشى ، ج ٥ ، ص ١١٢ .

الأشجار :

كما إنتشرت الغابات بنواحي إفريقية وزرعت بها أصناف مختلفة من الأشجار فغطت معظم حاجتها من الأخشاب ، ففي وادي الفجاء القريب من تاجرا كانت تكثر به أشجار الأثل والطرفاء وهو من الوديان خطيرة المسلك. ^(١) كما كثرت بمدينة باجة أشجار الرند التي كانت تنمو على ضفتي نهر مغيله الواقع بينها وبين مدينة بونة ^(٢) وعلى الطريق من مدينة يونه إلى القيروان وجدت غابة عظيمة من أشجار الزان الذي يعد من أحسن أنواع الأخشاب ، وكان يجلب منها إلى غيرها من المناطق بإفريقية . ^(٣) وفي بلاد الجريد خاصة مدينة توزر ومنا يجاورها وجدت أشجار السدر المصري بكثرة . ^(٤) كما أمدت مدينة تاهرت بفضل غاباتها الضخمة غيرها من المدن بالأنواع المختلفة من الأخشاب والتي كانت تستخدم في البناء وغيره ^(٥) كما وجدت بإفريقية أنواع أخرى من الأشجار ، كالنخيل ، والزيتون ، والعناب، والتين وكانت أخشابها تستخدم إما سقوف للمنازل أو كوقود للتدفئة .

النباتات الطبية والعطرية

واكتسبت زراعة النباتات العطرية والطبية عناية بالغة من جانب الأهالي داخل إفريقية وعرفوا فائدتها الصناعية والإقتصادية فلم يهملوها ، وقاموا بزراعتها في مساحات واسعة وكانت أكثر مدن إفريقية تشتهر بتلك الزراعات ، ومنها :مدينة جلولا والتي كثرت بها الأنواع المختلفة فكان منها الزنبق ، والورد ، والبنفسج. ^(٦) وأحسن أهالي مدينة تيهرت العناية بالبساتين التي زرعت بداخلها تلك النباتات ، فكانت بساتينهم مونة . ^(٧) وكان لبلاد الجريد والزاب عناية شديدة بهذه الزراعات ، فأكثرها غرسها داخل بساتينهم ، ومن المدن المشتهرة بذلك باغاية ومتيجة وقسطيليه. ^(٨) والتفت حول مدينة تاهوده البساتين المليئة بأصناف الرياحين. ^(٩) أما مدينتا أبة ولربس فكانتا من أكثر المدن إهتماما وعناية بزراعة النباتات

(١) التيجاني : رحلة التيجاني ، ص ١٢١ .

(٢) أبو الفدا : تقويم البلدان ، ص ١٤١ .

(٣) البكري : المغرب ، ص ٥٤ .

(٤) التيجاني : رحلة التيجاني ، ص ١٢٧ .

(٥) البكري : المغرب ، ص ٦٨ .

(٦) نفس المصدر ، ص ٣٢ .

(٧) القلشندي : صبح الاعشى ، ج ٥ ، ص ١١١ .

(٨) المقدسي : أحسن التقاسم ، ص ٢٢٧ - ٢٢٨ - ٢٣٠ .

(٩) البكري : المغرب ، ص ٧٣ .

الطبية، والعطرية ، وكانتا تنافسان في كثرة زراعتها وفي جودتها. ^(١) وبالقرب من القيروان وجدت سردانية عروس المنتزهات ، وأجملها على الإطلاق بإفريقية ، غرست بها أصناف عدة من النباتات العطرية من الياسمين ، والزنبق ، والبنفسج ، والورد ، والنارنج وكان بها ألف صنف من هذه الأنواع ^(٢) .

كما إنتشرت زراعة الكمون ، والكرويا ، بمدينة سبينة ^(٣) وأجمل القلقشندى ^(٤) أصناف الرياحين بإفريقية ، فقال : " إن بها الآس ، والورد ، ومعظمه أبيض ، والياسمين والنرجس ، واللينوفر الأصفر ، والترنجاني ، والمنثور ، والمرزنجوش والبنفسج ، والسوسن والزعفران ، ومن المدن التي أشتهر أمرها بزراعة الرياحين قفصة فقد ملأت بساتينها أنواع شتى منها مثل : الآس ، والياسمين والنارنج ، والنرجس ، والسوسن ، والبنفسج ، إضافة إلى الورد الذي كان عطره أذكى وأجمل أنواع العطور بإفريقية ^(٥) .

وهكذا فقد حظيت الزراعات بمختلف أنواعها بشديد الإهتمام والرعاية من جانب الفاطميين وبنى زيرى .

الصناعة :

تمثل الصناعة كل ما يتم صناعته من أشياء ، ^(٦) وتقدمت تقدما ملموسا في عهد الفاطميين وبنى زيرى ، وصارت أحد عناصر الثروة الهامة والرفاهية لشعب إفريقية ، ^(٧) وهي تتمثل في عملية تحويل أو إعداد المادة الخام إلى مادة أكثر سهولة ويسر في التشكيل والاستخدام ، حتى يمكن الاستفادة منها. ولا بد لقيام الصناعة من توافر والعناصر المساعدة والتي تتمثل في وفرة الإنتاج من المواد الخام ووجود العمالة الماهرة المدربة والدخل المرتفع والتقدم الحضارى ^(٨) .

-
- (١) ابن حوقل : صورة الأرض ، ص ٨٦ .
 - (٢) المصدر السابق ، ص ٣٢ ، ابن أبى دينار : المؤنس ، ص ٢٥ .
 - (٣) ابن حوقل : صورة الأرض ، ص ٨٤ .
 - (٤) صبح الاعشى ، ج ٢ ، ص ١١٣ .
 - (٥) مجهول : الاستبصار ، ص ٤٠ .
 - (٦) أبو الحسن : على بن إسماعيل الأندلسي المعروف بابن سيده : كتاب المخصص ، المكتب التجارى للطباعة والتوزيع والنشر ، بيروت ، لبنان ، ج ٤ ، ص ٢٥٧ . جمال الدين محمد بن مكرم الانصارى (ابن منظور) : لسان العرب ، المؤسسة المصرية العامة للتأليف والابناء والنشر ، الدار المصرية للتأليف والترجمة ، طبعة مصورة عن طبعة بولاق ، ج ٧ ، ص ٧٧ .
 - (٧) أحمد ابن عامر : الدولة الصنهاجية ، الدار التونسية للنشر ، تونس ١٩٦٨م ، ص ٦٨ . ص ٦٨ .
 - (٨) يسرى عبدالرازق الجوهري : دراسات ، ص ١٣٨ .

الموارد المعدنية :

ولقد توفرت هذه العناصر كلها داخل إقليم إفريقية أثناء حكم الفاطميين وبنى زيرى مما ساعده على قيام مختلف الصناعات به ، فلقد انتشرت المواد الخام على اختلاف أنواعها وفى أكثر من منطقة وبكميات إقتصادية مثل خام الحديد ، ^(١) والفضة ، والرصاص ، والذهب والنحاس والزئبق والمرتك والشب إلى جانب الأحجار الكريمة كاللؤلؤ واللآزورد ، والمرجان بكميات سدت حاجة إفريقية وكانت تقوم بتصدير الفائض منه إلى غيرها من البلدان التى تفتقر إلى تلك المعادن والأحجار الكريمة ^(٢) .

فالنحاس واللآزورد وجدا بكميات وفيرة فى جبال نفوسه حيث قامت المصانع باستخراجه وتصديره إلى داخل إفريقية وخارجها . ^(٣) أما خام الحديد فكان مؤكدا الوجود بكميات إقتصادية وفى أكثر من منطقة بإفريقية بما ساهم بفاعلية فى النهضة الصناعية فى ذلك الوقت بالاقليم ومن أشهر مناطق إستخراج المعادن بإفريقية تآتى مدينة مجانة المعادن حيث انتشرت بها مناجم إستخراج الحديد والفضة بجانب الأحجار التى تستخدمها المطاحن بجميع مناطق إفريقية وبلاد المغرب ^(٤) .

وفى بعض المناطق وجد الحديد على مسافات قريبة من باطن الأرض مما أدى إلى سهولة استخراجه واستخدامه ، وقلة التكاليف ، مثل المناجم الموجودة بمدينة بونة حيث وجد الحديد بظاهر أرضها ^(٥) ومن مناطق استخراج الحديد الهامة كانت مدينة الأربس . ^(٦) كما كان وجود خام الحديد بجانب معدن الزئبق فى تلك الجبال القريبة من مدينة آرزوا وبكميات كبيرة ^(٧) وأما خام الذهب فوجد بكميات كبيرة فى جزيرة جربة . ^(٨) وكانت إفريقية غنية بمعدن

(١) تعددت أنواعه فكان منها حديد طوب بنادق وحديد ورزم ، وحديد معمول وحديد مصفى وحديد شق الفاس ، وحديد سكين ، وحديد راس الكلب ، وحديد مسله ، وحديد جندى ، مسمار ، مرسا ، ابن مماتى : قوانين الدواوين ، ص ٣٦٤ .

(٢) ابن حوقل : صورة الأرض ، ص ٩٥ . القزوينى : آثار البلاد ، ص ١٤٨ .

(٣) البكرى : المغرب ، ص ١٣ ، ص ٨٣ .

(٤) ابن حوقل : صورة الأرض ، ص ٨٤ ، القزوينى : آثار البلاد ، ص ٢٦٠ . ذنون طه : حويلات الجامعة التونسية ، عدد ١٨ ، ص ٢٩٠ .

(٥) المقدسى : أحسن التقاسيم ، ص ٢٢٦ ، القلقشندى : صبح الاعشى ، ج ٥ ، ص ١٠٦ .

(٦) ابن حوقل : صورة الأرض ، ص ٨٤ .

(٧) البكرى : المغرب ، ص ٧٠ .

(٨) نفس المصدر ، ص ٨٤ . وتعتبر جزيرة جربة من أشهر واعظم الجزر وهى قريبة من مدينة قادس ويبلغ طولها نحو ستون ميلاً من الغرب الى الشرق اما العرض فيختلف بها ويعد الجزء الغربى منها والذي يبلغ عشرون ميلاً أما الشرقى فيبلغ خمسة عشر ميلاً وهى خصبة التربة كثيرة الزرع =

الكبريت والتي كانت مناطق استخراجه تقع فى أقصى الشرق منها حيث ظلميثة. (١) ولم تبخل الطبيعة على إفريقية بالأحجار الكريمة فوجدت بها كميات من اللؤلؤ صغير الحب ويتم استخراجه من مياه مدينة صفاقس . (٢) كما وجد معدن الشب بكميات كبيرة بمدينة سرت (٣) .

ومن أهم المعادن التى حظى بها إقليم إفريقية وجعلته محط أنظار العالم فى ذلك الوقت معدن المرجان الذى يتم استخراجه بكميات ضخمة من مدينة مرسى الخرز التى تعد إحدى أهم مناطق المرجان فى العالم فى العصور الوسطى ، وهو أفضل أنواع المرجان فى العالم يستخرج إلا من مياهها. (٤) ويطلق على هذا المعدن اسم القرن وهو جبال موجودة تحت مياه البحر، ويتم استخراجه عن طريق الغواصين الذين يتجمعون بأعداد كبيرة بقواربهم ومعهم صلبان مصنوعة من الخشب ، ملفوف عليها كتان محلول ، ويتم ربط الصليب الخشبى فى حبلين ويتم إلقائهما فى المياه ثم يقوم العمال بعملية دوران بالقارب فيتعلق المرجان (٥) بالصليب الخشبى وعند ذلك يتم سحبه بما علق به من المرجان ، وكلا على حسب ما يخرج

والبساتين وبها الزيتون والنخيل والعنب والتين والتفاح الذى يمثل أعظم فاكهتها كما تعد من المناطق الصناعية لا سيما صناعة الاقمشة الصوفية وأهلها من الخوارج الذين ينقسمون قسمين الوهابيين فى الجزء الغربى من الجزيرة والנקارة فى الجزء الشرقى منها افتتحها الصحابى الجليل روفع ابن ثابت أثناء حملة معاوية بن حديج على إفريقية سنة ٤٦هـ . انظر البكرى : المغرب ، ص ١٩ . التيجانى: رحلة التيجانى ، ص ١٢١-١٥٦ . ابن ابى دينار : المؤنس ، ص ٢٥-٢٦ .

(١) المراكشى : المعجب ، ص ٣٤٨ ، وهى ميناء هام على ساحل البحر المتوسط يصدر منه العسل والشعير ويقع على مسافة شهر من الاسكندرية ويسكنها اليهود أيضاً أبو الفدا : تقويم البلدان ، ص ١٤٩ .

(٢) التيجانى : رحلة التيجانى ، ص ٦٨ .

(٣) ابن حوقل : صورة الأرض ، ص ٧١ .

(٤) المقدسى : أحسن التقاسيم ، ص ٢٢٦ ذكر الاصطخرى : أن طبرقه هى المدينة الوحيدة التى يستخرج منها المرجان ، المسالك والممالك ، ص ٤ .

(٥) المرجان : قيل أنه بلغة أهل اليمن مأخوذ من مرجت أى خلطت لانه صب من الجوهر مختلطة ، والمرجان هو صغار اللآلىء . وهو يوجد فى البحار . وقد ذكر كثيراً فى الأشعار .

واستمطرت احداقنا فتبادرت
فى جريها بدم ودمع سابق
كالدر والمرجان ينظم دائماً
فى العقد بين قلائد ومخائق

كان أشجاره قد البست حلاً
خضراً وقد كللت درراً ومرجاناً

ومكّل بالدر والمرجان كالورد بين شقائق النعمان

ابو الريحان البيرونى : كتاب الجماهر ، ص ١٣٧-١٣٨ .

فمنهم من يكون نصيبه نحو عشرة آلاف درهم ومنهم من لا يصيب سوى بثمان عشرة دراهم ،
 ويبيع جزافاً رخيصاً داخل الأسواق وليس له إشراق قبل عملية جليه .^(١) ويصدر بكميات
 كبيرة إلى أسواق العالم المختلفة شرقاً وغرباً^(٢) ومن مناطق استخراج المرجان الأخرى
 بإفريقية مدينة يونه لكنها لا ترقى في الأهمية والكمية والنوعية كمنطقة مرسى الخرز فمرجان
 بونة أقل قيمة من مرجان مرسى الخرز .^(٣) وهو من المعادن التي يقبل على إقتنائها الحكام
 والأغنياء فكان لخلفاء إفريقية جزء خاص من هذا المعدن تزين قصورهم ومنازلهم لا سيما
 تلك الأنواع النادرة منه^(٤).

ومما لا شك فيه : أن وجود تلك المعادن ، بأنواعها المختلفة ، وبذلك الكميات
 الإقتصادية كان له الأثر الأكبر والأساس الأول الذي نشأت عليه صناعات إفريقية ونهضتها
 الصناعية ، وساعد على تقدمها الاقتصادي ، في خلال الحكم الفاطمي ، ثم بنى زيري ، وجعلها
 مركزاً هاماً من المراكز الصناعية العالمية .

أهم الحرف الصناعية بإفريقية :

انتشرت الحرف الصناعية إنتشاراً واسعاً داخل إقليم إفريقية خلال العصور الوسطى،
 خاصة أثناء الحكم الفاطمي وبنى زيري ، لوجود المعادن ، وانتشار الحضارة والتقدم
 الاقتصادي ، وتقدم التجارة ، ومن أهم تلك الحرف

حرفة إستخراج المرجان وتهذيبه وجليه حيث أعتبرت إفريقية إحدى المناطق
 المركزية العالمية في استخراج وبيع المرجان ، إلا أن تلك الحرفة لم تكن متقدمة في إفريقية
 في ذلك الوقت ، فكانوا أقل مهارة من غيرهم ، مثل المصريين حيث كانت قطع المرجان تجد
 طريقها إلى الاسكندرية لتتلقفها الأيدي المدربة الخيرة وتضفى عليها اللمسات الجمالية ،
 وتهيئتها ، وإعادة تصديرها مرة أخرى إلى أسواق العالم الأخرى بعد جلبه وتقبه ، حيث يباع
 بثلاثة أضعاف ثمنه في إفريقية وكانت القطع الكبيرة أغلى سعراً من الصغيرة^(٥).

(١) نفس المصدر ، ص ٢٣٩ .

(٢) أحمد بن يوسف التيفاشي : أزهار الأفكار في جواهر الاحجار ، الهيئة المصرية العامة للكتاب ،
 سنة ١٩٧٧ ، ص ١٨٠ - ١٨١ .

(٣) ابن الفدا : تقويم البلدان ، ص ١٤١ .

(٤) ابن حوقل : صورة الأرض ، ص ٧٦ .

(٥) التيفاشي : أزهار الأفكار ، ص ١٨٤ .

الحدادة والنحاس :

انتشرت حرفتى الحداد والنحاس لوجود هذين المعدنين بإفريقية وتخصصت بعض الأسر فى هاتين الحرفتين حتى صار لقب الحداد أو النحاس من الألقاب التى يشتهر بها كثيراً من الأشخاص دليلاً على اشتغالهما بهذه الحرفة .^(١) وصنع الحرفى من النحاس الأدوات المختلفة ، مثل : الأباريق وأدوات الطهى ، والصوانى المستخدمة فى صنع الحلوى ، وغير ذلك من الصناعات .^(٢) كما تم صنع السلاسل والألجمة المستخدمة فى ركوب الدواب من النحاس أيضاً .^(٣) وكان على الحرفى مراعاة الأمانة والجودة فى كل ما يتصل بحرفته فلا يقوم بخلط الأشياء المصنعة القديمة من الأوانى بما هو جديد من النحاس الخام الذى لم يستعمل بل كان عليه سبك كل واحد منهما على حدة منفرداً عن الآخر .^(٤) وكذا إنتشرت حرفة الحدادة وازدهرت ازدهاراً كبيراً فى إفريقية بفضل وفرة خام الحديد وتنوع ما كانوا يصنعونه من المسامير والسلاسل والابواب الضخمة التى تم وضعها على أبواب المدن مثل أبواب مدينة المهدية.^(٥) بالإضافة إلى السلاسل العملاقة التى أستخدمت كحواجز توضع فى مداخل الموانئ لحماية من هجوم الأساطيل المعادية^(٦) وكان للحديد شأن عظيم فى الصناعات الحربية وأدوات القتال مثل الرماح والخوذ والسيوف والحراب والسهام ، والتى كان لكل صناعة منها سوق قائم بذاته مثل سوق الرماحين بمدينة القيروان .^(٧) وسوق السيوف بمدينة المهدية التى أمر الخليفة القائم أن تصنع له فيها سيوفاً خاصة بحمائل على نصول ، وأن تكون حلية كل سيف منها بخمسين ديناراً .^(٨) وأرتفعت صناعة المصابيح المستخدمة فى إنارة القصور الخاصة بالحكام وكانت من النحاس^(٩) .

-
- (١) الخشنى : قضاة قرطبة ، ص ٢٠١-٢٣٣ .
 (٢) تقي الدين أحمد بن على بن عبد القادر ابن محمد المقرئ : المواعظ والاعتبار بذكر الخطط والآثار ، مكتبة الآداب ، القاهرة ، ج ٣ ، ص ١٦١ . الخطط ، ج ٣ ، ص ١٦١ .
 (٣) جورج مارسية : بلاد المغرب ، ص ٩٢ .
 (٤) عبد الرحمن بن نصر الشيزرى : نهاية الرتبة فى طلب الحسبة ، تحقيق د ، السيد الباز العرينى ، دار الثقافة بيروت ، ص ٧٩ .
 (٥) البكرى : المغرب ، ص ٢٩ .
 (٦) مجهول : الاستبصار ، ص ٨ .
 (٧) المقدسى : احسن التقاسم ، ص ٢٢٥ .
 (٨) أبو على منصور العزيرى : سيرة الاستاذ جونر ، تقديم ، محمد كامل ، محمد عبد الهادى شعيره ، دار الفكر العربى ، مطبعة الاعتماد ، القاهرة ، ١٩٥٤ ص ٤٧ .
 (٩) أحمد ابن ابى عامر : الدولة الصنهاجية ، ص ٦٨ .

وحدد المحتسب الشروط الخاصة الواجبة لاتباع لطوائف الصناعات خاصة الحدادين فلا بد لهم من تجويد المصنوعات ، وعدم غشها ، فلا يضربون سكيناً ، ولا مقرضاً ، ولا مخضفاً ، أو ما أشبه ذلك من الأرمهان (الحديد اللين) ويبيعونه على أنه فولاذ . ولا يقومون بخلط ماسبق صناعته وأستخدمه الناس من أدوات مثل ، المسامير المرتجعة ، بما هو جديد ، ولا يقومون بصناعة السكاكين ، والأمواس ، والمقصات ، إلا من الحديد ذي الجودة العالية المتميزة بحدة القطع من الفولاذ (١) .

وازدهرت حرفة صناعة المصابيح والأباريق ، والجفان ، والجرار ، والكيزان ، والاقداح ، والاطسات ، والمواقد ، والتي كانت تصنع على هيئة أشكال حيوانية نقشت عليها في بعض الأحيان رسومات بديعة (٢) .

وأنجز أصحاب الصناعات المعدنية الكثير مثل العدد والآلات التي كانت تستخدم في صناعة السفن ، والمواجين والصهاريج ، والآلات الزراعية ، والآلات القاطعة مثل المخارط والمكاشط والأزاميل ، وأدوات تقطيع الخشب ، والمطارق والأدوات المنزلية وغيرها مما يصعب حصره من المصنوعات .

حرفة الصباغة :

ومن الحرف الأخرى صبغ الثياب بالألوان المختلفة ، وكانت النباتات هي المستخدمة في عمل الصباغة مثل نبات الحنا ، والفوه ، والنيلة ، وكانت الحناء ، تزرع بمدينة بونة (٣) والشب كان مركزه مدينة سرت . وهو بها بكميات وافرة ، حيث كانت تقوم بتصديره خارجها (٤) وكان القطران الجيد مما اشتهرت به مدينة برقة (٥) ومن الجنوب ، يأتي نبات النيلة المستخدم في صباغة الثياب من مدينة سباب ، الواقعة على الطريق بين مدينتي نفوسة وزويلة (٦) .

ولقد خضع المشتغلون بحرفة الصباغة كغيرهم من الحرفيين لمراقبة المحتسب ، فهو يراقب صناعتهم ، ومكونات الصباغة المستخدمة بها ، فإن إرتاب في شيء مما يستخدموه قام

(١) الشيزري : نهاية الرتبة ، ص ٧٩ .

(٢) ويل ديورنت : قصة الحضارة ، ترجمة ، محمد بدران ، مطبعة لجنة التأليف والترجمة والنشر ،

القاهرة ، ١٩٦٤م ، ج ٢ ، ص ٢٤٨ .

(٣) أبو الفدا : تقويم البلدان ، ١٤٥ .

(٤) ابن حوقل : صورة الأرض ، ص ٧١ .

(٥) نفس المصدر ، ص ٦٩ .

(٦) البكري : المغرب ، ص ١٠٠ .

بعرضه على عريفهم ، الذى يمثل رئيسهم المباشر ، وأقدم الأشخاص وأعرفهم بأسرار الصنعة^(١).

ومثل نبات النيل ، المادة الأساسية المستخدمة للون الأزرق ، والقرمس للون الأحمر ، وهما شائعا الاستعمال فى سائر المملكة الإسلامية ، ومثل الزعفران أحد النباتات الهامة المستخدمة فى الصباغة وهو الخاص باللون الأصفر ، والعصفر والزعفران العربى المسمى بالورس ، وهو نبات يشبه السمسم وموطنه اليمن . وتم استيراد مواد الصباغة الأخرى التى لم تكن متوفرة فى إفريقية ، من المناطق الأخرى من العالم مثل أرمينيا وكان يستورد منها القرمس^(٢). ومثلت الصباغة إحدى الحرف الهامة فى إفريقية واشتغلت بها كثيراً من الأسر وانتشر بها لقب الصباغ^(٣). واعتاد الصباغون فى بعض المدن ، إتخاذ مكاناً خاصاً لهم يجتمعون به ، ويزاولون فيه حرفتهم فى صبغ الثياب ، والأقمشة ، بألوانها المتعددة ، وعادة ما يكون هذا المكان على أحد الانهار الجارية ، أو التى تتميز بوجود ماء جار ، حتى يقوموا بتنظيف أدواتهم والتخلص من بقايا الأصباغ والألوان ويقومون فى الوقت نفسه بنشر الثياب الملونة لتجف فينشأ عن ذلك منظراً بديعاً يجذب القلوب ، والأنظار إليه ، بما يشبه الحديقة أو كأنه جنة من الورود . وكان هذا عادة حرفى توزر ، حيث عرف مكانهم باسم باب المنشور ، والذى اتخذه الأهالى منتزها لهم^(٤) .

الصناعات الجلدية :

ووجدت حرفة صناعة الجلود ، بفضل توفر الجلود الحيوانية بكميات كبيرة داخل إفريقية، من جلود الأبقار ، والأغنام ، والماعز ، والأبل ، إلى جانب جلود الحيوانات البرية ومن الاستخدامات الهامة للجلود كانت عمل الرقاق الخاصة للكتابة عليها مثل المصاحف ، وكانت تدبغ بطرق معينة وصناعة خاصة تتميز بالجودة والرقّة والليونة تشبه فى شكلها وملمسها الحرير السندسى ، ويوجد بجامع القيروان مجموعات من المصاحف وغيرها مكتوبة

(١) الشيزرى : نهاية الرتبة ، ص ٧٢ .

(٢) آدم مترز : الحضارة الإسلامية ، جـ ٢ ، ص ٢٦٤ . كما كان يستورد حجر اللازورد من أرمينية أيضاً وهو يسمى بالروميه ارميانون نسبة إلى أرمينية . وهو يستخدم فى الصباغة بعد طحنه ، ومادام صحيحاً فإنه يضرب إلى لون النيل ، وربما مال إلى السواد ... وإذا سحق وهو برخاوتيه مؤاتى للطحن أشرق لونه وجاء منه صبغ مؤنق لايدانيه شئ من أشباهه ، البيرونى : كتاب الجماهر ، ص ١٩٥ .

(٣) الخشنى : قضاة قرطبة ، ص ٢٨٠ .

(٤) التيجانى : رحلة التيجانى ، ص ١٥٨ .

على هذه الرقوق تثير الأعجاب والدهشة ^(١) كما نشأت عن صناعة الجلود، حرفة صناعة الأحذية ، وكان لهم سوق خاص بهم يعرف بسوق (درب) الحذائيين بمدينة القيروان ^(٢) وشكلت حرفة صناعة الجلود بالقيروان أحسن وأتقن الحرف الصناعية. وصنع من الجلود أيضاً السروج ، وطبقت شهرتها الآفاق سواء داخل إفريقية أم فى خارجها ، وحلّت بأسلاك الذهب والفضة والخرز ، ونقشت برسومات وأشكال رقيقة. ^(٣) وتميزت مدينة قفصة كذلك، بصناعتها الجلدية المتطورة ، وصنعت بها أنواع من الأحذية تتميز بالليونة الشديدة ، وتصنع من جلد حيوان الأورى ^(٤) .

واستخدمت الجلود فى صناعة أدوات القتال مثل التروس وغيرها ^(٥) وبلغت الصناعات الجلدية شأنً بعيداً فى مدينة قابس ، خاصة دباعة الجلود ، فكان بها جلود تدبغ بالقرظ ، وتعم أكثر المغرب . وتتميز بالرائحة الطيبة ، والملمس الناعم ، والتي تشبه صنعتها حال الأديم الجرشى ^(٦) . وفى أقصى الجنوب من بلاد الجريد، وفى مدينة سوف تحديداً، وجدت صناعات جلدية متقدمة ، اعتمدت على جلود الحيوانات البرية مثل الفئك ، وكانت من الجودة حيث لا يوجد لها نظير فى الدنيا. ^(٧) كما أرتقت صناعة ودباعة الجلود، بمدينة غدامس، وكانت من الأنواع التى يفضلها التجار فى إفريقية. ^(٨) لا يفوقها نوع آخر فى إفريقية بل شبهت لنعمتها بثياب الخز. ^(٩) وكان الصناع بها يقومون باستيراد نوع من شجر التاكوت بوادى درعه يشبه الطرفاء وبه يديغون الجلود ^(١٠) . ويعتبر فن تجليد الكتب من أهم الصناعات القائمة على

-
- (١) عثمان الكعاك : الحضارة العربية فى حوض البحر المتوسط ، معهد الدراسات العربية ، القاهرة ، ١٩٦٥ ص ٧٧-٧٨ .
 - (٢) المقدسى : أحسن التقاسيم ، ص ٢٢٦ .
 - (٣) حسن حسنى عبدالوهاب : بساط العقيق ، فى حضارة القيروان وشاعرها بن رشيق ، مكتبة المنار ، تونس ، ١٩٧٠ ، ص ٣٢ ، احمد ابن عامر : الدولة الصنهاجية ، ص ٦٨ .
 - (٤) القلقشندي : صبح الأعشى ، ج ٥ ، ص ١٠٧ .
 - (٥) محمد فتحى الشاعر : الحضارة الإسلامية فى العصور الوسطى ، دار المعارف ، سنة ١٩٩١ ، ص ١١٩ .
 - (٦) ابن حوقل : صورة الأرض ، ص ٧١ .
 - (٧) مجهول : الاستبصار ، ص ٤٦ .
 - (٨) أبو الفدا : تقويم البلدان ، ص ١٤٧ .
 - (٩) القزويني : آثار البلاد ، ص ١٤٧ .
 - (١٠) التيجاني : رحلة التيجاني ، ص ٢٣٥-٢٣٦ .

الجلود، وكانت تشتهر به مدينة القيروان حتى قبل عهد الفاطميين وكانت مصر هي التي نشأ بها فن التجليد الكتب نتيجة لتحول الكتاب من الدرج الملفوف إلى دفتر مبسوط (١) .

أما المدن التي لم ترقى بها صناعة الجلود ، فكانت تقوم بتصديرها إلى خارجها سواء داخل أو خارج إفريقيا ، مثل برقة التي كانت تصدر الجلود لمصر (٢) .

حرفة صناعة السروج :

انتشرت صناعة السروج ، بمدن إفريقية ولاقت نجاحاً عظيماً، بفضل إهتمام أصحاب الحكم من الولاة ، والخلفاء ، بها ودخلت في صناعاتها المعادن النفيسة كالذهب، والفضة والأحجار الكريمة ، ففي إحدى زيارات المنصور الزيرى لمدينة رقاده أمر صناعتها بعمل سرج خاص له مكلل بالدر والياقوت (٣) .

كما كانت تتم صناعتها أيضاً من الذهب. (٤) وكانت السروج من البنود الأساسية التي يتبادلها الحكام في هداياهم لبعضهم البعض. فقد أعطى المعز بن باديس إلى ابن عمه ثلاثين فرساً بسروج الذهب . كما أهدى صندل والى باغاية لسيدة المعز بن باديس سنة ٣٤٨هـ — — ٩٦٠م ثلاثمائة وخمسون برذونا بالسروج المحلاة. (٥) كما كانت السروج من أهم ألوان الزينة التي يحرص عليها الحكام أثناء خروجهم لصلاة الاعياد. (٦) وكانت السروج تصنع أيضاً من الجلود الحيوانية، وتزينها خيوط الذهب والخز وتزين بالرسومات. (٧) .

وتعددت الألوان التي تصنع بها السروج مثل الأصفر، والازرق ، ومنها ما يعمل من الدبل ، ومنها ما يعمل سيوراً ، من الجلد البلغاري الاسود. (٨) وكانت السروج توضع على الخيول وعلى البراذين أيضاً. (٩) حيث استتبطت ثلاثة أنواع (صنوف) السرج للخيول والركابية للبخال والبردعة للحمير لاسيما الحمير الضخمة التي جلبها العرب (١٠) .

(١) عثمان الكعاك : الحضارة العربية ، ص ٨٥ .

(٢) ابن حوقل : صورة الأرض ، ص ٦٩ .

(٣) ابن عزارى : البيان جـ ١ ، ص ٢٤٠ ، عثمان الكعاك : الحضارة العربية ، ص ٧٨ .

(٤) جونر : سيرة جونر ، ص ٤٧ ، ابن أبى دينار : المؤنس ، ص ٧٣ .

(٥) ابن أبى دينار : المؤنس ، ص ٨١ .

(٦) نفس المصدر ، ص ٧٦ .

(٧) حسن عبدالوهاب : بساط العقيق ، ص ٣٥ .

(٨) المقرئى : الخطط جـ ٣ ، ص ١٥٩ .

(٩) ابن أبى دينار : المؤنس ، ص ٨١ .

(١٠) عثمان الكعاك : الحضارة العربية ، ص ٧٩ .

ومن الأشياء المكملة لصناعة السروج هي، صناعة اللجم الخاصة بالخيول، وكانت تصنع أيضاً من الفضة المجراه بالمينا، وتارة بالفضة المطلية بالذهب، وكان لها سوق خاص بها، ولهذه الصناعة حرفيين مكملين لها مثل الطلائين وصناع الكفت برسم اللجم^(١). وكان للسروج سوق خاص بها على صنفين هما سوق السراجين أو السروجية وسوق البرادعية، وهي من الصناعات التي لا يقوم بعملها شخص واحد بل يقسم فيها العمل، بين أكثر من شخص مثل الخشاب الذي يقوم بصنع الهيكل الخشبي للسرج والطاراز والزرکشى وهو الذى يقوم بتطريز وزرکشة السرج. وهناك الشكار "سوق الشكارين بتونس"، وهو الذى يلبس الجلب للهيكل الخشبي^(٢).

وكان للسروج خزائن خاصة،^(٣) بها كغيرها من المصنوعات، والتي كان يطلق عليها أحياناً اسم الفندق. وهو المكان الذى يحتفظ فيه الخلفاء بالمصنوعات المختلفة مثل فندق الكتان.^(٤) ومن الصناعات الهامة التي نشأت بإفريقية.

حرفة الصناعات الخشبية :

تمثل الاخشاب المادة الأساسية فى هذه الحرفة الصناعية. وهي من الحرف الضرورية فى حياة الانسان يدويا كان أم حضاريا. وهي من أمهات الصنائع. ويطلق لفظ النجار، على كل من يقوم بالعمل فى هذه الحرفة وهو شخص يتميز بالذكاء، والكفاءة، والمقدرة على حسن استخدام الاخشاب، لاجراجها فى أبهى صورة ممكنة، وأتقنها وبأشكال هندسية مختلفة، مونة ويشتد الطلب عليها كلما تقدمت الحضارة وجاء الترف وتأنق الناس فيما يتخذونه من كل صنف^(٥).

وكغيرها من الصناعات كان لابد لها من مقومات تساعد على نموها وازدهارها. ومن هذه المقومات المادة الخام الممثلة فى الأخشاب بأنواعها المختلفة. ولقد حظى إقليم إفريقية بثروة طبيعية هائلة تمثلت فى الغابات المنتشرة فى أرجاءه، وفى الطريق الواصل بين القيروان وبونة وجدت شعراء (غابة) عظيمة من أشجار الزان التي كان يجلب منها إلى باقى إفريقية.^(٦)

(١) المقرئى : الخطط، جـ ٣، ص ١٧٠.

(٢) المصدر السابق : ص ٨٠.

(٣) القلقشندى : صبح الأعشى، جـ ٥، ص ٤٧٣.

(٤) ابن عزارى : البيان جـ ١، ص ٢١٠.

(٥) عبدالرحمن بن محمد بن خلدون الحضرمى المغربى : مقدمة ابن خلدون، دار خلدون الاسكندرية، ص

٢٨٨.

(٦) البكرى : المغرب، ص ٥٤.

ووجد شجر الرند بكثرة على ضفاف نهر مغيله. ^(١) كما اشتهرت مدينة تاهرت بغناها فى الثروة الطبيعية من الأخشاب. ^(٢) ومن الأسباب التى شجعت على ازدهار هذه الحرفة، الصناعية التقدم الحضارى الذى وصل إليه إقليم إفريقية خلال حكم الفاطميين ثم بنى زيرى خاصة فى عهد المعز باديس الصنهاجى الذى مثل عصره أعلى درجات السلم الحضارى فى أبهى صورة ، وكان ملكه أعظم ملك عرف للبربر وأترفه وأبرزه. ^(٣) ولم يصل التقدم الحضارى فى إفريقية فى عهد أحد من حكامها مثلما وصل إليه فى عصر المعز. ^(٤) فقد أدركت إفريقية فى عهده العز الشامخ والبذخ الأفعس. ^(٥)

وهى من الحرف ذات التخصصات المتعددة . فبجانب النجار، كانت هناك تخصصات لا تقل أهمية عنه منها الرصاع ، والايمجى ، والخراط ، والدهان ، فكانوا يضيفون لمسة جمالية ورونقاً خاصاً للصناعات . وكان لكل منهم عملاً لا يتعداه لغيره. ^(٦) ولم تقتصر هذه الصناعة على ما كان بإفريقية من أخشاب ، بل قاموا بجلب ما نقص منه عندهم من الانواع الجيدة مثل : خشب الساج أو العود الهندى . ^(٧) كما قاموا باستيراد الأخشاب بكثرة من جزيرة صقلية. ^(٨) ولم يتم إستخدام الأخشاب بأنواعها المختلفة هكذا جامدة عند الصناعة ، بل قام النجارون بإضفاء نوع من اللمسات الجمالية ، ومنحها الزينة اللازمة ، والرونق الحسن ، ولجأ الحرفيون إلى أساليب متعددة منها: التخطيط كما ، فى الأبواب ، والمنافذ ، وأسلوب الخرط ، إلى غير ذلك من الطرق الهندسية بنسب مقدره ومحدده. ^(٩)

-
- (١) أبو الفدا : تقويم البلدان ، ص ١٤١ .
 (٢) ابن عزارى : البيان جـ ١ ، ص ١٩٨ .
 (٣) ابن خلدون : العبر وديوان المبتدأ والخبر فى أيام العرب والعجم والبربر ومن عاصرهم من ذوى السلطان الاكبر ، مؤسسة جمال للطباعة والنشر ، بيروت ١٩٧٩م ، جـ ٦ . ص ١٥٨ .
 (٤) ابن أبى دينار : المؤنس ، ص ٨٢ .
 (٥) حسن عبدالوهاب : شهيرات التونسيات ، ص ٣٨ . احمد بن عامر : الدولة الصنهاجية ، ص ٢٥-٢٩ .
 (٦) حسن الباشا : دراسات فى الحضارة الإسلامية ، دار النهضة العربية ، مطبعة ، جامعة القاهرة للكتاب الجامعى ، القاهرة ١٩٩٢م ، ص ١٨٤ .
 (٧) ابن أبى دينار : المؤنس ، ص ٨٠-٨١ ، عطية القوصى : الحضارة الإسلامية ، دار الثقافة العربية، القاهرة ١٩٨٥ ، ص ١٢٣ .
 (٨) جودر : سيرة جودر ، ١١٦ ، ص ١٢١ .
 (٩) ابن خلدون : المقدمة ، ص ٢٨٨ .

ومثلت الأخشاب مادة هامة صناعيا، سهلة الاستخدام والاستعمال والتكوين ، فكانت مادة طيعه فى يد الحرفى صاغ منها كثيراً من الأشكال منها الأبواب ، والنوافذ ، والستر ، الخشبية ، والشرفات ، والسقوف والمناضد ، وجميع الأدوات المستخدمة داخل المنازل والقصور ، إلى جانب المتابر والمحاريب. (١) ومنها تواييت الموتى ، التى كانت تستخدم فى صناعتها أنواع ممتازة من الأخشاب المستوردة مثل خشب الساج الهندى ، الذى استعمل فى تواييت الحكام وأهلهم عند موتهم. (٢) وأستخدم فى تزيين هذه التواييت المعادن النفسية كالذهب. (٣) ومن الأخشاب الممتازة أيضاً الأبنوس لاسيما فى الصناعات التى يقبل على شرائها الحكام وذويهم (٤).

ومثل الخشب إحدى المواد التى يظهر فيها خيال الفنان من أشكال وصور فنيه مجردة (٥) ونشأت حرفة صناعة القباقيب التى ينتعلها الحكام داخل قصورهم ، من أجود أنواع الأخشاب الهندية ، وزينت بمسامير صنعت من معدن الذهب. (٦)

حرفة صناعة الأبسطة والسجاجيد :

نشأت هذه الحرفة فى مدن وقرى إفريقية ، فقد كانت من المناطق التى اشتهرت منذ القدم بهذه الصناعات وكانت تبعث بعدد مائة وعشرون من البسط اثناء الحكم العباسى لها (٧).

وتقدمت صناعة السجاجيد بإفريقية فى عهد الفاطميين ، تقدما ملحوظا واستخدم فى تزيينها الحرير ، وأسلاك الذهب ، والفضة (الزركشة) وزينت بالجواهر ، والزخرف المشهدى ، فكان ولا يزال من آيات الروعة ، وبلغ حب الخلفاء الفاطميين واعجابهم بهذه السجاجيد، أن أخذوا معهم تذكراً من إفريقية عبارة عن سجاده مصور بها خريطة لإفريقية (٨).

(١) ويل ديورنت : قصة الحضارة ، المجلد الرابع ، جـ ٢ ، ص ٢٤٨ .

(٢) ابن عزارى : البيان ، جـ ١ ، ص ٢٧٠ .

(٣) ابن دينار : المؤنس ، ص ٨١ .

(٤) المقرئى : الخطط جـ ٣ ، ص ١٧٠ ومابعدھا .

(٥) ويل ديورنت : قصة الحضارة ، المجلد الرابع ، جـ ٢ ، ص ٢٤٥ .

(٦) ارشيبالد لويس : القوى البحرية ، جـ ٣٣١ .

(٧) ابن خلدون : المقدمة ، ص ١٢٧ .

(٨) عثمان الكعاك : الحضارة العربية ، ص ٧٢ .

ومثل حرفيو هذه الصناعة، مجموعة من أمهر، وأحسن، الحرفيون . فقد أجادوا وأتقنوا صنعهم، لاسيما العبيد الذين أتت صنعتهم من أجمل وأحسن ما تكون ، ولاقت إعجاب وتقدير الحكام ، قبل الأهالي ، حتى أن الخليفة الفاطمي المنصور (٣٣٤-٣٤١هـ / ٩٤٦-٩٥٣م) ، وصفها بأنها معجزات ، وأنها رياض موقفة وكان من أشد المعجبين بصناعة هؤلاء العبيد (١) . وكانت تجارة العبيد وشرايتهم من أوروبا من التجارة الرابحة حيث يتم استخدامهم في الاعمال المنزلية والاعمال الاخرى في إقليم إفريقية وكان يطلق على هؤلاء العبيد اسم (اسكاليا) صقالبة وهم من الشعوب السلافية في أوروبا الشرقية والوسطى .

وتبوا كثيراً منهم المراكز المرموقة في الدولة وصارت له مكانته الهامة في الخلافة الفاطمية وكان منهم قادة الجيوش مثل جوه الصقلي .

وأستخدم نبات الحلفاء أيضاً في صناعة الحصر وكانت إحدى الحرف التي يتكسب منها الناس. (٢) ولاشك كان يقبل على شرايتها الطبقة البسيطة من الشعب ، واستخدمت تلك البسط، والسجاجيد في كساء أرضيات المساجد. (٣) وقصور الحكام مثل قصر الخليفة المعز لدين الله (٣٤١-٣٦٥هـ / ٩٥٣-٩٧٧م) الذي كانت تكسوا أرضيته مفروشات اللبود ومثل قصر المنصور الصنهاجي (٣٧٣-٣٨٦هـ / ٩٨٥-٩٩٨م) ، الذي كانت تملأ أرضيات حجراته الأبسط (٤) ومن الحرف الأخرى حرفة صناعة الطوب اللبن. (٥) .

حرفة طحن الحبوب

وهم الذين يطلق عليهم الدقاقين ، حيث يقومون بتنقية الغلال من الشوائب العالقة بها سواء من الطوب ، أو الحجارة ، أو التراب ، واستبعادها ثم غربلتها، وطحنها. وهي من الحرف التي تخضع لمراقبة المحتسب، لمنعهم من غش الدقيق كما كان عليهم إرسال كمية محددة إلى المخازن. (٦) وأخيراً يمكن القول أنه من العسير حصر وتعريف جميع الحرف التي وجدت داخل إقليم إفريقية لكثرتها ، وإن نظرة فاحصة لما نقله لنا الاخباريون، عما كانت

(١) جودر : سيرة جودر ، ص ٥٢ ، وكان يطلق عليهم اسم الحصريون .
Bernard, Lewis, Themuslim Discovery of Eurap George. Weiden
feld and Nicolson, limited, London 1982, Page 188.
The Arabs in History, Hutchinson University Library, London, Page 112

(٢) ابن عزري : البيان ج ١ ، ص ١٨٣ .

(٣) حسنى عبدالوهاب : بساط العقيق ، ص ٣٤ .

(٤) حسنى عبدالوهاب : شهيرات التونسيات ، ص ٣٥ - ٣٩ .

(٥) حسن إبراهيم : المعز لدين الله ، ص ٢٠٨ .

(٦) الشيزري : نهاية الرتبة ، ص ٢١ .

تغص به قصور الحكام من أنواع الصناعات ، لخير شاهد لنا على مدى تقدم وكثرة الحرف الصناعية فى إفريقيا فى تلك الفترة (١) .

كما تعتبر قراءة اسماء العائلات بإفريقية وما اشتهرت به من القاب مثل النجار ، والخشاب والبناء لتعطينا فكرة واضحة عن وجود تلك الحرف فى أسواق إفريقيا وتأصلها بها(٢).

حرفة صناعة الصدفيات

ومنها الصدفيات التى كانت تحول من شكلها التقليدى إلى قطع ترايع ومعقات ونجوماً ويرصع به خشب الأثاث ، وآلات الموسيقى ، ومناضد اللعب والسقوف .

ولاتزال هذه الصناعة قائمة معتنى بها فى إفريقيا ، وتستخدم فى ترصيع المربعات ، والمرايا ، والقباقيب. والمناضد والخزائن ، وسفر الطعام ، والكراسى ، التى يوضع فوقها الأبريق ، والليان "الطشت" والمقاعد ، وكانت المرايا الصدفية " بيضاء " من أهم الأشياء التى تحرص عليها العرائس فى جهازها. (٣) .

أهم الصناعات فى إفريقيا :-

تميزت إفريقيا فى المجال الصناعى حتى فاقت الصناعة بها مجال الزراعة من حيث التقدم والرقى اللذان اشتهرت بهما مدنها العديدة (٤) .

لذا فقد قامت بإفريقية العديد من الصناعات الهامة، التى اعتمدت على المواد الخام الأولية، معدنية كانت أم زراعية ، والتى أولاها الحكام سواء الفاطميين ، أو الزييريين، كثيراً من عنايتهم واهتمامهم ، مما ساعد على رقيها وازدهارها ومن أهم تلك الصناعات

صناعة النسيج والطراز :

بدأت هذه الصناعة أو آخر الدولة الأموية ، لكنها بلغت أوجها أثناء حكم الفاطميين، (٥) الذين أولوها عظيم إهتمامهم لتكون لهم شخصيتهم المتميزة عن العباسيين، الذين ناصبواهم

(١) ابن عذارى : البيان جـ ١ ، ص ٢٧٠ - ٢٧٢ ، ابن أبى دينار : المؤنس ، ص ٧٦ - ٨٢ ، حسن عبدالوهاب : شهيرات التونسيات ص ٢٣٩ ، ص ٤٥ ، حسن إبراهيم : المعز لدين الله ، ص ٢٠٧ وما بعدها .

(٢) الخشنى : قضاة قرطبة ، ص ٢١٣ - ٢٣٠ - ٢٣٢ .

(٣) عثمان الكعاك : الحضارة المغربية ، ص ٨٢ - ٨٣ .

(٤) ارشيبالد لويس : القوى البحرية ، ص ٣٢٩ .

العداء منذ قيامهم ، والعمل على إنتاج الاقمشة المخالفة لطراز العباسيين. فكان لباس الفاطميين البياض وهو شعار العلويين وكانت الويتهم بيضاء وعليها احيانا أهله من ذهب ، فى كل منها صور سبع من الديباج الأحمر.^(١) ومثلت دور الطراز أهم أماكن انتاج النسيج وكانت تنقسم إلى طراز الخاصة ، التى كانت مكلفة بصنع المنسوجات الخاصة للخليفة ، وأنواع الاقمشة التى يقوم بخلعها واهدائها إلى كبار رجال الدولة وأفرادها وحاشيته . وطراز العامة التى كانت تشتغل بجانب ذلك بانتاج المنسوجات اللازمة للشعب إلى جانب المصانع الأهلية ، التى كانت تسير جنباً إلى جنب مع نظم الطراز الحكومية ، وأن كانت هذه المصانع مثقلة بأنواع الضرائب الشديدة التى تفرضها عليها الحكومة ^(٢) .

ولم يكتف الأمراء بدور الطراز. ^(٣) التى تقيمها الدولة ، بل كان لهم معاملهم الخاصة فى داخل قصورهم ، والتى تقوم بصنع وتطريز ثيابهم الخاصة بهم ، بزينات مختلفة مثل الصور والزهور ، والكتابات الكوفية . ولقد بلغت هذه الصناعة بإفريقية درجة عالية جعلتها تفوق ما كان يصنع فى دور الطراز بصقليه. ^(٤) والطراز. ^(٥) من شارات الخلافة ، وعلامة من علامات

(٥) جورج مارسية : بلاد المغرب ، ص ٢٠٧- ٢٠٨ ، حسن الباشا : دراسات فى الحضارة الإسلامية ، ص ١٦٣ .

(١) آدم مئز : الحضارة الإسلامية ، ج ١ ، ص ٢٣٨ .

(٢) ذكى محمد حسن : كنوز الفاطميين ، القاهرة ، سنة ١٩٣٧ ، ص ١١٠-١١١ ، الباشا : دراسات ص ١٦٣ ، ابوصالح الألفى : الفن الإسلامى ، دار المعارف بمصر ، ص ٢٩٣ القوصى ، الحضارة ، ص ١١٥ .

(٣) الطراز : تعد دار الطراز مثل غيرها من المنشآت فلها ناظر يتولى أمرها ومشارفون وعمال وشاهد. وكان العمل يجرى بها عند الحاجة إلى عمل شئ من المتاع ، أن تكتب به تذكره من ديوان الخزانة وترسل اليهم - دار الطراز - ويذكر فى هذه التذكرة مقدار النفقة المستحقة من المال والذهب المغزول . ويعد عمل المتاع يتم تقويمه ولا يعتد بما هو زائد من المال فى النفقة عن القيمة المذكورة. أما إن نقصت القيمة عما ذكر بالتذكرة يتم ذكر هذا النقص وتعمل به مطالبة من الديوان ويطالب بها المستخدمون فى دار الطراز وتضاف على حسابهم ويتم اخراجها من الرقامين ويعد ذلك جزء لهم لتقصيرهم فى عملهم . ابن ممتى : قوانين الدواوين ، ص ٣٣٠-٣٣١ .

(٤) حسن عبدالوهاب : بساط العقيق ، ص ٣٥ . يرجع الفضل فى انتشار نظام الطراز بجزيرة صقلية

وازدهار صناعة النسيج بها إلى المسلمين فيما بين القرنين الثالث والخامس الهجريين ٩ : ١١٠ م . وكانت منتجات دور الطراز بها تشبه ما تتم صناعته بدور طراز مصر والشام والاندلس ، وكانت تلقى التقدير والاعجاب فى الأسواق المختلفة لاسيما مصر وظلت هذه الصناعة مزدهرة بعد الحكم الإسلامى فى عهد النورمنديين ، وانتشرت بها المصانع الملكية المليئة بالعمال ، وأخذت تغير موضوعات وأساليب الزخرفة الإسلامية إلى البيزنطية نتيجة لتأثير عمال النسيج اليونانيين الذين كانوا يعملون فى تلك المصانع. ذكى محمد حسن : كنوز الفاطميين ، ص ١٢٠-٢٢١ ، فنون الإسلام ، دار الرائد العربى ، بيروت ، ص ٣٥٨ .

(٥) هو علم الثوب وهى كلمة فارسية معربة وتعنى الطراز أو الهيئة أو الشكل ، وينسب إلى مدينة (محله) بمرور يقال لها طراز ، كما يطلق لفظ طراز على الثوب الموشى الذى يرتديه عليه القوم

أبهة الملك ، والسلطان ، وأختلفت فيه الدول ، فلكل منها مذهبها الخاص فى وضع الأسماء أو علامات خاصة بهم فى ثيابهم المعدة للبسه من الحرير ، أو الديباج ، أو الابريسم ، تعتبر كتابة خطها فى نسج الثوب إلحاحاً وسدى بخيط الذهب ، أو ما يخالف لون الثوب من الخيوط الملونة من غير المذهب ، على ما يحكمه الصانع فى تقدير ذلك ، فتصير الثياب الملوكية معلمة بذلك الطراز بقصد التنويه بلباسها من السلطان ، فمن دونه أو بمن يختصه السلطان (١) .

وكان السائر فى أنحاء المملكة الإسلامية ، يستطيع بشئ من اليسر والسهولة ، معرفة البلد الذى يسير فيه وذلك ، عن طريق مشاهدته للصناعات النسيجية بها ، وما على حيطان الغرف من أنواع الستور . (٢) ولأهمية تلك الصناعة كان لابد لها من وجود شخص قائم بذاته يختص بها ويقوم بالاشراف على دور الطراز وهذا الشخص إما من الخواص ، أو من الموالى الثقة إذ كان عليه الأشراف والمتابعة لكل ما يخص هذه الصناعة الهامة مثل ، النظر فى أمور الصباغ وآلات الحاكه وإجراء الأرزاق عليهم ، وتسهيل عملهم ، وآلاتهم ، ومشارفة أعمالهم (٣) وهو أحد الموظفين الهامين داخل الدولة . ومن الذين تتجه إليهم الانظار . وتتملقهم العيون ، وكان عليه إعطاء الأمر لتلك الدور ، بصناعة آلاف القطع ، خاصة عند إقامة الحفلات كالزواج . (٤) ويرجع الفضل فى تعريب الطراز إلى الخليفة الأموى عبدالملك بن

وأطلق أولاً على الكتابة الموشاه ثم أطلق على كل قطعة من النسيج عليها كلمات منقوشة أو مكتوبة على النسيج المنقوش الموشى بالخيط وعلى النقوش التى توضع على الاشرطه المستعرضة من أى نوع سواء كان من الحجارة أو الفسيفساء أو الزجاج أو الفخار أو كان محفوراً بالخشب . محمد بن أبى بكر بن عبدالقادر الرازى : مختار الصحاح ، دار التنوير العربى بيروت ١٩٨٤ ، ص ٣٩٠ ، أبى الفتح ناصر بن عبدالسيد المطرزى الحنفى الخوارزمى : كتاب المعرب فى ترتيب المغرب ، دار الكتاب العربى بيروت ، ص ٢٨٦ ، حسن إبراهيم حسن : تاريخ الإسلام السياسى والدينى والثقافى والاجتماعى الطبعة العاشرة ، مكتبة النهضة المصرية ، القاهرة ١٩٨٣ ج ٢ ، ص ٢٢٣ ، سعاد ماهر : النسيج الإسلامى ، الجهاز المركزى للكتب الجامعية والمدرسية والوسائل التعليمية ، القاهرة ١٩٧٧ ص ٢٤ ، محمد محمود إدريس : تاريخ العراق والمشرق الإسلامى خلال العصر السلجوقى الأول ، مكتبة نهضة الشرق ، القاهرة ، ص ١٩٨٥ ، ص ١٨١ .

(١) ابن خلدون : المقدمة ، ص ١٨٦-١٨٧ ، جرجى زيدان : تاريخ التمدن الإسلامى ، مراجعة وتعليق حسين مؤنس ، دار الهلال ، القاهرة ، ج ١ ، ص ١٤٦ .

(٢) آدم متز : الحضارة الإسلامية ج ٢ ، ص ٣٥٠ ، أبوصالح : الفن الإسلامى ، ص ٢٩٤ .

(٣) ابن خلدون : المقدمة ، ص ١٨٧ ، سعاد ماهر : النسيج الإسلامى ، ص ٨٥ .

(٤) ارنست كونل : الفن الإسلامى ، ترجمة أحمد موسى ، مطبعة اطلس ، القاهرة ، ١٩٦١ ، ص

مروان (٦٥-٨٦هـ - ٦٧٧-٦٩٨م) ^(١) ولاقت الصناعات النسيجية أهمية كبرى أثناء الحكم الفاطمي وبنى زيرى فهى إحدى علامات الرضا والتشريف والإقرار فى المناصب الحكومية ، وذلك عندما يقوم الخليفة بإهداء قطع منها إلى أحد رجال دولته ^(٢) .

وبلغت من أهميتها ، أن صارت أحد أهم البنود عند تبادل الهدايا فيما بين الحكام ^(٣) إما طمعاً فى خطب الود ، أو بسبب علاقات الصداقة القوية بينهم وحسن الجوار ^(٤) .

وحرص الفاطميون أشد الحرص على إعطاء هذه الصناعة الأهتمام الزائد والعناية الخاصة إذ مثلت منسوجاتهم إحدى وسائل الدعاية الخاصة بهم ومن ثم أصبح العناية بها من السنن المتوارثة بين الخلفاء الفاطميين . وكان لها دار خاصة تسمى "دار الكسوة" ويتم توزيع تلك الكسوات فى مناسبات مختلفة على الناس ^(٥) .

-
- (١) جرجى زيدان : تاريخ التمدن الإسلامى ، ج١ ص ١٤٦-١٤٨ .
 (٢) ابن خلدون : المقدمة ، ص ١٨٧ حسن عبدالوهاب : بساط العقيق ، ص ٣٥ ، حسن الباشا : دراسات ، ص ٥٢ ، كونل : الفن الإسلامى ، ص ٥٢ .
 (٣) ابن عذارى : البيان ج١ ، ص ٢٦١-٢٦٩-٢٧٥ ، ابن أبى دينار : المؤنس ، ص ٨١ .
 (٤) ذكى محمد حسن : فنون الإسلام ، ص ٣٥٠ .
 (٥) محمد محمود ادريس : دراسات فى التاريخ والحضارة الإسلامية ، دار الثقافة ، القاهرة ١٩٨٤م ، ص ٣١-٣٣ .

وتبوءت إفريقية مكانة رفيعة وبرزت بها عدة مراكز هامة في صناعة النسيج والثياب أثناء الحكم الفاطمي وبنى زيري فمن تلك المدن "سوسة" فقد تنوعت بها ما بين منسوجات وملابس وعمائم فهي إحدى الصناعات الشعبية التي يمتنها عدد كبير من الناس، لذا كانت سوسة تختص بكثرة الأمتعة، وجودة الثياب بها وقصارتها، وكانت جميع الثياب الرفيعة من طرزها وكمدتها، ولا يصنع ببلد مثل صنعته بهذه المدينة فكانت ثيابها معلومة معروفة للجميع لا يوجد لها نظير تتميز ببياضها الرائق، ومصيصها الذي لا يوجد في غيرها، لذلك حرص التجار على شراء وجلب صناعاتها مثل الثياب وعمائم المعصور التي كانت تباع الواحدة منها بمائة دينار وكان التجار يحملونه إلى جميع البلاد شرقاً وغرباً، ويبيع بها الغزل المتقال بمقاليين (١) وكانت الصناعة بها تلاقى عناية خاصة وتشجيع من جانب حكام بنى زيري مثل باديس (٢) والمعز (٣).

ومثلت دور الطراز بمدينة سوسة، أحداًهم الدور في إفريقية. فكانت على درجة عالية من الرقي والتقدم وكان عمالها على درجة عالية من حسن الصنعة والجودة، مما جعلها مقصداً لغيرها من دور الطراز الأخرى، فكانت تستقبل الثياب لكي تقصر بها (٤) ولم يقتصر الأمر على المدن والمراكز الكبرى في إفريقية لكي يكون لها قصب السبق في تلك الصناعة، بل

-
- (١) مجهول : الاستبصار ، ص ٩ . أبو الفدا : تقويم البلدان ، ص ١٤٥ .
- (٢) باديس : أبو مناد باديس المنصور بن بلكين ، وللمدينة أشير سنة (٣٧٤هـ / ٩٨٦م) ، ولي إفريقية عقب وفاة أبيه المنصور سنة (٣٨٦هـ / ٩٩٨م) ، كان ملكاً حازماً شديد البأس ، لقبه الخليفة الفاطمي الحاكم بأمر الله بلقب نصير الدولة ، وتبادل معه الهدايا والسفارات ، مثل عهده فترة اضطراب وحروب بينه وبين أعدائه ، لكنه كان ذا حنكة سياسية وعسكرية جعلته يتمكن من الانتصار على جميع الثورات والفتن التي قامت في عهده ، اشتهر بالجود والكرم والعفو وكان محبوباً من جيشه، مات بمدينة المسيلة (المحمدية) سنة (٤٠٦هـ / ١٠١٨م) أثناء محاربته لقبيلة زناته البربرية . انظر : ابن خلكان : وفيات الأعيان ، ج ١ ، ص ٢٦٥-٢٦٦ . ابن عزرى : البيان ، ج ١ ، ص ٢٤٧-٢٦٧ . ابن كثير (عماد الدين أبو الفدا إسماعيل الدمشقي) : البدايات والنهاية ، تحقيق مكتب التراث ودار إحياء التراث العربى ، مؤسسة التاريخ العربى ، بيروت (د.ت)، ج ١٢ ، ص ٦ . ابن خلدون : العبر ، ج ٦ ، ص ١٥٧-١٥٨ . ابن أبي دينار : المؤنس ، ص ٧٨-٨٠ . الباجي المسعودي : الخلاصة النقية ، نسخة بدار الكتب المصرية تحت رمز (تاريخ) رقم ١٥٦١ ، ١٦٥٤ ، تونس ، ص ٤٦ . أحمد بن أبي البيار : اتحاف أهل الزمان بأخبار ملوك تونس وعهد الأمين ، تحقيق لجنة من كتابة الدولة للشئون الثقافية والأخبار ، نشر كتاب الدولة للشئون الثقافية والأخبار ، تونس ١٩٦٣ ، ص ١٣٤-١٣٧ .

(٣) أحمد بن عامر ، الدولة الصنهاجية ص ٦٩ .

(٤) البكرى : المغرب ، ص ٣٦ ، جورج مارسيه : بلاد المغرب ، ص ٢٠٧ .

نافست بعض المدن الصغيرة أيضاً وحازت صناعتها النسيجية الاحترام من قبل المشتريين لها بل صار ما تقوم بانتاجه يحمل إسمها ويجد طريقه للتصدير للخارج مثل، الكساء الطراقي الذي تنتجه دور الطراز بمدينة طراق الواقعة في نطاق مدينة ققصه. (١) كما برزت مدينة صفاقس وارتقت بها الصناعات النسيجية ، حتى تبوأ مكانة عالية مرموقة ليس داخل إفريقية فقط بل على المستوى الدولي ونافست غيرها من المدن ذات الشهرة العريقة عالمياً مثل مدينة الاسكندرية وتفوقت عليها. (٢) وكانت مدينة تونس ، من بين المدن ذات الصيت في صناعة النسيج واشتهرت بنوع خاص بها تتم صناعاته من الكتان أو من الكتان والصوف معاً ، ويطلق عليه إسم القماش الأفريقي ، ضاهى في المتانة والحسن ما يصنع في بغداد وأقبل الناس على شرائه فكانت منه جل كساوى أهل المغرب. (٣) وكانت الأقمشة المصنوعة من الصوف بها تسمى الملف وله سوق "الملافين" وصانعه يسمى بالملاف " (٤) .

واشتهرت مدينة طرابلس بصناعة النسيج ذا الألوان المختلفة فكان بها كثير من الصوف المرتفع وطيقان الأكسيه الفاخرة الزرق ، والكحل ، النفوسيه والسود والبيض، الثمينه (٥) واشتهرت أيضاً مدينة قفصة بالأردية ، والطيايس والعمائم المصنوعة من الصوف ، تتميز بالركة المتناهية وتضاهى ثياب الشرب (٦) وكانت مدينة قابس ، من أبرز مدن إفريقية بصناعاتها الحريرية والصوفية ، فكانت الأقمشة الحريرية بها مضرب الامثال في الجودة ، والمتانة ، والجمال والحسن ، واحتكرت هذه الصناعة على مستوى إقليم إفريقية وكان حريرها أطيب الحرير وأرقه وليس في عمل إفريقية حرير إلا في قابس. (٧) ولم تقتصر شهرتها على الاقمشة الحريرية بل إمتازت بصناعاتها الصوفية فكان بها جهاز من الصوف كثير. (٨) وكان الحرير مفضلاً على غيره في عمل الجيب القبطنه ذات الصنعة الرائعة وبلغ صانعوا الحرير

-
- (١) نفس المصدر : ص ٤٧ ، أرشيبالد : القوى البحرية ، ص ٣٢٩ .
 (٢) الحميري : الروض المعطار ، ص ٣٦٦ ، أرشبالد : القوى البحرية ، ص ٣٢٩ .
 (٣) القلقشندي : صبح الأعشى ، ج ٥ ص ١٠٢ .
 (٤) عثمان الكعاك : الحضارة العربية ، ص ٧٣ .
 (٥) ابن حوقل : صورة الأرض ،
 (٦) مجهول : الاستبصار ، ص ٤٠ ، الحميري : الروض المعطار ، ص ٤٥٠ .
 (٧) البكري : المغرب ، ص ١٧ ، الحميري : الروض ، ص ٤٥٠ ، أحمد ابن عامر : الدولة الصنهاجية، ص ١٧ .
 (٨) ابن حوقل : صورة الارض ، ص ٧٢ .

درجة عالية من حسن الصنعة والالتقان ، حتى كانت تتم صناعة قطع من الحرير لا يتجاوز طولها خمسة عشر سنتيمتر ووزنها يتراوح ما بين ستين إلى سبعين جرام^(١).

ومما يجدر ذكره أن صناعة النسيج لم تقتصر على المدن الساحلية بل وجدت طريقها إلى الجنوب حيث بلاد الجريد فانتشرت بمدنه دور الطراز ونشطت هناك صناعة الثياب والأقمشة المتميزة . ومن المدن التي اشتهرت في تلك المنطقة مدينة صغيرة تدعى طره حيث بلغت بها الأقمشة الصوفية درجة عالية من التميز، وكانت تصدر إنتاجها إلى مدينة الاسكندرية^(٢) .

وفي آخر حدوده الجريد برزت مدينة "درجين" التي اتخذت من دور الطراز بمدينة سجلماسة ، مثلاً يحتذى به ، فكانت تقوم بإنتاج الأنسجة المشابهة لما تقوم بإنتاجه دور الطراز بسجلماسة^(٣) . واشتهرت مدينة "أجدابية" بصناعتها الصوفية ، وصدرت إنتاجها من الأكسية المقاربة وشقة الصوف الغريبة الأمر^(٤) ومن المدن التي اشتهرت بصناعة الأقمشة التي حازت الإعجاب لحسن صنعتها وجودتها مدينة القلعة فكان يصنع بها أنواع من الأكسية لا مثيل لها في الجودة والرقعة إلا ما تتم صناعته بمدينة وجدة وكان ثمن الكساء المصنوع بمدينة القلعة يباع بما يزيد على ثلاثين دينار^(٥) . ونافست مدينة بجاية أيضا بصناعتها النسيجية المتميزة غيرها من مدن إفريقية ، خاصة فيما يتمثل بصناعة العمائم . المحلاه بالذهب ، والتي تشبه في حسن صنعتها التيجان ويقبل على شرائها الملوك والسلاطين وكان ثمن الواحدة منها يتراوح ما بين خمسمائة إلى ستمائة دينار^(٦) .

وهكذا لاقت دورا لطراز عناية كبيرة من جانب الخلفاء الفاطميين ، ومن بعدهم بنى زيري فكانوا يقومون بتطريز أقمشتهم والبنود الخاصة بهم بآيات القرآن الكريم^(٧) .

-
- (١) حسنى عبدالوهاب : بساط العقيق ، ص ٣٤ .
 - (٢) أبو الفدا : تقويم البلدان ، ص ١٤٧ ، القلقشندي : صبح الاعشى ، ج ٥ ص ١٠٨ .
 - (٣) مجهول : الاستبصار ، ص ٤٦ .
 - (٤) ابن حوقل : صورة الأرض ، ص ٧٠ .
 - (٥) الحميري : الروض المعطار ، ص ٤٧٠ .
 - (٦) مجهول : الاستبصار ، ص ٢٠ .
 - (٧) ابن عزاري : البيان ، ج ١ ، ص ١٥١ . كان طراز السكة الفاطمية في عهد أبو عبدالله (الحمد لله رب العالمين) (سورة الفاتحة : آية ٢) ، وكان نقش خاتمه (فتوكل على الله إنك على الحق المبين . سورة النمل : آية ٧٩) ، وفي الخاتم الذى يطبع به السجلات (وتمت كلمة ربك صدقا وعدلا لا مبدل لكلماته وهو السميع العليم . سورة الأنعام ، آية ١١٥) ، كما رسم في أفخاذ الإبل عبارة (الملك لله) وفي البنود (سيهزم الجمع ويولون الدبر) ، سورة القمر آية ٤٥ . (وقل جاء الحق وزهق الباطل إن الباطل كان زهوقا ، سورة الإسراء آية ٨١) .

والعبارات الدينية التي تظهر الشعائر الخاصة بالمذهب الشيعي. ^(١) كما كانت الزخارف التي سادت الاقمشة الفاطمية تتألف من أشرطة من الكتابة ، توازيها أشرطة أخرى من أشكال سداسيه ، أو معينة أو بيضيه ، وفي وسط كل شكل رسم طائر أو حيوان ، أو أكثر في أوضاع متقابلة ، أو متدايرة ، ثم زينت قوائم الحروف بفروع نباتيه دقيقة ، وكانت الكتابة أحيانا مجرد مقاطع مكرره للغرض الزخرفي ^(٢) .

كما شاع استخدام معدني الذهب والفضة في التطريز مثل البنود والمنجنيقات فقد أرسل الخليفة الظاهر (٤١١-٤٢٧هـ) (١٠٢٣-١٠٣٩م) سنة ٤١٤هـ إلى المعز بن باديس (٤٠٦-٤٥٣هـ/١٠١٨-١٠٦٥م) والى إفريقية هدية ، وكان من ضمن ما اشتملت عليه منجوقين منسوجين بالذهب على قصب فضه مداخل إفريقية مثلها قط وعشرين بنداً مذهبه ومفضضه. ^(٣) ومثل تغيير الطراز إحدى علامات الخروج على الدولة والسلطة والمعاداة لها مثلما فعل المعز بن باديس سنة ٤٤٣هـ ١٠٥٥م وقام بتغيير الطراز الفاطمي بالطراز العباسي. ^(٤) وهكذا برزت صناعة النسيج ودور الطراز في جميع نواحي إفريقية وكان لكل مدينة منها طراز خاص بها يحمل اسمها وتعرف به بين المدن مثل مدينة سوسة التي اشتهرت عدا ما ذكرناه ، بصناعة نوع من الثياب يستخرج من نباتات بحرية تشبه البصل وتنمو في مياهها حيث يتم استخراجها وتعريضه لاشعة الشمس حتى يجف وتتفتح - مثل القطن - ويستخرج ما بها من وبر ويغزل بعد تجميعه ثم يمشط ويعمل منه طعمه لقيام الحرير وتنسج منه الثياب ويطلقون عليه اسم صوف السمك. ^(٥) وأبدعت دور الطراز في أنواع الصناعات المنتجة من الثياب فكان منها القمصان، والأردية الخارجية ، وشيلان النطق والاحزمة والعمائم التي كانت تحلى بأشرطة الحرير السميك المشغول بالابرة بصورة متقنة تعبر عن الدقة. ^(٦) وكان ديوان الخزانة - المالية وهو المسئول عن تحديد نفقات ما يتم صناعته في دور الطراز من الأموال والذهب وذلك عن طريق تذكرة ترسل إلى ناظر الطراز. ^(٧) وكان للنساء دور هام

(١) محمد محمود إدريس : دراسات في التاريخ والحضارة الإسلامية ، ص ٣٢ .

(٢) أبو صالح الألفي : الفن الإسلامي ، ص ٢٩٤ ، حسن الباشا : فنون التصوير الإسلامي في مصر ، الهيئة المصرية العامة للكتاب ١٩٩٤م ، ص ٦٤ .

(٣) ابن عزاري : البيان جـ ١ ، ص ٢٧١ .

(٤) نفس المصدر : ص ٢٨٠ ، أحمد ابن عامر : الدولة الصنهاجية ، ص ٣٢ .

(٥) القلقشندي : صبح الاعشى ، جـ ٥ ، ص ١٠٤ .

(٦) كونل : الفن الإسلامي ، ص ٥٢ .

(٧) ابن مماتي : قوانين الدواوين ، ص ٣٣٠ .

بارز في صناعة الغزل والنسيج ، حيث انتشرت الأنوال - المغازل - بمنازل أهالي إفريقية وكان عائدها يمثل أحد الدخول الهامة التي تعتمد عليه الأسرة في معيشتها (١) .

صناعة الخمور والمربات والاشربة :

من الصناعات الهامة التي انتشرت داخل إقليم إفريقية ، وقامت على المواد الأولية الزراعية المتوفرة مثل الفاكهة المتنوعة من الكروم ، والتين ، والتفاح - الخ... ومن مناطق الصناعة مدينة مرسى الخرز ، حيث تم تصنيع النبيذ بها من العسل ، ومن نبات الذره ولاقت هذه المنتجات رواجاً كبيراً داخل تلك المدينة لمركزها التجارى العالمى وكثرة تجارها من مختلف الجنسيات وكان النبيذ المصنع من العسل يتم عمله في نفس اليوم ويلقى إقبالاً عظيماً من الاهالى لانه يسكرهم الاسكار العظيم غير أنه يحدث نوعاً من الصداق لشاربه لا تحدثه الانواع الاخرى. (٢) كما انتشرت تلك الصناعة بمدن رقادة والقيروان أيضاً (٣) .

صناعة الزيوت والسمن :

انتشرت هذه الصناعة في قرى ، ومدن إفريقية ، لتوافر الثروة الحيوانية المتنوعة والضخمة كالابقار ، والاغنام ، والماعر ، والابل ، إلى جانب النباتات الزيتية الذى احتل الزيتون المكان الأول فيها فكانت تتم زراعته في مساحات شاسعة وبمناطق عدة وكان بكل قرية معصرة للزيتون. (٤) ومن أشهر المدن في هذه الصناعة تأتي مدينة صفاقس التي تعتمد عليها إفريقية في سد حاجتها من هذه الصناعة ، إلى جانب تصدير كميات كبيرة منها إلى مصر والمغرب وصقلية والشام (٥) .

وبلغ من كثرته أن الدينار كان يشتري ما بين ستين إلى مائة قفيز من الزيت، حسب كمية المحصول المنتج (٦) كما كانت مدينة طرناسه عاصمة إقليم قبيشه كثيرة الزيتون (٧) .

(١) عياض موسى اليحصبي : ترتيب المدارك وتقريب المسالك ، مخطوط بدار الكتب المصرية رمز ح رقم ٩٦٧٣ ، جـ ٢ ، ص ٢٤٥ .

(٢) ابن حوقل : صورة الأرض ، ص ٢٧ .

(٣) البكرى : المغرب ، ص ٢٧ ، ابن عذارى : البيان ، جـ ١ ، ص ١٧٣ .

(٤) جورج مارسية : بلاد المغرب ، ص ٨٩ .

(٥) البكرى : المغرب ، ص ٢٠ عبدالعزيز سالم ، احمد مختار العبادى : تاريخ البحرية الإسلامية في

حوض البحر الأبيض المتوسط ، البحرية الإسلامية في المغرب والاندلس ، مؤسسة شباب الجامعة

، القاهرة ١٩٩٣ ، جـ ٢ ، ص ٦٢ . أحمد ابن عامر : الدولة الصنهاجية ، ص ٦٩ .

(٦) ابن حوقل : صورة الأرض ، ص ٧٣ .

(٧) المقدسى : أحسن التقاسيم ، ص ٢٢٧ .

كما كان هناك نوع من الزيت يستخرج من زهر البنفسج، ويطلق عليه دهن البنفسج اشتهرت به مدينة قفصة وكانت تقوم بتصديره إلى غيرها من المدن (١) .

أما مدينة حامة مطماطه ، بإقليم قسطليليه (الجريد) فكانت معاصرها تنتج نوع من الزيت يستخرج من العنب ويستخدم في إنارة المصابيح (٢) .

كما وجدت صناعة السمن ، من البان الحيوانات خاصة المدن التي تشتهر بثروتها الحيوانية الكبيرة مثل مدينة يونه والتي كان البقر أكثر حيواناتها (٣) . كما اشتهرت قابس بصناعتها الزيتية وكان يجهز منها لغيرها (٤) .

وكانت مدينة تاهرت إحدى المراكز الهامة في صناعة السمن ، لغزارة ماشيتهم وكان كثيراً عندهم (٥) وأستخدمت أنواع الحيتان في أستخراج الزيوت والشحوم منها في المدن الساحلية التي تشتهر بكثرة الصيد مثل تونس ، وبنزرت ، وبونة ، وكان الناس يستخدمونه في مصائبهم (٦) .

كما قامت تونس بتصدير السمن إلى غيرها من المدن مثل القيروان. (٧) وكان يطلق على أحدايرجها إسم الدهان (٨) ولم تقتصر المحلات على بيع السمن والزيت فقط بل كانت تقوم ببيع كل ما يحتاجه المنزل مثل اللبن ، والجبن والمخلل ، وعسل النحل ، والزبيب، وغير ذلك ويخضع أصحاب هذه الحرفة لمراقبة المحتسب لكثرة غشوشاتهم (٩) .

صناعة الحلوى :

تعتبر الحلوى من الصناعات المتعددة الأنواع والأجناس والتي لا يمكن ضبطها بصفة ولاعبار اخلاطها مثل اللوز ، والنشا ، والخشخاش (١٠) ولقد انتشرت هذه الصناعة في إفريقية

(١) القلقشندی : صبح الاعشى ، ج ٥ ، ١٠٧ .

(٢) مجهول : الاستبصار ، ص ٤٤ .

(٣) ابن حوقل : صورة الأرض ، ص ٧٧ .

(٤) الحميرى : الروض المعطار ، ص ٤٥٠ .

(٥) المصدر السابق ، ص ٨٦ .

(٦) مجهول : الاستبصار ، ص ١٧ .

(٧) ابن حوقل : صورة الأرض ، ص ٧٥ .

(٨) البكرى : المغرب ص ٣٠ .

(٩) الشيزرى : نهاية الرتبة ، ص ٥٨ ومابعدا .

(١٠) نفس المصدر ، ص ٤٠ .

لتوفر عناصر قيامها مثل العسل. المستخرج من النحل، والعسل الاسود المستخرج من القصب والتي تشتهر بزراعته قسطنطينية^(١) وقابس^(٢) وسجلماصة^(٣).

وكان العسل متوفرا بكثرة في مدينة بونة^(٤) كما تميزت مدينة جلولا بصناعة الحلوى الطيبة لكثرة عسلها وطيبه الذي يضرب به المثل^(٥) ولم تقتصر صناعة الحلوى على العسل فقط بل كان يتم استخدام عصارة البلح أيضا في صناعة الحلوى في بعض مدن إفريقية مثل قفصة^(٦) ولقد أفرد الشيزري فصلاً بأنواع الحلاوات وكيفية صناعتها وأنواع الغش الموجود بها، وكيفية إظهاره ومراقبة المحتسب لهم^(٧).

صناعة العطور :

نشأة هذه الصناعة الهامة في إفريقية بفضل توفر عناصر نجاحها ممثلة في توافر النباتات والزراعات العطرية بكثرة داخل إقليم إفريقية وتعدد أصنافها إلى جانب تهافت الأغنياء، والحكام على شراء هذا المنتج مما أدى إلى رواجها. وصنعت أنواع كثيرة من العطور مثل المسك والكافور^(٨).

وقامت مصانع العطور في مدن إفريقية الصناعية والمراكز الهامة مثل قفصة وكان أفضل أنواع العطور بها عطر الورد الذي كان مأؤه اذكى ماء يكون للورد^(٩).

حتى المدن التي لم تكن تكفي النباتات العطرية بها، قامت باستيراد كميات كبيرة منه مما جاورها من مدن اشتهرت بزراعتها فكانت تونس تستورد الرياحين من مدن أبه والاريس ورقادة^(١٠).

(١) ابن حوقل : صورة الأرض ص ٩٢ .

(٢) البكري : المغرب ص ١٧ ، جورج مارسيه : بلاد المغرب ، ص ٢٠٦ .

(٣) ابن حوقل : صورة الأرض ، ص ٩٠ .

(٤) ابن حوقل : صورة الأرض ، ٧٧ . الحميري : الروض ، ص ١١٥ .

(٥) البكري : المغرب ، ص ٣٢ .

(٦) مجهول : الاستبصار ، ص ٤٠ .

(٧) الشيزري : نهاية الرتبة ، ص ٤٠ - ٤١ .

(٨) ابن أبي دينار : المؤنس ، ص ٨١ .

(٩) مجهول : الاستبصار ، ص ٤٠ .

(١٠) البكري : المغرب ، ص ٥٢، ٥٣ .

صناعة الخزف والزجاج^(١) :

نشأت هذه الصناعة داخل إقليم إفريقية ، ويرجع الفضل في قيامها إلى المشرق الإسلامي^(٢) كما ساعد توفر المادة الخام على نموها وازدهارها في كثير من المدن مثل مدينة القيروان فكان بها حي (سوق) خاص لأصحاب تلك الصناعة .^(٣) تصنع به التحف ذات الألوان المختلفة والنقود والأوزان .^(٤) ولم تقتصر هذه الصناعة على القيروان فقط بل وجدت طريقها إلى بلاد الجريد خاصة مدينة طرا حيث نشأت بها الصناعات الزجاجية المتقدمة ويصنع بها الزجاج الصافي^(٥) ومثلت تونس أحد المراكز الهامة في صناعة الخزف والزجاج ، مثل أنية الماء الخزفية التي عرفت باسم الريحية وهي شديدة البياض في نهاية الرقة يكاد الناظر لها أن يرى ما بداخلها ولم يكن لها نظير في جميع الاقطار وعامة الامصار^(٦) كما اشتهرت مدينة قفصة بتلك الصناعة فكان يصنع بها زجاج حسن وأوان عجيبة^(٧) كما صنعت بها أدوات فخارية استخدمت في حفظ التمور^(٨) وقام الصناع بتهديب وتقطيع القطع الكبيرة الخشنة من الزجاج أو غير المكتملة أو المستوية، بأدوات حديدية ساخنة ونظموها في أشكال محددة داخل

(١) الزجاج : ذكره الله تعالى في كتابه العزيز وعنى أشف أنواعه وأصفاها في قوله تعالى " مثل نوره كمشكاة فيها مصباح المصباح في زجاجة كأنها كوكب دري " سورة النور آية رقم ٣٥ وقوله تعالى " فلما رآته حسبته لجة وكشفت عن ساقها قال أنه صرح ممرد من قوارير " سورة النمل آية ٤٤ وقالوا أنه أول زجاج ظهر في الدنيا ونسبوا عمله إلى الشياطين وأرخ الفرس أول ظهوره بأيام افريدون . وهو بالرومية ايوى لوسيس . وبالسريانية زغزونا ، وكان الزجاج معربا وهو مسبوك من الحجر المعروف لعمله أو من رمل يجتمع مع الغلى ويدام إيقاد النار عليه أياما يجتمع بكثرتها ويتصفي ، ويزداد صلابه .. وقد يتلون الزجاج في الذوب بصنوف ألوان منها ما يبقى معه فيضم كالسواد والبياض . وما استولى فيه البياض كالفيروزجية والمقصود من أوانيه هو الشفاف الصادق ليرى من خارجها ما في أجوافها وقيل بفلسطين نبات يسمى حشيشة الزجاج لأنها تجلو . الأوساخ التي فيه اذا خضضت بالماء في جوفه ، وقيل بقرية فهرود من قرى قاشان باصبهان نبات ينبسط على الأرض ثم يستحجر زجاجا ابيض براقا ... ويستعمله أهل تلك النواحي في ألوان من الادويه ، البيروني : كتاب الجماهر ، ص ٢٢١ - ٢٢٤ .

(٢) ويل ديورنت : قصة الحضارة المجلد الرابع ، جـ ٢ ، ص ٢٥٠ . ابوصالح : الفن الإسلامي ، ص ٢٧٦-٢٧٧ .

(٣) جورج مارسية : بلاد المغرب ، ص ٩٢ .

(٤) حسن عبدالوهاب : بساط العقيق ، ص ٣٦ .

(٥) القلقشندي : صبح الاعشى ، جـ ٥ ، ص ١٠٨ .

(٦) البكري : المغرب ، ص ٤٠-٤١ .

(٧) مجهول : الاستبصار ، ص ٤٠ .

(٨) الحميري : الروض المعطار ، ص ٤٦٩ .

نماذج معدة لذلك ثم يثبتوها داخل إطارات صنعت من الرصاص ومقواه بالحديد.^(١) وكان لظهور العطارين وانفصال الصيدله عن الطب الفضل في كثرة صناعة القوارير وظهور الشمسيات أو القمريات وهي كوى في الجدران وطنبور القباب مسدود بالجص المفرغ المشغول المرصع بفصوص الزجاج المختلفة الألوان والأشكال التي تتصور منها صور هندسية ونباتية وحيوانية لا تدخل تحت حصر . وامتاز الزجاج بإفريقية بالزخرفة المنقوشة والمحتشآت وهي سلوك من زجاج تلصق بجوانب الأنية وتتخذ منها زخارف هندسية لا تدخل تحت حصر أيضا استعمال لفيسفساء الزجاج أو فصوص الزجاج في الشمسيات والثريات وتبليط أرضية البيوت والشوارع بطبقة زجاجية مختمة ومزخرفة " أرضية المنصورية قرب القيروان " ومن إفريقية انتشر لغيرها.^(٢) ويمثل الخزف أهم الفنون التطبيقية الإسلامية ذات القيمة الأثرية الكبيرة فهو يمتاز بالرخص والكثرة وسهولة الاستعمال، وسرعة التلف، وعدم صياغته مرة أخرى ، ويمكن الاستغناء عنه بمجرد تلفه وغير ذلك من الاستخدامات^(٣) .

ويرجع الفضل إلى المسلمين ، في نماء وتطور هذه الصناعة بإفريقية ، ووصولها إلى درجة عالية من الجودة والإتقان خاصة وأنهم أدخلوا أنواعاً جديدة من الخزف المطلي، والخزف ذو البريق المعدني ، الذي لم يكن يصنع بإفريقية قبل وجود المسلمين بها^(٤).

وبلغ الخزف ذو البريق المعدني في عصر الفاطميين مستوى عالياً من جودة الصناعة والاسلوب الفني^(٥) ويعود الفضل الأكبر في تطور هذه الصناعة إلى التعاليم الإسلامية التي حرمت استخدام أواني الطعام والشراب التي تصنع من المعادن النفيسة مثل الذهب والفضة مما جعل المسلمون يلجأون إلى عناصر أخرى غير محرمة ومتواجدة في نفس الوقت بكثرة فكان لجوءهم إلى الخزف ذو البريق المعدني Lustered Pottery مكانها والتي أبدع فيها المسلمون أيما إبداع ويشهد على ذلك البقايا الموجودة منها^(٦) وكانت النقوش المستخدمة في هذا الخزف

(١) ج. كرمب وأ. جاكوب : تراث العصور الوسطى، ترجمة محمد بدران ، محمد مصطفى زياده :

مؤسسة سجل العرب القاهرة ، ١٩٦٥ . ج١ ، ص ٢٠٧ .

(٢) عثمان الكعاك : الحضارة العربية ، ص ٨٣-٨٤ .

(٣) حسن الباشا : دراسات في الحضارة الإسلامية ، ص ١٦٧ .

(٤) جورج مارسية : بلاد المغرب، ٩٢-٩٣ ، موجز دائرة المعارف الإسلامية ، ج١٥ ، ص ٤٦٤٩ .

(٥) حسن الباشا : فنون التصوير ، ص ٥٨ . كونل : الفن الإسلامي ، ص ٥٠ .

(٦) سعيد عبدالفتاح عاشور : المدينة الإسلامية وأثرها في الحضارة الأوربية ، دار النهضة العربية ،

القاهرة ١٩٦٣م ص ١٨٨ واختلفت الآراء حول نسبة هذا النوع من الخزف ذو البريق المعدني إلى

دولة محدده وان كانت تتفق معظم الآراء على نسبته إلى المشرق الإسلامي فهناك رأي ينسب هذا

يتم رسمها بأكسيد معدني على طبقة من الطين المزجج ثم يعرض الاناء بعد ذلك إلى نار ثانية مدخنة مكتومة تقوم بتحويل الصبغة إلى طبقة معدنية رقيقة وتكسب الطلاء بريقاً متعدد الألوان وبهذه الطريقة أخرج الصناع أواني ذات لون واحد جميل وأخرى متعددة الألوان منها خضراء ذهبية وبنية داكنة وصفراء وحمراء وتترج بها الألوان تدرجاً متناسقاً لا يكاد يحسه الإنسان ولا تقل عن المائه عدداً^(١) واستخدم في نقش الفخار وزخرفته الحفر والزخارف المجسمة (الباربوتين) والطبع بالختم أو بالقوالب وهي إحدى الصناعات التي تتعدد بها التخصصات والحرفيين ولكل منهم عمل مستقل ويكمل عمل الآخر بصورة متقنة.^(٢) وانقسمت الصناعة الخزفية لدى الفاطميين إلى نوعين أولهما يمثل حياة البلاط والحاشية والأثرياء ومسراتهم من رقص، وعزف، وشرب، وصيد، والثاني يمثل الطبقة العامة للشعب بكل ما تمثله حياتهم العامة^(٣).

كما كانت الرسوم على الخزف ذي البريق المعدني، تتكون من زخارف نباتية، وهندسية وكتابات عربية إلى جانب صور الكائنات الحية التي كثر تمثيلها في هذا العصر^(٤) وكان ظهور هذا النوع من الخزف في العصر العباسي، وانتشرت هذه الصناعة في عدد من المراكز الإسلامية مثل مصر، وإيران، والرى وسوسة، والاندلس.^(٥) ومن المناطق ذات الشهرة في صناعة الخزف ذي البريق المعدني بإفريقية مدينة القيروان وجزيرة جربة.^(٦) وتميزت صناعات القيروان سواء الزجاجية أو الخزفية المطلية بالمينا بالرقى والجودة^(٧).

وتمت صناعة بلاط من الخزف ذي البريق المعدني، استخدمت في تزيين محراب مسجد القيروان^(٨) وكان اللجوء إلى استخدام الصناعات الزجاجية الملونة هو الرغبة في أحداث نوع

النوع من الخزف إلى إيران وآخر إلى مصر وآخر إلى العراق الذي قيل أنه أنتقل منها إلى مصر أثناء حكم الطولونيين، ذكي محمد حسن: كنوز الفاطميين، ص ١٤٨.

(١) ويل ديورنت: قصة الحضارة المجلد الرابع، ج ٢، ص ٢٤٩ - ٢٥٠، عاشور: المدينة الإسلامية، ص ١٨٨.

(٢) حسن الباشا: دراسات في الحضارة، ص ١٧٠، موجز دائرة المعارف ج ١٥، ص ٦٥٠.

(٣) حسن الباشا، فنون التصوير، ص ٦٠.

(٤) نفس المرجع، ص ٥٩.

(٥) أبوصالح: الفن الإسلامي، ص ٢٦٩ - ص ٢٧٠.

(٦) حسن عبدالوهاب: بساط العقيق، ص ٣٦.

(٧) ارشيبالد لويس: القوى البحرية، ص ٢٥٣.

(٨) أبو صالح: الفن الإسلامي، ص ٢٧٠.

من اشكال الجمال ، وملء الفراغات داخل النوافذ ، وإشاعة جو من الضوء والدفء. ^(١) ولم يقتصر الأمر فى صناعة الفخار، على نوع واحد فقط : بل تعددت الأنواع مثل القاشانى، والفسيفساء الخزفية ، وهى تختلف عن بعضها البعض من حيث الطينة أو العجينة المستعملة ومن حيث التشكيل، ^(٢) وتعتمد الفسيفساء الخزفية على تركيب عدد من القطع المختلفة فى الحجم والشكل صغيرة مقطعة من الواح كبيرة من الخزف المدهون ثم يتم تجميعها معاً مع مراعاة تناسق الألوان طبقاً لنظام محدد يحقق الوصول إلى صورة معينة أو تكوين زخرفى خاص ثم تثبت بعد ذلك عن طريق ملاط يصب عليها من الخلف ^(٣) .

صناعة استخراج الملح :

ومن الصناعات الشهيرة ، أستخراج الأملاح من الملاحات الكثيرة مثل مدينة تونس التى صدرت انتاجها لغيرها من المدن. ^(٤) وملاحتها من اكبر الملاحات حيث تبلغ مساحتها ٢٤ ميلاً ^(٥) . كما اشتهرت بسكرة أيضاً بملحها المستخرج من جبلها ، حيث يعد من أحسن الانواع فى إفريقية وكانت قطع الملح المستخدمة منه كقطع الصخر الجليل وهو من الانواع التى كان يفضلها الخليفة الفاطمى عبيدالله (٢٩٧-٣٢٢هـ/٩٠٩-٩٣٤م) وبنوه وكانوا يستعملونه فى أطعمتهم ^(٦) وانتشرت مصانع أستخراج الملح بالمنستير وكانت السفن تقوم بشحنه وتصديره إلى مختلف البلاد ^(٧) .

وكانت بلاد السودان، أهم المناطق التى تقوم باستيراد الملح من إفريقية ، لقلته بها ، وكان من اعلى السلع ، فكان حمل الجمل يباع ما بين مائتين إلى ثلاثمائة دينار ^(٨) .

(١) كرمب وجاكوب : تراث العصور الوسطى ، ج١ ، ص ٢٠٦ .

(٢) عطيه القوصى : الحضارة الإسلامية ، ص ١٧٠ ، موجز دائرة المعارف ، ج١٥ ، ٤٦٥٠ .

(٣) أبو صالح : الفن الإسلامى ، ص ٢٧٣ .

(٤) البكرى : المغرب ، ص ٤٠ . ارشيبالد : القوى البحرية ، ص ٣٣٠ .

(٥) أبو الفدا : تقويم البلدان ، ص ١٤٣ .

(٦) البكرى : المغرب ، ص ٥٢ .

(٧) نفس المصدر ، ص ٣٦ .

(٨) ابن حوقل : صورة الأرض ، ص ٩٨ .

دور صناعة السفن :

من أكثر المنشآت التي حظيت باهتمام كبير من جانب الفاطميين ،وبنى زيرى ،ولقد بدأت هذه الصناعة فى عهد بن أميه حين أمر عبدالملك بنى مروان. (١) ٦٥ - ٨٦هـ — ٦٧٧-٦٩٨م أخيه عبدالعزيز والى مصر بإمداد حسان بن النعمان (٢) .

والى إفريقية بألف أسرة قبطية من مصر ، لإنشاء دار الصناعة بتونس وهى أول دار صناعة يقيمها المسلمون ، وأن يقوم البربر بتقطيع وجلب الاخشاب اليها ،ليكون ذلك جاريا عليهم لأخر الدهر (٣) .

وكان سبب اختيار الخليفة الأموى لصناع مصر هى أن مصر من البلاد الساحلية والتي مرن أهلها على ركوب البحر منذ القدم ، إلى جانب أن مصر حتى عام ٤٩ هـ - ٦٦١م كانت المكان الوحيد الذى توجد به دار الصناعة السفن فى الدولة الإسلامية (٤) .

وكان الهدف من إنشاء دار الصناعة كما حدده الخليفة عبدالملك (٦٥-٨٦هـ/٦٧٧-٦٩٨م) هى أن تكون عدة وقوة للمسلمين إلى آخر الدهر ، أن تصنع بها المراكب ويجاهد الروم فى البر والبحر وأن يغار منها على ساحل الروم فيشتغلوا عن القيروان نظراً للمسلمين

(١) عبد الملك ابن مروان : ولد سنة ٢٦ هـ ويكنى أبا الوليد. وهو أول من تسمى بعبدالمك فى الإسلام بايع لنفسه بالخلافة فى الشام ووعد الناس خيراً ودعاهم إلى احياء الكتاب والسنة وأقامة العدل والحق، واشتهر بالصدق والفضل والعلم لا يختلف فى دينه أو ورعه ولم يختلف على بيعته احد من قریش أو الشام غير عمرو ابن سعيد الذى وعده عبدالملك أن يتولى الخلافة من بعده . وتولى الخلافة سنة ٦٥ هـ/٦٨٧م حتى سنة ٨٦ هـ/٦٩٨م ، وكان يلقب بابا الذبان أيضاً وقد شارك فى حملة معاوية ابن حديج على إفريقية وفتح مدينة جلولا واستطاع القضاء على خصومة خاصة عبدالله ابن الزبير كما قضى على حركات الخوارج والتوابين وقام بتوطيد الأمن وشجع الزراعة والتجارة وغرب الدواوين وقام بسك العملة الإسلامية على الطراز الإسلامى بعيداً عن التأثيرات الفارسية والبيزنطية وهو يعد المؤسس الثانى للدولة الأموية وأهتم بأمر إفريقية فأرسل زهير بن قيس البلوى عقب استشهاد عقبه ابن نافع وتوفى عبد الملك سنة ٨٦ هـ وله من العمر ٤٠ عاماً وقيل ٥٧ أو ٦١ أو ٦٤ عاماً . بن قتيبة الدينورى : الإمامة والسياسة ، ص ٢٣ - ٣٣ - ٣٥ - ٦٦ - ٦٨ . بن أبى الدم : التاريخ المظفرى ج١ ص ٢٣١ إلى ٢٥٥ . ابن عزارى : البيان ، ج١ ص ٣١ . ابن كثير : البداية والنهاية ، ج٨ ، ص ٢٨٦ ج٩ ، ص ٨٣ . محمد بن احمد بن اياس الحنفى : بدائع الزهور فى وقائع الدهور ، تحقيق محمد مرتضى ، الهيئة المصرية العامة للكتاب القاهرة ، ١٩٨٢ ، ج١ ، ص ١٢١ . السيوطى : تاريخ الخلفاء ، ص ١٩٠ - ١٩٧ . بن أبى دينار : المؤنس ، ص ٢٤ - ٢٥ . محمد ماهر حماده : الوثائق السياسية والإدارية العائدة للعصر الأموى ، ط ١ مؤسسة الرسالة . دار النفائس ، ١٩٧٤ ، ص ٥١ .

- Benard Lewis, The Arabs in History Hutchinsom university Library - Lodon Page 75.

(٢) ابن عزارى : البيان ج١ ، ص ٥١ . وابن أبى دينار : المؤنس ، ص ٦٠ ، أن الذى بناها هو عبيدالله بن الحبحاب الذى تولى إفريقية من ١١٦هـ إلى ١٢٣هـ .

(٣) البكرى : المغرب ، ص ٣٨ .

(٤) سيده إسماعيل الكاشف : الوليد بن عبدالملك ، وزارة الثقافة والارشاد القومى المؤسسة العامة للتأليف والطباعة والنشر القاهرة ١٩٦٢ ، ص ١٥٦ ، وما بعدها . ابن خلدون : المقدمة ، ص ١٧٦ .

وتحصينا لشأنهم^(١) وكان إنشاء هذه الدار من الأمور التي تحسب لعبد الملك بن مروان ، لنفاذ بصيرته وذلك لمواجهة إفريقية لبلاد الروم والفرنجة والقوط وغيرهم من الأمم التي كان لها باع طويل في الحروب البحرية وحثقهم في ركوب البحر ، فكان ساحل إفريقية دائم التعرض لغاراتهم^(٢) ولم تلبث أن انتشرت بعد ذلك دور صناعة السفن في مدن إفريقية الساحلية ومن أهم هذه الدور تلك التي أقيمت في مدينة المهديّة شرقى قصر غيبـد الله المهدي (٢٩٧-٣٢٢هـ/٩٠٩-٩٣٤م) وهي من اكبر دور صناعة السفن في إفريقية فكانت تسع اكثر من مائتى مركب بالاضافة إلى وجود مخزنين (قبوان) كبيرين طويلين تحفظ بهما الآلات والعدد الخاصة بالسفن لكيلا تتعرض للتلف من جراء تعرضها لاشعة الشمس والمطر.^(٣) وكان بمدينة مرسى الخرز دار أيضا تصنع بها المراكب لغزو بلاد الروم.^(٤) وأقيمت بمدينة سوسة دار لصناعة السفن^(٥) وكان لبعض المدن دوران لصناعة السفن مثل مدينة باجة^(٦) .

وأولى الفاطميون هذه الدور عناية خاصة . فكانت لها المخازن الخاصة بها والتي تحوى كل ما تحتاج إليه ، بالاضافة إلى تعيين الاشخاص الخاصين بشراء كل ما يلزم من حوائج الاسطول ، إلى جانب تعيين شخص قائم بذاته يطلق عليه متولى خزائن البحر.^(٧) وكان قائد الأسطول في عهد الفاطميين من أعلى الموظفين في الدولة فهي من مراتب الدولة وخطتها، ومروسة لصاحب السيف وتحت حكمه في كثير من الأحوال ويسمى صاحبها في عرفهم الملند^(٨) .

(١) البكرى : المغرب ، ص ٣٨ ابن خلدون : المقدمة ، ص ١٧٦ .

(٢) ابن خلدون : المقدمة ، ص ١٧٧ .

(٣) البكرى : المغرب ، ص ٣٠ .

(٤) نفس المصدر ، ص ٥٥ ، مجهول : الاستبصار ، ص ١٦ .

(٥) البكرى : المغرب ، ص ٣٤ .

(٦) مجهول : الاستبصار ، ص ٢٠ . وتعتبر مدينة باجة من المدن الكبيرة غزيرة المياه وهي مقامة

فوق جلب يسمى عين الشمس بها حصن قديم البناء يقال أنه من عهد عيسى عليه السلام وبها خمسة حمامات كما تشتهر بالتجارة ويوجد بها ثلاث رحاب لبيع الطعام وتكثر بها الامطار وتعد ارضها من أجود واخصب الأراضي الزراعية ، كما يكثر بها الإنتاج الزراعى بها قرى كثيرة وتشتهر بإنتاج القمح والسفرجل والعنب وأيضاً صيد الحيتان ، وكان الناس كثيراً ما يتنازعون في حكم باجة وذلك لغناها وهي تقع على الطريق من مدينة القيروان إلى طبرقة . انظر البكرى : المغرب ، ص ٥٦-

٥٧ .

(٧) جوذر : سيرة جوذر ، ١٠٢ .

(٨) ابن خلدون : المقدمة ، ص ١٧٦ .

وكان الفاطميون يواجهون أية تسببات من جانب قاده الأساطيل بالحزم والشده تصل أحيانا إلى القتل ^(١) وكان القائمون على الخزائن ، يعاملون معاملة كريمة حتى عند وفاتهم فحين مات أحمد بن محمد الطلاس وكان تحت إمره جوذر فى خزائن البحر أمر له بكفن مما يكفن به شيوخ الأولياء من كتامه ^(٢) ولم تقتصر دور الصناعة على مجرد دار إنشاء السفن الحربية وكانت تقوم بإنشاء السفن التجارية التى يمتلكها التجار سواء من الحكام ^(٣) أم الشعب مثل أهالى مدينة سوسة ^(٤) بالإضافة إلى إنشاء القوارب الصغيرة التى تستخدم فى عمليات الصيد أو استخراج المرجان ^(٥) وكانت دور صناعة السفن تعمل على إنشاء العدد والآلات والمعدات التى يحتاجها الاسطول والجيش مثل الخوذ المحلاة بالذهب والجواشن والسيوف والرماح والنبل وغير ذلك ^(٦) وكان العمال بهذه الدور يمثلون أمهر الصناع وأفضل العناصر . ولقد انتجت دور الصناعة أنواعا مختلفة من السفن منها الشوانى وهى أهم قطع الاسطول وأقدم السفن البحرية وهى حربية كبيرة بها الابراج العظيمة ومزودة بالعدد والآلات الحربية وأسلحة النفط .

ومنها الحراريق أو الحراقات وتعتبر أقل حجماً من سابقتها لكنها تجهز أيضاً بالآلات الحربية المختلفة وكان منها نوع مدنى يستخدمه الأمراء ورجال الدولة أثناء الاحتفالات البحرية والحفلات الرسمية ومنها أيضاً الطرادات أو الطرائد وهى حربية صغيرة الحجم سريعة تخصص لحمل الجنود والاعربة وهى نوع من الشوانى يشبه رأس الغراب ومنها القراقرى وهى سفن خاصة بالأمدادات والتزويد ومنها العشاريات والفلائك والقوارب والجمالات وهى من سفن التزويد والامداد والشلنديات وهى سفن مسطحة تستخدم فى حمل الجنود والاسلحة إلى جانب السفن الصغيرة مثل الكشير والشنات والسميريات التى تستخدم فى حمل الجنود والمؤن والحراسة ^(٧) .

-
- (١) المصدر السابق ، ص ١٠٣ .
 - (٢) نفس المصدر ، ص ١١٥ .
 - (٣) جوذر : سيرة جوذر ، ص ١١٦ ، ١٢٧ ، ١٣٦ .
 - (٤) الهادى ادريس : الدولة الصنهاجية جـ ١ ، ص ٢٦٤ .
 - (٥) ابن حوقل : صورة الأرض ، ص ٧٦-٧٧ .
 - (٦) القلقشندى : صبح الأعشى ، جـ ٣ ، ص ٤٧٣ .
 - (٧) عطيه مصطفى مشرفه : نظم الحكم بمصر فى عصر الفاطميين ٣٥٨١-٥٦٧هـ — ٩٦٨-١١٧١م المطبعة الأولى ، دار الفكر العربى ، مطبعة الاعتماد ، القاهرة ، ١٩٤٨م ، ص ١٨٣-١٨٤ .

كما قامت دور صناعة السفن بإفريقية خلال حكم بنى زيرى بصناعة الصنادل من القوارب وهى تستخدم فى السفر بين المدن (١) .

كما نشأت بإفريقية صناعة الصابون خلال عصرى الفاطميين وبنى زيرى وكانت مدينة القيروان إحدى المراكز الهامة فى هذه الصناعة . ومن إفريقية انتقل الى غيرها من الجزر (٢) .

(١) جونر : سيرة جونر ص ٩٨ .

(٢) عثمان الكعاك : الحضارة العربية ، ص ٨٥ .

الفصل الثانى

الفصل الثانى

مراكز التجارة فى إفريقيا

أ - أهم المراكز التجارية البحرية .

ب - أهم المراكز التجارية البرية .

- التجارة الداخلية :

أ - التجارة فى المدن .

ب - التجارة فى القرى .

- الطرق بين مراكز التجارة

أهم المراكز التجارية البحرية في إفريقيا :

احتل النشاط التجارى فى إفريقيا مكانة هامة مرموقة خلال فترة حكم الفاطميين ، ثم بنى زيرى من بعدهم ، وكان للعناية الكبرى من جانب الحكام هى البساعت الأول والسند الحقيقى لتبوأ هذا النشاط المكانة الأولى فى إفريقيا ، فما أن بسط الفاطميون سيطرتهم على الإقليم حتى أخذت أبصار الخليفة عبيد الله المهدي (٢٩٧-٣٢٢هـ / ٩٠٩ - ٩٣٤م) تتجه صوب ساحل البحر المتوسط ، وقام ببناء عاصمته الجديدة المهدية (٣٠٠هـ / ٩١٢م) مخالفاً بذلك القواعد والأسس التى كان المسلمون يعتمدون عليها فى بناء عواصمهم فى مناطق داخلية ، كالفسطاط بمصر ، والقيروان بإفريقية ، وكانت المهدية المدينة الإسلامية الأولى التى تنشأ على ساحل البحر المتوسط (١) .

وانخرط الحكام وأسرههم ومن انضم إليهم من حاشيتهم فى النشاط التجارى، وصارت لهم السفن التجارية التى تجوب البحار متقلة بالسلع والبضائع بين الموانى المختلفة ، سواء فى إفريقيا أم غيرها (٢) . ولم يتوان الفاطميون فى سبيل تأكيد سيطرتهم التجارية على تلك المنطقة الهامة فى غرب البحر المتوسط من استخدام القوة الحربية فى القضاء على منافسة كل من تسول له نفسه مزاحمتهم ، أو أخذ مكانتهم فى هذا المجال الهام، لاسيما من جانب المدن الإيطالية الواقعة على البحر التيرانى (٣) ومن دلائل زيادة هذا النشاط التجارى أن كثيراً من تجار المراكز التجارية بإفريقية كان يمتلك السفن التجارية مثل تجار مدينة سوسة ، (٤) وغيرهم من رجال الحكم ، (٥) وأهالى مدينة طرابلس (٦) .

واحتلت تجارة إفريقيا المكانة الأولى فى الجزء الغربى من البحر المتوسط كجزء من التجارة الإسلامية التى صارت لها الكلمة الأولى عالمياً فى ذلك الوقت فكانت سفنها التجارية تجوب البحار فى حرية تامة وأمان كامل (٧) وأصبحت إفريقيا الوسيط التجارى

(١) أرشيبالد لويس : القوى البحرية ، ص ٢٥٤ .

(٢) جوذر : سيرة جوذر ، ص ١٢٧ .

(٣) أرشيبالد : القوى البحرية ، ص ٢٣٤-٢٣٥ .

(٤) التيجانى : رحلة التيجانى ، ص ٢٩ .

(٥) جوذر : سيرة جوذر ، ص ١٣٨ ، أرشيبالد : القوى البحرية ، ص ٢٥٣ .

(٦) ابن عذارى : البيان ، ج ١ ، ص ١٦٩ .

(٧) آدم منر : الحضارة الإسلامية ، ج ٢ ، ص ٣١٣ .

الهام المتحكم فى نقل السلع والبضائع بين موانئ البحر المتوسط ، ^(١) واستطاعت إفريقية القضاء التام على منافسة الروم التجارية فى غربى البحر المتوسط ، فلم يسبح للنصرانية فيه ألواح ^(٢) . وتميز الأسطول بالتناسق والانضباط مما أدى إلى زيادة التبادل التجارى مع غيرهم ^(٣) ، ومن العوامل المساعدة أيضاً فى زيادة النشاط التجارى لإفريقية فى تلك الفترة ذلك الامتداد الكبير الذى امتازت به سواحلها البحرية ، واتصالها المباشر بالشرق والمغرب دون عوائق ، إلى جانب كثرة الخلجان والجزر القريبة من الشاطئ وموقعها المتميز كإحدى النقاط المركزية فى حوض البحر المتوسط الغربى كل ذلك كان له أثره الفعال فى زيادة نشاطها التجارى ^(٤) .

وفى سبيل تأكيد هذا التفوق : التجارى والعمل على زيادته ، والإفادة الكبيرة منه، أشرف الفاطميون ، وبنى زيرى ، إشرافاً دقيقاً منظماً على جميع المراكز التجارية والموانئ البحرية ، فأنشأوا بها المنافذ الجمركية التى تقوم بتحصيل الضرائب المفروضة على التجارة بقيمة عشرة بالمائة ^(٥) ونتيجة لذلك صارت مدن إفريقية الساحلية مراكز تجارية هامة جذبت إليها التجار من جميع أنحاء المعمورة .

ومن أهم المراكز التجارية الساحلية التى كان لها شأن فعال فى النشاط التجارى لإفريقية :

برقة : تعتبر مدينة برقة مدينة برية بحرية ، فهى تقع على مسافة ستة أميال من ساحل البحر المتوسط ، وهى متوسطة المساحة ، وتتميز أرضها بالخصوبة رغم وقوعها

(1) Norman Daniel: The Arabs and mediaeval Europe, Longman, Library duliban Page.6

أرشييالد : القوى البحرية ، ص ٢٥٢ .

(٢) ابن خلدون : المقدمة ، ص ١٧٨ .

(٣) أرشييالد : القوى البحرية ، ص ٢٤١ .

(٤) عبدالعزيز سالم : تاريخ البحرية ، ح ٢ ص ٤٨ ، يسرى عبدالرازق الجوهري : شمال إفريقية

دراسه فى الجغرافيا التاريخيه ، منشأة المعارف ، الإسكندرية ، ١٩٧٣م ، ص ١٧٣ ، عبدالواحد

ذنون طه : استيطان القبائل البربرية ، حوليات الجامعة التونسية ، عدد ١٨ ، ص ٢٩٢-٢٩٣ .

(٥) أرشييالد : القوى البحرية ، ص ٢٦٢ .

إلى الداخل ، حيث تقع فى مرج واسع وتربته تتميز بالحمرة الشديدة ^(١) ويطلق على أهلها اسم الفسطاط لحمرة ملابسهم ، واختلافهم عن غيرهم من أهل المغرب ، كما تحيط بها البوادي من كل مكان وتسكنها كثيرا من القبائل البربرية المختلفة إلى جانب الجند ^(٢) .

وعرفت قديما باسم سيريتابكا ^(٣) كما كانت تسمى أيضا بنطابلس [انطابلس] ^(٤) وهو اسم رومى إغريقى ، يعنى بالعربية خمس مدن ، وهى مدن أسسها اليونانيون فى أزمان مختلفة ، وهذه المدن هى طوشيرا [أرسينولى] وأطلق عليها العرب اسم طوكره ، وسيرين ، [قورين] وتسمى الآن قرنة ، أو شحات ، وردبر نيق ، وأبولونيا ، وتسمى الآن سوسة ، وبارس [أبطوليمانيس] وتسمى الآن المرج ، ^(٥) افتتحها عمرو بن العاص فى خلافة عمر بن الخطاب - رضى الله عنه - عقب فتح مدينة الإسكندرية بعد أن قضى على مقاومتهم ، فلم يكن أمامهم إلا طلب الصلح ، على أن يقوموا بدفع الجزية المقررة عليهم ، ومقدارها ثلاثة عشر ألف دينار . وعلى من لا يستطيع دفع الجزية القيام ببيع من أحب من أبنائه ، أو بناته ، فى سبيل دفع الجزية ، ^(٦) ويبدو أن عمرو ابن العاص قد سمح للبعض منهم بأن يدفعوا مقدار ما عليهم من الجزية ، إما ابنه ، أو ابنته ، أو جزء من ماشيته ، حيث ذكر ابن أعثم ^(٧) فى الصلح بين عمرو وبين أهالى برقة " وكان مما صالحهم عليه

-
- (١) تنتشر هذه التربة الحمراء فى المرتفعات الشمالية لهذا سميت باسم برقة الحمراء ، أما المرتفعات المتدرجة نحو الجنوب فتغطيها تربة رمادية اللون ولهذا سميت هذه المنطقة باسم برقة البيضاء .
Gyevr : دائرة المعارف الإسلامية ، ج ٧ ص ٧٤ .
- (٢) اليعقوبى : صفة المغرب ، ص ٣ . الاصطخرى : المسالك والممالك ، ص ٣٣ . ابن حوقل : صورة الأرض ، ص ٦٩ . كانت قبيلة لواته أول القبائل البربرية التى نزلت برقة عقب خروج البربر من فلسطين . ابن عبدالحكم : فتوح مصر ، ص ١٧٠ .
- (٣) حسين مؤنس : معالم تاريخ المغرب والأنلس ، ص ٤٧ .
- (٤) البكرى : المغرب ، ص ٤ ، المراكشى : المعجب ، ص ٣٤٩ . وبرقة اسم صقع [إقليم] كبير يشتمل على مدن وقرى بين الإسكندرية وإفريقية ، واسم مدينتها انطابلس ، وتفسيره الخمس مدن البغدادي : مرصد الاطلاع ، ج ١ ، ص ١٨٦ - ١٨٧ .
- (٥) الطاهر أحمد الزاوى : تاريخ الفتح العربى فى ليبيا ، الطبعة الثانية ، دار المعارف ، القاهرة ١٩٦٣ ، ص ٣٢ .
- (٦) ابن عبدالحكم : فتوح إفريقيا ، ص ٢٩ . فتوح مصر ، ص ١٧٠ - ١٧١ ، البكرى : المغرب ، ص ٤٠ . ابن عذارى : البيان ، ج ١ ، ص ٩ . الزاوى : تاريخ الفتح العربى ، ص ٣١ - ٣٢ .
- (٧) كتاب الفتوح ، ج ٢ ، ص ٣ .

عمرو خمسمائة من السبي ، ثلاثمائة غلام ، ومائتى جارية ، ومثل ذلك من الماشية . ولم يكن يدخل برقة جابى خراج حيث كانوا يرسلون بالجزية بأنفسهم عندما يحين وقت دفعها^(١)

وقبل أن عقبة بن نافع^(٢) هو الذى افتتحها عندما بعثه عمرو بن العاص إلى برقة، وزويلة ، وما جاورهما من البلاد ، فقام بفتحها وصارت تحت نمة الإسلام^(٣) ومدينة برقة: هى أول حد إفريقية من الناحية الغربية^(٤) دخلها الفاطميون سنة (٣٠١ هـ / ٩١٣ م) فى عهد الخليفة عبيد الله المهدي (٢٩٧ - ٣٢٢ هـ / ٩٠٩ - ٩٣٤ م) وذلك على يد قائده حباسة وقام

(١) ابن عبدالحكم : فتوح مصر ، ص ١٧١ .

(٢) عقبة ابن نافع : هو عقبة بن نافع بن عبد القيس بن لقيط بن عامر بن أمية ، من بنى فهر أحد بطون قريش ، قيل أنه أخو عمرو بن العاص لأمه وقيل ابن خالته ، ولد على عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم . تولى أمر إفريقية فى عهد الخليفة الأموي معاوية ابن أبى سفيان ٤١ - ٦٠ هـ ٦٥٣ - ٦٧٢ م وذلك فى سنة ٤٩ هـ / ٦٦١ م وقيل ٤٥ هـ / ٦٥٧ م أو ٤٦ هـ / ٦٥٨ م . قام بغزو البربر من لواته ومزاته سنة ٤١ هـ / ٦٥٣ م ، ثم قام بغزو غدامس فى سنة ٤٢ هـ / ٦٥٤ م ثم قام بغزوه أخرى سنة ٤٣ هـ / ٦٥٥ م ، وافتتح فيها ودان وهى إحدى المناطق التابعة لمدينة برقة ، وافتتح أيضا مناطق من بلاد السودان وذلك حين أمره عمرو بن العاص على إفريقية عقب فتح برقة . دخل إفريقية ٤٩ هـ / ٦٦١ م على رأس جيش مكون من عشرة آلاف جندي وقام بإنشاء مدينة القيروان ٥٠ هـ / ٦٦٢ م ، وعزل عن إفريقية سنة ٥٥ هـ / ٦٦٧ م . ثم عاد مرة أخرى سنة ٦٠ هـ / ٦٧٢ م ، وكانت هذه ولايته الثانية . اجتاح إفريقية والمغرب حتى وصل إلى المحيط الاطلسي . ثم عاد إلى إفريقية واستشهد عند مدينة تهودة هو وكثير من اصحابه على يد جيش البربر بقياده كسيله بن لمزم ٦٣ هـ / ٦٧٥ م .

- ابن عبدالحكم : فتوح افريقيا ، ص ٥٠ - ٦١ . فتوح مصر ، ص ١٩٤ - ٢٠٠ .

- البكرى : المغرب ، ص ٧٣ - ٧٤ . ابن الاثير : أسد الغابه ، ح ٤ ، ص ٥٩ - ٦٠ - الدباغ : معالم الإيمان ، ح ١ ، ص ٤٦ - ٥٥ ، ١٦٤ - ١٦٧ - ابن عذارى : البيان ، ح ١ ص ١٩ - ٣٠ . ابن كثير : البداية والنهاية ، ح ٨ ، ص ٢٣٧ . ابن خلدون : العبر ، ح ٤ ص ١٨٥ - ١٨٧ . ابن أبى دينار : المؤنس ، ص ٢٦ - ٣٠ - الباجي المسعودي : الخلاصة النقيه فى امراء إفريقية ، ص ٥ - ٩ . احمد ابن خالد الناصري السلاوى : الاستقصا لأخبار دول المغرب الاقصى ، القاهرة ١٨٩٤ م ، ص ٣٦ - ٣٩ . الحبيب الجناي : القيروان عبر عصور ازدهار الحضارة الاسلامية فى المغرب العربى ، الدار التونسية للنشر ، تونس ١٩٦٨ م ، ص ٣٣ - ٣٨ . أحمد صليحه : تونس ، ص ٨١ - ٨٨ ، ص ٩٣ - ٩٨ .

(٣) ابن أبى دينار : المؤنس ، ص ٢٢ - ٢٣ . حسين مؤنس : فتح العرب للمغرب ، ص ٥٣ - ٥٦ .

(٤) المراكشى : المعجب ، ص ٣٤٧ .

بطرده عامل مصر منها ^(١) حيث كانت برقه إحدى المناطق التابعة للإسكندرية منذ ما قبل الفتح الإسلامي ^(٢)

وتعد برقة أحد أهم المراكز التجارية في إقليم إفريقية ، وأحد الموانئ التي تصدر عن طريقها المنتجات الزراعية ، والأخشاب ، ^(٣) إضافة إلى معدن القطران ، والجلود الحيوانية ، والتمور ، والأصواف ، والعسل ، والفلفل ، والشمع ، والزيت ^(٤) ولبرقه جبالان الشرقي يقطن به أقوام من العرب من أهل اليمن ، مثل الازد ، ولخم ، وجزام . أما الغربي فيه قوم من غسان ، وجزام ، والازد ، وتجب ، وغيرهم من بطون العرب . إلى جانب قرى بها أقوام من البربر من لواته ، ومن زكوده ، ومفرطه ، وزنارة ، . ويتميز هذان الجبلان بعيون الماء الجارية ، والأشجار والثمار ، والحصون ، إلى جانب آبار الماء القديمة منذ عهد الروم ، ولها أقاليم كثيرة تسكنها بطون البربر ^(٥) .

سرت : هي مدينة قديمة البناء ، تقع في أرض رملية مستوية قريبة من ساحل البحر ، إذ لا تبعد عنه سوى مسافة غلوة سهم ^(٦) ويحيط بها سور مبنى بالطوب اللبن ، قليل المنعة ، وبها ثلاثة أبواب ، قبلى ، وجوفى ، والثالث يقع إلى جهة البحر ، وهو باب صغير . كما يوجد بها جامع ، وحمام ، وأسواق ، ويعتمد أهلها في شربهم على ما يستخرجونه من المياه الجوفية من الآبار الموجودة بها ، إلى جانب اعتمادهم على الأمطار ، عن طريق جمعها في جباب بنيت خاصة لتجميع المياه بها ، ^(٧) وكانت سرت الموطن الأول لقبائل نفوسه البربرية التي نزلت بها عقب خروج البربر من فلسطين متوجهين إلى المغرب ، وكان يقطنها الروم الذين اضطروا للرحيل عن سرت نتيجة لنزول البربر بها ^(٨) وتعد سرت إحدى المراكز التجارية الهامة ، فهي ملتقى طرق القوافل التجارية القادمة من الجنوب ، التي تقوم بدفع الضرائب المتنوعة بها ، والجبايا والخراج ، والصدقات ، وتتميز سرت أيضاً برخص

-
- (١) الاصطخرى : المسالك والممالك ، ص ٣٣ . ابن عذارى : البيان ج ١ ص ١٧٠ ، ص ٢٠٨ .
 (٢) الطاهر أحمد الزاوى : تاريخ الفتح ، ص ٣٠ .
 (٣) البكرى : المغرب ، ص ٥ . أبى الفدا : تقويم البلدان ، ص ١٤٩ .
 (٤) ابن حوقل : صورة الأرض ، ص ٦٩ . مؤنس : فتح العرب ص ٥٣ ، Gyevr : دائرة المعارف ج ٧ ص ٧٦ .
 (٥) اليعقوبى : صفة المغرب ، ص ٣-٤ .
 (٦) نفس المصدر ، ص ٧١ . طاهر أحمد الزاوى : تاريخ الفتح العربى ، ص ٣٧ .
 (٧) البكرى : المغرب ، ص ٦ .
 (٨) ابن عبدالحكم : فتوح مصر ، ص ١٧٠ .

أسعارها على مر الأيام ، وتشتهر بوجود المعادن بها لاسيما معدن الشب (١) إلا أنها تعد من أفقر مدن إفريقية في إنتاج الزيت والذي تلجأ إلى سد حاجتها منه عن طريق استيراده من خارجها ، ويستقبل ميناؤها كثيرا من السفن المحملة بالزيت ، إلا أن تجارها وبرغم قلة هذا المنتج بمدينتهم لا يقومون بشرائه من التجار إلا بسعر موحد ، اتفقوا جميعاً عليه ، ولا يتعداه أحد منهم ، وإن بقيت السفن راسية بالميناء أكثر من يوم ، إذ يلجأون إلى حيلة خاصة بهم ، وهى وضع ما فرغ من أوعية الزيت يعد نفخها مرصوفة في حوانيتهم ، حتى يظن التجار أن الزيت بها كثير ، وهم في غير حاجة إليه ، فيقومون ببيعه لتجار المدينة بالسعر الذى اتفقوا عليه (٢) .

وكانت مدينة سيرت [صيرة] عند دخول المسلمين إفريقية من أهم المدن وأحصنها، وأكثرها سكانا ، وفاقت شهرتها شهرة مدينة طرابلس ، لذا فقد واجه المسلمون صعوبة قوية عند فتحها ، بقيادة عبدالله بن الزبير فلم يجد المسلمون أمامهم طريقة غير الهجوم عليها عند قيام أهلها بفتح أبواب حصونهم لإخراج حيواناتهم صباحاً للمرعى فعند ذلك هجم المسلمون عليهم ، وأوقعوا فيهم القتل حتى استسلموا ، ولم يهرب منهم أحد فى تلك الموقعة (٣) وكان ذلك فى سنة ٢٣ هـ - ٦٤٣م.

وقد أشار ابن عبدالحكم (٤) إلى هذه القوة فقال : " وكان من بسبرت متحصنين " بما يشير إلى قوة تلك المدينة وأن حصنهم من القوه بحيث أدخل الطمأنينة فى قلوب أهلها، وجعلهم - رغم علمهم - بأن المسلمين يحاصرون طرابلس إلا أنهم لم يأخذوا هذا الأمر بعظيم أهمية ، وكانوا يمارسون حياتهم اليومية وأنشطتهم بشكل لا يشير إلى خوفهم من هذا الأمر ، مثل فتح الأبواب ، ورعى الماشية ، حتى فاجأهم المسلمون بهذا الهجوم (٥) .

(١) ابن حوقل : صورة الأرض ، ص ٧١.

(٢) البكرى : المغرب ، ص ٦.

(٣) ابن عبدالحكم : فتوح إفريقيا ، ص ٣١-٣٢ . حسين مؤنس : فتح العرب ، ص ٦٤ . الظاهر

الزاوى : تاريخ الفتح العربى ، ص ٥٤ .

(٤) فتوح إفريقيا ، ص ٣١-٣٢ . فتوح مصر ، ص ١٧٢.

(٥) مؤنس : فتح العرب ، ص ٦٤.

ولهذه المدينة فى التجارة الخارجية أهمية : فقد كانت تربطها الطرق التجارية المعبدة مع غيرها من البلدان المحيطة ، مثل مصر التى ربطها بها طريق هام معبد ومقامة عليه صهاريج المياه ويصلها بمدينة الفيوم (١) .

وكان يطلق على مدينة سبرت اسم السوق القديم ، حتى قام عبدالرحمن بن حبيب (٢) بنقله منها سنة ١٣١ هـ - ٧٥١ م إلى مدينة نبارة. (٣) وتعد سبرت آخر حد إفريقية من جهة الشرق غير أنها لم تلبث أن فقدت أهميتها شيئاً ، فشيئاً ، إلى أن صارت مجرد ناحية من طرابلس التى أخذ مكانها يعلو فى إفريقية ، وأحد المناطق الجمركية الهامة التى تسهم بما تقوم بتحصيله من أموال بإثراء الخزانة الفاطمية ، وخزانة بنى زيرى بعد ذلك عند دخول التجار إلى مدينة طرابلس قادمين من المدن الأخرى بإفريقية وغيرها (٤) بينها وبين مدينة اجدابية خمس مراحل من ديار لواته وقصر العطش واليهودية وقصر العبادى ومدينة سرت وأهالى هذه المنازل إضافة إلى أهالى مدينة سرت من البربر من منداسه ومحنا ومنطاس وغيرهم ويحتل موضع تورغه آخر حد مدينة برقة وآخر منازل البربر على مسيره مرحلتين من مدينة سرت (٥) .

وتقع على حدودها مع إفريقية قرية صغيرة تسمى قصر أحمد ، تشتهر بتربية الخيول ، وبيعها ، وتصديرها للخارج ، مثل مدينة الإسكندرية (٦) .

(١) أبى الفدا : تقويم البلدان ، ص ١٤٩ .

(٢) عبدالرحمن بن حبيب : هو حفيد القائد المسلم عقبة ابن نافع فاتح إفريقية ، وبانى مدينة القيروان سنة ٥١ هـ ، دعا لنفسه بالحكم فى إفريقية سنة ١٢٧ هـ / ٧٣٩ م ، وتولى الحكم فى زمن مروان ابن محمد ، آخر خلفاء بنى أمية فى سنة ١٢٩ هـ قام بأعمال عظيمة أثناء فترة حكمه مثل محاربة البربر وغزا صقلية سنة ١٣٥ هـ / ٧٤٧ م ، ودخل فى طاعة العباسيين حتى قتل فى سنة ١٣٧ هـ / ٧٤٩ م على يد أخيه الياس . ابن عذارى : البيان ، ج ١ ، ص ٦٠ .

(٣) ابن عبدالحكم : فتوح افريقيا ، ص ٣٢ . فتوح مصر ، ص ١٧٢ ، الطاهر الزاوى : تاريخ الفتح العربى ص ٥٢ .

(٤) ابن حوقل : صورة الأرض ، ص ٧١ .

(٥) اليعقوبى : صفة المغرب ، ص ٤ - ٥ .

(٦) قصر أحمد : تعد آخر حدود إفريقية الشرقية ، وأول حد برقة ، وفى عرضه قصور مسراته مقدار اثنى عشر ميلا وهى بلاد زيتون ونخل كثير ، وأهلها يقومون بتربية الخيل ، وتصديرها ، للإسكندرية ، وهم قوم ذوى رفق بالحجاج ، وتعد مخزناً للعرب تخزن به غلاتها ، ومنها يركبون إلى برقة عن طريق البر . أبى الفدا : تقويم البلدان ، ص ١٤٩ .

طرابلس : تعد مدينة طرابلس ، إحدى مدن إقليم إفريقية ذات المساحة الكبيرة وتكثر بها الضياع والبادية ^(١) وهى تقع على ساحل البحر المتوسط . وتتميز بكثرة سكانها الذين يمثلون خليطاً مختلفاً من الأجناس ، ^(٢) كما تعتبر مدينة طرابلس آخر المدن الواقعة شرقى القيروان فى الإقليم الثالث، ^(٣) وهى من أقدم مدن إقليم إفريقية بناء ، إذ يرجع زمن بنائها إلى عهد الفينيقيين أو القرطاجنيين ^(٤) .

وتتميز بأنها من أكثر مدن إفريقية من حيث المنعة ، والقوة ، والحصانة ، ^(٥) فهى يحيط بها سور صخرى عال قوى به أربعة أبواب :هى باب البحر، وباب الشرق ، وباب الجنوب ، وباب الغرب ، ولكنها تتميز بقلّة مواردها المائية فهى عديمة الأنهار ولذلك يعتمد أهلها فى شربهم على المياه الجوفية التى يستخرجونها من الآبار ، إلى جانب مياه الأمطار ^(٦) .

ويطلق عليها مدينة الاياس ، أما كلمة طرابلس :فهى تعنى ثلاث مدن ، ^(٧) هيا لها موقعها المتميز على ساحل البحر المتوسط - فى أن تصبح أحد أهم الموانئ والمراكز التجارية البحرية العالمية داخل إقليم إفريقية ، ومثلث منفذاً هاماً لما والاها من مدن داخلية فى تصريف وتصدير منتجاتها وسلعها منها . وملتقى السفن التجارية من مختلف الأقطار، ولذا طغت حرفة التجارة على سكانها ، فأصبح أكثرهم تجاراً يسافرون براً وبحراً. ^(٨) وأدى تمتعها بميناء ذو صلاحية ملاحية آمنة إلى انسياب التجارة منه وإليه على مر الأوقات طوال ساعات اليوم ، ليلاً ونهاراً ، دونما عائق ، وذلك بمختلف المنتجات والبضائع من الأقطار المختلفة من المشرق والمغرب وبلاد الروم ، ^(٩) ولاعجب فى ذلك فقد وجدت منذ القدم فى

-
- (١) ابن حوقل : صورة الأرض ص ٧١.
 - (٢) اليعقوبى : صفة المغرب ، ص ٧.
 - (٣) القلقشندى : صبح الاعشى ، ح ٥ ، ص ١١٤.
 - (٤) الزاوى : تاريخ الفتح العربى ، ص ٤٥.
 - (٥) الاصطخرى : المسالك والممالك ، ص ٣٣.
 - (٦) المقدسى : أحسن التقاسيم ، ص ٢٢٤ . أبى الفدا : تقويم البلدان ، ص ١٤٧.
 - (٧) الطاهر أحمد الزاوى : تاريخ الفتح العربى ، ص ٤٦ . وهى لبده وطرابلس وصبراته
 - (٨) مجهول : الاستبصار ، ص ٢ ، عبدالعزيز سالم : تاريخ البحرية ، ح ٢ ، ص ٥٢ - ٥٣.
 - (٩) ابن حوقل : صورة الأرض ، ص ٧١ . البكرى : المغرب ص ٨٥ .

تلك المنطقة الموانئ العديدة ، والتي تمثل المنافذ الهامة التي تخرج منها تجارة المناطق الصحراوية (١) .

واشتهرت طرابلس بتجارة الفاكهة ، من مختلف الأنواع ، والتي يندر وجودها فى أماكن أخرى ، مثل : الخوخ ، الفرسك ، والكمثرى ، والانجاص ، والتفاح ، وذلك بفضل ما تميزت به أرضها الزراعية من خصوبة عالية ، لاسيما المنطقة المسماة بفحص سوبجين الذى يعطى كميات ضخمة من الحبوب كل عام ، واشتهرت طرابلس أيضاً : بكثرة بساتينها المليئة بالخيرات وكانت تتركز فى الجانب الشرقى من المدينة (٢) .

ومن السلع التى تشتهر بها طرابلس أيضاً : الملح والذى يستخرج منها بكميات وفيرة من بحيرتها الكبيرة التى تقع فى الجانب الشرقى لطرابلس (٣) .

كما تعد مدينة طرابلس إحدى المدن الصناعية الهامة داخل إقليم إفريقيا، لاسيما صناعة الأقمشة ، والمنسوجات الصوفية ، فهى إحدى مراكز هذه الصناعة ، والتى تتميز بألوانها المتعددة ، وتباع بأثمان مرتفعة لحسن صنعتها ، ورقيا ، وجودتها العالية ، ومنها الأزرق والكحلى ، والأبيض ، والأسود . وتنتشر مصانع النسيج - دور الطراز - بجميع أنحاء المدينة خاصة دورا لطراز المقامة بجبل نفوسة (٤) .

ولا تعد مدينة طرابلس إحدى مراكز الصناعة المدنية فقط بل إحدى المراكز الصناعية الحربية ، بفضل دار الصناعة الخاصة بعمل السفن ، والتى تقع على أرضها (٥)

وأضيفت طرابلس مع نواحيها إلى ملك بنى زيرى وأرسلوا عليها واليهم فى عهد بلكين سنة ٣٦٧ هـ ٩٧٩م عندما طلب ذلك من الخليفة الفاطمى العزيز بالله (٦) إذ لم تكن

(1) B- Davidson : Africa in History. London 1968 Page 47.

(٢) المقدسى : أحسن التقاسيم ص ٢٢٤ . البكرى : المغرب ص ٨-٩ مجهول : الاستبصار ص ٢.

(٣) البكرى : المغرب ، ص ٧-٨.

(٤) ابن حوقل : صورة الأرض ، ص ٧١.

(٥) البكرى : المغرب ، ص ٨٥ .

(٦) ابن عذارى : البيان ، ح ١ ، ص ٢٣٠. العزيز بالله : أبو منصور نزار ، ولد بمدينة المهديـه

٣٤٤ هـ / ٩٥٦م ، كان شجاعاً وحسن العهد وكان أدبياً . ضمت الخلافة الفاطمية فى عهده إفريقية

والشام واليمن ومصر . قرب اليهود والنصارى وولى بعضهم مناصب هامة فى الدوله مثل

ميشما نائبه على الشام وكاتبه عيسى بن نسطورس ووزيره يعقوب بن كلس . وقد تولى العزيز

بالله الخلافة ٣٦٥ هـ ٩٧٧م ومات سنة ٣٨٦ هـ ٩٩٨م بمدينة بلبس اثناء استعداده لحرب

تتبع بلكين فى بداية حكمة ٣٦١ هـ ٩٧٣ م (١)

وكانت طرابلس قد دخلت فى حوزة الإسلام سنة ٢٣ هـ ٦٣٥ م على يد القائد عمرو بن العاص وذلك بعد أن حاصرها لمدة شهر لا يقدر على فتحها لقوة تحصينها (٢) وهى آخر المدن التى تم فتحها من مدن المغرب فى خلافة أمير المؤمنين عمر بن الخطاب (٣) وتعتبر مدينة طرابلس أول مدن إقليم إفريقية وآخر حد إقليم برقة (٤) .

قابس :

تمثل مدينة قابس إحدى المدن الساحلية الصحراوية بإقليم إفريقية إذ يبعد موقعها مسافة ثلاثة أميال بعيداً عن ساحل البحر المتوسط وهى تقع ضمن ما يطلق عليه اسم بلاد الجريد [إقليم الجريد] وتعد قابس عاصمة هذا الإقليم وأعظم المدن به (٥) لا تبعد كثيراً عن مدينة القيروان فهى على مسيرة ستة مراحل منها (٦) وقابس من المدن الهامة ، قديمة البناء بإفريقية ، عظيمة فى ذاتها وتعد من المدن الحصينة القوية إذ يحيط بها سور ضخ من الحجر الصخرى الجليل (٧) .

الروم . وكان يوصف بالعفو والكرم قريباً من الناس ، محباً للصيد وهو أول من اتخذ من أهل بيته وزيرا اثبت اسمه على الطراز وقرن اسمه باسمه وهو أول من لبس الخفين والمنطقة ، وأول من اتخذ الأتراك وجعل منهم قادة للجيش ، وبلغت مصر فى عهده أفضل ماتكون وكانت أيامه كلها أعياد وأعراساً لكثرة كرمه ومحبة للعفو : ابن عزارى : البيان ح ١ ص ٢٢٩ . أبى الفدا : المختصر ص ١٣١ الحافظ الذهبى : العبر فى خبر من غبر ، تحقيق : أبو هاجر محمد السعيد : ح ٢ ص ١٩٠ - ابن خلدون : العبر ح ٤ ص ٥١ - ٥٥ . المقرئى : الخطط ح ٢ ص ١٦٧ ، ح ٤ ص ٦٦ : ٦٨ - القرماني : أخبار الدول ص ٢٣٥ - ابن أبى دينار : المؤنس ص ٦٥ - ٦٦ .

- (١) ابن أبى دينار : المؤنس ، ص ٧٤ .
- (٢) ابن عبدالحكيم : فتوح إفريقيا ، ص ٣٠-٣١ . فتوح مصر ص ١٧١ .
- (٣) اليعقوبى : صفة المغرب ، ص ٧ .
- (٤) البغدادى : مرصد الاطلاع ، ح ٢ ص ٩١ .
- (٥) الحميرى : الروض المعطار ، ص ٤٥٠ ، محمد المرزوقى : قابس جنه الدنيا ، مكتبه الخانجى ، القاهرة ، ١٩٦٥ ، ص ٦٦ - ٦٧ .
- (٦) ابن حوقل : صورة الأرض ، ص ٧٢ .
- (٧) البكرى : المغرب ، ص ١٧ . مجهول : الاستبصار ، ص ٧ .

كما تعد من المدن التي تتميز التركيبة السكانية بها بالتعددية في الأجناس إذ يمثل أهلها خليطا من البربر ^(١) الزناتيين واللواتيين بجانب عنصر الأفارقة الأوائل مع عنصرى العجم والعرب الفاتحين ^(٢) .

وبفضل موقعها الساحلى : وتميز ساحلها بالاستواء ، الأمر الذى ساعدها على إنشاء ميناء هام لها على ساحل البحر المتوسط ، مما جعلها أحد المراكز التجارية الهامة داخل إقليم إفريقية ، بفضل صالحيه ميناءها للملاحة طوال العام ، دونما وجود أية عوائق مثل الرياح والأنواء وشدة الموج وغير ذلك لذا فقد مثلت قابس قبلة هامة للتجار من مختلف البلدان ، تحمل إليها ما هى فى حاجة إليه من سلع وصناعات ، وتحمل منها ما اشتهرت بإنتاجه من السلع والصناعات الكثيرة فغدى ميناءها مرفأ يستقبل السفن من جميع المناطق . ^(٣) على اختلاف أحجامها لاسيما متوسطة الحجم ^(٤) . ولشهرتها التجارية العالمية،

(١) البربر كانوا يسكنون أرض فلسطين التي غادروها عقب مقتل ملكهم جالوت بن جهم على يد نبي الله داود ، واستوطنوا أرض المغرب ، وهم قبائل عديدة مثل زنانه ومعليه وصرفند ولواته وهواره ونفوسه وليبيه ، تفرقوا فى مدن المغرب الأدنى والاقصى واستطاعوا اجلاء الروم عن تلك البلاد ، وقبل بل سكن الروم المدن الساحلية وأقام البربر بالداخل ، ومنذ وطئت اقدام البربر أرض المغرب صار الروم بخشونهم خشبه شديده ، واستطاع المسلمون ، دخول إفريقية وهزيمة البربر الذين خضعوا للصالح مع المسلمين ورضوا بدفع الجزية المقررة عليهم وهى ثلاثمائة رأس من السبى ومثلها من الخيل والبغال والحمير ومثلها من البقر والغنم ، ثم أخذ عمرو ابن العاص فى فتح مدنهم حتى مدينة برقة . ثم غذاها بعده عبدالله ابن أبى سرح ورضوا أيضا بدفع الجزية ٢٧ هـ / ٦٣٩ م ، ومقدارها ثلاثمائة قنطار من الذهب كل عام ولم يلبث البربر أن خضعوا للدين الاسلامى وصاروا من أشد انصاره وقاموا بفتح البلاد مثل الاندلس - اليعقوبى : تاريخ اليعقوبى ، دار صادر للطباعة والنشر ، بيروت ١٩٦٠ ، ج ١ ، ص ١٩٠ . ابن عبدالحكم : فتوح مصر ، ص ١٨٣ - ١٨٧ . ابن اعثم : كتاب الفتوح ، ج ٢ ص ٢-٣ . ابن عذارى : البيان ج ١ ص ٨ وما بعدها . البغدادى : مرصد الاططلاع ، ج ١ ص ١٧٦ . القرمانى : أخبار الدول ، ج ٣ ص ٣٣٦ - ٣٣٧ . أبو اسحق اطفيش : مادة بربر ، دائرة المعارف الإسلامية ، ج ٦ ، ص ٥٨٠ - ٥٨٨ .

(٢) اليعقوبى : صفة المغرب ، ص ٧ .

(٣) البكرى : المغرب ، ص ١٧ . جورج مارسيه : بلاد المغرب ، ص ٢٠٩ .

(٤) عبدالعزيز سالم : تاريخ البحرية ، ص ٥٢ .

وغنى أسواقها ، فقد انتشرت على أرضها الحمامات والفنادق الكثيرة التى يستخدمها التجار إما للمبيت والإقامة بها أو لخزن بضائعهم فيها (١)

وأخذت مدينة قابس ، تنمو ، وتزدهر ، ويرتفع شأنها بصورة مطردة وكبيرة ، حتى أطلق عليها تشييبها اسم دمشق إفريقية. (٢) بما يدل على علو شأنها وبروز مكانتها داخل إقليم إفريقية .

وكما اشتهرت كمركز تجارى بحرى اشتهرت أيضا كمركز تجارى داخلى لا يقل قوة وشهره عن الخارج. (٣)

وتعد قابس ، إحدى المدن التى تتميز أرضها بالخصوبة العالية . وانتشرت بها بصورة كبيرة زراعة الأشجار المثمرة ، داخل بساتينها حتى كان الوافد إليها يجد صعوبة بالغة فى سلوك طرقها من غير أن يرشده أحد أهلها ويدله على الطريق الصحيح (٤)

وأنتجت أرضها الزراعية الخصبة كثيرا من المحاصيل بكميات كبيرة مما أدى إلى تصدير الفائض منها مثل : محصول الموز ، وحب العزيز ، والحناء. (٥) إلى جانب التمور والعنب ، والتفاح. (٦)

وانتشرت بها البساتين المونقه ، المليئة بأنواع الثمار والأشجار، وذلك على مساحات كبيرة منها ، فأضفى ذلك عليها جمالا وبهاء وحسنا، حتى أطلق عليها جنة الدنيا (٧) وتعتمد عليها مدينة القيروان فى سد حاجتها من الفاكهة (٨) .

ولم تكن شهرة مدينة قابس قاصرة فقط على الجانب الزراعى بها ، بل برزت فى المجال الصناعى ، بروزاً عالياً ، وقامت بها كثيرا من الصناعات الهامة الفريدة ، فى مجال المنسوجات ، تأتى قابس كأحد أهم المراكز الصناعية والتجارية ، فى مجال الأقمشة، خاصة

(١) مجهول : الاستبصار ، ص ٣ ، محمد المرزوقى : قابس ، ص ٧٠ .

(٢) أبى الفدا : تقويم البلدان ، ص ١٤٣ . القلقشندي : صبح الأعشى ، ح ٥ ، ص ١٠٤ .

(٣) ارشيبالد : القوى البحرية ، ص ٢٥٣ .

(٤) القرمانى : أخبار الدول ، ح ٣ ، ص ٤٣٦ .

(٥) أبى الفدا : تقويم البلدان ، ص ١٤٣ . القلقشندي : صبح الاعشى ، ح ٥ ، ص ١٠٤ .

(٦) المقدسى : أحسن التقاسيم ، ص ٢٢٤ .

(٧) التيجانى : رحلة التيجانى ، ص ٨٦ .

(٨) البكرى : المغرب ، ص ١٧ ، مجهول : الاستبصار ، ص ٣ .

الحريرية منها ، فهي تحتكر تلك الصناعة على مستوى إقليم إفريقية ، ولا تجاريها في هذا المجال مدينة أخرى ، ويتميز حريرها بأنه أطيب وارق أنواع الحرير ، وذلك لكثرة مربى دود القز المنتج الرئيسى للحرير الطبيعى وكثرة أشجار التوت بها (١)

كما برزت في مجال صناعى آخر لا يقل أهمية عن صناعة المنسوجات الحريرية ألا وهو الصناعات الجلدية ، التى بلغت شأواً عظيماً من حيث الجودة وحسن الصنعة مما جعل التجار يتهافتون على شرائها . وزيادة الطلب عليها من جميع بلاد المغرب فهي تتميز بطيب الرائحة ونعومة الملمس (٢) .

وتمثل مدينة قابس إحدى المدن الهامة فى سبيل تجارة الأخشاب بفضل غنائها بالأشجار المتنوعة مثل شجر التوت (٣) وشجر الدقلى (٤) .

المهدية :

تقع المهدية على ساحل البحر المتوسط وهى من المدن حديثه البناء فى إفريقية حيث يرجع بنائها إلى العهد الفاطمى فقد أنشأها الخليفة الفاطمى عبيد الله المهدى [٢٩٧هـ - ٣٢٢هـ - ٩١٧ - ٩٤٢م] .

فى سنة ٣٠٠ هـ ٩٢٠م وقام باختيار موضعها بنفسه فى شبه جزيرة جمه الذى أعجبه موقعها فأمر ببناء المهدية فيها (٥) .

وهى شبه جزيرة داخلية فى البحر كهيئة كف متصل بزند ، تحيطها المياه من ثلاث جهات عدا مدخلها الغربى ، وهو مكان ضيق يوجد به بابها (٦) ويطلق على هذه الجزيرة اسم جزيرة الخلفاء أيضا (٧) .

-
- (١) الحميرى : الروض ، ص ٤٥٠ . جورج مارسية : بلاد المغرب ، ص ٢٠٧ .
 - (٢) ابن حوقل : صورة الأرض ، ص ٧٢ .
 - (٣) مجهول : الاستبصار ، ص ٣ .
 - (٤) التيجانى : رحلة التيجانى ، ص ٨٩ .
 - (٥) ابن عذارى : البيان ، ح ١ ، ص ١٦٩-٢٦٧ ، أبو الفدا : المختصر فى أخبار البشر [تاريخ أبى الفدا] دار المعرفة للطباعة والنشر ، بيروت ، بدون سنة ص ٦٨ .
 - (٦) مجهول : الاستبصار ، ص ٧ ، ابن الأثير : الكامل ، ح ٨ ، ص ٩٤ . القلقشندى : صبح الأعشى ، ح ٥ ، ص ١٠١ .
 - (٧) القزوينى : آثار البلاد ، ص ٢٧٦ .

إلا أن المساحة التي أقيمت عليها المهديّة كانت صغيرة وغير كافية لإنشاء عاصمة الخلافة الفاطمية ، مما جعل عبيد الله المهدي يأمر العمال بردم جزء من البحر وإضافته إلى المدينة كي تتسع مساحتها مما ضاعف من حجم المدينة الجديدة وتم البناء ^(١) وكان بموقعها هذا مدينة قديمة ترجع إلى العهد الروماني أو الفينيقي تستخدم كميناء أيضا ^(٢) .

ومنذ ذلك الوقت سنة ٣٠٠هـ / ٩١٢م ^(٣) بدأ العمل في تشييد المهديّة وبنى المهدي قصرًا له وقصرًا لابنه وولى عهده أبي القاسم ^(٤) إلى جانب منازل أهل بيته وخاصته ولم يبخل عليها المهدي بشيء من الأموال في سبيل أن تصبح أجمل مدينة في إفريقية وأعظمها كي تليق بأن تصبح عاصمة الفاطميين ، فجلب لها جميع طوائف العمال -بنائين ونجارين وحدادين .. الخ - وجميع مبانيها بنيت بالصخر وجعل أبوابها من الحديد الخالص وكان زنة

-
- (١) البكري : المغرب ، ص ٣٠ .
- (٢) الحبيب الجناي : القيروان عبر عصور ازدهار الحضارة الإسلامية ، ص ٩٢ .
- (٣) وقيل أن بنائها كان سنة ٣٠٣هـ / ٩١٥م ، ابن الأثير : الكامل ، ح ٨ ، ص ٩٤ ، ابن خلكان : وفيات الأعيان ، ح ٣ ، ص ١١٨ .
- (٤) القائم بأمر الله أبي القاسم نزار - محمد - بن المهدي هو الخليفة الفاطمي الثاني . تولى حكم إفريقية عقب وفاة أبيه عبيد الله المهدي سنة ٣٢٢ هـ / ٩٣٤م ، ونهج على سيرة أبيه في الحكم . قام بإرسال الاساطيل إلى جزيرة جنوة . وقام ببعث الجيوش إلى المغرب ، وقام بمحاربة أبي يزيد ابن كيداد الذي كاد أن يطيح بالخلافة الفاطمية ولم يستطع الانتصار عليه ، ومات ولا تزال الثورة قائمة ٣٣٤هـ / ٩٤٦م . قام بمحاولة فتح مصر لكنه لم يوفق في ذلك وكان مولده بمدينة سلمية بالشام في سنة ٢٨٠هـ / ٨٩٢م ، وقيل ٢٨٢ هـ / ٨٩٤م ، وقيل ٢٧٧ هـ / ٨٨٩م ، وظل مدة خلافته ١٢ سنة ، وواجه جميع الصعوبات التي لاقاها مع أبيه المهدي أثناء فراره من الشام إلى إفريقية ودخل معه السجن بمدينة سجناسه . وظهر الحزن الشدي عقب وفاته أبيه .
- جوزر : سيرة جوزر ، ص ٤٢ - ٤٣ . ابن خلكان : وفيات الأعيان ، ح ٥ ص ١٩ - ٢٠ .
- الحافظ الذهبي : العبر في خبر من غير ، ح ٢ ، ص ٥٠ - ٥١ . ابن خلدون : العبر ، ح ٢ ص ٤٠ - ٤٣ . المقرئزي : الخطط ، ح ٢ ، ص ١٦٣ . القرمانى : أخبار الدول ، ص ٢٣١ .
- ابن أبي دينار : المؤنس ، ص ٥٤ - ٥٨ . الباجي : الخلاصة النقيه ، ص ٣٩ - ٤٠ . أحمد ابن أبي الضياف : اتحاف أهل الزمان بأخبار ملوك تونس في عهد الامان ، تحقيق ، لجنة من كتابه الدولة للشئون الثقافية والاخبار ، تونس ١٩٦٣ م ، ص ١٢٣ - ١٢٤ .

الواحد منها ألف قنطار ^(١) وطوله ثلاثون شيراً ووزن كل مسمار بهما ستة أرتال ، وتم تزيينهما بصور الحيوانات ^(٢) فجاءا كان ليس مثلهما شييه ولا نظير ^(٣)

وأخذت القصور الحسنه تزين بهاماتها شاطئ البحر ^(٤) وأخذ الناس (عليه القوم) يتسابقون في بنائهم حتى غدت المهديّة من أجل الأمصار ^(٥) .

وظل العمل قائماً بالمهديّة على قدم وساق حتى اكتمل بناء سورها ونصبت به الأبواب في عام ٣٠٤هـ / ٩١٦م ^(٦) وهو سور شاهق العلو مبنى بالحجر الأبيض تتخلله الأبراج الضخمة العظام ^(٧)

وكان عدد الأبراج ستة عشرة برجاً ، مقسمين على السورين ، القديم الذي كان قبل ردم البحر ، ثم نصفهم في المساحة الجديدة التي أضيفت لأرض المهديّة ، وكان يطلق على بعض تلك الأبراج أسماء أشخاص ، مثل برج أبي الوزان النحوى ، وبرج عثمان ، وبرج عيسى ، أو اسم أقرب الحرف إلى البرج مثل برج الدهان ، الذي نسب إليهم لقرب مساكنهم منه ، وبني بها جامع ودار للمحاسبات أيضاً ^(٨)

كما زود عبيد الله المهدي (٢٩٧-٣٢٢هـ / ٩٠٩-٩٣٤م) ^(٩) المدينة بقناة ضخمة للماء تصل إليها من قرية مشانس، القريبة من المهديّة، لتزويد أهلها بما يلزمهم من الماء ،

(١) وقيل أن وزن الباب الواحد كان مائة قنطار ، عبدالرحمن بن خلدون : العبر ، ح ٤ ص ٣٨ ،

ابن الوردي : فريدة العجائب وخريدة الغرائب ، ص ١٩ .

(٢) البكرى : المغرب ، ص ٢٩ .

(٣) ابن حوقل : صورة الأرض ، ص ٧٣ .

(٤) القلقشندي : صبح الأعشى ، ح ٥ ، ص ١٠١ .

(٥) أبي الفدا : تقويم البلدان ، ص ١٤٥ .

(٦) ابن عذارى : البيان ، ح ١ ، ص ١٧٤ ، أمال البكرى فقال ٣٠٥ هـ انظر المغرب ، ص ٣٠ .

(٧) أبو الفدا : تقويم البلدان ، ص ١٤٥ ، القلقشندي : صبح الأعشى ، ح ٥ ، ص ١٠١ .

(٨) البكرى : المغرب ، ص ٣٠ .

(٩) عبيد الله المهدي : أول الخلفاء الفاطميين . وهناك اختلاف كثير في نسبه ، وهو عبيد الله بن

الحسن بن علي بن محمد ، ولد بمدينة سلمية بالشام ، وقيل ببغداد ، وقيل بالكوفة . سنة

٢٥٩هـ / ٨٧١م أو ٢٦٠هـ / ٨٧٢م أو ٢٦٦هـ / ٨٧٨م كانت الاموال تحمل إليه من جميع

البلاد عن طريق الدعاه إلى بيته بسلمية وكان المهدي قد حفر خندقاً تحت الأرض في الصحراء ،

إلى بيته مسافة ١٢ ميل فكانت الاموال تدخل منه لتصل إلى بيته فر من ملاحقة العباسيين له إلى

إلى جانب مواجل الماء التى زودت بها المدينة ، حتى صارت فيما بعد ثلاثمائة وستون ماجلاً^(١) كما أقيمت بها المستودعات الخاصة بتخزين الطعام وهو ما يطلق عليها اسم الاهراء^(٢) .

وعند الانتهاء من بناء المدينة عبر المهدي عن ارتياحه واطمئنانه فقال اليوم أمنت على الفاطميات [الفاطميّين] يعنى بناته^(٣) وانتقل إليها مع أهل بيته وخاصته سنة ٣٠٨هـ/٩٢٠م^(٤) ومنذ ذلك الوقت أصبحت المهديّة عاصمة إفريقية وعاصمة الفاطميّين وبنى زيرى ومدينة الصفوة من الناس ، وأنشئت حولها كثيراً من الأرياض [الأحياء] مثل

مصر التى دخلها فى هيئة التجار وأقام بها حتى اشار عليه بعض الشيعة الذين كانوا ضمن حاشية والى مصر ، عيسى النوشري بالخروج من مصر ، لكن النوشري قبض عليه ، ثم اطلق سراحه ، فسار عبيد الله المهدي وأهل بيته إلى طرابلس ثم قسطنطينية وسجلماسه التى قبض واليها اليسع بن مدرار على المهدي ووضعها داخل السجن حتى أخرجه قائدة أبو عبد الله منه . تولى عبيدالله المهدي الحكم برقاده ٢٩٧هـ - ٩٠٩م وقام بترتيب أمور الحكم فى إفريقية طبقاً لما يمليه المذهب الشيعي فقام بتوزيع المناصب والأراضي والقصور على اصحابه واتباعه ، وقام بإرسال الجيوش لفتح المدن فى المغرب وصقلية ، وحاول فتح مصر لكنه لم يستطع ذلك قام بإنشاء مدينة المهديّة ٣٠٠هـ/٩١٢م ، واتخذها عاصمة له ولدولته بدلاً من رقاده العاصمة القديمة . وتوفى سنة ٣٢٢هـ/٩٣٤م .

انظر . محمد ابن محمد اليماني : سيرة جعفر الحاجب ، مخطوط ح ١١٤٩٧ ورقة ١٠:١٥ ابن عذارى : البيان ، ح ١ ، ص ١٥٨ وما بعدها . عز الدين أبى الحسن بن الأثير : الكامل فى التاريخ : دار صادر : بيروت ١٩٧٩م ، ح ٨ ، ص ٣٦-٣٩ . أحمد بن خلكان : وفيات الأعيان ، ح ٣ ، ص ١١٧-١١٩ . أبى الفدا : المختصر ، ص ٦٥-٥٥ ، ص ٨٠ ، ابن خلدون العبر ، ح ٤ ص ٢٤ : ٤٠ . المقرئزى : الخطط ، ح ٢ ، ص ١٦١ - ١٦٣ ، القرماني : أخبار الدول ، ح ٣ ص ٢٢٩ : ٢٣٠ ، ابن أبى دينار : المؤنس ، ص ٥٤ : ٥٥ ، الباجى المسعودى : الخلاصة النقيه ، ص ٣٧ - ٣٩ ، ابن أبى الضياف : اتحاف اهل الزمان ص ١٢١ : ١٢٣ محمد محمود ادريس : تاريخ الدولة الفاطمية منذ قيامها بالمغرب إلى سقوطها بمصر ، المنيا ، ١٩٩١ ، ص ٢٣: ٢٥ . الحبيب الجناي : القيروان ، ص ٨٥ : ٩٣ .

(١) مجهول : الاستبصار ، ص ٦ .

(٢) ابن الأثير : الكامل فى التاريخ ، ح ٨ ، ص ٩٥ .

(٣) ابن الأثير : الكامل ، ج ٨ ، ص ٩٤ ، بن الوردي : خريدة العجائب ص ٩ ، جورج مارسية :

بلاد المغرب ص ١٥٥ القزويني : آثار البلاد ص ٢٧٦ . جورج مارسية : بلاد المغرب ، ص ١٥٥ .

(٤) ابن عذارى : البيان ، ح ١ ، ص ١٩٤ .

زويله وهو الأقرب لها وبه الأسواق والحمامات [الحى الاقتصادى] وربض الحمى ، وهو خاص بالجند وثكناتهم وغيرهما من الارياض ^(١) وكانت المهديّة المدينة الإسلامية الأولى التى تنشأ على ساحل البحر المتوسط ^(٢) وظلت المهديّة منذ إنشائها تحظى بالاحترام والتقدير والعناية من جميع الخلفاء الفاطميين ، وكانوا يعتبرونها الأصل الطيب ودار الملك وأن كل مايقع لها من محن أو سوء كان يؤلم هؤلاء الخلفاء ، فهى حرمهم وحرّم آبائهم الخلفاء من قبلهم ^(٣) ، وتعددت الآراء حول السبب الذى دعا عبيد الله المهدي إلى إنشاء مدينة المهديّة وعدم اتخاذها لرقاده أو القيروان عاصمة لملكه .

فمن الأسباب التى أدت إلى إنشاء المدينة ، هو معرفة المهدي بأن خلفاءه من بعده من أهل بيته سوف يتعرضون لخطر خروج أحد الثائرين عليهم بما يهدد بزوال ملك الفاطميين والقضاء عليه وأن المهديّة هى التى ستمنعهم من ذلك الخطر ^(٤) وقال بنيتها لتعصم بها الفواطم ساعة من نهار ^(٥) وقيل أنه أراد من إنشائها أن تكون عاصمة له ولمملكته ^(٦) . وتجنب الانتفاضات الشعبية ، التى كانت تقوم بين الحين والآخر ، مناهضة لحكم الفاطميين الشيعة فى كل من ، رقادة ، والقيروان ، العاصمتين السنيتين ، وعدم شعور المهدي بالأمان لذلك فى مدينة رقاده ^(٧) بالإضافة إلى الرغبة التوسعية لدى المهدي ، وتطلعه إلى ما هو أبعد من إفريقية ^(٨) . وخوف المهدي من تعرض الخلافة الفاطمية، لخطر التهديد والقضاء عليها عن طريق هجوم القبائل البربرية المحيطة برقاده خاصة بجبال الأوراس ^(٩)

-
- (١) البكرى المغرب ص ٣٠-٣١ . مجهول الاستبصار ص ٧ ، المراكشى : المعجب ، ص ٣٥ .
 (٢) ارشيبالد لويس : القوى البحرية ، ص ٢٥٤ .
 (٣) جوذر : سيرة جوذر ، ص ١١٢ ، ص ١١٤ .
 (٤) ابن الأثير : الكامل ح ٨ ص ٩٥ ، القزويني : اثار البلاد ص ٢٧٦ . ابن أبى دينار : المؤنس ص ٥٤ .
 (٥) ابن خلدون : العبر ح ٤ ص ٣٨ ، ابن الوردي : خريدة العجائب ، ص ١٩ . القرماني : أخبار الدول ، ح ٣ ، ص ٤٨٢ .
 (٦) ابن عذارى : البيان ، ح ١ ، ص ١٦٩ .
 (٧) جورج مارسيه : بلاد المغرب ، ص ١٥٤ ، الجنجاني : القيروان ، ص ٩٢ .
 (٨) الهادي ادريس : الدولة الصنهاجية ، ح ١ ، ص ٤١ - ٤٢ ، الجنجاني : القيروان ، ص ٩٣ .
 (٩) الجنجاني : القيروان ، ص ٩٢ .

وكانت المهدية ، من أجمل مدن إفريقية وأحصنها ^(١) ، ورغبة من المهدي فسى أن تصير المهدية الحصن الآمن له ولخلفائه وبث نوع من الطمأنينة له لآل بيتيه فقد اتخذ بالمدينة ، جميع وسائل الدفاع التي كانت في عصره ^(٢) .

ولم يكن للمهدية مرسى طبيعياً -على ساحل البحر المتوسط- ، وكان لابد لها من ميناء كغيرها من مدن الساحل تعتمد عليه في تجارتها ، سواء الصادرة ، أو الواردة إليها ، وخروج الأساطيل الحربية منها ، وكان ساحلها يتكون من الحجر الصلد فما كان من المهدي إلا أن أمر بأن يحفر الميناء في هذا الحجر الصلد فنقر نقرا وجعله حصنا لمراكبه الحربية ^(٣) .

وكان هذا المرسى من الكبير حيث يسع ثلاثين مركبا ، وكفل لهذا الميناء كثيرا من سبل الدفاع ، فزود هذا المرسى ببرجان على جانبيه ، بينهما سلسلة ضخمة من الحديد ، لاستخدامها في حراسة الميناء ، من هجوم أية مراكب -أساطيل- معادية تريد غزو المدينة ، خاصة من سفن الروم فكانت السلسلة تشد بين البرجين عن طريق حراس قائمين على هذه المهمة فلا تستطيع أية سفينة الدخول أو الخروج من الميناء طالما كانت السلسلة قائمه بين البرجين ^(٤) .

ولتحقيق التطلعات التوسعية الخارجية للمهدي ، وإدراكه لمدى الأهمية في أن يكون لديه أسطول حربي قوى به أحدث المعدات والسفن الحربية في ذلك الوقت واستخدامه إما للقيام بالفتوحات أو التصدي لهجمات الأساطيل المعادية خاصة الروم ، أمر المهدي بإنشاء دار لصناعة السفن بالمدينة كانت من أكبر دور الصناعة التي أنشئت في إفريقية واهتم بها اهتماما خاصا حتى كانت من عجائب الدنيا ^(٥) .

وأقيمت هذه الدار في الجانب الشرقي من قصر الحكم الذي يقيم فيه عييد الله المهدي كي تكون تحت نظره ومباشرته ، وبأمر بنفسه العمل بها ، فكان يأمر الصناع بما يجب عليهم صناعته ، وكانت هذه الدار من الكبير حتى أنها كانت تتسع لنحو مائه مركب ^(٦)

(١) ابن الأثير : الكامل ، ج ٨ ، ص ٩٥ .

(٢) محمد محمود ادريس : تاريخ الدولة الفاطمية ، ص ٢٦ .

(٣) التيجاني : رحلة التيجاني ، ص ٣٢٢ . وانظر : ابن خلدون : العبر ، ج ٤ ، ص ٣٨ .

(٤) البكري : المغرب ، ص ٣٠ ، مجهول : الاستبصار ، ص ٨ ، القزويني : آثار البلاد ص ٢٧٦ .

(٥) التيجاني : رحلة التيجاني ، ص ٣٢٣ .

(٦) ابن خلدون : العبر ، ج ٤ ، ص ٣٨ .

وقيل مائتين ، وزيادة فى العناية بالسفن والآلات المستخدمة قام بإنشاء قبوان كبيران طويلان لحماية الآلات الخاصة بالمراكب وعدم تعرضها للتلف ، من جراء الشمس أو الأمطار (١) .

ومنذ إنشائها مثلت المهدية ، منفذاً هاماً لتصدير منتجات المدن الداخلية القريبة منها، والتي تربطها بها الطرق التجارية ، وإمدادها فى نفس الوقت بالمنتجات المستوردة من الخارج فكان هناك طريقان يربطان مدينة المهدية بمدينة القيروان التي تبعد عنها بنحو ستين ميلاً (٢) .

وامتدح ابن حوقل (٣) مدينة المهدية عند زيارته لها ٣٣٦هـ - ٩٤٨م فقال " هى فرضة لما والاها من البلاد كثيرة التجارة ... رفهة الفواكه والغلات طيبه الداخل نزهة الخارج بهية المنظر .

وربطت الطرق التجارية المدن الساحلية المجاورة لها مثل مدينة سوسة فكان هناك طريق يربطهما طوله مرحلتان. (٤) وأضحت المهدية من أهم المراكز التجارية داخل إقليم إفريقية ف جذبت شهرتها التجار إليها من كل ناحية وغدى ميناؤها مزدهراً بالسفن التجارية الآتية من الإسكندرية ، والشام ، وصقلية ، والأندلس . (٥) فهى من اكبر المراكز التجارية الخارجية البحرية . فى إقليم إفريقية ، والتي يتعدى إليها التجار ومن أنشطها (٦) .

زادت أهميتها التجارية ، بعد أن أمر مؤسسها عبيد الله المهدى ٢٩٧هـ - ٣٢٢هـ / ٩٠٩ - ٩٣٤م أن يكون طريق الحجاج ماراً بها وذلك منذ سنة ٣٠٩ هـ - ٩٢١م (٧) ، ولم يأل عبيد الله المهدى جهداً فى إعلاء شأن مدينته ، فعمل على قيام جميع أنواع الصناعات الهامة بها والتي تقدمت بها تقدماً عظيماً .

(١) البكرى : المغرب ، ص ٣٠ ، ابن الأثير : الكامل ، ح ٨ ص ٩٤ - ٩٥ . ابن عذارى : البيان ح ١ ، ص ٢٠٧ .

(٢) البكرى : المغرب ، ص ٢٩ . مجهول : الاستبصار ، ص ١٧ . ابن عذارى : البيان ، ح ١ ص ٢٠٧ .

(٣) صورة الأرض ، ص ٧٣ .

(٤) المراكشى : المعجب ، ص ٣٥٠ .

(٥) البكرى : المغرب ، ص ٣٠ ، ص ٨٤ . السيد عبدالعزيز سالم : تاريخ البحرية ، ح ٢ ص ٥٢ .

(٦) جورج مارسية : بلاد المغرب ، ص ٢٠٩ .

(٧) ابن عذارى : البيان ، ح ١ ، ص ١٨٦ .

واشتهرت بضاعاتها المتعددة ومنها ، الصناعات الزجاجية حيث تم اكتشاف أحد الأفران التي كانت تقوم بصنع الزجاج في زويله إحدى ضواحي المهدية (١)

سوسة :

تتمتع مدينة سوسة بموقع هام وفريد على ساحل البحر الأبيض المتوسط جنوب شرقي مدينة تونس . وتتشابه من حيث جغرافية المكان بمدينة المهدية الهامة فسوسة مقامه في طرف داخل في البحر وتحيط بها المياه من ثلاث جهات هي الشمال والجنوب والشرق (٢) فيما يشبه وضع الجزيرة .

وتقع مدينة سوسة على قمة أحد الجبال العالية ولذا تعد من المدن الحصينة داخل إقليم إفريقية ، إضافة إلى تمتعها بسور (٣) قوى مبنى من الحجر الحصين ولم تكن سوسه ملحقه بالمدن في إقليم إفريقية قبل عهد الاغالبة الذين أضفوا عليها وأولوها رعايتهم وعنايتهم خاصة في عهد أبي العباس محمد الذي اهتم بالبناء بها وانشأ جامعها وذلك في سنة ٢٣٦هـ - ٨٤٨م وأكمل رعايتها من بعده أخيه أبو إبراهيم أحمد ، الذي قام بتجديد بناء سورها والحقها بالمدن بعد أن كانت مجرد قرية صغيرة (٤) .

ولا يمثل أهلها جنس واحد فقط . إنما هم أخلاط عدة من الناس ، يشتهرون جميعهم بميزات هامة مثل : البأس والنجدة (٥) افتتحها المسلمون بقيادة عبدالله بن الزبير (٦) عام ٤٥ هـ - ٦٥٧م أثناء حملة معاوية ابن حديج على إفريقية (٧)

-
- (١) جورج مارسية : بلاد المغرب ، ص ٢٠٨ .
 - (٢) ياقوت الحموي : معجم البلدان ، ح ٣ ، ص ٣٢٠ ، أبي الفدا : تقويم البلدان ، ص ١٤٥ .
 - (٣) تشبه أسوار مدينة سوسة أسوار المدن البيزنطية فهي مسننه ومدببه ولها نفس الابراج المدعمه للدفاع وقد أنشأ سور سوسة أحد الموالى ويدعى خلف ، جورج مارسية : بلاد المغرب ص ١٠٠
 - (٤) التيجاني : رحلة التيجاني ، ص ٢٦ ، أحمد صليحه : تونس ، ص ٦٠ .
 - (٥) اليعقوبي : صفة المغرب ، ص ٩ . التيجاني : رحلة التيجاني ، ص ٢٧ .
 - (٦) عبدالله بن الزبير : هو عبدالله بن الزبير بن العوام بن خويلد . يكنى بأبي بكر على اسم جده أبو بكر الصديق . كناه بذلك رسول الله صلى الله عليه وسلم . ويكنى أيضا أبو حبيب . أمه هي السيدة أسماء بنت أبي بكر الصديق ، وجدته صفية بنت عبدالمطلب عمه الرسول صلى الله عليه وسلم ، وهو أول مولود ولد للمسلمين بعد الهجرة بعد عشرين شهرا منها ، وقيل في السنة الاولى ، قام الرسول صلى الله عليه وسلم بتحنيكه بتمرة عقب ولادته . اشتهر بكثرة الصوم

وتمثل مدينة سوسه أحد الحدود الفاصلة فيما بين كورة الجزيرة ومدينة القيروان^(١) تتميز موقعها بالأهمية داخل إقليم إفريقية فكانت دائمة التعرض لهجمات الأساطيل المعادية لاسيما الروم ولذلك فساحلها كثير الأربطة والمحارس الخاصة بالحماية والدفاع مثل محرس الرباط ومحرس القصب المتصل بدار الصناعة بها ومنار خلف الفتى والبناء المسمى بالملعب^(٢) وهى مباني مشيده تشييدا جيدا ومعمورة بالصالحين^(٣)

ولما مثلت مدينة سوسه إحدى أهم المراكز التجارية بإفريقية وكثرة ورود التجار عليها من جميع البلاد المطلة على البحر المتوسط وبفضل النظام الضرائبى - الجمارك - المفروض على التجارة بها فقد أثرت مع غيرها من مدن الساحل خزانة الدولة بالأموال التى بلغت ثمانون ألف متقال هذا غير ما كانت تتم جبايته بطرق أخرى^(٤)

== وقيام الليل والشجاعة . بايع الرسول صلى الله عليه وسلم وهو ابن سبع أو ثمانية أعوام . روى الاحاديث الكثيرة عن النبى صلى الله عليه وسلم وعن ابيه وعن عمر وعثمان وغيرها رضى الله عنهم اشترك فى غزو إفريقية مع عبدالله بن أبى بسرح ٢٧ هـ / ٦٣٩ م ، وقتل جرجير ملك إفريقية . وقدم بالبشارة على أمير المؤمنين عثمان . وقام خطيبا فى الناس . كما قاتل الامام على كرم الله وجهه فى موقعة الجمل ، وامتنع عن بيعة يزيد بن معاوية بن أبى سفيان ، ببيع بالخلافة بعد وفاة يزيد بن معاوية ودخلت فى طاعته الحجاز واليمن والعراق وخرسان ، قام بتجديد عمارة الكعبة المشرفة ، قتل سنة ٧٣ هـ ٦٨٥ م اثناء حربه للحجاج بن يوسف فى عهد الخليفة عبدالملك بن مروان . أبى عثمان عمرو بن بحر بن محبوب الجاحظ : البيان والتبيين ، تحقيق حسن السندوبى ، الطبعة الاولى المكتبة بالتجارية الكبرى لصاحبها محمد مصطفى ١٩٢٤ م ، ح ٢ حاشية ١ ، ص ٧٨ ، ص ٨٢ . أبى عبدالله اسماعيل بن ابراهيم الجعفى النجارى : كتاب التاريخ الكبير ، دار الكتب العلمية ، بيروت : بدون ، ح ٣ ، ص ٦ . ابن عبدالحكم : فتوح مصر ، ص ١٨٣ - ١٨٥ . ابن فتييه : الامامه والسياسة ، ح ٢ ص ١٦ - ٢٥ ، ص ٣٣ ، ٣٧ ، ٣٩ . ابن الاثير : أسد الغابة ، ح ٣ ، ص ٢٤٢ - ٢٤٥ . ابن عذارى : البيان ، ح ١ ص ٢٢-٢٣ . الدباغ : معالم الإيمان ، ح ٢ ، ص ٣٧ - ٤٢ . السيوطى : تاريخ الخلفاء ، ص ١٨٧ - ١٩٠ . الباجى المسعودى : الخلاصه النقيه ، ص ٤ ، ص ٥٠ .

(٧) ابن عذارى : البيان ، ح ١ ، ص ١٦ . ابن أبى دينار : المؤنس ، ص ٢٥ . مؤنس : فتح العرب ، ص ١٢١ .

(١) أبى الفدا : تقويم البلدان ، ص ١٤٥ .

(٢) ياقوت : معجم البلدان ، ح ٣ ، ص ٣٢١ .

(٣) مجهول : الاستبصار ، ص ٩ ، ١٠ .

(٤) البكرى : المغرب ، ص ٣٦ .

وأدرك الحكام أهمية تلك المدينة بموقعها الهام المتميز في إفريقية فسارعوا بإنشاء دار لصناعة السفن بها حتى تمتد الأسطول الإسلامي بالسفن الحربية أو تمتد الأفراد بالسفن التجارية التي كان تجارها يقبلون على شرائها (١)

واشتهرت مدينة " سوسة " بتقديم صناعاتها المختلفة وتجارها في مجالات صناعية مختلفة مثل صناعة الغزل التي بلغت درجة مرموقة من حيث التقدم والرقى وكانت تمثل هذه الصناعة الحرفة الرئيسية التي يمتهنها أهالي مدينة سوسة وكان متقال الغزل بها يباع بمتقالين من الذهب (٢)

ومن ثم كانت دور الطراز بها على أحسن ما تكون تقدما وتقنية ومثل العاملون بها أبرز وأحسن العمال في هذا المجال على مستوى إقليم إفريقية ، خلال العصر الفاطمي وبنى زيري إذ كان ما يصنع بها من الثياب أو تقصر بها لا يضاهيها ما تتم صناعاته في دور الطراز الأخرى ، وتميزت بالتنوع فثيابها لانظير لها ، وتتميز بالبياض الصافى . الرائق ، الذى لا يوجد فى غيرها من الثياب ، ومن طرزها يتم جلب أفضل وأرفع أنواع الثياب من حيث للصناعة كعمائم المعصور ، التي تساوى الواحدة منها أكثر من مائه دينار . وكان التجار يقبلون على شرائها وحملها إلى جميع البلدان فى الشرق والغرب على السواء (٣) .

وقد راعى الخلفاء الفاطميون ومن بعدهم حكام بنى زيري دور الطرز المقامة بمدينة سوسة ومنحوها قدراً عظيماً من الاهتمام والعناية والمباشرة والتعزيد لها حتى غدت دور الطراز بمدينة " سوسة " من أشهر دور الطراز داخل إقليم إفريقية فى عهد الفاطميين ، وبنى زيري ، ومن ثم جذبت شهرتها غيرها من دور الطراز الأخرى ، التي أخذت ترسل إنتاجها إلى دور الطراز بمدينة سوسة ، لإضفاء نوع من التحسين والجاذبية عليها ، خاصة وأن إنتاج دور الطراز بسوسة ، كانت ترسل منه الهدايا التي يبعث بها حكام بنى زيري للخلفاء الفاطميين بمصر (٤) . ومثلت الثروة الحيوانية بها أهمية كبرى فى كثرة الإنتاج لما اشتهرت به سوسة من كثرة مراعيها ، وغناها ، وحسنها ، الأمر الذى انعكس بدوره على أن غدت لحوم مدينة سوسة من أطيب اللحوم بإفريقية (٥) .

(١) التيجانى : رحلة التيجانى ، ص ٢٩.

(٢) البكرى : المغرب ، ص ٣٦ ، ياقوت : معجم البلدان ، ح ٣ ، ص ٣٢١.

(٣) مجهول : الاستبصار ، ص ٩.

(٤) البكرى : المغرب ، ص ٣٦ . جورج مارسيه : بلاد المغرب ، ص ٢٠٧.

(٥) مجهول : الاستبصار ، ص ٩ . ابن أبى دينار : المؤنس ، ص ٩.

ومثل موقع مدينة سوسة أهميه استراتيجية من الناحية الحربية ، فمثلت ركيزة هامة وحيوية ، تخرج منها الأساطيل الإسلامية فى عمليات هجومية لما قابلهما من جذر فى البحر المتوسط ، ومنها انطلق الأسطول الحربى للاغالبه سنة ٢١٢ هـ — ٨٢٤م لفتح جزيرة صقلية^(١) .

ونظراً للموقع الممتاز لها والتقدم الاقتصادى سواء فى الجانب الصناعى أو الزراعى ، فقد راجت بها التجارة على اختلاف سلعتها ونمت أسواقها وأصاب جانب التجارة بها اهتمام الفاطميين وبنى زيرى فأصبحت مدينة سوسة قبلة التجار، معمورة بالناس ، إليها قاصدون ، وعنها صادرون^(٢) ولم تكن مدينة سوسة ، بمنأى عما جاورها من مراكز تجارية ، ومدن حيوية داخل إقليم إفريقية ، فربطتها بغيرها الطرق التجارية فبينها وبين القيروان طريق يبلغ مرحلة فقط^(٣) وهناك طريق يربطها بمدينة المهدية التى تبعد عنها ثلاثة أيام فقط وبينها وبين مدينة صفاقس التى تبعد عنها مسيرة يومين طريق^(٤) .

ومن ثم غدت سوسة إحدى فرض البحر، ولها أسواق حسنة مليئة بكل أنواع السلع والبضائع ، والفنادق ، والحمامات الطيبة.^(٥) وإلى الجنوب من مدينة سوسة ، يقع رباط المستنير فيما بينها وبين المهدية ، وهو من أهم الأربطة التى يقصدها أهالى إفريقية للرباط فيه والجهاد^(٦) ولا تقتصر أهمية المنستير على ناحية الجهاد والرباط فقط فهو يعد مركزاً تجارياً هاماً إذ يشتهر بتجارة الملح الذى يستخرج بكميات كبيرة منه ، تحمله السفن إلى غيره

(١) التيجانى : رحلة التيجانى ، ص ٢٦.

(٢) أبى الفدا : تقويم البلدان ، ص ١٤٥ ، القلقشندى : صبح الأعشى ، ح ٥ ص ١٠٣ .

(٣) اليعقوبى : صفة المغرب ، ص ٩ ، أحمد صليحه : تونس ، ص ٦٠ .

(٤) ياقوت : معجم البلدان ، ح ٣ ، ص ٢٨٢ . أبو الفدا : تقويم البلدان ، ص ١٤٥ .

(٥) ابن حوقل : صورة الأرض ، ص ٧٤ .

(٦) وردت أحاديث منسوبة إلى النبى صلى الله عليه وسلم تشير إلى أهمية المنستير وفضل الرباط به

منها عن انس ابن مالك قال . قال رسول الله صلى الله عليه وسلم . من رباط [بالمنستير] ثلاثة

ايام وجبت له الجنة . قال أنس بن بخ بخ يارسول الله . قال نعم يا أنس وله فى هذه الثلاثة ايام كاجر

النبیین والصديقين والشهداء والصالحين ، انظر أبو العرب : طبقات علماء إفريقية وتونس ، ص

٤٥ - ص ٤٨ ، ابن عذارى : البيان ح ١ ، ص ٧ ، جورج مارسية : بلاد المغرب ،

ص ٢٢-٢٣ .

من المناطق ، وبعد يوم عاشوراء أحد المواسم التجارية الهامة به ^(١) وهو يواكب اليوم الخاص باحتفالات تجديد حامية المدينة ^(٢)

تونس :

مدينة ساحلية على مسافة أربعة أميال من ساحل البحر المتوسط ^(٣) أنشأها حسان بن النعمان ^(٤) سنة ٨٠ هـ / ٦٩٢م بعد تغلبه على الروم وقضائه على مدينة قرطاجنة العاصمة ^(٥) سميت تونس ^(٦) نسبة إلى إحدى القرى القديمة التي كانت تسمى تينس ^(٧) وهي من المدن الحصينة ذات المنعة إذ تقع تونس في سفح جبل يطلق عليه أم عمرو ويدور حولها خندق حصين ولها خمسة أبواب ^(٨) وهي قديمة البناء تضرب بجذورها في أعماق التاريخ ^(٩) فهي تعود على الأقل إلى القرن الرابع قبل الميلاد ، واسمها مشتق من كلمه

-
- (١) البكري : المغرب ، ص ٣٦ . مجهول : الاستبصار ، ص ١٠٠٩ .
 (٢) جورج مارسية : بلاد المغرب ، ص ٢٠٩ ، أحمد صليحه : تونس ، ص ٦٠ .
 (٣) مجهول : الاستبصار ، ص ١٠ ، البغدادي : مراصد الاطلاع ، ح ١ ، ص ٢٨٢ .
 (٤) حسان بن النعمان الغساني : توجه إلى إفريقية بناء على أمر الخليفة الأموي عبدالملك بن مروان . الذي أطلق له الأمر في أن يأخذ من أموال مصر مايكفيه لكي يعطى لكل من يشترك معه في الجيش ، وكان جيشه اكبر جيش للمسلمين دخل إفريقية إذ بلغ عدده ٤٠ ألف جندي ، وكان دخوله إفريقية في سنة ٧٦ هـ / ٦٨٨م وقيل ٧٧ هـ / ٦٨٩م وقيل ٧٩ هـ / ٦٩١م لاقى جيشه هزيمة نكراء على يد الكاهنة وأسر من جيشه ثمانين رجلا واستطاع جيش البربر اخراجه من إفريقية إلى مدينة برقة التي اقام بها في منطقة سميت باسمه وهي قصور حسان ، وكان ذلك بعد أن استطاع هزيمة البربر في عدد من المواقع . وظل بمدينة برقة خمس سنوات ، وقام عبدالملك بمد حسان بالمال والرجال حتى استطاع هزيمة الكاهنة هزيمة نكراء ودمر مدينة قرطاجنة العاصمة وانشأ مدينة تونس ودون الدواوين ورتب أمر إفريقية وفرض على البربر الخراج . وبنى دار الصناعة بتونس ثم عزل عن إفريقية بعد ذلك سنة ٨٠ هـ / ٦٩٢م . ابن عبدالحكم : فتوح مصر ، ص ٢٠٠ - ٢٠٣ . ابن عزاري : البيان ، ح ١ ص ٣٤ - ٣٩ . ابن أبي دينار : المؤنس ، ص ٣١ - ٣٣ . الجنجاني : القيروان ، ص ٣٩ - ٤٢ . احمد صليحه : تونس ، ص ١٠٠ - ١٠٨ .
 (٥) البكري : المغرب ، ص ٣٧ . ابن أبي دينار : المؤنس ، ص ٦ .
 (٦) كانت قديما تسمى ترشيش وأطلق عليها المسلمون اسم تونس لشعورهم بالانس لصوت أهم الرهبان الذي كان يقيم في أحد الادييره المنتشرة في تلك المنطقة فلزمها هذا الاسم منذ ذلك الوقت حتى الآن . ابن أبي دينار : المؤنس ، ص ٨ ، صليحه : تونس ، ص ٢٢ .
 (٧) مؤنس : معالم المغرب ، ص ٥٠ .
 (٨) البكري : المغرب ، ص ٣٩ .
 (٩) ابن أبي دينار : المؤنس ، ص ٢٦ .

بربرية تعنى محط الرحال ، وهى تقع على أطراف مدينة قرطاج وكانت محطة للتأهب لدخول قرطاج ^(١) وقيل أن بناءها يرجع إلى العهود البونية وربما قبلها ^(٢) .

وتبعد تونس عن القيروان مسيرة ثلاثة أيام ، وعن قرطاجنه العاصمة القديمة عشرة أميال ويطلق على مرساهما اسم رادس ، وهى على آخر طرف البحيرة ، والتى يبلغ طولها مابين ستة إلى عشرة أميال وعرضها ثمانية أميال ، ويبلغ محيط دورها أربعة وعشرون ألف ذراع ^(٣) وأخذت شهرتها تظهر عقب قيام حسان بن النعمان بإعادة بنائها وجعلها أحد المحارس التى تحمى إفريقية من غارات الروم ، وكان موقعها على ساحل البحيرة إلى لداخل مما أثار نظر حسان فى التفكير لاتخاذها مدينة جديدة للمسلمين ، واتخاذها قاعدة بحرية تقلع منها الأساطيل فى سفرات نائية ويحتفى فيها من مباغثة الروم ^(٤) .

وهى أول مركز أقامه المسلمون فى السهول الواقعة شمال تونس والتى تعتبر أكثر السهول ملائمة بعيداً عن السهول الصخرية المحيطة ، واحتلت تونس المكانة الهامة التى كانت لقرطاج من قبل ^(٥) وأخذ شأنها يعلو وازدادت أهميتها بعد ما أولاها الخليفة الأموى عبدالملك (٦٥ - ٨٦ هـ - ٦٧٧ - ٦٩٨ م) اهتماماً . وأمر بإنشاء دار لصناعة السفن بها ، وأمر أخاه عبدالعزيز والى مصر أن يرسل إلى حسان ألف قبضى من مصر بأسرهم إلى تونس وأن تقام لهم دار صناعة تكون عدة وقوة للمسلمين إلى آخر الدهر ، وأن يقوم البربر بجر الخشب إلى هذه الدار وأن يصنع بها المراكب ويجاهد الروم فى البر والبحر وأن يغار منها على سواحل الروم فيشتغلون عن القيروان نظراً للمسلمين وتحصينا لهم ^(٦) وحرصاً على مراسم الجهاد ^(٧)

(١) أحمد صليحه : تونس ، ص ٢٢ .

(٢) موجز دائرة المعارف الإسلامية ، مادة تونس ، ح ٨ ، ص ٢٤٣٤ .

(٣) مجهول : الاستبصار ، ص ١٠ . القلقشندى : صبح الاعشى ، ح ٥ ، ص ١٠٢ .

(٤) ابن أبى دينار : المؤنس ، ص ٦ . مؤنس : فتح العرب ، ص ٢٦٠-٢٦١ .

(٥) يسرى الجوهري : شمال إفريقية ، ص ١٤٥ .

(٦) البكرى : المغرب ، ص ٣٨ . ابن أبى دينار : المؤنس ، ص ١٢ سيدة الكاشف : الوليد بن

عبدالملك ، ص ١٥٧ .

(٧) ابن خلدون : المقدمة ، ص ١٧٧ .

وصارت تونس هي البديل للعاصمة القديمة قرطاج (قرطاجنه) سياسياً واقتصادياً وعسكرياً ، فلا يفكر الناس في العودة مرة أخرى إلى مدينة قرطاج ^(١) وأنشا حسان بها جامعا وداراً للإمارة ، ومساكن للجند ، ودار الصناعة ^(٢) ،

ولها شهرة واسعة في مجالات عديدة ، فتشتهر تونس بتجارتهما في الأقمشة ، والثياب ، القطنية والكتانية ، خاصة قماشها المعروف باسم الأفريقي ، ذو الشهرة الواسعة في أنحاء المغرب ^(٣) ومن تجارته كذلك الملح المستخرج من بحيرتها بكميات ضخمة تفيض عن حاجتها منه ^(٤)

ولم تكن مدينة تونس بمنأى أو بمعزل عن غيرها من مدن إفريقية ، بل ارتبطت بينها وبين غيرها من القرى والمدن بطرق تجارية هامة لتبادل السلع والبضائع والصناعات المختلفة فكان هناك طريق يربطها بمدينة منزل بابشو عاصمة إقليم الجزيرة وطريق آخر مع قرى جبل زغوان مثل فندق شكل ^(٥) وهي تبعد عن مدينة صفاقس مسيرة ثلاثة أيام وعين المهديّة بمائة ميل ، وتتميز بكثرة أسواقها ، ومنابرها ، وفنادقها وحماماتها ^(٦)

وربطت الطرق البحرية بينها وبين الأندلس ، فكانت أحد المعابر الهامة لأهالي الأندلس ^(٧) وهي من أنشط المراكز التجارية في إفريقية ^(٨) . تعرضت لنوع من الإهمال أثناء حكم الفاطميين وبنى زيري الذين كانوا يفضلون عليها مدن القيروان والمهديّة ^(٩) .

فتونس من أشرف مدن إفريقية شأنًا وأحسنها صناعة وزراعة وتجارة ^(١٠) وكانت أسواقها تقام في أيام محددة من الأسبوع مثل سوق الأحد ^(١١) وتشتهر بزراعتها العطرية

-
- (١) حسين مؤنس : فتح العرب ، ص ٢٦٠ .
 (٢) البكري : المغرب ، ص ٣٨ . ابن أبي دينار : المؤنس ، ص ١٢ . قيل أن الذي بنى دار الصناعة هو عبدالله بن الحجاب (الحجاب) . مجهول : الاستبطار ، ص ١٠ . وقيل أنه موسى ابن نصير . ابن أبي دينار : المؤنس ، ص ١٢ .
 (٣) القلقشندي : صبح الأعشى ، ح ٥ ، ص ١٠٢ .
 (٤) البكري : المغرب ، ص ٤٠ .
 (٥) البكري : المغرب ، ص ٤٥ - ٤٦ .
 (٦) ياقوت الحموي : معجم البلدان ، ح ٢ ، ص ٧٠ - ٧١ ، ابن أبي دينار : المؤنس ، ص ١٠ .
 W.J. Fishel : مادة تونس : دائرة المعارف الإسلامية ، ح ١ ص ١٧١ .
 (٧) اليعقوبي : صفة المغرب ، ص ٩ .
 (٨) جورج مارسيه : بلاد المغرب ، ص ٢٠٩ .
 (٩) Brun Schvig : دائرة المعارف الإسلامية ، ح ١٠ ص ١٧١ .

والدوائية والصناعية والحبوب والزيت (١) ومن أصبح المدن هواء وأطيبها ماء وأكثرها خيرا وبها الفواكه التي لانظير لها (٢). وهى إحدى المدن العلمية المرموقة خاصة الفقه وعلوم الدين الأخرى ، ساهم علماءها فى نشر الدين الإسلامى بإفريقية على المذهب السنى ، كما كانت إحدى المدن المتمسكة بالمذهب السنى أثناء حكم الفاطميين وبنى زيرى (٣)

صفاقس :

مدينة ساحلية صغيرة تقع فى (٤) الإقليم الثالث وهى مقامة فى منطقة منبسطة مستوية شمال جبل السبع (٥) ويحيط بها سور وهى آخر مدن إقليم الساحل (٦) وتعتبر من أشهر المناطق الدفاعية فى إفريقية والتي كانت دائمة العرصة للهجمات من جانب الروم لذا كثرت بها المحارس والأربطة التى كانت مليئة بالمجاهدين والمدافعين منها محرس بطوية وهو أشهر هذه المحارس واشرفها ومحرس حبله ومحرس أبى الغصن ومحرس مقدمان ومعرس الوزه ومحرس الريحانة (٧) . كما تعد من أشهر مدن إفريقية من حيث خصوبة التربة وكثرة وتنوع محاصيلها الزراعية الهامة لا سيما الزيتون الذى يزرع بكميات ومساحات شاسعة .

وتحيط بالمدينة غابة جليلة من أشجار الزيتون ، الذى يمثل أهم زراعاتها والمصدر الأساسى للثروة بها والتي قامت عليه صناعتها الرئيسية إلا أنها تفتقر إلى المحاصيل البستانية . ولقلة الإنتاج بها من محاصيل الفاكهة فقد لجأت إلى غيرها من المدن التى تتميز بكثرة إنتاجه لسد حاجتها منها مثل مدينة قابس (٨)

ويتميز مينائها بالصلاحية الملاحية طوال العام ، فلا يتعرض للأنواء البحرية ، أو هبوب الرياح أو التيارات البحرية العاتية التى تعيق الملاحة فهو ميناء ميت الماء ومحط

(١٠) ابن أبى دينار : المؤنس ، ص ١٠ ، ١٣ .

(١١) البكرى : المغرب ، ص ٤٠ .

(١) ابن حوقل : صورة الأرض ، ص ٧٥ . مجهول : الاستبصار ، ص ١١ .

(٢) القرمانى : أخبار الدول ، ح ٣ ، ص ٣٤٠ .

(٣) Brunsehvig : دائرة المعارف الإسلامية ، ح ١٠ ، ص ١٧٠ - ١٧١ .

(٤) أبى الفدا : تقويم البلدان ص ١٤٥ .

(٥) القلقشندى : صبح الأعشى ، ح ٥ ، ص ١٠٣ .

(٦) اليعقوبى : صفة المغرب ، ص ١٠ .

(٧) البكرى : المغرب ص ٢٠ .

(٨) الخميرى : الروض المعطار ص ٣٦٥ .

للسفن من مختلف البلدان ^(١) وهى من أنشط وأهم المراكز التجارية التى يقبل عليها التجار برؤوس أموالهم لشراء الزيت والثياب منها ^(٢) وليس أدل على شهرتها التجارية أن الضرائب التى يدفعها التجار الأجانب بواقع ١٠٪ فى بعض أعمالها بلغت خمسين ألف قفيذ ^(٣)

بجايه :

مدينة ساحلية هامة على ساحل البحر المتوسط تقع فى نطاق الإقليم الرابع ^(٤) وهى مدينة قديمة أزلية عامرة بالسكان خاصة من أهالى الأندلس ، لها نهر كبير فى الجانب الشرقى منها تستخدمه السفن فى التجارة ^(٥) وتزين شواطئه البساتين والمنازه ، وهى قريبة من الأندلس وتقابل مدينة طرطوشة ولايزيد البحر بينهما على ثلاث مجار فقط ^(٦) .

تتميز بالحصانة ، والمنعة ، وسهولة الدفاع عنها ضد أية هجمات خارجية ، إذ تحيط بها الجبال ، والبحر يحيطها من ثلاث جهات هى : الشرق ، والغرب ، والجنوب وتتميز الطرق المؤدية إليها بالوعورة ، وكثرة العقبات ، باستثناء الجانب الغربى منها ، وهو طريق ضيق يقع على صفة نهرها ^(٧) ويتميز ميناؤها بالصلاحية الملاحية ، وهو يقع على آخر الخليج الذى يربطها بالبحر المتوسط ^(٨) وكان دخول العرب إفريقية السبب الأول فى بناء هذه المدينة على أنقاض مدينة قديمة سميت بالمنصورية ، نسبة إلى المنصور ابن حماد واتخذها دار ملكه وهى على مسيرة أربعة أيام من مدينة القلعة وهى على جبل يسمى أمسيول [أمسيون] وهى عاصمة لمملكة عظيمة حتى شبه ملكها بملك مصر كناية على عظمتها ، وهى من أعظم المدن التجارية بإفريقية حيث تأتىها السفن من كل مكان ، وتمتاز بكثرة خيراتها الزراعية المختلفة لجودة أرضها وخصوبتها ، وتكثر بها القصور الموثقة الموشاة بالذهب واللازورد التى تطل على ساحل البحر بها كما توجد بها الحيوانات البرية

(١) البكرى : المغرب ، ص ٢٠ ، مجهول : الاستبصار ، ص ٧ .

(٢) البكرى : المغرب ، ص ٢٠ ، جورج مارسيه : بلاد المغرب ، ص ٢٠٩ .

(٣) ابن خلدون : العبر ، ح ٦ ص ١٢٩ .

(٤) القلقشندي : صبح الاعشى ، ح ٥ ، ص ١٠٩ .

(٥) البكرى : المغرب ، ص ٨٢ .

(٦) أبى الفدا : تقويم البلدان ، ص ١٣٧ .

(٧) مجهول : الاستبصار ، ص ٢٥ .

(٨) القلقشندي : صبح الاعشى ، ح ٥ ، ص ١٠٩ .

مثل القردة والذرب [القنفذ] ^(١) وهى قرية المسافة من بلاد الروم وصقلية مما جعلها إحدى مناطق الوثب والهجوم ، حيث تخرج منها الأساطيل الحربية لغزو تلك المناطق ^(٢) واعتبرها البعض آخر مدن إقليم إفريقية من ناحية الغرب ^(٣) .

بونة :

تمثل بونه إحدى مدن إقليم إفريقية ، المقتدرة متوسطة المساحة ليست بالكبيرة ولا بالصغيرة وتمثل رقعتها رقعة مدينة الاربس ^(٤) قرية من فحص قل - قديمه البناء وتكثر بها الآثار ^(٥)

وهى مقامة على ساحل البحر - المتوسط - فى نشر من الأرض يشرف على البحر وعلى فحوصها وقراها ^(٦) يتميز بالمنعة ويطل على مدينة سبوس ^(٧) وتسمى أيضا مدينة زاوى ^(٨) وهى إحدى مدن الإقليم الرابع وبعدها البعض أول حد إفريقية من ناحية الغرب ^(٩)

وعلى مسافة ثلاثة أميال من مدينة بونة القديمة تم إنشاء مدينة أخرى حديثة ^(١٠) وسميت أيضا باسم بونة الحديثة ^(١١) ويطل على مدينة بونة جبل زعزوغ الذى تغطيه الثلوج ويوجد فى وسطه مسجد ^(١٢) وهى تقع بين مدينة مرسى الخرز وجزيرة بنى مرغناى ^(١٣) .

-
- (١) مجهول : الاستبصار ص ١٩-٢٠.
 - (٢) نفس المصدر ص ٢٠.
 - (٣) البغدادي : مرصد الاطلاع ، ح ١ ص ١٦٣.
 - (٤) ابن حوقل : صورة الأرض ، ص ٧٧ .
 - (٥) الحميرى : الروض المعطار ، ص ١١٥.
 - (٦) الحميرى : الروض المعطار ، ص ١١٥.
 - (٧) البكرى : المغرب ص ٥٤ . وتقع الآن بدولة الجزائر ، عند مصب نهرسبو وعلى الشاطئ الغربى المسمى بنفس الاسم الذى ينحصر بين رأس كما رد Garde غربا ورأس روزا Rosa شرقا ايفر Gyevr : دائرة المعارف الاسلامية ، ح ٨ ص ٤٥٢.
 - (٨) البكرى : المغرب ، ص ٥٥ . وقد اطلق عليها هذا الاسم نسبة إلى واليها زاوى ابن زيرى الذى تولى المدينة فى عهد والي إفريقية المعز بن باديس . ايفر Gyevr دائرة المعارف ، ح ٨ ، ص ٤٥٣.
 - (٩) أبو الفدا : تقويم البلدان ، ص ١٤١ . القلقشندي : صبح الاعشى ، ح ٢ ، ص ١٠٦.
 - (١٠) البكرى : المغرب ، ص ٥٥.

وتشتهر بونه بالخصب ورخص الأسعار والإنتاج الضخم من أنواع الفاكهة التي تأتي أكثرها من باديتها بالإضافة إلى الإنتاج الغزير من محصولي القمح والشعير^(١) ومن أكثر منتجاتها العناب حتى أطلق عليها بلد العناب الذي يعد من أهم محاصيلها الزراعية ويستخدم أهالي المدينة أخشاب هذا النبات في تغطيه سقوف منازلهم إلى جانب استخدامه كوقود لهم إلى غير ذلك من الاستعمالات الأخرى^(٢)

وتشتهر أيضا بمكانة تجارية هامة داخل إقليم إفريقية ومن تجارتها الغنم والصوف والماشية من الدواب وسائر الكراع وتعد الأبقار من أكثر أنواع الدواب بها^(٣) وتشتهر بكثرة إنتاجها من السمك الكبير الحجم الذي يتم صيده من بحيرتها الكبيرة الواقعة في الجانب الغربى منها وتبلغ مساحتها نحو عشرة أميال^(٤).

ومرساها من المراسى المشهورة بإفريقية ويطلق عليه مرسى الأزقاق وهو غير مأمون إذا كثيرا ما تعطب به السفن^(٥) وبفضل شهرتها التجارية فهي تستقبل بحارا من مختلف الأنحاء لاسيما تجار الأندلس ، ولذا تعد من المدن ذات الدخل المرتفع فيمثل مستخلص أموالها غير ما يذهب إلى بيت المال عشرون ألف دينار^(٦)

وهي إحدى المدن الشهيرة بإقليم إفريقية بوفره معدن الحديد الهام الذي يوجد بها بكميات ضخمة وتقوم بتصدير إنتاجها منه إلى مختلف الأقطار^(٧) ولا تعاني بونه ندرة فى

(١١) قيل كان الغرض من بناء يونه الحديثة هو صد هجمات المسيحيين ، وقد أقيمت يونه الحديثة على مسيرة ميل ونصف من مدينة هيونه Hippo regiu التي أسسها الفينيقيون وغذاها القرطاجنيون ثم استولى عليها ملوك نوميديا ثم ختمت إلى ولاية إفريقية الرومانية ووصلت إلى درجة عالية من الرخاء الاقتصادى فى عهد الامبراطورية الرومانية ، Gyever : دائرة المعارف — ٨ ص ٤٥٢-٤٥٣.

- (١٢) مجهول : الاستبصار ، ص ١٧ .
 (١٣) البغدادى : مرصد الاطلاع ، ج ١ ، ص ٢٣٢ .
 (١) ابن حوقل : صورة الأرض ، ص ٧٧ .
 (٢) الحميرى : الروض المعطار ، ص ١١٥ .
 (٣) ابن حوقل : صورة الأرض ، ص ٧٧ .
 (٤) مجهول : الاستبصار ، ص ١٨ .
 (٥) ابن حوقل : صورة الأرض ، ص ٧٧ . مجهول : الاستبصار ، ص ١٨ . الحميرى : الروض المعطار ، ص ١١٥ .
 (٦) ابن حوقل : صورة الأرض ، ص ٧٧ . Gyevr : دائرة المعارف الاسلامية ، ج ٨ ص ٤٥٣ .
 (٧) ابن حوقل : صورة الأرض ، ص ٧٧ . أبى الفدا : تقويم البلدان ، ص ١٤١ .

مياه الشرب العذبة بها فلها نهر متوسط يصب في البحر المتوسط من الجهة الغربية لها ^(١) كما توجد بئر للماء العذب تسمى النثرة على شاطئ البحر بها تتميز بعذوبة ونقاء مائها ^(٢) ولذلك فهي من أنزه البلاد وأكثرها لبناً ولحماً وعسلاً وحثاً ^(٣) .

تنس .

تنس مدينة تنس إحدى المراكز التجارية البحرية الهامة بإقليم إفريقية فهي لا تبعد عن ساحل البحر المتوسط سوى ميلين فقط ، وتمتاز بالحصانة ، وبها قلعة ذات منعة وقوة يصعب ارتقاؤها اتخذها الولاة مقراً خاصاً لهم لحصانتها ^(٤) قام بتأسيسها البحريون من أهالي الأندلس سنة ٢٦٢هـ / ٨٨٣م ^(٥) .

وهي آخر حدود إقليم إفريقية من ناحية الغرب وتبعد عن مدينة وهران ثماني مراحل وقبل سبعة مراحل ^(٦) وعن مليانه الواقعة في جنوبها أربعة أيام كما تبعد عن مدينة تبهرت مابين خمس إلى ست مراحل ^(٧)

وتعتبر مدينة تنس في الأصل مدينتان إحداهما قديمه صغيره عبارة عن حصن يوجد على ساحل البحر ^(٨) أما الحديثة فهي التي قام بإنشائها البحريون من أهالي الأندلس منهم الكركدن وابن عائشة والصقر وصهيب وغيرهم وذلك في سنة ٢٦٢هـ - ٨٨٣م وهم فريقان من أهالي مدينتي البيرة وتدمير الأندلسيتان ، أما أصحاب تنس فيرجع نسبهم إلى الحسين بن علي أن ابن أبي طالب رضى الله عنهم . وقد تميزت تنس بجوها المعتدل الدافئ في فصل الشتاء لذلك اعتاد أهالي الأندلس أن يتخذوها مشى لهم فقط على أن يغادروها بعد فصل الشتاء ^(٩) وذلك لرداءة طقسها باقي فصول السنة ومياها ^(١٠) فلا تفارق أهلها الحمى ^(١١)

(١) البكري : المغرب ، ص ٥٥ . مجهول : الاستبصار ، ص ١٨ ، الحميري : الروض المعطار ص ١١٥ .

(٢) البكري : المغرب ، ص ٥٥ . مجهول : الاستبصار ، ص ١٧ .

(٣) الحميري : الروض المعطار ، ص ١١٥ .

(٤) البكري : المغرب ، ص ٦١ .

(٥) ابن عذاري : البيان، ح ١ ، ص ١١٧ .

(٦) عبدالواحد المراكشي : المعجب ، ص ٣٥٣ .

(٧) ياقوت الحموي : معجم البلدان ، ح ٢ ، ص ٥٦ .

(٨) البكري : المغرب ، ص ٦١ .

(٩) البكري : المغرب ، ص ٦١ .

وتتس مقامة على نهر تنانين الذى ينصب إليها من الجبال الواقعة على مسيرة يوم منها فى ناحية القبلة ، ويستدير بها من جهة الجنوب ، والشرق ، حتى يصب فى البحر المتوسط^(١) .

ولمدينة تنس عدداً من الأبواب منها اثنان إلى القبلة ، وباب إلى البحر ، وباب ابن ناصح ، وباب الخوخة شرقى ، ويتم الخروج من هذا الباب إلى عين ماء عذبة تسمى بعين عبدالسلام^(٢) .

ويتميز أهالى مدينة تنس عن باقى أهالى مدن إفريقية فى بعض المعاملات داخل الأسواق فيستخدم أهلها كَيْلاً خاصاً بهم يسمى الصحف ، وهى تساوى ثمانية وأربعون قادوساً والذى يساوى بدوره ثلاثة امداد بمد النبى صلى الله عليه وسلم وبها نوعان من الأبطال أحدهما يستخدم لوزن اللحوم بها ، وهو يساوى سبع وستون أوقية ، والآخر يستخدم لوزن سائر الأشياء ، ويساوى اثنان وعشرون أوقية ، أما قيراطهم فيساوى ثلث درهم عدل بوزن قرطبة^(٣) والجارى عندهم قيراط وربع درهم وصقل وحبّتان مضروبة كلها ودرهمهم اثنا عشر صقلية عدداً^(٤)

وتعرضت مدينة تنس فى حوالى سنة نيف وعشرين وستمائة إلى فيضان ضربها وهدم دورها ورغم ذلك عاد إليها بعض أهلها وسكنوا بها^(٥)

وهى تعد من أكثر مدن إفريقية التى يفضلها تجار الأندلس ، ويأتون إليها بتجارهم ويتخذونها مركزاً لهم ينطلقون منه إلى غيرها من المدن ، كما تعد من أكثر المدن دخلاً من كافة وجوه الأموال كالخراج والجوالى والصدقات والأعشار وغيرها من المكوس على جميع التجارات سواء الداخلة أم الخارجة منها^(٦) .

١٠٤

(١) البكرى : المغرب ، ص ٦٢ ياقوت : معجم البلدان ، ح ٢ ، ص ٦١ .

(٢) نفس المصدر ص ٦٢ .

(٣) ياقوت : معجم البلدان ، ح ٢ ، ص ٥٧ .

(٤) البكرى : المغرب ، ص ٦٢ .

(٥) ياقوت : معجم البلدان ، ح ٢ ، ص ٥٧ .

(٦) ابن حوقل : صورة الأرض ، ص ٧٨ .

تعد مدينة مرسى الخرز إحدى أهم المدن التجارية البحرية داخل إقليم إفريقية نظرا لموقعها الفريد والهام على ساحل البحر المتوسط فهي مقامه على شبة جزيرة فى البحر يربطها بالساحل طريق واحد فقط ضيق تغطيه أحيانا مياه البحر فى فصل الشتاء فيعزلها عن البر وهي تقع شرقي مدينة بونة ^(١) وهي تشبه فى موقعها الفريد هذا مدينة المهديّة ^(٢)

وهي إحدى أهم مناطق الصيد بإفريقية حيث يصاد بها كميات كبيرة من الأسماك التى تعد من أهم وجبات الغذاء بهذه المدينة ^(٣) استمرت هذه المدينة أهميتها التجارية لشهرتها العالمية فى استخراج معدن المرجان ^(٤) الذى لا يوجد له نظير من حيث الجودة ونقاء الجوهر فى أى مكان آخر فى العالم رغم وجود هذا المعدن بمدن تنس وسبته غير أنه لا يرقى إلى ما يتم استخراجه من مرسى الخرز وتعتبر حرفة استخراج المرجان أكثر الحرف الغالبة على أهالى هذه المدينة فكثيرا من الأوقات يشترك نحو خمسون قاربا يحمل القارب نحو عشرون شخصا لاستخراج هذا المعدن ^(٥) .

والمرجان عبارة عن جبال تحت سطح الماء يتم استخراجه عن طريق آلات بسيطة غير معقدة تتمثل فى صليب من الخشب يلف عليه كتان محلول ويتم ربط هذا الصليب بحبلين وعلى مسيرة نصف فرسخ داخل البحر حيث معدن المرجان يتم إلقاءه ويقوم صاحب القارب بالدوران فى جميع الاتجاهات حتى يتعلق به المرجان وعندئذ يتم استخراجه وهو أغبر اللون ^(٦) وتختلف كميات المرجان المستخرجة ما بين شخص وآخر فالبعض يستخرج ما قيمته عشرة دراهم والبعض الآخر يستخرج بما قيمته عشرة آلاف درهم ^(٧) .

والخلفاء الفاطميين وحكام بنى زيرى أمناء قائمون بصفة خاصة لمراقبة ما يتم استخراجه من المرجان غير ناظرها الذى يحصل على دخل خاص من استخراج وبيع هذا

(١) البكرى : المغرب ، ص ٥٥ .

(٢) المقدسى : أحسن التقاسيم ، ص ٢٣٩ .

(٣) ابن حوقل : صورة الأرض ، ص ٧٧ .

(٤) القزوينى : آثار البلاد ، ص ٢٦١ ، القلقشندي : صبح الاعشى ، ح ٥ ، ص ١١٠ ، القرماني :

اخبار الدول ، ح ٣ ، ص ٤٨٣ .

(٥) القزوينى : آثار البلاد ، ص ٢٦١ .

(٦) القزوينى : آثار البلاد ، ص ٢٦١ .

(٧) المقدسى : أحسن التقاسيم ، ص ٢٣٩ .

وعلى الرغم من ذلك فهي تعد إحدى المدن الكبيرة في تلك المنطقة إذ لا يقاربها في كبرها مدينة أخرى من المدن المجاورة لها على ساحل البحر^(١).

كان البحريون من أهالي الأندلس يفضلون العيش والتجارة بمدينة تنس القديمة الواقعة على الساحل أثناء فصل الشتاء فقط دون تفكير في التوغل إلى الداخل حيث تنس الحديثة التي كان أهلها يقومون بتبادل التجارة مع هؤلاء البحريون إلا أن أهالي تنس الحديثة من البربر تمنوا أن ينتقل البحريون بتجارتهم وأهلهم إلى الداخل ويتخذوا من قلعة المدينة سكناً وسوقاً لهم واخذوا يرغبونهم في هذا الأمر ويبدلون لهم الوعود بالعون والرفق وحسن العشرة والمجاورة معهم فقبل هؤلاء البحريون الأندلسيون وانتقلوا هم ومن جاورهم من أهالي الأندلس إلى قلعة تنس الحديثة ولكنهم لم يتحملوا طقسها الرديء فاعتلوا واستولوا المكان وقرروا فيما بينهم الرحيل دون تفكير في العودة مرة أخرى وأظهروا لمن بقي منهم أنهم راحلون على أن يعودوا بتجارة أخرى ثم قرروا الذهاب إلى قرية بجاية وتغلبوا عليها وأقاموا بها^(٢).

ورغم رحيل البحريون من أهالي الأندلس إلا أن باقى أهلها لم يهجروها بل ظلوا مقيمين بها يزدادون كثرة وأموالاً ، حتى شاع أمرهم بين المدن الأخرى فما كان من أهالي مدينة سوق إبراهيم المجاورة إلا الرحيل إلى تنس والإقامة بها ورغبة من أهالي تنس في بقاء أهالي مدينة سوق إبراهيم وعدم نزوحهم منها مثل البحريون الأندلسيون فقد توسعوا لهم في المنازل وشاركوهم في الأموال وتعاونوا فيما بينهم على البناء والتوسع في المدينة^(٣).

وتشتهر تنس بكثرة الذئاب البرية التي لا تفتأ تهاجم أهلها وتقضى عليهم ، كما تشتهر أيضاً بكثرة الحشرات اللاذعة بها^(٤) وتعد تنس من أكثر المدن التي تتميز بالرفاهية والخصوبة في جميع الوجوه ، وبها أنواع كثيرة حسنة من الفاكهة مثل السفرجل المعتق حسن المنظر والحلاوة والطيب والرائحة^(٥).

(١٠) القزويني : آثار البلاد ، ص ١٧٣.

(١١) القرمانى : أخبار الدول ، ح ٣ ، ص ٣٤٠.

(١) ابن حوقل : صورة الأرض ، ص ٧٨.

(٢) البكرى : المغرب ، ص ٦١ - ٦٢ . ياقوت : معجم البلدان ، ح ٢ ، ص ٥٦ - ٥٧.

(٣) البكرى : المغرب ، ص ٦٢ . ياقوت : معجم البلدان ، ح ٢ ، ص ٥٧.

(٤) القزويني : آثار البلاد ، ص ١٧٣ . القرمانى : أخبار الدول ، ح ٣ ، ص ٣٤٠.

(٥) ابن حوقل : صورة الأرض ، ص ٧٨.

المعدن إلى جانب وكلاء التجار ، والسماصرة ، المنتشرون بكثرة داخل هذه المدينة ليبيع وشراء المرجان ^(١)

ويتم بيع المرجان داخل أسواق المدينة جزافاً رخيصاً إذ لا يستمد أهميته وعلو سعره إلا بعد قيام الصناع بجليه وتنقيته وإعطائه اللون والإشراق اللازمين له ^(٢) بعد أن تتلقفه أيدي الصناع فيجرون عليه عمليات الإصلاح والتذهيب ويجلون قشرة ، فيخرج بعدها أحمر اللون بصورة حسنة ^(٣) .

ورغم أهميتها التجارية ودخلها الضخم لأهلها ، إلا أنها من المدن الفقيرة من الناحية الزراعية فتعتمد على غيرها من المدن المجاورة في جلب ما يلزمها من محاصيل وفاكهة وثمار ^(٤) وتعد مدينة مرسى الجزر من المدن ذات الأهمية الحربية وإحدى مناطق الوثب ، والدفاع ، في إفريقية فهي مدينة صناعية ، هامة للصناعات الحربية من السفن ، كما يقصدها الغزاة من كل مكان لقربها من جزيرة سردانية إذ لا تتعدى المسافة بينهما سوى مجريين فقط ^(٥) وبها مصانع لإنتاج أنواع من الخمور ، من العسل والذرة يقبل على شربها أهلها والعاملون بها ^(٦) .

وتشتهر بكثرة الجنات لكنها فاسدة الهواء ، ويمتاز أهلها بصفرة ألوانهم دون غيرهم من أهالي إفريقية ، وتبلغ جبايتها عشرة آلاف دينار ^(٧) . ويعد المرجان أنفق المعادن داخل أسواق الشرق الأقصى بالصين والهند ^(٨) .

أهم المراكز التجارية الخارجية البرية :

القيروان ^(٩) .

-
- (١) ابن حوقل : صورة الأرض ، ص ٧٦ .
 - (٢) المقدسى : أحسن التقاسيم ، ص ٢٣٩ .
 - (٣) القزوينى : آثار البلاد ، ص ٢٦١ .
 - (٤) ابن حوقل : صورة الأرض ، ص ٧٧ .
 - (٥) البكرى : المغرب ، ص ٥٥ .
 - (٦) المصدر السابق ، ص ٧٧ .
 - (٧) البكرى : المغرب ، ص ٥٥ .
 - (٨) مجهول : الاستبصار ، ص ١٦-١٧ .
 - (٩) القيروان اسم معرب من كلمة كروان الفارسية ، وهو اسم يطلق على القافلة والجيش كما يطلق على مكان اجتماع الناس فى الحرب ، كما يعبر عن المدينة أو المعسكر بن خلكان : وفيات

تعد القيروان إحدى مدن الإقليم الثالث ، داخلية صحراوية حيث تبعد عن ساحل البحر ^(١) اختطها عقبة بن نافع أثناء ولايته الأولى على إفريقية ٥١ هـ / ٦٦٣ م في أرض منبسطة تمثل وادياً غنيا بالأشجار كثير القطف كان مأوى للوحوش والسباع والهوام ^(٢) فحدد عقبة مساحة البناء للمدينة بعد أن خرج منها ماكان بها من حيوانات ^(٣) وقام الجيش بتقطيع الأشجار الموجودة في المكان وإعداد الأرض للبناء فاخطأ أولاً دار الإمارة ثم المسجد ثم أمر الناس بالبناء ^(٤) بعد أن حدد لكل منهم المكان الخاص به ^(٥) ومثل موقع القيروان مكاناً وسطاً بين مدن إفريقية المختلفة الهامة مثل تونس وسوسة وصفاقس ^(٦) أي أن القيروان رغم وقوعها بعيداً عن ساحل البحر إلى الداخل لم تكن في منطقة صحراوية مقفرة تفتقر إلى جانب العمران والتحضر بل أقيمت في إقليم عمراني حضاري هام هو إقليم قمونيه - قموده - وهو أحد مناطق التمرکز البيزنطية ^(٧) وتقع شمال مدينة سبيطله - قرطاجنه ^(٨) وأقيمت القيروان على أسس وقواعد وفكر ونكاه من مؤسسها حيث تجمعت في هذا الموقع أسبابا كثيرة مابين السياسية والاقتصادية والحربية والدينية ، لذا تعد مدينة القيروان أهم الإنجازات التي تمخض عنها دخول عقبة بن نافع إفريقية ^(٩)

الأعيان ح ١ ص ٥٥ وانظر حسين مؤنس : فتح العرب للمغرب ، ص ١٥٣ ، أحمد صليحه : تونس ، حاشية ١ ص ٨٥ .

- (١) القلقشندي : صبح الأعشى ، ح ٥ ، ص ١٠١ .
- (٢) ابن عبدالحكم : فتوح افريقيا ، ص ٥٤ ، ابن الأثير : أسد الغابه ، ح ٤ ص ٦٠ ، القزويني : آثار البلاد ، ص ٢٤٢ . القرماني : أخبار البلاد ، ح ٣ ، ص ٤٣٤ ، حسين مؤنس : فتح العرب ص ١٤٠ .
- (٣) الدباغ : معالم الإيمان ، ح ١ ، ص ١٠٩ . القرماني : أخبار البلاد ، ح ٣ ، ص ٤٣٤ .
- (٤) ابن عبدالحكيم : فتوح افريقيا ، ص ٥٤ - ٥٥ . ابن عذارى : البيان ، ح ١ ، ص ٣٠ . القزويني : آثار البلاد ، ص ٢٤٢ . ونكر الدباغ: أن المسجد هو أول شيء اختطه عقبة بن نافع معالم الإيمان ، ح ١ ، ص ١٠-١١ .
- (٥) أبو العرب : طبقات علماء إفريقية ، ص ٥٨ .
- (٦) البكري : المغرب ، ص ٢٤ .
- (٧) ابراهيم احمد العدوي : الامويون والبيزنطيون ، البحر المتوسط بحيرة اسلامية ، مكتبة الانجلو المصرية القاهرة ١٩٥٣م ، ص ٢٠٥ . ارشيبالد : القوى البحرية ، ص ٣٢٩ . مؤنس : فتح العرب ، ص ١٤١ . صليحه : تونس ، ص ١٤ .
- (٨) مؤنس : معالم تاريخ المغرب والاندلس ، ص ٣٥ ، محمد العروسي : سيرة القيروان ، ص ١٤ .
- (٩) محمد العروسي : سيرة القيروان ، ص ١٤ ، موجز دائرة المعارف ، ح ٨ ، ص ٢٤٦٤ .

أولاً : العامل الدينى حيث ارتأى عقبة أن بناء القيروان سوف يقوم بتدعيم قواعد الإسلام فى إفريقيا ويمنع أهلها من الارتداد مرة أخرى عن الإسلام بمجرد خروج الجيش الإسلامى فقال " إن إفريقيا إذا دخلها إمام أجابوه إلى الإسلام فإذا خرج منها رجع من كان أجاب منهم لدين الله إلى الكفر فأرى يا معشر المسلمين أن تتخذوا بها مدينة تكون عزاً للإسلام إلى آخر الدهر" (١) .

ثانياً : العامل الاقتصادى الزراعى لكثرة إيل العرب التى لا بد لها من مكان فسيح تكثر به النباتات للرعى به فى أمان عن غارات البربر (٢) .

ثالثاً : العامل الحربى حيث كان موقعها بعيداً عن ساحل البحر المتوسط يوفر لها حماية طبيعية من الغارات التى اعتاد على شنّها الأسطول البيزنطى إلى جانب أن هذا المكان أتاح لها موقعها التحكم فى الوديان المخترقة للهضبة بما يساعد فى رؤية العدو حين قدومه وملاحقته وإدارة المعركة فى أمان وبسر (٣) .

رابعاً : العامل الجغرافى حيث أدى بناء القيروان إلى اعتبارها قاعدة انطلاق وعودة للجيش الإسلامى داخل إفريقيا مما ساعد على توفير الوقت والجهد للذان كان يتكبدهما المسلمون فى الانطلاق والعودة إلى القواعد الخاصة بهم سواء فى برقة أم فى الفسطاط (٤) .

خامساً : عامل الفخر إذ رغب عقبة فى أن يكون بناء هذه المدينة منسوباً إلى المسلمين "وتكون عزاً للإسلام والمسلمين للأبد" (٥) .

سادساً : العامل النفسى حيث كره عقبة أن يتخذ المسلمون إحدى المدن التى يقطنها البربر قاعدة وعاصمة للمسلمين أو ربما كان ذلك راجعاً إلى خوف عقبة من نكوث البربر

(١) ابن عذارى : البيان ، حـ ١ ، ص ١٩ . مجهول : الاستبصار ، ص ٤ . القزوينى : آثار البلاد ص ٢٤٥ . جورج مارسيه : بلاد المغرب ، ص ٩٧ ، محمد العروسى : سيرة القيروان ، ص ٢٠-٢٣ .

(٢) مجهول : الاستبصار ، ص ٤ ، الدباغ : معالم الإيمان ، حـ ١ ، ص ٩ . العدوى : الامويون والبيزنطيون ، ص ٢٠٥ .

(٣) مجهول : الاستبصار ، ص ٤ . العدوى : الامويون والبيزنطيون ، ص ٢٠٥ . صليحه : تونس ، ص ١٤ .

(٤) ابن عبدالحكم : فتوح إفريقيا ، ص ٥٧ . حسن براهيم : تاريخ الاسلام ، حـ ٢ ، ص ٢٠٧ . يسرى الجوهري : شمال إفريقيا ، ص ١٧٢ . صليحه : تونس ، ص ٥٤ .

(٥) ابن عذارى : البيان ، حـ ١ ، ص ١٩ . مجهول : الاستبصار ، ص ٤ .

وقتل المسلمين فقال " ولست أرى نزول المسلمين بين أظهرهم - البربر - رأيا^(١) وصارت القيروان منذ نشأتها فى تقدم وازدهار ورفعته فى نواحي الحياة المختلفة سياسيا واقتصاديا ودينيا وعمرانيا حتى غدت اعظم مدن إفريقية ، وبها كل ما تشتهيه النفس من أصناف المأكول والملبوس والمصنوع^(٢) فقليل عنها بحق أنها فرصة المغربين ومتجر البحرين وغدت لغيرها من المدن مفخرة المغرب^(٣) وأعظم المراكز التجارية فقامت بتصدير القمح والدقيق إلى مصر وغيرها من البلدان المطلة على ساحل البحر المتوسط^(٤) ومنذ البداية أغدق عليها الخلفاء والولاة اهتمامهم بها فنظموا أسواقها ورتبوا ترتيبا منظما وجعلوا لكل صنعة بها مكانا خاصا لها فى السوق وكان أول من قام بهذا العمل واليها يزيد بن حاتم ١٥٥-١٧١ هـ / ٧٦٧-٧٨٣ م^(٥) حيث رتب سوقها وجعل لكل صنعة مكانا محددًا^(٦) وبها جميع ديوان المغرب وعاصمة الإقليم واحسن المدن منازل وأسواقا ، وتجيب إليها جميع الأموال^(٧) كما بلغت مكانة علمية مرموقة فغدت من المدن المقدسة لدى العلماء وطلبة العلم^(٨) فى المغرب العربى كله ، وإحدى المدن الصناعية الهامة^(٩) . دخلها أبو عبدالله الشيعى وخرج لاستقباله بعض أهلها تقيّة شره ومداراة له^(١٠) . وتعرضت للسلب والنهب على يد جيش أبى يزيد وعاثوا فيها فساداً^(١١)

-
- (١) القزوينى : آثار البلاد ، ص ٢٤٢ .
(٢) ارشيبالد : القوى البحرية ، ص ٣٣٠ . جورج مارسية : بلاد المغرب ، ص ٩٧ - ٩٨ .
(٣) المقدسى : أحسن التقاسيم ، ص ٢٢٤ - ٢٢٥ . أحمد صليحه : تونس ، ص ٥٤ .
(٤) ارشيبالد : القوى البحرية ، ص ٢٥٣ .
(٥) يزيد بن حاتم بن قبيصة بن المهلب ابن أبى صفرة : تولى إفريقية ١٥٥ هـ / ٧٦٧ م فى عهد الخليفة العباسى أبى جعفر المنصور ، تميز بالحزم والشدة والجود والكرم والدين ، ضبط أمور إفريقية وقضى على الثورات التى قامت بها ومات سنة ١٧١ هـ / ٧٨٣ م . ابن أبى دينار : المؤنس ، ص ٤٠ .
(٦) ابن عذارى : البيان ، ح ١ ، ص ٧٨ .
(٧) ابن حوقل : صورة الأرض ، ص ٩٤ . ابن عذارى : البيان ، ح ١ ، ص ٢٠٨ .
(٨) الدباغ : معالم الإيمان ، ح ١ ، ص ٧ . ارشيبالد لويس : القوى البحرية ، ص ٢٥٤ ، محمد العزوسى : القيروان ، ص ٤٣ - ٥٤ ، ص ٦٤ - ٧٤ ، ص ٧٧ - ٨٤ .
(٩) حسن عبدالوهاب : بساط العقيق ، ص ٣٥ - ٣٦ .
(١٠) أبو بكر عبدالله ابن محمد المالكى : رياض النفوس فى طبقات فقهاء القيروان وتونس ، مخطوط بدار الكتب ، رمز ح ، رقم ٦٣٥٠ ميكروفيلم ٣٨٦٢١ ورقة ٦٦ .
(١١) نفس المصدر ورقة ٥ .

ولما كانت القيروان المدينة المركزية داخل إقليم إفريقية وعاصمته الأولى فقد ارتبطت القيروان بمدن وقرى إفريقية بالطرق التجارية ، فهي المدينة المركزية التي تنطلق منها وتنتهى إليها جميع الطرق ، فارتبطت بقابس بطريق يبلغ طوله أربعة مراحل إلى جانب طرقها مع مدينة سوسة ، ومدينة تونس ، وجزيرة أبى شريك^(١) إلى جانب طريق منها حتى مدينة فاس أقصى المغرب مارا بمدينة تاهرت ، وطريق آخر يربطها بمدينة المسيلة مارا بمدن وقرى عديدة^(٢)

ولتفوق القيروان تجاريا أضحت سوقاً عظمى لمن جاورها من مدن وقرى مثل قلشانه الواقعة على اثني عشر ميلا منها ، واستوردت منها التين الأخضر^(٣) وكانت مدينة لربس أيضا على مسيرة ثلاثة أيام من القيروان تمدّها بحاجتها من الورد بأنواعه وربطها طريق تجارى بمدينة الأنصار بين المشهورة بحنطتها وهي على مسيرة يوم واحد من الاربس ، كما ارتبطت القيروان بطريق تجارى مع مدينة قفصه ، وطريق آخر بمدن إقليم نفزاوه الواقع ناحية الغرب منها على مسيرة ستة أيام^(٤)

وكان قيام القيروان أولى الخطوات التي تم بمقتضاها القضاء على النفوذ البيزنطى فى منطقة شمال أفريقيا^(٥) وما إن تم تخطيط المدينة حتى ظهر حب منشئها عقبة بن نافع لها وتعلقه بها فجمع وجوه أصحابه وأهل عسكره ودار بهم حول المدينة رافعا أكف الضراعة إلى الله داعيا لها " اللهم املأها علماً وفقها واعمرها بالمطيعين ، والعابدين ، وأجعلها عزا لدينك وذلا لمن كفر بك وأعز بها الإسلام وأمنها من جبابرة الأرض^(٦) ومنذ قيامها أصبحت القيروان فى نفوس أهالى المغرب فكانت بالنسبة لإفريقية بمثابة الرأس من الجسد^(٧) وأعتبرها أهل المغرب اصل كل شئ خير وما سواها من مدن تستمد نظمها منها فما من حصن فى الآفاق المغربية إلا منها علا ولا فرع فى جميع نواحيها إلا عليها ابتنى^(٨) وظلت

-
- (١) اليعقوبى : صفة المغرب ، ص ٨ . وجورج مارسية : بلاد المغرب ، ص ٢٤٥ .
 - (٢) ابن حوقل : صورة الأرض ، ص ٨٤ ، ٨٦ .
 - (٣) البكرى : المغرب ص ٢٩ ، جورج مارسية : بلاد المغرب ، ص ٢٠٨ .
 - (٤) البكرى : المغرب ، ص ٤٦ - ٤٧ ، جورج مارسية : بلاد المغرب ، ص ٢٠٨ .
 - (٥) العدوى : الاموبون والبيزنطيون ، ص ٢٠٥ .
 - (٦) أبو العرب : طبقات علماء إفريقية وتونس ، ص ٥٦ . الدباغ : معالم الإيمان ، ص ٧-٨ .
 - (٧) الدباغ : معالم الإيمان ، ص ٢١ .
 - (٨) محمد العروسى : سيرة القيروان ، ص ٢٢ .

القيروان المدينة الأساسية لأصحاب المذهب السني ومن أكثر المدن دفاعا عنه ضد المذهب الشيعي أثناء الحكم الفاطمي وبنى زيري (١)

قفصة .

تمثل مدينة قفصة إحدى مدن إقليم إفريقية الهامة داخل منطقة الجريد وأقدم المدن إذ يرجع تاريخ بنائها إلى زمن أبي الأنبياء إبراهيم عليه السلام وهي أخص المدن إذ يحيط بها سور مبنى من الحجر الجليل قام بإنشائه غلام النمر ودين كنعان ويسمى شبيان - شبيون - واسمه ظاهرا على هذا السور الذي لازل محتفظا بقوته رغم طول مدة بناءه كأنه حديث البناء (٢)

افتتحها المسلمون على يد عقبه ابن نافع في حملته الأولى على إفريقية ٤٢هـ / ٦٥٤م (٣) وبرغم وقوع قفصة إلى الداخل بعيدا عن ساحل البحر المتوسط - إلا أنها تقع في منطقة أهلها كثيرة العمارة وتتميز عما عاداها من مدن إفريقية بأن أرضها مفروشة بالبلاط (٤)

ولاتعاني مدينة قفصة ندرة في المياه العذبة بل تعد من أكثر مدن الإقليم وفرة في المياه الصالحة للشرب والزراعة على السواء فبداخلها عينان يشكلان نهران يشقان بساكنيها ومزارعها ، كما توجد عين أخرى داخل جامعها كبيرة المساحة مبنية بالصخر الجليل (٥)

وتتميز عيون الماء بها بكثرة تدفق مياهها وعذوبتها مثل عين الوادي الكبير وعين أخرى أسفل قصر المدينة تسمى بالطرميد تنبعث منها المياه بقوة ، وبنى لها صهريجا عليه الدكاكين وأقباء وبنى عليه مسجد عظيم وعند اجتماع مياه هاتين العينين فإنهما يكونان معا نهرا كبيرا تطحن عليه الأرحاء ويسقى نصف غابه قفصة ونصف أرضها ومزارعها أما

(١) احمد ابن عامر : الدولة الصنهاجية ، ص ٧٤ .

(٢) البكري : المغرب ، ص ٤٧ : مجهول الاستبصار ، ص ٣٧ .

(٣) ابن عبدالحكم : فتوح افريقيا ، ص ٥٤ . ابن عذارى : البيان ، ح ١ ، ص ١٥ . ابن أبي دينار : المؤنس ، ص ٢٧ ، حسين مؤنس : فتح العرب للمغرب ، ص ١٣٧ .

(٤) اليعقوبي : صفة المغرب ، ص ١٠ .

(٥) البكري : المغرب ، ص ٤٧ .

نصف الغابة الآخر فيسقى من عين خارج المدينة تسمى عين المنستير وهى عين ماء كبيرة عذبة يخرج منها نهر كبير وتتميز هذه العين بأنها من أحسن ما يرى من العيون داخل إفريقية وهى تقع بجانب نهر وادى يائش الذى يشق غاية المدينة وتقل مياهه فى فصل الصيف (١) .

ولمدينة قفصة باع طويل فى مجال التجارة الداخلية والخارجية وتعد من أهم وأنشط المراكز التجارية بإفريقية (٢) فهى تشتهر بتجارة المنتجات الزراعية المتنوعة خاصة الفاكهة لاسيما الفستق الذى تتم زراعته بها بكميات هائلة ولا تتم زراعته فى مدينة أخرى من مدن إفريقية وتقوم بتصديره إلى الأسواق المختلفة داخل وخارج إفريقية مثل مصر والأندلس وسجلماسه (٣) .

ولا يقتصر أمر مدينة قابس على فاكهة الفستق فقط ، فهى تشتهر بجانب ذلك بالتفاح الذين يطلقون عليه اسم السدسى ، إلى جانب الرمان والاترج والموز ، كما تشتهر بتجارة التمر فهى إحدى مدن إقليم الجريد المشتهر أمره بها وتكثر بها أنواع مختلفة منه مثل نوع الكسبا الذى يغلب على غيره من الأنواع ويتميز بالصفاء وكبر الحجم وكثرة حلاوته ويقوم أهلها بحفظه وخزنه داخل أزيار خاصة به ويستخدمون عصارتها فى جميع أطعمتهم كما يصنعون منه الحلوى (٤)

كما تشتهر مدينة قفصة بكثرة زراعة الورود والرياحين بها ذات الأنواع المختلفة المتعددة مثل الاس والياسمين والنارنج والنرجس والسوسن والبنفسج بجانب الفل الذى يتم استخدامه فى صناعة العطور بكثرة ويمثل أفضل أنواع العطور بها (٥)

ولم يقتصر أمر قفصة على الناحية الزراعية فقط فبرزت كإحدى المراكز الصناعية الهامة خاصة صناعة الأنسجة والثياب ، وحذت حذوها المدن التى تدور فى فلكها مثل مدينة طراق وهى مدينة كبيرة أهله على الطريق إلى القيروان ومثلت صناعة الثياب بها أجل

(١) مجهول : الاستبصار ، ص ٣٨ .

(٢) ارشيبالد لويس : القوى البحرية ، ص ٢٥٣ .

(٣) البكرى : المغرب ، ص ٤٧ . القلقشندي : صبح الاعشى ، ج ٥ ، ص ١٠٧ .

(٤) مجهول : الاستبصار ص ٤٠ .

(٥) نفس المصدر والصفحة . أبى الفدا : تقويم البلدان ، ص ١٤٣ .

واحسن الصناعات بها فكانت دور الطراز بها تنتج أنواعا من الأقمشة يحمل اسمها أطلق عليه اسم "الطراقي" والذي كان ضمن هدايا بنى زيرى إلى الخلفاء الفاطميين بمصر^(١) .

وتصنع بها الأواني التى تستخدم لشرب الماء وكانت من الخزف أطلق عليها اسم الريحية شديدة البياض فى نهاية الرقة يعدم مثلها فى غيرها من البلاد إلى جانب صناعة الخزف قامت صناعات زجاجية أيضا وأواني رقيقه الصنعة تزين بماء الذهب^(٢)

وقامت بها صناعة الزيت والخل مثل دهن البنفسج وخل العنصل الذى يقوم التجار بجلبه منها ، إلى جانب الصناعات الجلدية مثل الأحذية من جلد حيوان الاروى الذى يمتاز بالليونة الشديدة^(٣)

ويربط قفصه بالقيروان طريق تجارى إذ لم تكن تبعد عنها سوى ثلاثة أيام وكانت تصدر للقيروان حاجتها من الفاكهة بأنواعها^(٤) .

وهى قريبة من مدن إقليم قموده وإقليم قسطنطينية^(٥) وفى إقليم نفزاوه . برزت مدينة طرا وهى مدينة مسورة تتميز بخصوبة أرضها التى تنتج كميات كبيرة من الإنتاج الزراعى المتنوع مثل التمر والزيتون والفاكهة^(٦) ، برزت أهميتها الصناعية خاصة الصناعات الزجاجية وصناعة النسيج من الصوف التى كانت تصدرها إلى غيرها من البلدان خاصة مصر^(٧) .

قسطنطينية :

افتتحها عقبة بن نافع فى ولايته الأولى على إفريقية^(٨) قيل إنها مدينة كبيرة من بلاد الجريد^(٩) وقيل أنه اسم يطلق على أحد قسمي بلاد الجريد ، يشتمل على عدة مدن

(١) البكرى : المغرب ، ص ٤٧ . ارشيبالد لويس : القوى البحرية ، ص ٣٢٨ . جورج مارسليه : بلاد المغرب ، ص ٢٠٧ .

(٢) مجهول : الاستبصار ، ص ٤٠ .

(٣) القلقشندي : صبح الاعشى ، ح ٥ ، ص ١٠٧ .

(٤) البكرى : المغرب ، ص ٤٧ .

(٥) اليعقوبى : صفة المغرب ، ص ١٠ .

(٦) مجهول : الاستبصار ، ص ٤٤ .

(٧) أبى الفدا : تقويم البلدان ، ص ١٤٧ ، القلقشندي : صبح الاعشى ، ح ٥ ، ص ١٠٨ .

(٨) ابن عبدالحكم : فتوح افريقيا ، ص ٥٤ .

(٩) ابن حوقل : صورة الأرض ، ص ٩٣ .

أهمها توزر العاصمة التي تمثل أقدم مدن إفريقية بناء إذ يرجع بنائها إلى عهد نوح عليه السلام (١)

وهي من أحصن المدن بإقليم إفريقية إذ يحيط بها سور حصين مبنى من الحجارة ولها أربعة أبواب كما تكثر بها الأسواق (٢) وأهلها مختلطوا الأجناس فمنهم العرب والبربر والروم (٣).

تفتقر إلى الحبوب من القمح والشعير ، وتقوم بجلبه من غيرها عن طريق التجار الذين يفدون عليها بأعداد كبيرة لكثرة أسواقها وغنائها بالمنتجات والسلع فهي أكثر المدن تجارة وميره ولايقاربها في ذلك مدينة أخرى فيما حولها (٤)

وتشتهر بصناعة النسيج ، ويتجمع الصناع بها في مكان خاص بهم داخل غايتها عند ملتقى مياه الأنهار يطلق عليه باب المنشر حيث يتجمع به القصارون لنشر ثيابهم الملونة والأمتعة الموشية به ، وهو أجمل المناطق بالمدينة (٥).

كما تشتهر مدينة قسطنطين بصناعاتها النسيجية خاصة الصوفية منها مثل الكسي والحنبل والتي يقبل عليها التجار فيحملونها إلى جميع الأقطار المحيطة بها (٦) ومن مدن قسطنطينية الأخرى نفطه وتقيوس وهما يتميزان بكثرة الإنتاج الزراعي المتنوع من الفاكهة والزيتون والتمر والجوز إلى غيرها من المنتجات (٧).

ومن المدن التجارية الهامة في إقليم قسطنطينية مدينة الحامه التي تكثر بها أصناف الفاكهة والتمر والزيتون إلى جانب العنب التي تتفوق في كثرة إنتاجه عما عداها من مدن قسطنطينية الأخرى ويتميز بطيب شرابه وصفاءه حتى أنه يستخدم في إنارة المصابيح مثل الزيت ، كما يوجد بها نوع من التمر يسمى الخنفس اسود اللون شديد الحلاوة كبير الحجم (٨)

(١) التيجاني : رحلة التيجاني ، ص ١٦١. ابن أبي دينار : المؤنس ، ص ٢٧.

(٢) ابن أبي دينار : المؤنس ، ص ٢٧ ، التيجاني : رحلة التيجاني ، ص ١٦١.

(٣) التيجاني : رحلة التيجاني ، ص ١٥٩.

(٤) ابن حوقل : صورة الأرض ، ص ٩٢ ، البكري : المغرب ، ص ٤٨.

(٥) التيجاني : رحلة التيجاني ، ص ١٥٨.

(٦) ابن حوقل : صورة الأرض ، ص ٩٢.

(٧) المقدسي : أحسن التقاسيم ، ص ٢٣٠ ، مجهول : الاستبصار ، ص ٤٣ .

(٨) مجهول : الاستبصار ، ص ٤٤.

وتتميز إقليم الجريد "قسطيلية" بوفرة إنتاجه من التمور وقصب السكر وهى من المحاصيل التى تجود زراعتها فى هذا الإقليم وتمثل أهم حاصلاته الزراعية (١) .

التجارة الداخلية .

حظيت التجارة الداخلية داخل إقليم إفريقية بالاهتمام والعناية من جانب الخلفاء الفاطميين وحكام بنى زيرى مما دفعها إلى الازدهار ، والتنوع ، وانحصرت التجارة الداخلية داخل نطاق التعامل فى الحاصلات الزراعية والمصنوعات إلى جانب السلع والمنتجات التى يتم استيرادها من الخارج .

وكان التعامل التجارى داخل المدن يتم داخل الأسواق المتخصصة حيث وجدت لكل سلعه أو مجموعة من السلع المتشابهة سوق خاص بها مثل مدينة القيروان (٢) وكانت التجارة الداخلية عظيمة القوة خاصة فى المدن التجارية الهامة مثل باجة فكانت التبادلات التجارية بها تتم فى ثلاثة أماكن مخصصة للتجارة بها (٣)

ومثلت القيروان أعظم المدن التجارية فى إفريقية بما كان يرد إليها من سلع ومنتجات وحاصلات ما جاورها من المدن والقرى القريبة منها وذلك بما كان لها من مكانه وحظوة مرموقة فضلا عن صناعاتها التى اشتهرت بها (٤)

نشأت القيروان وأخذت تتطور سريعا ، حتى أصبحت أنشط مراكز إفريقية من الناحية التجارية ، حتى قيام الفاطميين بإنشاء مدينة المهدية واتخاذها عاصمة لهم فى إفريقية بدلا من القيروان وقاموا بنقل جميع الأسواق منها وجميع الصناعات إلى المدينة الجديدة فى عهد المعز لدين الله (٣٤١-٣٦٥هـ / ٩٥٣-٩٧٧م) (٥) مما أصابها بنوع من

(١) ارشيبالد : القوى البحرية ، ص ٣٢٩ .

(٢) المقدسى : أحسن التقاسيم ، ص ٢٢٥ .

(٣) البكرى : المغرب ص ٥٦ .

(٤) حسن حسنى عبدالوهاب : بساط العقيق فى حضارة القيروان وشاعرها ابن رشيق الطبعه الثانية ، مكتبة المنار : تونس ١٩٧٠ ص ٣٦ .

(٥) المعز لدين الله الفاطمى : ولد فى رمضان سنة ٣١٧ هـ ٩٢٩ م ، وتولى الخلافة فى سن الرابعة والعشرين . عقب وفاة الخليفة الفاطمى المنصور ، قام بتدبير الامور الخاصه بالخلافة

الوهن والضعف (١)

وصارت القيروان سوقاً تجارياً هاما لمنتجات ما جاورها من مدن وقرى فتبادلت معها الاستيراد منها والتصدير إليها فكانت القيروان تستورد من جلولاء البقول والفاكهة ، وكانت قوافل التجارة لا تنقطع بينهما بصفة يومية (٢) كما كانت الأصناف المختلفة من أنواع الأزهار والرياحين إحدى أهم السلع التجارية المتبادلة بين جلولاء والقيروان فكان يصل إليها يوميا من تلك الورود ما قيمته أربعين حملا (٣)

أما النارج فكان يصل إليها من سردانية القريبة منها والتي تقع إلى الشمال الغربى من القيروان ، وكانت مدينة قلشانه الواقعة على مسافة قريبة منها إلى الجنوب فمدها بحاجتها من التين الطازج (٤)

= والحكم على أحسن وأفضل ما يكون اطاعه البربر وانقادوا له وبأيعه العام والخاص ٣٤١هـ — ٩٥٣م . قام بتجهيز الجيوش وارسالها للمغرب وقام بنفسه بقيادة بعضها حتى دان له المغرب ودخل في طاعته ، ارسل عماله على جميع المناطق بالمغرب . ثم في عهده فتح مدينة فاس على يد قائده جوهر الصقلى واخضع جميع المناطق واقامت له الخطبة في انحاء المغرب عدا مدينة سبته التي خضعت لحكم بنى اميه بالاندلس ، استطاع فتح مصر على يد قائده جوهر الصقلى ٣٥٨ هـ / ٩٧٠م . غادر إفريقية إلى مصر واتخذ القاهرة عاصمة للخلافة الفاطمية ، وولى على إفريقية يلكين بن زبرى ٣٦١هـ / ٩٧٣م وخضعت لحكم مصر والشام وإفريقية والحجاز وكانت مدة خلافته ٢٣ سنة ، وكان حسن السيرة محبا للرعية سمحا عالما بالفلك ذو سياسه ودهاء توفى سنة ٣٦٥ هـ / ٩٧٧م . جوذر : سيرة جوذر ، ص ٧٥ ومابعدا . ابن خلكان : وفيات الاعيان ، ح ٥ ، ص ٢٢٤ - ٢٢٨ . ابن عذارى : البيان ، ح ١ ، ص ٢٢٩ . أبو الفدا : المختصر ، ص ١٠١ ، ١٠٩ ، ١١٢ ، ١١٥ . الذهبى : العبر فى خبر من غبر ، ح ٢ ص ١٢٣ ، ص ١٤١ . المقرئى : الخطط ، ح ٢ ، ص ١٦٤ - ١٦٧ . القرمائى : أخبار الدول ، ص ٢٣٣ - ٢٣٥ . ابن أبى دينار : المؤنس ، ص ٦٠ - ٦٥ . الباجى : الخلاصة النقيه ، ص ٤١ - ٤٣ . ابن أبى الضياف : اتحاف اهل الزمان ، ص ١٢٥ - ١٣٠ . الجنجاني : القيروان ، ص ٩٦ .

(١) البكرى : المغرب ، ص ٢٥ ، جورج مارسية : بلاد المغرب ، ص ٢٠٨ ، انظر : ارشيبالد

لويس : القوى البحرية ، ص ٣٣٠ .

(٢) البكرى : المغرب ، ص ٣٢ .

(٣) ابن أبى دينار : المؤنس ، ص ٢٥ .

(٤) جورج مارسية : بلاد المغرب ، ص ٢٠٦ .

ونشط التبادل التجارى فيما بين القيروان وتونس فاعتمدت القيروان على تونس فى سد حاجتها من القطن والزراعات الطبية كالقنب والكرويا والعصفر إلى جانب غيرها من السلع مثل العسل والسمن والحبوب والزيت والأعداد الكبيرة من الماشية (١)

ومثلت مدينة بنزرت سوقا هامة فى مد غيرها من مدن إفريقية بحاجتها من الأسماك وأنواع الحوت (٢)

وقامت مدينة تاجرقت بمد غيرها من المدن بأنواع التمور المختلفة مثل البرنى الذى كانت تستورده منها مدينة سرت (٣) وصدرت قابس الأصناف التى تتميز بها من الفاكهة إلى مدينة القيروان (٤) واشتهرت قفصه بتبادلها التجارية مع مدن الإقليم وكانت تتفرد بإنتاج الفستق ومنها يخرج دهن البنفسج وخل العنصل (٥) كما تصدر إلى غيرها إنتاجها المتميز من الأحذية المصنوعة من نوع من الجلود يمتاز بليونته الشديدة والمتخذ من حيوان الأروى (٦)

واشتهرت مدينة منزل باشوا عاصمة إقليم الجزيرة بأهميتها التجارية فكانت تقام بها أسواق شهرية يحضر خلالها التجار فى أيام معينة (٧) مثل المعارض حالياً .

ومن المدن التى اشتهرت بأهميتها التجارية فى إفريقية كانت بونة والتى كانت أسواقها من أحسن الأسواق بإفريقية وأكثرها تجارة واشتهرت بالعديد من التجارات التى كان من أهمها خام الحديد الذى كان من أهم السلع التجارية المتبادلة مع غيرها من المدن وبكميات وفيرة كما شاركت بفضل ثروتها الكبيرة من الماشية والدواب والأغنام وما يخرج منها من أصواف إلى جانب الخيل فى سد حاجة غيرها من المدن من هذه التجارات ، كما شاركت بونة أهميتها التجارية مدينة مرسى الدجاج وأخذت فى تصدير ما يفيض عن حاجتها من السلع والمنتجات مثل القمح والشعير والماشية وألبانها إلى جانب الفاكهة خاصة التين (٨)

(١) ابن حوقل : صورة الأرض ، ص ٧٥ .

(٢) مجهول : الاستبصار ص ١٥ ، البكرى : المغرب ، ص ٥٨ .

(٣) البكرى : المغرب ، ص ١١ .

(٤) البكرى : المغرب ، ص ١٧ ، ارشيبالد : القوى البحرية ، ص ٣٢٩ .

(٥) أبى الفدا : تقويم البلدان ، ص ١٤٣ .

(٦) القلقشندي : صبح الاعشى ، ح ٥ ، ص ١٠٧ .

(٧) ابن حوقل : صورة الأرض ، ص ٧٥ .

(٨) ابن حوقل : صورة الأرض ، ص ٧٧ ، القلقشندي : صبح الاعشى ، ح ٥ ، ص ١٠٦ .

ومن أنشط المراكز التجارية فى التجارة الداخلية فى إفريقية مدينة تونس (١) وكانت بها أسواق كثيرة شاركت مشاركة فعالة فى التجارة الداخلية لإفريقية بفضل ماكان بأسواقها من منتجات وصناعات فسدت حاجة غيرها من معدن الملح بالإضافة إلى صناعات الخزف إلى جانب الأنواع المختلفة من الفاكهة وأنواع الأسماك المتعددة الأنواع (٢)

وشاركت مدن بلاد الجريد بإنتاجها المتميز من الصناعات الزجاجية والنسجية إلى جانب الجلود مشاركة فاعله فى التجارة الداخلية لإفريقية مثل مدينة طرا ومدينة غدامس (٣)

ومن قسطنطينية كانت تخرج الأنواع المختلفة من الفاكهة والصناعات النسجية المتميزة من الصوف وهى من أنشط المراكز فى التجارة الداخلية وأسواقها تتميز بالسعة وكثرة التجارة بها وأسواقها من أكثر الأسواق التى تستقبل التجار من مختلف نواحي إفريقية (٤)

ومن أنشط وأهم مراكز التجارة الداخلية بإفريقية مدينة باجة التى مثلت بإنتاجها الضخم من القمح سلة الغلال لمدن إفريقية وكانت أسواقها تستقبل كل يوم قوافل التجارة التى يبلغ مجموعها أكثر من ألف دابة تحمل منها الغلال إلى النواحي المختلفة لإفريقية ، وكان حمل البعير من القمح يباع فى بعض الأحيان بمبلغ درهمين فقط ، وكان يخرج منها بجانب ذلك العديد من المنتجات الأخرى كاللحوم ، وزيت الحوت ، وغيرهما من الفاكهة مثل السفرجل والعنب (٥)

وتبادلت توزر مع مدن إفريقية تجارة التمر التى تشتهر بها أسواقها فكان يخرج من أسواقها قوافل التجارة المحملة بالتمور إلى أسواق المدن الأخرى وكان عدد قوافل التجارة فى بعض الأيام يبلغ ألف بعير كلها محملة بالتمر (٦) وأمدت مدينة المسيلة غيرها باللحوم والأقطان (٧) مما كان له الأثر الأكبر فى تنشيط التجارة الداخلية لإفريقية .

(١) ارشيبالد : القوى البحرية ، ص ٢٥٣ .

(٢) البكرى : المغرب ، ص ٤٠ ، ٤١ .

(٣) القلقشندي : صبح الاعشى ، ص ١٠٨ .

(٤) ابن حوقل : صورة الأرض ، ص ٩٢ .

(٥) ياقوت : معجم البلدان ، ص ٣١٥ ، مجهول : الاستبصار ، ص ٤٧ .

(٦) البكرى : المغرب ، ص ٤٨ .

(٧) نفس المصدر ص ٥٩ .

وفى الشرق من إفريقية نشأت فى مدنها أسواق تجارية هامة ساهمت بفاعليه فى التبادلات التجارية الداخلية للإقليم حيث كانت مهنة التجارة غالبية على أهل مدينة طرابلس المكتظة بالسلع التجارية المختلفة والصناعات المتعددة وكانت القوافل التجارية رائحة غادية على أسواقها تحمل منها واليها السلع وأسواقها المنتشرة خارج وداخل سورها ولا أدل على أهميتها التجارية من تعدد أماكن تحصيل الجمارك على حدودها مثل لبده وصبره (١)

وشاركت مدينة القلعة بقوة فى التبادلات التجارية الداخلية فى إفريقية وبرزت أسواقها كإحدى المناطق التى تجذب إليها القوافل التجارية من مختلف دول المغرب فهى مقصد التجار من كل مكان سواء من داخل إفريقية أو خارجها ، ونافست القلعة مدينة بجاية التى صارت لها الأهمية الاقتصادية بعد أن أصبحت عاصمة الغرب فى عهد بنى حماد وكانت تجارة العمائم المذهبة أفضل تجارتهم وكان ثمن الواحدة منها يصل إلى الخمسمائة والستمائة دينار (٢) إلى جانب الصناعات الزجاجية (٣) التى تميزت بها وكان لها نصيب هام ووافر فى تجارتها الداخلية .

وكان للمعادن المختلفة وجوداً كبيراً فى التبادل التجارى السلعى فيما بين أسواق إفريقية فمن جبال كتامة يحمل النحاس إلى أسواق إفريقية المختلفة ومن جبال الرحمن المقابلة لجزيرة سرادانية كان يخرج منه عمود الخرط لإفريقية (٤) إلى جميع أسواق إفريقية الداخلية .

وتوجه التجار من مدن إفريقية المختلفة إلى مدينة زويلة (٥) لجلب السلع والمنتجات القادمة من الجنوب فكانت تمد باقى مدن إفريقية بالرقيق الذين يجلبون من أسواقها المكتظة

(١) أبو حوقل : صورة الأرض ، ص ٧١ .

(٢) البكرى : المغرب ، ص ٤٩ ، مجهول : الاستبصار ، ص ٢٠ ، ٣١ .

(٣) ارشيبالد : القوى البحرية ، ص ٣٣٠ .

(٤) البكرى : المغرب ، ص ٣٣ ، ص ٨٣ .

(٥) زويلة : مدينة يسكنها قوم مسلمون اباضيه ، يقومون ببيع الرقيق من السودانيين من الزغاويين

والمرويين وغيرهم من اجناس السودان وذلك لقربهم منهم . كما تشتهر زويلة بالجلود الزويلية

وتكثر بها زراعة النخل والذره وغيرها ، وبها اخلاط من الناس من أهل خراسان والبصرة

والكوفة ، وعلى مسيرة خمس عشرة مرحلة من زويلة تقع مدينة كوار وأهلها مسلمون من سائر

الاحياء اكثرهم بربر : اليعقوبى : صفة المغرب ، ص ٦ .

بهم^(١) ومن المدن التي اشتهرت بتنوع تجارتها واختلاف التجار إليها مدينة اجدابية^(٢) والتي اشتهرت بتجارة الأخشاب من نوع الأراك وتميزت بانخفاض أسعارها ، ولقلة التمر بها كانت تعتمد في ذلك على مدينة أو جلة التي أمدتها بحاجتها من التمر^(٣)

وأسهمت أسواق جزائر بنى مزغناى فى سد حاجه أهالى إفريقية بما أخرجته أسواقها من الماشية ، والعسل ، والسمن ، والتين ، وتصدر خاصة إلى القيروان^(٤)

ورغم الغنى الذى تميزت به مدينة مرسى الخرز لشهرتها كأحد أهم الأسواق فى إفريقية وامتلاء أسواقها بالتجار لشراء المرجان إلا أنها اعتمدت على غيرها فى سد حاجتها من الحاصلات الزراعية والمواد الغذائية الأخرى^(٥)

وجلبت مدينة صفاقس حاجتها من الفاكهة من أسواق مدينة قابس ، وكانت أسواقها عامرة^(٦) وتبادل إقليم قمونية منتجاته مع مدن إفريقية فكان التين يزرع بها بكميات ضخمة

(١) اليعقوبى : صفة المغرب ص ٦.

(٢) اجدابية : مدينة بها حصن ومسجد إلى جانب الأسواق ، على مسيرة اربعة مراحل من مدينة برقة ومرحلتان من مدينة برنيق وهى مدينة ساحلية على البحر المتوسط ولها ميناء ذو صلاحية ملاحية يستقبل السفن واهلها قوم من الروم القدماء وقوم من البربر من قبائل سوسيه ومسوسه ومغاغة وواهله ووجدانه وهى على مسيرة مرحلتين ن برقة واهل اجدابية من البربر من زنارة وواهله ومسوسه وسوسه وغيرهم ، ولها أقاليم وساحل ميناء على البحر المتوسط على مسيرة ستة اميال من المدينة ترسو به السفن وتعد اجدابية اخر مدن لواته وتتميز أرض اجدابية بانها صفا ولها ابار مياه منقوره فى تلك الصفا - جبلية - وهى طيبة الماء ، وتكثر بها البساتين والنخيل قليل بها . وبها شجر الاراك ، وأسواقها حافلة مقصوده من التجار ، ويتميز اهلها بالغنى واليسار واكثرهم اقباط . ولها مرسى على ساحل البحر المتوسط يسمى الماحور ، وتتميز مبانيها بسقوفها المقبية بالطوب وذلك لكثرة هبوب الرياح عليها ، وتتميز برخص أسعارها ، وتعتمد على جلب التمر إليها من مدينة أوجله ، ولها طريق مع مدينة زويله يبلغ اربعة عشر مرحلة . اليعقوبى : صفة المغرب ، البكرى : المغرب ، ص ٦٠.

(٣) البكرى : المغرب ص ، ٥ ، ٦ .

(٤) ابن حوقل : صورة الأرض ، ص ٧٨ .

(٥) ابن حوقل : صورة الأرض ، ص ٧٦ ، مجهول : الاستبصار ، ص ١٦ ، ١٧ .

(٦) نفس المصدر ، ص ٧٣ ، مجهول : الاستبصار ، ص ٣ .

وتولت مدينة مذكود عاصمة هذا الإقليم إمداد القيروان بما هي في حاجة إليه من تين وهو افضل أنواع التين بإفريقية ويبيع بأثمان عالية ويقبل الأهالي على شرائه لفضله على غيره^(١) وشاركت مدينة بونة بقوة في التبادل التجاري الداخلي لإفريقية فقامت بإمداد غيرها من مدن إفريقية بحاجتها من الأخشاب التي كانت تقطعها من غابيتها الكثيفة وهو من نوع الزان^(٢) الذي يمثل افضل أنواع الأخشاب . وشاركت مدن الزاب في التجارة الداخلية بإفريقية مشاركة فعالة فمن مدينة نقاوس يحمل الجوز إلى القلعة وبجاية وغيرها من المدن الأخرى^(٣) .

وإلى أسواق بجاية تحمل الفاكهة بأنواعها والعنب والرطب من مدينة جيجل^(٤) وبرزت شهره مدينة صبره التي أنشأها الخليفة الفاطمي إسماعيل بن عبيد الله سنة (٣٣٧هـ - ٩٥٧م) ونمت وتوسعت تجارتها في عهد ابنه (معد) المعز لدين الله (٣٤١- ٣٦٥هـ/ ٩٥٣- ٩٧٧م) الذي نقل جميع الصناعات والأسواق من القيروان إلى صبرة ولها خمسة أبواب وكان يدخل إليها من الجبايا كل يوم ستة وعشرون ألف درهم^(٥) بما يشير إلى قوة مشاركتها في التجارة الداخلية لإفريقية أثناء حكم الفاطميين وبنى زيري .

ومن المدن الهامة في مجال التجارة الداخلية بإفريقية مدينة مجانة الغنية بمعادن الحديد والفضة وحجارة المطاحن التي كانت تجلب منها إلى غيرها من مدن إفريقية^(٦) وعلى الطريق من القيروان إلى المغرب كانت مدينة ناحية الغربية من مدينة سوق إبراهيم وكانت تشتهر بتجارة المواد الزراعية خاصة الفاكهة فصدرت التين بكميات كبيرة إلى غيرها من المدن^(٧) وأمدت جزيرة جربة باقي مدن الإقليم بحاجته من الذهب لكثرت بها^(٨)

-
- (١) البكري : المغرب ، ص ٧٥ ، جورج مارسية : بلاد المغرب ، ص ٢٠٦ .
 (٢) البكري : نفس المصدر ، ص ٥٤ .
 (٣) مجهول : الاستبصار ، ص ٦٠ .
 (٤) مجهول : الاستبصار ، ص ١٨ .
 (٥) البكري : المغرب ، ص ٢٥ ، مجهول : الاستبصار ، ص ٦ ، جورج مارسية : بلاد المغرب ص ٢٠٨ .
 (٦) ابن حوقل : صورة الأرض ، ص ٨٤ ، مجهول : الاستبصار ، ص ٤٨ .
 (٧) ابن حوقل : نفس المصدر ص ٨٩ .
 (٨) البكري : المغرب ، ص ٨٥ .

وكانت بعض المدن خاصة الساحلية منها تبني حوانيتها (محلاتها) على شاطئ البحر فيكون السوق بها أول ما يراه التجار عند قدومهم عليها مثل مدينة سرت ^(١) ومثلت مدينة برقة بأسواقها المكتظة بأنواع السلع المحلية والمستوردة من الخارج مركزا هاما فى تجارة إفريقية الداخلية وتبادلت مع غيرها من مدن إفريقية السلع وصدرت إليها ماكان يأتيها من الخارج فكانت أسواقها مليئة بالتجار من مختلف الأقطار على مر الوقت ومما اشتهرت به إلى جانب القطران ، الجلود بفضل ثروتها الحيوانية الكبيرة وكانت تصلها كميات التمور من أوجله وتميزت بتجارته من الصوف والفلفل والعسل والشمع والزيوت وكانت مركزا هاما يجذب إليه منتجات و سلع المدن الإفريقية الأخرى ^(٢)

واستقبلت تونس وبجاية أنواع التمر الطيب من عاصمة الذاب بسكرة ^(٣) واكثر تجارتها كانت التمور المتعددة الأنواع والأجناس مثل الصيحاني والليارى والكسبا حتى أطلق عليها اسم بسكرة النخيل ، هذا إلى جانب تجارة الملح الذى يفوق غيره فى الجودة حتى كان بعض الخلفاء الفاطميون يفضلونه على غيره فى أطعمتهم. ^(٤)

وكان للمعادن المختلفة دوراً هاما فى التجارة الداخلية لإفريقية فكانت مدن وقرى جبل كتامة تصدر منها الكثير مثل اللازورد والنحاس والحديد ^(٥) وكان التبادل التجارى يزداد فى المواسم والأعياد المختلفة التى يحتفل بها أهالى بعض المدن مثل المنستير خاصة يوم عاشوراء الذى يوافق سنويا احتفالات تجديد حاميه رباط المدينة بها ، ويمثل الملح المستخرج من بحيرة لمطه أهم تجاراتها ^(٦) ، وكان له نصيب وافر فى تجارة إفريقية الداخلية .

وكانت الأسواق الأسبوعية التى تقام خلال يوم معين من أيام الأسبوع إحدى الفرص الهامة التى يتم فيها تجمع التجار والفلاحين معا لترويج سلعهم وبضائعهم وكانت هذه

-
- (١) البكرى : المغرب ، ص ٦ .
 (٢) ابن حوقل : صورة الأرض ، ص ٦٩ .
 (٣) القلقشندي : صبح الاعشى ، ح ٥ ، ص ١٠٧ ، مجهول : الاستبصار ، ص ٦١ .
 (٤) البكرى : المغرب ، ص ٥٢ .
 (٥) البكرى : نفس المصدر ، ص ٣٣ .
 (٦) البكرى : نفس المصدر ، ص ٣٦ ، ٨٤ ، جورج مارسليه : بلاد والمغرب ، ص ٢٠٧ ، لويس أرشيبالد : القوى البحرية ، ص ٣٣٠ .

الأسواق أيضا تتميز بأهميتها في زيادة التجارة الداخلية في إفريقية ، ونموها وهذا النموذج من الأسواق نجده ظاهراً في المدن التجارية الكبرى كالقيروان مثل سوق الأحد والخميس^(١)

ومن المدن التي اشتهر أمرها بالتجارة الداخلية لإفريقية مدينة القصر^(٢) القديم الواقعة على ثلاثة أميال من القيروان ومما يشهد بأهميتها التجارية كثرة الحمامات ، والفنادق ، بها إلى جانب الأسواق ، ومدينة تماجر القريبة من المهدية فكان بها أسواق وفنادق ومدينة زويلة المدينة التجارية المقامة بجانب المهدية حيث كانت بها الأسواق^(٣) وشاركت مدينة مليانه بفضل غناها بالمحاصيل والمنتجات الزراعية المختلفة في التجارة الداخلية لإفريقية بفضل رخص حاجاتها^(٤)

وشاركت القرية في إقليم إفريقية بنشاط هام في التجارة الداخلية لإقليم إفريقية وبرزت منها العديد من القرى التي تميزت بنشاطها التجاري القوي داخل الأسواق بها وكان يوجد بها بعض الحوانيت التي تباع بها السلع مثل قرية أوسجيت التي أقيمت بها بعض الحوانيت لبربر كتامة ، ونافست أوسجيت العديد من القرى القريبة منها مثل نهريين وتامسنت ودكمه وكان لكل منها سوق خاص بها مما يدل على أهميتها التجارية وهي قرى واقعة على الطريق من مدينة القيروان إلى مدينة المسيلة^(٥)

وعلى الطريق من القيروان إلى مدينة بونة تقع قرية الفهمين وهي كثيرة التجارة ولها سوق جامع ، وعلى ستة مراحل من القيروان برزت قرية منستير عثمان وهي قرية

(١) المقدسي : أحسن التقاسيم ، ص ٢٢٥ ، ٢٢٦ ، التيجاني : رحلة التيجاني ، ص ٣٢٥ .
 (٢) القصر القديم : إحدى مدن إفريقية - قرية من القيروان ، بناها إبراهيم ابن الاغلب والى إفريقية ١٨٤٠ - ١٩٦ هـ - ٧٩٦ - ٨٠٨ م واتخذها عاصمة له ، وأنشئت بها الأسواق والحمامات والفنادق .
 كان موقعها ملكا لبربر من بنى طالوت فقام بشراء منهم إبراهيم بن الاغلب ونقل إليها عبيده وسلاحه ، وتتميز مدينة القصر بكثرة مواردها المائية وكانت تمثل خزان المياه لمدينة القيروان ، وتمدها بحاجتها منها عندما يصيبها القحط ، لها كثيرا من الابواب مثل باب الرحمة قبلى ، باب الحديد قبلى باب غليون شرقى باب الريح شرقى وباب السعادة غربى مقابل مقبرتها الكبيرة .
 اليعقوبى : صفة المغرب ، ص ٨ . - البكرى : المغرب ، ص ٢٨ . ابن عذارى : البيان ، ح ١ ، ص ٩٢ - ٩٣ . الحميرى : الروض المعطار ، ص ٤٧٦ . ابن أبى دينار : المؤنس ص ٤٧ .

(٣) البكرى : المغرب ، ص ٢٨ ، ٢٩ .

(٤) مجهول : الاستبصار ، ص ٥٩ .

(٥) ابن حوقل : صورة الأرض ، ص ٨٦ - ٨٧ .

كبيره مأهولة السكان كثيرة الأسواق والفنادق والحمامات مما يشير إلى أهميتها التجارية الداخلية^(١) ولقرية ريغة الواقعة على طريق المغرب إفريقية سوق صالحه^(٢).

الطرق بين مراكز التجارة .

تمتع إقليم إفريقية بشبكة قوية من الطرق الممهدة الآمنة التي قامت بعملية ربط محكمه بين جميع مراكز إفريقية التجارية وقراها فقد أولى الخلفاء الفاطميين ومن بعدهم بنى زيرى عناية فائقة ومتابعة جيدة لتلك الطرق ونشروا الأمن والأمان على مختلف هذه الطرق مما كان له اكبر الأثر فى زيادة عمليات التبادل التجارى لمختلف السلع والمنتجات وقامت بتسهيل عملية انتقال الأفراد والتجار بين مختلف المناطق وزيادة الاستثمار فى إقليم إفريقية فانسابت عمليات نقل البضائع والسلع بصورة سلسله من مناطق الإنتاج إلى مراكز الصناعة وموانئ التصدير .

فمن مدينة طرابلس إلى مدينة برقة طريق يبلغ طوله خمس وعشرون مرحلة^(٣) ومن طرابلس طريق آخر يربطها بمدن قرى جبل نفوسه يبلغ طوله مسيرة ثلاثة أيام^(٤) ومن طرابلس طريق آخر يصلها بمدينة سرت ويبلغ طوله عشر مراحل ومن سرت إلى اجدابيه طريق طوله ست مراحل ومن مدينة برقة إلى مدينة اجدابيه طريق يبلغ ست مراحل ومن اجدابيه إلى ميناءها على ساحل البحر المتوسط - الماحور طريق يبلغ ثمانية عشرة ميلا^(٥)

وهناك طريق هام يبدأ من مدينة القيروان حتى مدينة فاس أقصى بلاد المغرب يمر على مدن وقرى هامة^(٦) كما يبدأ طريق هام آخر يربط بين مدينة طرابلس بإقليم إفريقية ومدن السوس الأدنى والأقصى ويمر هذا الطريق على كثيرا من المدن الهامة مثل قابس والقيروان^(٧).

-
- (١) البكرى : المغرب ، ص ٥٥ ، ٥٦ .
 - (٢) ابن حوقل : صورة الأرض ، ص ٨٩ .
 - (٣) المراكشى : المعجب ، ص ٣٤٧ .
 - (٤) مجهول : الاستبصار ، ص ٢ .
 - (٥) البكرى : المغرب ، ص ٥-٦ .
 - (٦) ابن حوقل : صورة الأرض ، ص ٨٤ - ٨٥ .
 - (٧) المقدسى : أحسن التقاسيم ، ص ٢٤٥ - ٢٤٦ .

ومثلت مدينة القيروان إحدى المدن المركزية الهامة التي تبدأ منها وتنتهي إليها الطرق التجارية المختلفة فهناك طرق ربطها مع أهم المراكز التجارية والمدن مثل قفصة وقسطنطية وتاهرت حتى مدينة فاس بالسوس الأدنى ، وهناك طريق آخر يبدأ منها إلى مدينة سطيف وتاهرت وفاس والسوس الأقصى إلى جانب طريق من القيروان إلى مدينة زويلة يبلغ مسيرة شهر ومن القيروان إلى مدينة سجلماسة طريقان أحدهما برى وهو الأقصر ويبلغ طوله ثلاثون مرحلة والطريق الآخر فى العمارة يبلغ طوله خمسون مرحلة ومن القيروان طريق يربطها بالمدن الساحلية القريبة مثل تونس وطبرقة وتيس وجزائر بنى مزغناى ومنها طريق يصلها بمدينة المهدية يمر على مدن هامة (١) على ساحل البحر المتوسط .

وهناك طريق يبدأ من مدينة المسيلة إلى أقصى المغرب حيث مدينة فاس مارا بقرى ومدن عديدة هامة (٢) ومن القيروان طريق يربطها بمدن إقليم الذاب ويصل حتى مدينة بسكرة . وطريق آخر يصل حتى مدينة قلعة أبى طويل وهو يمر على مدن عديدة ويخترق بلاد كتامة ويطلق عليه الطريق - الجناح - الأخضر (٣)

ومن طرابلس إلى قابس طريق يبلغ عشرة مراحل ثم إلى سوسة أربعة مراحل ثم إلى المهدية ثلاثة مراحل ثم من مدينة سوسة إلى مدينة تونس ثلاث مراحل ومنها إلى قرطاج طريق يبلغ أربعة فراسخ (٤) ومن مدينة بنزرت إلى مدينة طبرقة طريق يبلغ طوله سبعون ميلاً (٥) ومن مدينة قسنطينة حتى مدينة سبتة بالمغرب الأقصى طريق يبدأ من قسنطينة إلى بجاية يبلغ طوله خمس مراحل ثم إلى مدينة الجزائر أربعة مراحل ثم إلى تيس أربعة مراحل ومنها إلى وهران سبع مراحل ومن وهران إلى سبتة ثمانى عشره مرحلة (٦) وربط مدينة تاهرت طريق يبلغ طوله ثمانون مرحلة . ومن القيروان إلى سجلماسة طريقان أحدهما خارج العمارة يبلغ ثمانون مرحلة والآخر فى العمارة ويبلغ طول مائه وعشرون مرحلة (٧)

-
- (١) المقدسى : أحسن التقاسيم ، ص ٢٤٦ .
 - (٢) ابن حوقل : صورة الأرض ، ص ٨٧ - ٨٨ .
 - (٣) البكرى : المغرب ، ص ٤٩ - ٥٤ .
 - (٤) المراكشى : المعجب ، ص ٣٤٩ - ٣٥٠ .
 - (٥) أبو الفدا : تقويم البلدان ، ص ١٤٣ .
 - (٦) المراكش : المعجب ، ص ٣٥٢ - ٣٥٤ .
 - (٧) الاصطخرى : المسالك والممالك ، ص ٣٧ - ٣٨ .

وارتبطت مدينة سجلماسة بالمراكز المجاورة لها بطرق تجارية هامة فهناك طريق يصلها إلى اغمات يبلغ طوله نحو ثمانى مراحل ومثلها إلى مدينة فاس ، ومن سجلماسة إلى السوس طريق يبلغ اثنتا عشرة مرحلة ^(١) ومن مدينة القلعة طريق يصل حتى مدينة تنس البحرية يمر بمدن المسيلة وغدير واروا واشيرومليانه ^(٢)

ومن مدينة أشير ^(٣) طريقان يصلانها (الأول إلى مدينة مرسى الدجاج الآخر إلى مدينة جزائر بنى مزغنى ، ومن القيروان إلى مرسى الزيتونة طريق يربطهما معاً ومن القيروان إلى مدينة وهران طريق يصلهما معا ^(٤) ومن مدينة سجلماسة التي ربطتها طرق تجارية كثيرة هامة سواء مع مدن إفريقية أم مدن السودان الواقعة جنوب إقليم إفريقية فمن سجلماسة إلى اودغست شهران ومن اودغست إلى غانه بضعة عشر يوماً ومن غانه إلى كوغه نحو شهر ومن كوغه إلى سامه دون الشهر ومن كوكو إلى مرند شهر ومن مرند إلى زويله شهران ومن زويله إلى اجدايه شهر ومن زويله إلى فزان خمس عشرة مرحلة ومن فزان إلى زغاوة شهران ، ومن اوليل إلى سجلماسة اكثر من شهر ومن سجلماسة إلى لمطه معدن الدرق اللمطيه خمس وعشرون ميلاً ، ومن سجلماسة إلى القيروان ماراً بنفزاوه ونواحي قسطيلية شهران ^(٥)

(١) ابن حوقل : صورة الأرض ، ص ٩٠.

(٢) البكرى : المغرب ، ص ٥٩ - ٦١.

(٣) مدينة أشير : إحدى مدن إقليم إفريقية . تتميز بالحصانة والمنعة ، بناها زيرى بن مناد ٣٢٤هـ / ٩٣٥م تقع فى جنوب مدينة الجزائر فى جبل تيتري ، ويطلق عليها اسم أشير زيرى ، وجه الخليفة الفاطمى أبى القاسم القائم بأمر الله (٣٢٢ - ٣٢٤ هـ - ٩٣٤ - ٩٤٦م) مساعدات كبيره إلى زيرى لانشاء هذه المدينه مثل المهندسين والبنائين إلى جانب جميع الحرفيين ، كان يقوم بحمايتها ٥ اشخاص فقط ، كما اشتهرت بغزاره مياهها وعمرت بالتجار والعلماء ، واصبحت من أهم المراكز التجارية الداخلية بإفريقية . ياقوت : معجم البلدان ، ج ١ ، ص ٢٠٢ - ٢٠٣ . البكرى : المغرب ، ص ٦٠ . مجهول : الاستبصار ، ص ٥٨ - ٥٩ . ابن عزارى : البيان ، ج ١ ، ص ٢١٦ . الذهبى : العبر ، ج ٢ ، ص ١١٤ . الهادى ادريس : الدوله الصنهاجية ، ج ١ ص ٤٤ .

(٤) البكرى : المغرب ، ص ٦٣ - ٦١ ، ص ٧١.

(٥) ابن حوقل : صورة الأرض ، ص ٩١.

وهكذا ربطت الطرق التجارية بين مختلف مدن ومناطق إفريقية ، مما ساعد على قوة التبادلات التجارية بينها وأدت إلى انتعاش التجارة الداخلية داخل إقليم إفريقية خلال العصر الفاطمي وبنى زيري .

الفصل الثالث

الفصل الثالث

الأسواق وتنظيمها .

- أهم الوظائف داخل الأسواق .
- المنشآت التجارية .
- نظام الأسواق في المدن والقرى .
- نظام البيع .
- طوائف التجار .

الأسواق وتنظيمها .

يطلق اسم السوق على المكان المخصص لتبادل البيع والشراء . فيما يعرف بموضع البياعات .^(١) وهو المكان الذى يحوى بداخله حاجات الناس الضرورية ، والكمالية والتي تمت بالصلة إلى جميع نواحي الحياة المختلفة الخاصة بهم . " إذ أن الأسواق كلها تضم بين طياتها ضرورات الحياة للإنسان مثل الأقوات ، وما فى معناها من البقول ، والبصل ، والثوم ، إلى جانب الحاجات الكمالية ، مثل الأدم والفواكه والملابس وأدوات الطهى - الماعون - والمراكب وسائر المصانع والمباني^(٢) ، ولقد سمي السوق سوقاً لأن التجارة تجلب إليها وتساق المبيعات نحوها^(٣)

أسس إقامة الأسواق

ولما تمثلت هذه الأسواق من أهميه نجد أن أولى الأمر سواء كانوا من الخلفاء أم الولاة، والحكام يولون تلك المنشآت عنايتهم ، واهتمامهم ، ويراعون عند إقامتها مجموعة من الأسس، والقواعد ، يجب أن يكون عليها السوق ، فلا يجب إقامة تلك الأسواق دونما تخطيط أو تنسيق ، ومن هذه الأسس التى يجب أخذها فى الحسبان وتجب مراعاتها ، الأمور الخاصة بالاتساعات ، والارتفاعات ، التى سيكون عليها السوق ، فالسوق يجب أن يكون على غرار ما وضعه الروم قديماً فى الاتساع ، والارتفاع ، كما يجب أن يكون السوق مبلطاً - إذا ما توفرت الموارد المالية لعمل ذلك - وإن يقام على جانبى السوق أفريزان لكى يستخدمهما الناس فى زمن الشتاء^(٤) وتكون الأسواق مسقفة بتقنية الآجر أو بمعرشات العنب.^(٥)

كما يتم السماح لأصحاب المتاجر داخل السوق بعمل مصاطب خاصة بهم ، وهى عبارة عن بناء يرتفع عن سطح الأرض بمقدار متر ويكون موقعها بجانب وجهة الدكان، وتستخدم أما للجلوس ، عليها أو فرز البضائع فوقها من جانب المشترين ، ولكن لا يجب

(١) المطرزي : كتاب المغرب فى ترتيب المغرب ، ص ٢٣٩ .

(٢) ابن خلدون : المقدمة ، ص ٢٥٥ .

(٣) ابن منظور : لسان العرب ، ح ٧ ، ص ٣٣ .

(٤) الشيزرى : نهاية الرتبة ، ص ١١ . محمد عبدالعزيز مرزوق : الفن الإسلامى فى العصر

الأيوبى ، وزارة الثقافة والإرشاد القومى ، القاهرة ، ١٩٦٣ ، ص ٣٩

(٥) عثمان الكفاك : الحضارة العربية ، ص ٦٦ .

بحال من الأحوال أن تخرج عن سمت السقائف إلى الممر الأصلي للسوق ، وإلا اعتبر ذلك تعدياً على حقوق المارة ويجب أن يمنع صاحبها من ذلك . (١)

ولم يكن وجود المصاطب أمراً شاذاً داخل أسواق إفريقية ، بل هو من الأمور الشائعة داخل تلك الأسواق ، وإحدى علاماتها المميزة ويعتبر حي الربع بمدينة سوسة خير شاهد على ذلك (٢)

ولافت الأسواق ، العناية الفائقة والرعاية الكاملة ، في جميع ما ارتبط بها من أمور ، منذ لحظة التفكير في إقامتها ، وبدءاً من اختيار الموقع والمكان المناسب لإقامة السوق ، فلا يتم بناء السوق في أماكن بعيدة متطرفة عن العمران ، أو في أماكن يصعب على الناس الذهاب إليها في يسر وسهولة ، وإنما كان مكان السوق في أماكن معلومة قريباً من جميع أحياء المدينة ، لذا كان السوق يقام غالباً في وسط المدينة ، بجوار المسجد الجامع مثل سوق مدينة القيروان حيث أقيم في وسط - سرّة - البلد . (٣)

ويعد سوق القيروان . من أكبر أسواق المدن بإقليم إفريقية ، حيث يبلغ طوله من الجامع إلى باب أبي الربيع - أحد أبواب القيروان - ميلان إلا ثلث ، ويبلغ عرضه من الجامع إلى باب تونس ثلثاً ميل ، وكان سطحاً متصلاً فيه جميع المتاجر والصناعات (٤)

وبعد تحديد مكان السوق ، يعهد ببنائه إلى أحد المهندسين المختصين الذي يقوم بتحديد تقسيماته الداخلية ، مع مراعاة سبل الأمان داخله .

أقسام السوق

وينقسم السوق إلى قسمين منفصلين يختلف محتوى كلا منهما عن الآخر ، فهناك قسم خاص بالمصانع التي تعتمد على المواد الخام المعدنية ، أو الزراعية ، كالقطن ، والكتان ، والحريز ، وهي ما يطلق عليها الصناعات اليدوية ، وتتم فيها تحويل المادة الخام إلى أقمشة ، ومنسوجات ، وملابس مثل أسواق سوسة . (٥) وغيرها.

(١) الشيزري : نهاية الرتبة ، ص ١١-١٤ .

(٢) حسن عبدالوهاب : ورقات الحضارة ، ص ٧١ .

(٣) المقدسي : أحسن التقاسيم ص ٢٢٦ ، حسن عبدالوهاب : ورقات الحضارة ، ص ٦٨ - ٦٩ .

(٤) ابن حوقل : صورة الأرض ، ص ٩٤ ، البكري : المغرب ، ص ٢٥ - ٢٦ .

(٥) ابن حوقل : صورة الأرض ، ص ٧٤ ، حسن عبدالوهاب : ورقات الحضارة ، ص ٧١ .

وهذا الجزء من السوق يضم الصناعات التي تحتاج إلى وقود ونار مثل الخباز والطباخ ، والحداد .^(١) ويتميز هذا القسم من السوق بكبر الحجم ، نظراً لكثرة عدد الأفراد به ولكي يستوعب أيضا العدد والآلات المستخدمة في الصناعة.^(٢)

أما القسم الثاني من السوق فهو الجزء الخاص بعرض وبيع السلع الأخرى ، سواء كانت محلية الصنع أم مستوردة من الخارج ، وتتميز متاجر هذا الجزء بأنها متقابلة ومتلاصقة يفصل بينهما ممر معقود ومسقوف ، بالأجر أو الحجر الخفيف ، وأمام كل دكان مصطبة^(٣) وذلك مثل العطارين والبرازين^(٤) وعلى هذا النظام أقيمت أغلب أسواق إفريقية وخير شاهد على ذلك ما كانت عليه أسواق مدينة القيروان ، التي كانت المثل الذي احتذت به باقي مدن إفريقية عند إقامة أسواقها ، فكان لكل صناعة به سوق خاص ، بها مثل الصباغين والرماحين ، والحزائين^(٥) وسوق الضرب.^(٦) وسوق الصرف^(٧) .

ولم يقتصر الأمر على مدينة القيروان ، دون غيرها في اتباع هذا التنظيم والتنسيق داخل سوقها ، بل حذت حذوها مدن أخرى مثل مدينة برقة التي كان سوقها على غاية ما يكون تنظيماً ، وتنسيقاً ، فهناك أقسام محدده لكل سلعه بها مثل قسم بيع الأصواف ، والقسم الخاص ببيع الفلفل والقسم الخاص ببيع العسل وآخر لبيع الشمع والزيت إلى غير ذلك من الأقسام^(٨) .

مزاياء وعيوب تقسيم الأسواق :

ويتميز هذا التنظيم والتحديد داخل الأسواق على هذا النسق بمزاياء وعيوب في نفس الوقت فمن هذه المزايا ، وجود نوع من المنافسة بين التجار داخل السوق على تخفيض الأسعار وعدم ارتفاعها بما يؤدي إلى قيام عدد كبير من الناس بالشراء دون صعوبة . كما يعمل هذا التقسيم على تمييز كل قسم من أقسام السوق بالسلعة ، التي يحويها وتعرف به مما

(١) الشيزري : نهاية الرتبة ، ص ١١ .

(٢) حسن عبدالوهاب : ورقات ، ص ٧١ - ٧٢ .

(٣) نفس المصدر ، ص ٧١ .

(٤) الشيزري : نهاية الرتبة ، ص ١٢ .

(٥) المقدسي : أحسن التقاسيم ، ص ٢٢٥ .

(٦) البكري : المغرب ، ص ٢٢ .

(٧) الخشني : قضاة قرطبة ، ص ٢٨٦ .

(٨) ابن حوقل : صورة الأرض ، ص ٦٩ .

يمثل سهولة ويسر، ورفق، بالمشتريين، فى الوقت نفسه. الذى يساعد أصحاب تلك السلع والصناعات على بيعها بسرعة (١)

ومن عيوب: هذا التقسيم فيتمثل فى التعب، والمشقة، التى يعانىها مرتادى هذا الأسواق من المشتريين نظرا لقيامهم بالتجول مسافات بعيدة فى سبيل البحث والحصول على السلع المختلفة (٢).

ومن الأسباب التى أدت، وساعدت على وجود هذا التقسيم داخل الأسواق هو عدم المجانسة بين الصناعات التى تحتاج إلى الوقود، وبين غيرها من الصناعات الأخرى (٣) لذا روعى أن تكون الأسواق طبقة طبقة بدء من المسجد حتى جانب السور، الداخلى، وأن يكون قربها أو بعدها من المسجد على نسبة اتصالها وظيفياً، فهناك سوق الشماعين، وسوق العطارين، والطيبين، وسوق القباقيب، لوجوب الضوء وسوق العدول (المأذونين) وسوق الكتبية، أما ما وجد بجانب السور، بعيداً عن المنازل، خوف الإيذاء بالرائحة الكريهة أو الدخان أو الحريق، أو الدوى مثل الدباغين والصباغين، والسراجين والحدادين، والنجارين (٤).

ومن بين المدن الأخرى التى تميزت أسواقها بنوع من التنظيم والتنسيق أيضاً مدينة تونس، فكان لكل صنعه بها مكان خاص محدد لا تختلط معها صنعة أخرى، مثل أسواق الحدادين، وأسواق الصباغين، وأسواق صانعى السروج (٥) - السروجية (٦) ولقد وجدت داخل أسواق إفريقية المختلفة عدة حرف - وظائف - هامة منها:

- (١) الشيزرى: نهاية الرتبة، ص ١١.
- (٢) ستانلى لين بول: سيرة القاهرة، ترجمه حسن إبراهيم حسن، على إبراهيم، ادوار حليم، الهيئة المصرية العامة للكتاب ١٩٩٧، ص ٢٥.
- (٣) الشيزرى: نهاية الرتبة، ص ١٢.
- (٤) عثمان الكعاك: الحضارة العربية، ص ٦٦.
- (٥) السرج: هو رحل الدابة. وجمعها سروج، والسراج هو بائع السروج وصانعها وحرفته السراج. ابن منظور: لسان العرب، ح ٣، ص ١٢١ - ١٢٢.
- وكان لها خزانه خاصة بها تسمى خزانه السروج. وهى قاعه كبيره بالقصر تحتوى على السروج والحم من الذهب والفضه وسائر آلات الخيل. بما يختص بالخليفة أو موظفيه من أرباب الرتب العاليه أو الخدم، وكان بها عمال كثيرون من خرازين وصاغة وغيرهم.
- القلقشندى: صبح الأعشى، ح ٣، ص ٤٧٣.
- عطيه مصطفى مشرفه: نظم الحكم فى عصر الفاطميين ص ١٠٣.
- (٦) موجز دائرة المعارف الإسلامية: مركز الشارقة للإبداع الفكرى، الطبعة الأولى ١٩٩٨م ح ٨ ص ٢٤٤٣.

أهم الحرف - الوظائف - داخل الأسواق

السمسرة

تعد السمسرة ، من الحرف -الوظائف- ذات المكانة الهامة داخل الأسواق والتي كانت ولا تزال شائعة في الأسواق في إفريقية ، فالسمسرة قديمة قدم الأسواق نفسها ، فهي موجودة حتى قبل ظهور الإسلام ، وظلت قائمة داخل الأسواق على عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم (١) .

وفي سبيل التعريف بمعنى السمسرة هناك .أقوال وآراء كثيرة فبداية نقول أن كلمة سمسار مأخوذة من اللغة الفارسية وجمعها سماسرة والمصدر منها السمسرة ، والسمسار هو الشخص الذي يقوم بعملية الوساطة بين البائع والمشتري (٢) حيث يعمل على تقريب وجهات النظر بينهما والعمل على الوصول إلى أنسب سعر يتفق عليه الطرفان .

ورغم وجود هذه الحرفة داخل الأسواق وقيام الشخص المحترف لها بعمله داخل السوق إلا أن السمسار (٣) لا ينتمي إلى فئة التجار ، ولا إلى فئة الصناع ، بل هو شخص مستقل قائم بذاته لذا لم يتم تصنيف تلك الحرفة -الوظيفة- ، في قائمة الوظائف المرموقة في الدولة ومن ثم لم يكن السمسار ذا مكانة سامية ، مثل غيره من أصحاب الوظائف الأخرى المرموقة ، داخل المجتمع فممتنوها لا قيام لهم ولا قرار ولا يسمع لهم ذكر في أشعار (٤) ولا تعتبر السمسرة قاصرة على نوع واحد فقط محدد ، بل هم أصناف مختلفون ، لكل منهم عمل خاص به يؤديه داخل السوق (٥) وبرغم عدم انتماء السمسار إلى إحدى الفئتين

(١) ابن منظور : لسان العرب ح ٦ ص ٤٦ .

(٢) المطرزي : كتاب المعرب ص ٢٣٥ ، مجد الدين محمد ابن يعقوب الفيروز بادي الشيرازي : القاموس المحيط : دار بيروت للطباعة والنشر : بيروت : ١٩٧٩م ح ٢ ص ٥٣ . عثمان الكعاك : الحضارة العربية ص ٦٤ .

(٣) السمسار : غير الرسول (ص) هذا اللفظ إلى لفظ تاجر فقد ذكر قيس بن أبي عروه قال " كنا قوماً نسمى السماسرة بالمدينة في عهد رسول الله (ص) فسمانا النبي (ص) التجار . ابن منظور : لسان العرب ، ح ٦ ، ص ٤٦ - ٤٧ .

(٤) رفاعه رافع الطهطاوى : الدولة الإسلامية نظامها وعمالاتها ، تعليق عبدالرحمن حسن ، فاروق حامد ، مكتبة الآداب : القاهرة ص ٢٨٥ .

(٥) أبو على الحسن بن رجال المعداني : كشف القناع عن تضمين الصناع ، تحقيق محمد أبو الرجفان ، الدار التونسية للنشر ، تونس ، ١٩٨٦م ، ص ١٠١ .

الأساسيتين داخل السوق وهما التجار أو الصناع إلا أن السمسار له الحق الكامل في امتلاك متجراً له داخل السوق يمارس فيه عملية البيع والشراء لمن أراد ذلك فهو خبير عالم بالسوق وله معرفة تامة بنواحي التجارة التي يجيدها ويحذقها ، والسمسرة عامه هي الأشعار بقُدوم السلع وأشباهها إلى داخل السوق ^(١) . وقيل أن السمسار هو الشخص الذي يبيع البر للناس . وقيل السمسار هو الشخص القيم بالأمر الحافظ له ^(٢) .

ولما كانت السمسرة إحدى الوظائف الهامة داخل السوق بما لها من دور هام في تنشيط عمليات البيع والشراء فقد أفردت لها كتب الحسبة فصلاً خاصاً بها ، ذكرت فيه أهم الصفات والشروط الواجب توافرها في السمسار ، فيجب أن يكون السمسار من الثقة الأخيار ، ومن أهل الدين والأمانة ، الذين يتصفون بالصدق ، في القول ، وذلك لأنهم يتسلمون بضائع الناس الذين يولونهم الأمانة في بيعها ، ولا ينبغي للسمسار أن يقوم بزيادة سعر السلعة من تلقاء نفسه دون أخذ رأى صاحبها ، ولا يقوم بالاتفاق كشريك مثلاً مع البزاز -أو غيره- ولا يشتري السلعة لنفسه ^(٣) ولا يقبض ثمنها دون توكيل ^(٤) .

ولأهمية بعض السلع التي يتولى السمسار بيعها ، مما يدعو البعض منهم من ذوى النفوس المريضة وضعيفى الإيمان إلى ادعاء ققدها ، أو تلفها ، مقابل استيلاءه عليها ثم يقوم ببيعها لنفسه بعد ذلك ، فقد ضمن بعض الفقهاء هؤلاء السماسرة السلع التي يتسلمونها فلا يجب أخذ أقوالهم -السماسرة- على سبيل التصديق المطلق إن هم ادعوا فقد تلك السلع ^(٥).

(١) المعدانى : كشف القناع ، ص ١٠٠-١٠١ .

(٢) ابن منظور : لسان العرب ، ج ٦ ، ص ٤٦ - ٤٧ .

(٣) نهى النبى صلى الله عليه وسلم عن اتخاذ السمسار حيث نهى " أن يبيع حاضر لباد . دعوا

الناس يرزق الله بعضهم من بعض ، وقيل لابن عباس - : رضى الله عنه - مامعنى قوله " لا يبيع حاضر لباد " قال " لا يكون له سمساراً " أبى عبد الله محمد بن أبى بكر الزرعى الدمشقى : الطرق الحكمية فى السياسة الشرعية أو " الفراسة المرضية فى أحكام السياسة الشرعية " تحقيق : محمد حامد الفقى : دار الكتب العلمية : بيروت ص ٢٤٣ . - ابن تيمية : الحسبة فى الإسلام ، ص ٣٧ . المطرزي : كتاب المغرب فى ترتيب المغرب ، ص ٢٣٥ .

(٤) الشيزرى : نهاية الرتبة ، ص ٦٤ .

(٥) المعدانى : كشف القناع ، ص ١٠٤ ، ص ١٠٩ .

فى نفس الوقت لا يتم تعميم هذه القاعدة على جميع السماسرة ، فمن اشتهر أمره منهم بالصدق والأمانة فليس عليه ضمان اعتمادا على صدقه وأمانته ودينه (١) .

ولم تكن أسواق إفريقية بمنأى عما عاداها من الأسواق فى الشرق أو فى الغرب سواء فى عهد الفاطميين ، أم فى عهد بنى زيرى من بعدهم ، فقد انتشرت السمسرة فى أسواقها المختلفة ، وكان هؤلاء السماسرة يكثررون فى المدن التجارية الهامة بأعداد كثيرة، شملت جميع الحرف والصناعات ومن أهم هذه المدن مدينة مرسى الخرز (٢) .

الدالون .

الدلالة هى الإجارة على بيع السلع داخل السوق (٣) وهى إحدى الوظائف الهامة داخل الأسواق ، ويختلف الدلال ، عن غيره ، فهو شخص له معرفة تامة بالسوق والأماكن التى توجد بها السلع داخل البلد ، وهو الذى يقوم بعملية تعريف أصحاب السلع على التجار، الذين يمكنهم الشراء فيسمى دلالاً لذلك لأنه يدل البائع على المشتري والمشتري على البائع (٤) وقد خضع الدالون مثل غيرهم من موظفى السوق إلى صاحب السوق - المحتسب - فى جميع أمورهم وتطبق عليهم شروط اختيار الموظفين الآخرين فعلى المحتسب أن يقوم بإقرار ذوى الأمانة منهم ويمنع منهم الخائنين (٥).

-
- (١) المعدانى : كشف القناع ، ص ٩٣ .
 - (٢) ابن حوقل : صورة الأرض ص ٧٧ . وانظر القزوينى : آثار البلاد ، ص ٢٦١ .
 - (٣) المعدانى : كشف القناع ، ص ١٠٠ .
 - (٤) نفس المصدر والصفحة .
 - (٥) أبو الحسن على بن محمد بن حبيب البصرى البغدادي : الأحكام السلطانية والولايات الدينية ، دار ابن خلدون ، الإسكندرية ، ص ٢٦٢ . ينبغى أن يكونوا أخيارا ثقة من أهل الدين والأمانة وصدق القول ، لأنهم يتسلمون بضائع الناس ، ويقلدونهم الأمانة فى بيعها . ولا ينبغى لأحد منهم أن يزيد فى السلعة من نفسه ، ولا يكون شريكاً للبراز ، (ولا يشتريها لنفسه) ، ولا يقبض ثمن السلعة من غير أن يوكله صاحبها فى القبض - الشيزى : نهاية الرتبة ، ص ٦٤ .

وكان الدلالون ينتشرون في مختلف أنحاء إفريقية فلكل مهنة دلالوها حتى كان في أقصى جنوب إفريقية في بلاد الجريد دلالون لسماد (الذبل) الأرض وكان يطلق عليه دلال المرحاض (١)

وبجانب هؤلاء وجد أيضا المنادون ، أو الصاحا ، الذين يقومون بالمناداة على السلع المختلفة داخل السوق ويجب أن تتوفر فيهم - مثل غيرهم - صفات الأمانة والصدق ولا يقومون بخداع المشتري والتواطؤ مع التجار فيظهرون ما بالسلعة من عيوب للمشتري ويخضعون أيضاً في عملهم للمحتسب (٢) .

وأخيراً يمكن القول أنه برغم كثرة المسميات المختلفة مثل الدلال أو الصاحا أو النحاسين أو الطوافين (٣) ، فإن كل هؤلاء الأشخاص ينصبون داخل إطار كبير هو ما نسميه السمسرة فالدلالة هي السمسرة (٤) . ويمكن أن نرجع ذلك إلى اختلاف البلاد والأزمنة فكل زمان ومكان مسميات خاصة به . واختلفت الآراء حول تضمين الصاحا داخل السوق (٥) الوكلاء .

الوكالة هي التفويض والحفظ ، واستتابة شخص لآخر فيما يقبل النيابة ، وهي من الأشياء التي شرعها الإسلام ، وحث عليها ، لعدم قدرة الإنسان على مباشرة أموره بنفسه في أحوال كثيرة وهي تتعقد بالقبول والإيجاب ، ولا يشترط لعقدها لفظ معين فيها ، ومن

(١) مجهول : الاستبصار ص ٤٣ وانظر التيجاني : رحلة التيجاني ص ١٦٠ .
ويجب على المحتسب أن يصنع تلك الفئة داخل السوق تحت نظرة وسيطرته وسيطرة أعوانه من العرافين حتى يقوم بمنعهم من بعض الأمور - الغش - التي يلجأون إليها ويعمدون إلى فعلها داخل السوق وهي من الأمور التي يجب منعها فهناك البعض منهم يقوم بإقراض بعض الصناع داخل السوق - المال - ذهباً على أن يشترط عليهم احتكار صناعتهم وعدم قيام أحد آخر غيره ببيعها لهم ، ومنهم من يقوم بشراء السلعة لنفسه ويوهم صاحبها أن بعض الناس قد اشتراها ، ومنهم من تكون السلعة له ولكنه يقوم بالمناداة عليها وزيادة سعرها وإيهام الناس بأنها لبعض التجار .

الشيذرى : نهاية الرتبة ، ص ٦٤ .

(٢) الشيذرى : نهاية الرتبة ، ص ٦٤ .

(٣) المعداني : كشف القناع ، ص ١٠١ .

(٤) الطهطاوى : الدولة الإسلامية ، ص ٢٨٤ .

(٥) المعداني : كشف القناع ، ص ٩٢ ، ٩٣ ، ٩٤ ، ١٠٦ .

حق المتعاقدين فسخ العقد بينهما ، وهى جائزة فى كل ما يستطيع الإنسان عقده بنفسه ، أما الأعمال التى لا تدخلها النيابة مثل الصلاة والطهارة والحلف .. فلا يجوز فيها الوكالة^(١).

ولقد وجدت الوكالة فى مختلف أسواق إفريقية حيث ذكر الوكيل فى سيرة جوذر^(٢). وكان الحكام والأمراء كثيرا ما يلجأون إلى شخص ما يوكلونه عنهم فى أمور البيع والشراء أو مباشرة أعمالهم غير السياسية لتخلق الملوك والأشراف بأخلاق تسمو بهم عن أخلاق التجار^(٣). ويجوز للوكيل أن يخالف شروط موكله إن كان ذلك فى مصلحته أما إن كان فى غير مصلحته فواجبه الرجوع إلى موكله^(٤).

ولقد انتشر نظام الوكيل انتشاراً واسعاً ولم يقتصر فقط على التوكيلات التجارية بل كان هناك وكلاء أيضاً لتزويج امرأة من شخص آخر وكل منهما يعيش فى بلد آخر^(٥).

ومن اكبر المناطق التى وجد بها الوكلاء فى إفريقية كانت مدينة مرسى الخرز . فكان هناك وكلاء للتجار ووكلاء لخلفاء إفريقية فى مجال بيع وشراء المرجان^(٦) ولم يقتصر أمر الوكيل على الخلفاء فقط بل شمل هذا الأمر أفراد أسرهم الذين لم يقتصر أمر وكلاءهم على التواجد داخل إقليم إفريقية بأسواقها المتعددة . إنما تعدو حدود هذا الإقليم إلى الدول المجاورة التى تتميز بالتقدم الاقتصادى فقد كان لأم الأمراء وكيل خاص بها يقيم بمصر يتولى عمليات بيع وشراء ماهى فى حاجة إليه^(٧) . ولم يقتصر أمر الوكلاء على أم الأمراء فقط بل كان لبعض الحكام بإفريقية أيضاً وكلاء خاصين بهم يقيمون أيضاً بمصر

(١) السيد سابق : فقه السنة ، دار الفتح للإعلام العربى ، القاهرة ١٩٩٤م ، ح ٣ ، ص ٢٣٢ - ٢٣٤.

(٢) جوذر : سيرة الأستاذ ، جوذر ، ص ٩٩ ، ص ١٢١.

(٣) ابن خلدون : المقدمة ، ص ٢٧٩.

(٤) السيد سابق : فقه السنة ، ح ٣ ص ٢٣٦.

(٥) صابر دياب : دراسات فى عالم البحر المتوسط فى العصور الوسطى ، المجلة التاريخية المصرية ، ١٩٧٧م ، عدد ٢٤ ، ص ٦٣ ، ٦٤ .

(٦) ابن حوقل : صورة الأرض ، ص ٧٦.

(٧) المقرئى : الخطط ، ح ٢ ، ص ١٦٦.

مثل المعز ابن باديس ^(١) الذى كان له وكيل بمصر يسمى ابن الاخوة كما سار بعض التجار بإفريقية على نفس هذا المنهج فى اتخاذ وكلاء خاصين ^(٢) لهم يتواجدون خارج حدود إفريقية يتولون أمر أموالهم ^(٣) .

المنشآت التجارية .

شهدت إفريقية خلال الحكم الفاطمى ثم بنى زيرى نهضة اقتصادية ضخمة فى جميع النواحي الاقتصادية وبلغت تجارتها مكانة مرموقة بين أقاليم العالم الأخرى بما أدى إلى تدفق التجار الأجانب من مختلف دول العالم إليها وكان لابد لهذه الأعداد الضخمة من التجار من

(١) المعز ابن باديس : ولد بمدينة المنصورية ٣٩٨ هـ - ١٠١٠ م تولى الحكم عقب وفاه أبيه باديس ، بعد أخذ البيعة له وعمره ثمانى سنوات ، ٤٠٦ هـ - ١٠١٨ م وتولت جدته تربيته وقامت بالوصاية عليه وباشرت الأمور الخاصة بالدولة ، كان ملكاً جليلاً ذا همة عالية محباً لأهل العلم ، كثير العطاء ، منع المذاهب الدينية عدا مذهب الإمام مالك ، وبلغت إفريقية فى عهده أرقى وازهى عصورها وبلغت الحضارة بها أوجها ، لقبه الخليفة الفاطمى الحاكم بأمر الله بشرف الدولة وتبادل معه الهدايا ، كان كريماً منح أهل بيته الأموال الكثيرة ، وكان متديناً غير محب لسفك الدماء ، ويتجنب القتل إلا فى الحق ، وكان ذكياً رقيقاً عازماً بعود صنائع من الألقان والتوقيعات والشعر ، وكانت له مجالس مع الأدباء ، تبادل الهدايا والسفارات مع بلاد الروم ، كان قائد حربياً قديراً تعرضت الدولة فى عهده لخطر الانقسام عن طريق عمه حماد ولكنه استطاع هزيمته وازعن حماد بالطاعة له وقام بقطع الخطبة للفاطميين ومنع شككتهم وغير بنودهم وطرأهم ٤٤٠ هـ - ١٠٥٢ م وأقام الخطبة للعباسيين ، مما كان سبباً فى إرسال العرب من بنى سليم وبنى هلال وغيرهم لإفريقية فقاموا بتخريبها وتدميرها وفضوا على حضارتها وبدا منذ ذلك الوقت الانهيار فى الدول الصنهاجية واستولى العرب على كثير من المناطق ولم يبق للزيريين غير المهديّة ومايحيط بها ومات سنة ٤٥٣ هـ - ١٠٦٥ م . - ابن خلكان : وفيات الأعيان ح ٥ ص ٢٣٣ - ٢٣٥ . - ابن عزارى : البيان ح ١ ص ٢٦٧ - ٢٧٩ . - ابن خلدون : العبر ح ٦ ص ١٥٨ - ١٥٩ . - ابن أبى دينار المؤنس ص ٨٠ - ٩٤ . - الباجى المسعودى : الخلاصة النقية ص ٤٦ - ٤٨ . - ابن أبى الضياف : إتحاف أهل الزمان : ص ١٧٣ - ١٣٩ . - الجناين : القيروان ص ١٠١ - ١٠٦ . - احمد بن عامر : الدولة الصنهاجية ص ٢٠ - ٢٢ ، ص ٢٧ - ٢٨ ، ص ٣٠ - ٣٤ .

(٢) المقرئى : اتعاط الحنفا بأخبار الأئمة الفاطميين الخلفاء ، تحقيق محمد حلمى ح ٢ القاهرة ١٤١٦ هـ ، ١٩٩٦ ص ٢١٢ .

(٣) الخشنى : قضاة قرطبة ، ص ٢٨٤ .

أماكن خاصة بهم يلجأون إليها طلبا للراحة والإقامة الحسنه الآمنة ، إلى جانب بضائعهم و سلعهم ،

الفنادق (١)

أذنت الحكومة الفاطمية في إفريقية للأهالي والتجار بإقامة مثل تلك المنشآت لاسيما الفنادق دعماً منها للتجارة والاقتصاد فشهدت مدن إفريقية نهضة في بناء الفنادق مثل غيرها من النواحي الاقتصادية فلا تذكر مدينة كبيرة أم صغيرة إلا ونجد في وصفها ذكراً للفنادق^(٢) مثل القيروان وقابس وسوسة ورقاده والمهدية وغيرهما من مدن إفريقية^(٣) .

وقام كثيرا من التجار ببناء فنادق خاصة من أموالهم للتجار الغرباء عن إفريقية واشتهر منهم "شكل" الذي أنشأ فندقا حمل اسمه في منطقة تبعد عن القيروان مسيره مرحله^(٤) وكان من العادات المألوفة والمعتادة في ذلك الوقت قيام كل فئة من التجار تنتمي إلى بلد واحد أو مدينة واحدة إقامة فنادق خاصة بهم يقيمون فيها مثل تجار الأندلس^(٥) كما سمحت

(١) الفندق : كانت فنادق إفريقية والمغرب عامة تقام للتجار الغرباء وهي بناء كبير يشبه السوق وتتكون من عدة طوابق يستخدم الجزء السفلي منها كمخازن للسلع والبضائع أما الدور العلوى فيستخدمه التجار مكانا للنوم في غرف متجاورة على كل منها أحد الأقفال الرومية والفندق كلمة مشتقة من اليونانية Pandokeion متر الحضارة الإسلامية ح ٢ ص ٣٨٧ وانظر جمال الدين سرور : تاريخ الحضارة الإسلامية في الشرق ، دار الفكر العربى ، القاهرة ، ١٩٧٣ م ص ١٦٠ .

(٢) لم يكن الفندق مجرد بناء قائم يقتصر فقط على وجود التجار الغرباء لمجرد المبيت وخزن البضائع والسلع بل كان أشبه بمدينة قائمه بذاتها فالفندق سقيفه بها شهود عدول لتحرير عقود البيع والإيجار وعامه الاحالات كما يقومون بالشهادة على التعاقد بين التجار كما يوجد بالفندق سمسار يتوسط بين البائع والمشتري ومنادى للمناداة على السلع في المزادات التى تقام بشكل علنى وشخص يسمى أمين التسعير لوضع أسعار السلع ويتأكد من صلاحها وسلامتها وعدم غشها كما يوجد شخص مترجم يقوم بالترجمة بين الأطراف المختلفة وهناك شخص يقوم بإصلاح الاسرجه والأدوات الخاصة بالدواب وهناك طبيب بيطرى لعلاج تلك الدواب ويوجد بالفنادق أيضا مستودعات توضع بها العربات والدواب والأعلاف الخاصة بالدواب والبضائع ويخصص الدور الأول من الفندق للتجار إذ لكل تاجر غرفة يقيم بها . عثمان الكعاك : الحضارة العربية ص ٦٤ - ٦٥ .

(٣) البكرى : المغرب ، ص ١٧ ، ٢٠ ، ٢٧ ، ٢٩ .

(٤) نفس المصدر ، ص ٣٧ .

(٥) ابن عذارى : البيان ، ح ١ ص ١٦٩ .

الحكومة الفاطمية أيضا للتجار الأوربيين بإقامة فنادق خاصة لهم يقيمون فيها. ويمارسون طقوسهم وعاداتهم بها بعيدا عن المسلمين حيث كانت من عاداتهم شرب الخمر وتربية الخنازير وهي محرمة على المسلمين وكانت هذه الفنادق تغلق ليلا خوفا من تعدى المسلمين على هؤلاء التجار ^(١) وكانوا عادة ما يختارون أحدهم كي يكون رئيساً لهم وممثلاً لهم أمام الحكومة ويطلق على هذا الشخص اسم الفندقى ^(٢) كما أنشأ بعض الفقهاء فنادق لهم مثل فندق الحرائرية الذى يرجع فضل بنائه إلى سيدى محرز أمام زاوية بالقرب من أحد أبواب المدينة ^(٣).

ولم يقتصر الأمر فى المنشآت التجارية على الفنادق فقط بل كان هناك نوع آخر من تلك المنشآت أطلق عليها اسم القيسريات .

القيسريات .

انتشرت هذه القيسريات فى الأسواق الإسلامية شرقا وغربا على حد سواء وهى من النظم الإنشائية البيزنطية نسبة إلى الإمبراطور البيزنطى قيصر . وقد اقتبس المسلمون هذا النظام فى أسواقهم وعمموه بها . والقيصرية عبارة عن مجموعة من الدكاكين تقيمها الدولة فى مكان خاص بها مربع الشكل ويحيط به سور من جميع الجهات ويدخل إليها من باب واحد ، وهذه الدكاكين يتم تأجيرها من قبل الحكومة لمن يريد من التجار مقابل أجر معلوم يدفع شهريا أو سنويا ^(٤) .

-
- (١) عطيه القوصى : الحضارة الإسلامية ص ١٣٣ .
- (٢) مسرور : تاريخ الحضارة الإسلامية فى الشرق ص ١٦٠ .
- (٣) برونشفيك : دائرة المعارف الإسلامية ، مادة تونس ، حـ ١٠ ص ١٧١ .
- وبصفة عامة يمكننا القول أن الأسواق بإفريقية تتكون من ثلاث أصناف :
- أ - الأسواق المقامة على الأبواب التى تؤدى إلى داخل البلاد ويطلق عليها أسماء المدن المقامة بها مثل بنزرت والقيروان وسوسة بتونس وبها قرانق يسمى الحمار يتولى نقل البريد والبضائع وبها مطاعم للأكل .
- ب - فنادق الأسواق .
- ج - فنادق القنصليات الأجنبية ويوجد بها قنصلهم ومحكمتهم ودفاتر ترسيم - كتابه - أسمائهم وأحوالهم المدنية . - الكعك : الحضارة العربية ص ٦٥ .
- (٤) حسن عبدالوهاب : ورقات الحضارة ، ج ٢ ، ص ٧٢ ، محمد عبدالعزيز مرزوق : الفن الإسلامى ص ٣٩ .

وكان في بعض هذه القياسر تبني مساجد لتجار المسلمين ^(١) ويعتبر الخليفة الأموي عبدالملك بن مروان (١٠٥ - ١٢٥ هـ - ٧١٧ - ٧٣٧ م) أول من قام بإدخال هذا النظام في المدن الإسلامية خاصة إفريقية بمدينة القيروان ^(٢) كما سار على نفس المنهج ولاية إفريقية في زمن العباسيين مثل يزيد بن حاتم ^(٣) وكانت الرغبة في مراقبه الصناعة ومنع تسرب الغش إليها إلى جانب الرغبة في جمع الأموال لخزينة الدولة هي التي دفعت الحكومة لبناء مثل هذه القيسريات فلم يكن مسموحا للأشخاص ببناء هذه المنشآت الضخمة ^(٤) وكان من العادات الشائعة أيضا قيام الحكومة بإبقاء عدد من هذه الدكاكين خاصة بالاحباس ^(٥)

سار الفاطميون على هذا النهج أثناء حكمهم لإفريقية وتوسعوا فيه توسعاً كبيراً ففي عهد الخليفة الأول عبيدالله المهدي (٢٩٧ - ٣٢٢ هـ / ٩٠٩ - ٩٣٤ م) أمر ببناء ربض زويلة وجمع فيه جميع التجار وكان مقاما بجوار مدينة المهدية العاصمة ^(٦) كما تبعها وفي سنة ٣٠٥ هـ ٩٢٦ م بناء مدينة القاسمية التي انتقل إليها جميع التجار وأهل الصناعات أيضا ^(٧) وبعد ذلك بنحو إحدى وثلاثون عاما قام الخليفة الفاطمي المنصور (٣٣٤ - ٣٤١ هـ / ٩٥٥ - ٩٦٢ م) ببناء مدينة المنصورية سنة (٣٣٦ هـ - ٩٥٧ م) وسماها صبره ^(٨) ونقل إليها أسواق القيروان ^(٩) وهكذا نرى أن حكام إفريقية لم يخلوا بعنايتهم

-
- (١) سرور : تاريخ الحضارة الإسلامية ، ص ١٦١ .
 (٢) البكري : المغرب ، ص ٢٦ . وانظر حسن عبدالوهاب : ورقات الحضارة ، ص ٧٢ .
 (٣) ابن أدبي دينار : المؤنس ، ص ٤٥ .
 (٤) حسن عبدالوهاب : ورقات الحضارة ، ص ٧٢ - ٧٣ .
 (٥) ابن عذارى : البيان ، ح ١ ، ص ٢٦١ .
 (٦) البكري : المغرب ، ص ٢٩ . وانظر : مجهول : الاستبصار ، ص ٧ .
 (٧) ابن عذارى : البيان ، ح ١ ، ص ١٨٠ .
 (٨) مدينه صبره (المنصورية) إحدى مدن إفريقية ، متصلة بالقيروان بناها الخليفة الفاطمي المنصور أبو الطاهر إسماعيل (٣٣٤ هـ - ٣٤١ هـ - ٩٤٦ - ٩٥٣ م) وذلك سنة (٣٣٦ هـ / ٩٤٨ م) وقيل (٣٣٧ هـ / ٩٤٩ م) بعد عامين من توليه الخلافة تيمنا بانتصاره على أبي يزيد . وهي تبعد عن مدينه القيروان بنحو نصف ميل ، واتخذها عاصمة له بدلا من مدينة المهدية ونقل إليها الخليفة المعز لدين الله أسواق القيروان كلها وجميع الصناعات ، ولها خمسة أبواب الباب القبلي والباب الشرقي وباب زويلة وباب كتامة وهو جوفى وباب الفتوح الذي كانت تخرج منه الجيوش وأصبحت المنصورية (صبرة) أحد المراكز التجارية الهامة بإقليم إفريقية وأكثرها دخلا حيث كان يدخل أحد أبوابها كل يوم ستة وعشرون ألف درهم ، وهي مدورة مثل الكأس ، ودار السلطان وسطها ، مثل بناء بغداد والماء يجري وسطها ، شديدة العمارة حسنة

واهتمامهم بالمنشآت التجارية بل لاقت من الاهتمام والرعاية ما لاقت به بقية النظم الأخرى بل أن نظام القيسريه وجد منهم عناية فائقة فلم تكن القيسرية تقام فى مكان صغير داخل المدينة كما كان يفعل من قبلهم بل جعلوها أوسع وأكبر وكأنها مدينة قائمة بذاتها . ولاشك أن هذه المؤسسات قد لعبت دوراً هاماً فى مجال التجارة الداخلية والخارجية حيث كانت تشبه المعارض وكانت تتم بها الصفقات التجارية إلى جانب كونها أماكن استقبال وراحة للتجار الأجانب .

نظام الأسواق فى المدن .

اختلف نظام بناء السوق فى المدينة ، عنه فى القرية فإن كلمة السوق فى المدينة تعنى مجموعه الحوانيت والمصانع التى تتركز فيها الحياة الصناعية والتجارية ، أما فى القرية فلم تكن تعنى سوى الأسواق البسيطة التى تقام أسبوعياً ^(١) وكان التجار والصناع فى المدينة يقضون اليوم داخل السوق من الصباح ولا يعودون إلى منازلهم إلا فى المساء .

وإذا نظرنا إلى نظام بناء الأسواق داخل مدن إفريقية نجد أنه لم يكن نظاماً واحداً بل كان لكل مدينة سمة مميزة لسوقها فمثلاً نجد أن مدينة القيروان تختلف عن غيرها من المدن فسوقها يقع فى وسطها وهو بناء متصل مسافة كبيرة ويقع بجوار مسجد الجامع ^(٢) وإذا قلنا أن بناء السوق كان فى اغلب المدن يقع وسطها وبجوار مسجد ما نجد أن بعض المدن الأخرى لم تكن لترتكز على هذه القاعدة بل لم تأخذ بها فمثلاً كان لبعض المدن الساحلية مثل سرت نظام خاص فى بناء سوقها فكان يقع على ساحل البحر المتوسط وكان أول شئ يراه التجار هو سوقها التى اصطفت دكاكينه بأبوابها المفتوحة على البحر حيث كان التجار يرون

الأسواق ، بها جامع السلطان ، وعرض سورها اثنى عشر ذراعاً ، وهى منفصلة عن العمارة ، بينها وبين المصر عرض الطريق ، وتجارها يستخدمون فى تنقلاتهم حمير مصرية ولها باب القصارين وباب الفتوح وباب زويلة ، مبانيها كلها محده الحيطان أجر مكحل بالجيل . - المقدسى : أحسن التقاسيم ، ص ٢٢٦ . - البكرى : المغرب ، ص ٢٥ . - مجهول : الاستبصار ص ٦ . - ابن عذارى : البيان ، ح ١ ص ٢١٩ . - ابن أبى دينار : المؤنس ص ٥٩ .

(٩) ابن عذارى : البيان ، ح ١ ص ٢١٩ وانظر جورج مارسية : بلاد المغرب ، ص ٢٠٨ ، ٢٠٩ .

(١) عطية القوصى : الحضارة الإسلامية ، ص ١٢٥ .

(٢) المقدسى : أحسن التقاسيم ، ص ٢٢٥ . وانظر البكرى : المغرب ، ص ٢٥ ، ٢٦ .

ما بداخلها من سلع ^(١) كما كان لبعض المدن الأخرى مثل قفصه رأى آخر فى بناء سوقها فكانت المتاجر بها تبنى فوق صهاريج المياه المقامة على عيون الماء بها وكان نظام بنائها بالحجارة ^(٢) . وهذا النظام الفريد اختصت به قفصه دون غيرها من مدن إفريقية الأخرى فلم يخبرنا المؤرخون أن هناك مدينة أخرى غيرها تقيم دكاكينها على صهاريج المياه .

كما تميزت بعض المدن بوجود سوق مركزى بها إلى جانب عدد آخر من الأسواق التى كانت دون شك أقل منه مساحة وكان هذا فى مدينة طينة ^(٣) فكان بها سماط يشق المدينة من الباب إلى الباب وأيضا بها أسواق كثيرة غيره ^(٤) وكان نظام بناء السوق باستخدام الحجارة الضخمة أمرا متبعاً فى أسواق إفريقية مثل مدينة المهدية فكان سوقها مبنى من الصخر الجليل ^(٥) .

(١) البكرى : المغرب ، ص ٦ .

(٢) مجهول : الاستبصار ص ٣٨ .

(٣) مدينة طينة : من مدن إفريقية ، قديمة البناء ، مسوره بسور من الطوب ، وهى حصينة فلها حصن قديم يحيط به سور مبنى من الصخر الجليل وهو متقن البناء ، ولها أرباض واسعة ، وهى من المدن التى افتتحها موسى بن نصير حين غزا إفريقية والمغرب والأندلس ، وسبى منها عددا كبيرا بلغ عشرين ألف ، كثيرة المياه العذبة إذ تشقها جداول المياه ، كما تكثر بها البساتين المليئة بأشجار النخيل والثمار . ولها غابة يشقها نهر - بيطام - وقد بنى له صهريج كبير تصب فيه مياه هذا النهر ، وتعتمد بساتينها وأرضها الزراعية على مياه هذا النهر ، وهى من اكبر المدن بين مدينة القيروان ومدينة سجلماسه ، واهلها من العرب والعجم وتكثر بينهم الحروب ويسكن حولها من البربر بنو زنداج ، ولها قصر قديم البناء جليل ينزله العمال وهو ملاصق لسور المدينة من الناحية القبلية عليه باب حديد ، ولمدينة طينة عددا من الأبواب منها باب خاقان وهو مبنى بالحجر عليه باب حديد وهو سرى وباب الفتح غربى عليه باب حديد أيضا وبينهما وبين البابى سماط (سوق) المدينة ولها باب تهودا قبلى عليه باب حديد وهو سرى أيضا والباب الجديد حديثا أيضا ، وباب كتامه جوفى ، ولها فحوص فسيح يمثل ثلثى مساحتها بازاء باب الفتح وعليه سور ، ولها مقبرة فى الجزء الشرقى من المدينة ويقربها غدير يسمى غدير فرغان وهو يجرى فى مصلى العيد . - البكرى : المغرب ص ٥٠ - ٥١ .

مجهول : الاستبصار ، ص ٦٠ - ٦١ .

(٤) البكرى : المغرب ، ص ٥٠ ، ٥١ .

(٥) مجهول : الاستبصار ، ص ٧ ، ٨ .

ومن السمات المميزة لنظم الأسواق فى إفريقيا هو قيام الأسواق فى أيام معينة من كل أسبوع فكان هناك سوق الخميس وسوق الأحد وذلك بمدينة القيروان ^(١) كما كان من النظم المتبعة فى إفريقيا إنشاء الأسواق خارج نطاق المدينة فى أماكن خاصة بها ^(٢) والتى لم تكن بدورها ثابتة على مدار الأعوام فكان يتم نقل السوق إلى داخل أسوار المدينة خاصة عند حدوث القلاقل والاضطرابات والحروب مثلما حدث لأسواق مدينة ^(٣) باغايه ^(٤) ومن نظم الأسواق أيضا قيامها بما يشبه المعارض اليوم فى مدينة منزل باشو عاصمة إقليم الجزيرة كانت تقام الأسواق فى أيام محددة من الشهر معروفه للبائعين والمشتريين ^(٥) ومن المناطق أيضا ما كانت أسواقها تقام على مدار أيام الأسبوع وهذا ما تميزت به منطقة غافق ^(٦).

وفى كل هذه الأسواق كان على التجار القيام بدفع الضرائب المفروضة عليهم للحكومة ^(٧) ومن نظم الأسواق المميزة لها فى ذلك الوقت من العصور الوسطى إنشاء الأبواب الحديدية الضخمة عليها والتى كانت تغلق فى المساء بعد خلوها من روادها وذلك زيادة فى الأمن ولايزال هذا شأنها فى إفريقيا حتى اليوم ^(٨) وبصفه عامه لم تذكر مدينة إلا وذكر بها اسم السوق .

-
- (١) المقدسى : أحسن التقاسيم ، ص ٢٢٥ ، ٢٢٦ متر : الحضارة الإسلامية ، ح ٢ ص ٣٢٦ .
- (٢) مجهول : الاستبصار ، ص ٧ ، ٨ .
- (٣) مدينة باغايه : إحدى مدن إفريقيا ، قديمه البناء عظيمة جليلة ، بها آثار للأول ، كثيره الأنهار ، من المدن العامرة ، تكثر بها عيون الماء والمزارع والمسارح ، وهى مدينه من جبل الاوراس والقرب منها يقع قبر مادعرس (مادغوس) وهو قبر عظيم مثل الجبل مبنى من الحجر الرقيق طبقات معقودة بالرصاص ، وبنيت بجانبه طبقات صغار وصورت فيه جميع الصور من الإنس والطير والوحش وهو مدرج النواحي ، ولم يقدر على هدمه من سلف من الناس ، وفى الشرق منه بحيرة مادغوس وهى بحيرة يجتمع عندها أنواع كثيره من الطيور - استباحها حماد بن مناد صاحب القلعة وابن عم المعز ابن باديس ودخلها عنوه . - البكرى : المغرب ص ٥٠ . - مجهول : الاستبصار ص ٥٠ : ٥١ ، ص ٥ .
- (٤) الحميرى : الروض المعطاء ، ص ٧٦ .
- (٥) ابن حوقل : صورة الأرض ، ص ٧٥ .
- (٦) المقدسى : أحسن التقاسيم ، ص ٢٢٤ .
- (٧) المقدسى : أحسن التقاسيم ، ص ٢٢٥ .
- (٨) موجز دائرة المعارف الإسلامية ، مركز الشارقة ، الطبعة الأولى ١٩٩٨ ح ٣ ص ٢٤٤٢ .

أما بالنسبة لنظام الأسواق فى القرى فما هى إلا عبارة عن أسواق بسيطة تقام أسبوعيا ولا يمكن بحال من الأحوال أن يكون نظام السوق فى القرية يشبه مثيله فى المدينة بالرغم من أن كثيرا من القرى ذكرت فى وصفها الأسواق مثل قرى الفهمين ومنستير عثمان (١) إلا أن أغلبها لم تكن بها دكاكين (حوانيت) وإن تصادف وجودها فى إحداها فلا تتعدى هذه الحوانيت العدد القليل (٢) وبرغم ذلك لا يمكن إنكار دور هذه الأسواق فى التقدم الاقتصادى والتجارى لإفريقية .

نظم البيع .

إن مساحة إفريقية الكبيرة وكثرة أسواقها وتعدد مناطقها ما بين الحضر والبدو أدت إلى تنوع نظم البيع (٣) فى إفريقية ولم تقف عند نظام واحد بل كان هناك أكثر من نظام للبيع ، وإذا نظرنا إلى الإطار الذى يحدد تلك الأنظمة نجد أن العرف السائد فى منطقة ما هو الذى يحدد نظام البيع سواء كان عن طريق الوزن أو عن طريق الكيل أو غير ذلك (٤) ومن النظم المستخدمة خلال هذه الفترة كان نظام المقايضة وهو الذى يعد أقدم نظم البيع التى عرفها الإنسان ومارسها داخل الأسواق وهو نظام يعتمد على تبادل السلع والبضائع ببعضها البعض ، ورغم صعوبة التعامل بهذا النظام وعدم قدرته على مواكبة تطورات الأسواق

(١) البكرى : المغرب ، ص ٥٤ ، ٥٥ .

(٢) ابن حوقل : صورة الأرض ، ص ٨٧ .

(٣) البيع شرعا هو مبادلة مال بمال على سبيل التراضى أو نقل ملك بعوض على الوجه المأذون فيه : السيد سابق : فقه السنة - ح ٣ ص ١٤٧ .

البيع لغة هو مقابلة الشيء بالشيء فمقابلته السلعة تسمى بيعا لغة كمقابلتها بالنقد ويقال لاحد المتقابلين مبيع والآخر ثمن ولا فرق فى اللغة بين أن يكون المبيع والثن طاهرين أو نجسين يباح الانتفاع بهما شرعا أولا كالخمر فانه يصح أن يكون مبيعا وثننا . عبدالرحمن الجزيرى : الفقه على المذاهب الأربعة ، دار الفكر ودار الكتب العلمية ، بيروت ، ١٩٨٦م ، ح ٢ ص ١٤٧ .

(٤) وقد أمر الرسول صلى الله عليه وسلم بأن لا يتم ابتياع الطعام إلا بعد أن يتم كيله وروى عنه أحاديث فى ذلك منها - روى البخارى رضى الله عنه عن المقداد ابن معدى كرب عن النبى صلى الله عليه وسلم ، قال : " كيلوا طعامكم بيارك لكم فيه " وروى عن مسلم عن ابن عباس رضى الله تعالى عنهما ، قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : " من ابتاع طعاما فلا يبتعه حتى يكتاله " وعن أبى هريرة رضى الله تعالى عنه : أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال " من اشترى طعاما فلا يبتعه حتى يكتاله " - الطهطاوى : الدولة الإسلامية ، ص ٢٤٧ .

والتقدم الاقتصادي إلا أنه اعتبر في بعض المناطق من أحسن الطرق وأسلمها عاقبه عن غيرها (١) .

وشاع هذا النظام شيوعاً كبيراً في بعض مناطق وأسواق إفريقية ففي أقصى الشرق منها حيث أسواق طلميثا كان العرب في هذه المنطقة يتبادلون السلع مقايضة مع التجار اليهود (٢) وفي أقصى الغرب جنوباً (٣) وجد هذا النظام أيضاً فكان البيع يتم مقايضة عن طريق تبادل السلع بمعدن الذهب من غير أن يشاهد المتبادلين بعضهما البعض (٤) وكانت الأبقار والأغنام والإبل من وسائل نظم البيع في أسواق إفريقية بكثرة خاصة منطقة مدينة أشير (٥)

وبجانب هذا النظام وجدت أنواعا كثيرة من النظم مثل نظام البيع بالوسق (٦) وبالوقر أو الحمل خاصة عند بيع التمر والفاكهة والبقول والورود (٧) كما وجد نظام البيع بالقطعة

-
- (١) ابن مماتي : قوانين الدواوين ، ص ٣٦٠ .
- (٢) أبو الفدا : تقويم البلدان ، ص ١٤٩ ، الحافظ نور الدين محمد محمود السيد أحمد : عقد الجمان في تاريخ أهل الزمان ، ح ١ ، ورقة ٢٣٨ ، مخطوط .
- (٣) وكان ذلك فيما يطلق عليها بلاد التبر ، وهي بلاد السودان . وتقع جنوب المغرب وهي شديدة الحرارة ، حيث يتحاشاها أهلها عن طريق بقائهم في سراديب تحت الأرض ويكثر عندهم معدن الذهب . وهو من كثرته يشبهونه بنبات الجزر في بلاد المسلمين ، ويقوم أهل تلك البلد بجمع معدن الذهب آخر النهار عند غروب الشمس ، ويتكون طعام أهل تلك البلاد من الذرة واللوبيا ، ويتخذون جلود الحيوانات البرية ثيابا لهم . وهي من البلاد الهامة تجاريا حيث يقصدها التجار من مختلف الأنحاء بسلعهم وبضائعهم من الملح وخشب الصنوبر والخرز والاسورة ، والخواتم ، وهي من المناطق البعيدة صعبة المسالك شديدة العناء على التجار . ويتبادل أهالي تلك البلاد البيع والشراء عن طريق قيام التجار بضرب الدفوف ويقوم كل تاجر بوضع بضاعته في مكان محدد ثم يرجعون مسافة مرحلة للوراء ، فيأتي أهل تلك المناطق (السودان) بما معهم من التبر - الذهب - فيضعون تحت كل متاع شيئا من التبر تعبر عن قيمته وينصرفون فيأتي التجار فيأخذون التبر ويتركون البضاعة . ثم يقومون بضرب الدفوف وينصرفوا فيأتي أهالي السودان ويأخذوا البضاعة وهكذا يتم البيع والشراء دون أن يرى البائع المشتري . - القرمانى : آثار البلاد ، ح ٣ ص ٣٣٤ - ٣٣٥ .
- (٤) آدم مثر : الحضارة الإسلامية ، ح ٢ ، ص ٣٢٩ ، ص ٣٩٠ .
- (٥) الهادي إدريس : الدولة الصنهاجية ، ح ١ ، ص ٤٤ .
- (٦) البكري : المغرب ص ٣٢ ، ص ٤٨ .
- (٧) مجهول : الاستبصار ص ٩

خاصة فى أسواق مدينة سوسة عند بيع العمائم ^(١) وبصفة عامة يمكن تقسيم البيع إلى بيع عن طريق الوزن وبيع عن طريق الكيل بالإضافة إلى أشياء أخرى تباع بغير هذين النظامين أى أن البيع بالكيل والوزن هما النظامان الأكثر شيوعا واستخداما فى الأسواق . كما كانت الأشياء الموزونة يختلف حسب نوع الميزان المستخدم فى الوزن فهناك أشياء توزن بما يعرف بالميزان الجروى : مثل الفستق ، والجوز ، واللوز ، والبندق ، والسكر ، والثوم ، والبصل ، والحديد ، والنحاس الأصفر . وهناك أشياء توزن بالميزان المصرى مثل ، النحاس الأصفر ، والنيل الهندى ، والقطن المحلوج ، والكبريت الأصفر ، والزبيب ، وهناك ما يوزن بالمن مثل : الزعفران ، وزهر البنفسج ، والازورد ... الخ وهناك ما يطرح [بوضع] فى الظروف والشكاير وأشياء ذلك مثل الحصر ، والخيش ، والتبن ، والحبال ^(٢)

وهناك بعض نظم البيع التى حرمها الإسلام مثل بيع الملامسة ^(٣) وبيع المنابذة ^(٤) قال أبى هريرة رضى الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم نهى عن الملامسة والمنابذة ^(٥) فعن أبى هريرة رضى الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم نهى عن الملامسة والمنابذة ^(٦) وبيع النجش ^(٧) والغرر وحبل الحبله وغيرها ^(٨) .

الأسعار.

تميزت مدن إفريقية على اختلافها برخص أسعارها وذلك لوفرة الحاصلات الزراعية والمنتجات الصناعية كما أوضحنا من قبل وكان اهتمام الحكام بما أدى إلى نوع من الانتعاش والرواج الاقتصادى وحدوث نوع من التناصب بين العرض والطلب مما ساهم

-
- (١) الجزيرى : الفقه على المذاهب الأربعة ، ح ٢ ، ص ٢٥٨ .
 - (٢) ابن مماتى : قوانين الدواوين ، ص ٣٦١ ومابعدا .
 - (٣) الملامسة هو عملية بيع أو شراء الثوب اكتفاء بمجرد لمسة دونما تقليب أو معرفة ميزاته وعيوبه أو النظر إليه .
 - (٤) المنابذه : هى عملية بيع أو شراء الثوب بمجرد إلقاء الثوب من شخص لآخر فقط دونما نظر أو تقليب ومعرفة عيوبه أو ميزاته .
 - (٥) المنابذه : هى عملية بيع أو شراء الثوب بمجرد إلقاء الثوب من شخص لآخر فقط دونما نظرا أو تقليب ومعرفة عيوبه أو ميزاته .
 - (٦) محمد فؤاد عبدالباقي : اللؤلؤ والمرجان ، ح ٢ ص ٣ .
 - (٧) النجش : قيام الشخص بزيادة سعر السلعة من غير أن تكون لديه النية فى الشراء .
 - (٨) ابن تيمية : الحسبة فى الإسلام ، ص ٣٢ - ٣٧ .

مساهمات فاعله فى انخفاض الأسعار داخل مدن إقليم إفريقية بالرغم من تنائى مدنهاهم وديارهم خاصة الأطعمة والأغذية والأشربة واللحوم والادهان والفاكهة وسائر الأغذية (١)

وكانت الأسعار تشهد تغيراً أثناء فصول السنة المختلفة وكان السعر ينخفض بشكل ملحوظ داخل إقليم إفريقية فى فصل الربيع (٢) ومن المدن التى اشتهرت بالرخص قسنطينة (٣) واشتهرت سوسه خاصة بانخفاض أسعار المواد الغذائية واللحوم (٤) عكس الملابس والأقمشة التى كانت مرتفعة الأسعار لدخول خام الذهب فى تزيينها لاسيما العمائم التى كان يصل سعر الواحدة منها إلى أكثر من مائة دينار (٥).

وكان متوسط الأسعار بإفريقية فى غالب الأوقات أن يكون كل قفيز (٦) من القمح بخمسين درهماً أما الشعير فكان يقل عن ذلك كما كانت أسعار اللحوم تتفاوت حسب النوع فكان أعلاها ثمن الضأن وكان الرطل الأفريقى منه يباع بدرهم قديم أما باقى أنواع اللحوم فكانت تقل عنه فى الثمن أما أسعار الدجاج فكل دجاجة جيدة عندهم بدرهمين جديدين (٧) وهكذا فإن الأسعار كانت تختلف من مدينة إلى أخرى وكان ذلك سمة مميزة لمدن إفريقية فمدينة المهدية كانت رفهة الفواكه والغلات (٨) واشتهرت مدينة قسنطينة بأنها رخيصة الأسعار (٩) وفى مدينة سوسه كانت الأسعار تتفاوت بها فى المجال الغذائى واللحوم رخيصة

-
- (١) ابن حوقل : صورة الأرض ص ٩٥ .
 (٢) القلقشندي : صبح الأعشى ج ٥ ص ١١٥ .
 (٣) الحميرى : الروض المعطاء ص ٤٨٠ .
 (٤) البكرى : المغرب ص ٣٤ .
 (٥) البكرى : المغرب ص ٣٦ مجهول الاستبصار ص ٩ حسن عبدالوهاب ورقبات الحضارة ، ج ٢ ، ص ٧٤ .

- (٦) القفيز : القفيز أحد المكابيل وهو يساوى ثمانية مكاكيك وجمعه أقفزة وقفران . وقيل أن القفيز يساوى مقدار من مساحة الأرض ، قدر مائة وأربع وأربعين ذراعاً . - ابن منظور : لسان العرب ج ٧ ص ٢٦٢ . - الرازى : مختار الصحاح ص ٥٤٦ . كما يطلق اسم القفيز على مساحة معلومة من الأرض وهو : عشر قصبات فى قصبة ... والقفيز يساوى ثلاثمائة وستين ذراعاً مكسرة ، وهو عشر الجريب . - أبو يعلى : الأحكام السلطانية ص ١٩٥ .

- (٧) القلقشندي : صبح الأعشى ، ج ٢ ، ص ١١٥ .
 (٨) ابن حوقل : صورة الأرض ، ص ٧٣ .
 (٩) الحميرى : الروض المعطاء ، ص ٤٨٠ .

الأسعار ^(١) أما في مجال الملابس والأقمشة فهي مرتفعة الأسعار فكان مقدار الغزل بها المتقال يباع بمتقالين من الغزل وقيل من الذهب ، بالإضافة إلى أسعار العمائم الذي كان يصل سعر الواحدة من نوع المعصور إلى أكثر من مائة دينار ^(٢) .

وتأتى مدينة باجة كأكثر المدن رخصا في أسعار المواد الغذائية خاصة القمح ^(٣) وبالمثل كانت مدينة قلعه بني حماد ^(٤) وكانت أسعار النمر بأشكالها المختلفة من أكثر السلع رخصا خاصة في المدن التي اشتهرت بغزارة إنتاجها منها مثل قسطيلية وتوزر ويسكره ^(٥) وكانت قسطيلية توصف باعتدال أسعارها لاسيما الفاكهة ^(٦) واشتهرت مدينة مليانة ^(٧) برخص أسعارها أيضا ^(٨) .

وتتميز أسعار الأقمشة والملابس والعمائم بارتفاع أسعارها خاصة إذا استعمل معدن الذهب في تزيينها فكانت تصنع بمدينة قلعه حماد عمائم مذهبة يبلغ ثمن الواحدة منها أكثر من ستمائة دينار ^(٩) أما في مدينة صفاقس فاختلقت الأسعار ما بين الارتفاع والانخفاض وكان الزيت أكثر السلع بها رخصا .

-
- (١) البكرى : المغرب ، ص ٣٤ .
- (٢) البكرى : المغرب ، ص ٣٦ . مجهول : الاستبصار ، ص ٩ . حسن عبدالوهاب : ورقات الحضارة ، ص ٧٤ .
- (٣) ابن حوقل : صورة الأرض ، ص ٧٦ . مجهول : الاستبصار ، ص ٤٧ .
- (٤) الحميرى : الروض المعطار ، ص ٤٦٩ .
- (٥) البكرى : المغرب ، ص ٤٨ ، الحميرى : الروض المعطار ، ص ١١٣ - ١١٤ .
- (٦) المقدسى : احسن التقاسيم ، ص ٢٣٠ . ابن حوقل : صورة الأرض ، ص ٩٢ .
- (٧) مدينة مليانة : تعد مدينة مليانة إحدى مدن إفريقية ، قديمة البناء ، قريبه من مدينة أشير ، وهي من بناء الروم وقام بتجديد عمارتها زيرى بن مناد . وبها آثار قديمة ، وهي من أحصن المدن بإفريقية ، وتقع في سفح جبل زكار المشتهر أمره بنبات الرياح . وينبعث من هذا الجبل عين ماء قوية عليها الأرجاء التي تستخدم في الطحن . كما تشتهر مليانة بكثرة مياهها وأنهارها . وهي من أخصب مدن إفريقية وتكثر بها البساتين المليئة بجميع الفواكه . وهي من أكثر بلاد إفريقية رخصا في الأسعار . كما تشرف تلك المدينة على فحوص كثيرة وقرى ومزارع واسعة . ويقع حولها قبائل من البربر كثيرة العدد . ويشق فحوصها نهر شلف وهو أحد أنهار إفريقية المشهورة وبالقرب منها توجد حمامات ماء تستخدم فقط للاستحمام بها وماؤها عذبة حارة .
- مجهول : الاستبصار ، ص ٥٦ . - القزوينى : آثار البلاد ، ص ٢٧٣ .
- (٨) مجهول : الاستبصار ، ص ٥٩ .
- (٩) نفس المصدر ، ص ٢٠ .

أما الفاكهة فكانت تتميز بارتفاع أسعارها وذلك لاعتمادها على الاستيراد مما جاورها من مدن خاصة مدينة فايس^(١) التي تميزت برخص أسعارها في المواد الزراعية والفاكهة والزيت^(٢)

ومن المدن التي اشتهر أمرها برخص الأسعار القيروان خاصة اللحوم والفاكهة والتمور والزيت^(٣) وتأتي مدينة بونه كإحدى المدن الموصوفة برخص أسعارها في كافة منتجاتها من الفاكهة والزروع والثروة الحيوانية بأنواعها إلى جانب العسل^(٤)

ولم تكن الأسعار تأخذ في الارتفاع إلا في أوقات الأزمات والشدائد خاصة حينما يقل أو ينعدم هطول الأمطار مثلما حدث في سنوات ٣١٧ هـ — ٩٣٨ م / ٣٩٥ هـ — ١٠١٦ م^(٥).

كما تميزت المواد الغذائية والماشية بالرخص في مدينة مرسى الدجاج^(٦) واشتهرت برقة بالرخص الزائد في جميع المواد الغذائية بها^(٧) وبالمثل مدينة سرت فأسعار السلع بها في متناول يد أهلها وصالحه على مر الأوقات^(٨) أما في بعض المدن فكانت السلع الغذائية تتميز بها بارتفاع الأسعار لقلة إنتاجها واعتمادها على الاستيراد من غيرها مثل مدينة مرسى الخرز^(٩)

-
- (١) ابن حوقل : صورة الأرض ، ص ٧٣ ، مجهول : الاستبصار ، ص ٧ . الحميري : الروض المعطار ، ص ٣٦٥ - ٣٦٦ .
- (٢) ابن حوقل : صورة الأرض ، ص ٧٢ .
- (٣) المقدسي : أحسن التقاسيم : ص ٢٢٢ - ٢٢٥ .
- (٤) ابن حوقل : صورة الأرض ، ص ٧٧ .
- (٥) ابن عذاري : البيان ، ح ١ ، ص ١٩٤ ، ١٩٥ ، ص ٢٥٦ ، ٢٥٧ .
- (٦) مرسى الدجاج : مدينة قديمة مقامه على ساحل البحر المتوسط - لها سور يضرب الماء فيه ، بها آثار قديمة عجيبة للأوائل ، وتشتهر بكثرة بساتينها وجناتها ، وبها نوع من الطيور السمائي وهو كثير بها ، وهي تقارب جزيرة ميورقة . ابن حوقل : صورة الأرض ، ص ٧٧ . مجهول : الاستبصار ، ص ٢٢ .
- (٧) ابن حوقل : صورة الأرض ، ص ٦٩ .
- (٨) نفس المصدر ص ٧٠ .
- (٩) نفس المصدر ص ٧٧ .

وتعد مدينة قفصه من المدن الموصوفة برخص أسعارها في الفاكهة والتمر خاصة الفستق الذى يخرج منها إلى غيرها ليس فقط في إفريقية بل إلى خارج حدودها أيضا^(١) وكانت أسعار السلع المستوردة سواء من الخارج أم من داخل إفريقية يتميز بارتفاع أسعارها مثل التين الأخضر الذى كان يأتى إلى أسواق القيروان من مدينة قلشانه^(٢)

واشتهرت مدن بنزرت وتونس وطرابلس برخص أسعارهما في الإنتاج من الثروة السمكية لكثرة إنتاجهما منه^(٣) وناقست جلولاء وغيرها من المدن من حيث رخص الأسعار بها خاصة الفاكهة والبقوليات وأنواع الورود^(٤).

وبصفة عامة كانت الأسعار بإقليم إفريقية تتشابه مع الأسعار السائدة بمصر نظراً لقرب المسافة بينهما^(٥) وكما تتباين الأسعار فيما بين الدول بعضها البعض تباينت أيضا فيما بين مدن إفريقية ما بين أسعار السلع الضرورية مثل الأقوات التى تتميز برخص أسعارها مقارنة بما هو كمالى والمتخذ للترف مثل الصناعات المختلفة والتى ترتفع أسعارها بسبب كثرة الترف في المدن أو الإقليم نتيجة لعمرانه ، ونتيجة للدخل الاقتصادى المرتفع ، اعتزاز أهل الصنائع بصناعاتهم وكثرة الطلب عليها من جانب الأغنياء مما يدفعهم إلى رفع قيمه صناعاتهم المختلفة ، أيضا تدخل الضرائب المختلفة عامل مساعد في زيادة الأسعار^(٦) وكانت مدينة تونس تقارب مدينة بجاية من حيث أسعار السلع والمنتجات بهما^(٧).

طوائف التجار :

تعددت طوائف التجار بصورة واضحة داخل إقليم إفريقية لتوافر عناصر الجذب والتشجيع بها مثل كثرة أسواقها وغزارة السلع والمنتجات بها ولتفوقها الاقتصادى الواضح وعلاقاتها التجارية الضخمة مع العالم الخارجى . فمن الطوائف الهامة ذات النشاط الواضح والوجود المستمر تجار الأحجار الكريمة ممثلة في معدن المرجان الذى اشتهرت

-
- (١) البكرى : المغرب ، ص ٤٧ .
 - (٢) نفس المصدر ، ص ٢٩ .
 - (٣) ابن حوقل : صورة الأرض ص ٧٥ ، ٧٦ مجهول الاستبصار ص ١٥-١٦ القزوينى : آثار البلاد ، ص ١٥٩ - ١٧٣ .
 - (٤) البكرى : المغرب ، ص ٣٢ .
 - (٥) القلقشندي : صبح الأعشى ، ج ٥ ص ١١٥ .
 - (٦) ابن خلدون : المقدمة ص ٢٥٥ - ٢٥٦ .
 - (٧) القلقشندي : صبح الأعشى ، ج ٥ ص ١١٥ .

إفريقية بإنتاجه بكثرة وكان مركز نشاطهم وتمركزهم بأسواق مدينة مرسى الخرز^(١) ومن طوائف التجار الهامة أيضا تجار المعادن النفيسة كالفضة والذهب الذين كانوا يتركزون فى الجنوب حيث مدينة سجلماسه المشتهرة بمناجم الذهب وقر بها منها فكانوا يتنقلون بينها وبين السودان وغانه^(٢) حيث يستخرج افضل أنواع الذهب وأصفاها على الإطلاق^(٣) ورغم طول المسافة والمشقة بين إفريقية وتلك المناطق فإن هذا لم يقف حائلا بين هذه الطائفة وبين تجارة الذهب والذين كانوا يحدوهم الأمل ويضعون نصب أعينهم تلك الأرباح الوفيرة إلى جانب الرغبة الكامنة لدى هؤلاء التجار فى ارتقاء المكانة المتميزة الرفيعة سواء بين أقرانهم من الطوائف الأخرى أم داخل مجتمع إفريقية عامه إلى جانب ندره خام الذهب بمناطق إفريقية الأخرى وقد حصد أصحاب تلك الطائفة الأموال الضخمة من وراء تجارتهم فى الذهب فكلما ندرت السلعة وزادت المشقة وبعد المكان كان الربح أوفر وأجزل^(٤) كما صدر هؤلاء التجار المنتجات التى تشتهر بها إفريقية ووجدت قبولا لدى أهالى الجنوب سواء فى السودان أم فى غانا وغيرهما من البلدان مثل المنسوجات بأنواعها والصناعات الجلدية كالسروج واللبود وأقفال الحديد والمفاتيح وغيرها^(٥) ومن طوائف التجار الأخرى تجار العاج وغيره من سلع الجنوب والذين كانوا يقومون ببيعها داخل أسواق إفريقية إلى جانب بيعها إلى التجار الأوربيين^(٦) ومن طوائف التجار النشطة ذات الشهرة والحضور داخل الأسواق المختلفة لإقليم إفريقية فى ذلك الوقت من العصور الوسطى طائفة تجار الرقيق

(١) ابن حوقل : صورة الأرض ، ص ٧٦ . مجهول : الاستبصار ، ص ١٦ .

(٢) غانة : مدينة عظيمة سميت باسم إقليمها ، وهى أكبر بلاد السودان وأوسعها متجرا . وهى مدينة على شاطئ النيل " نهر النيجر " ويقصدها التجار من سائر البلاد وأرضها كلها ذهب ظاهر . وأهلها يستخرجون الذهب ويبيعونه للتجار ، ويحملون إليها التين والملح والنحاس ويأخذون عوضا عنها الذهب ولها ملك ضخم فى جنود كثيرة وتكثر بها الحيوانات البرية من النمر التى يستخدم أهلها جلودها كثياب لهم ، ولها طريق يصلها بمدينة سجلماسه توجد به أشجار عظيمة مجوفة تتجمع بها مياه الأمطار كالأحواض ، وتكثر بها الأمطار لاسيما فى الشتاء ويلجأ إليها المسافرون فيترودون من المياه الموجودة بالأشجار مما يسهل عليهم قطع الطريق إلى غانه . القزويني : آثار البلاد ص ٥٧ . - القرماني : أخبار الدول ، ص ٣ ص ٤٢٧ .

(٣) اليعقوبى : صفة المغرب ، ص ٢١ . المقدسى : أحسن التقاسيم ، ص ٢٣١ .

(٤) ابن خلدون : المقدمة ، ص ٢٧٨ - ٢٧٩ .

(٥) يسرى الجوهري : شمال إفريقية ، ص ١٨٢ .

(٦) نفس المرجع ص ١٨٢ .

(النخاسين) الذين يأتون بأنواع العبيد من مناطق عدة منها البلاد الواقعة على الشاطئ الشمالي للبحر المتوسط حيث أوربا^(١) ومن أقصى بلاد المغرب^(٢) ومن السودان حيث كانت مدينة زويلة^(٣) إحدى مناطق تمرکز وبيع العبيد القادم من الجنوب ومنها يدخلون إفريقيا^(٤) وصار لبعض هؤلاء التجار حضورا كبيرا داخل قصور الخلافة الفاطمية منذ البداية مثل احمد البلوى تاجر الرقيق الشهير في عهد عبيدالله المهدي ٢٩٧-٣٢٢هـ - ٩٠٩ - ٩٣٤م فكان يتوود لل خليفة الفاطمي ويتقرب إليه تزلفا ولاشك كان هذا التاجر يقوم بإمداد قصور الخلفاء والأمراء والأغنياء بحاجتهم من الرقيق من مختلف الأنواع^(٥) وكان الرقيق في ذلك الوقت ينقسمون إلى ثلاثة أنواع فكان أفضلهم يذهب إلى مصر وأشرهم يجد طريقة إلى عدن والنوع الثالث من الحبشة وكان الرقيق الأبيض القادم من دول أوربا من الصقالبة وبلاد خوارزم^(٦) والجنس السلافي أيضا وكان العبيد الأوربيين أكثر شهرة في إفريقيا من غيرهم وكان يطلق على هؤلاء العبيد اسم ساكاليبا "الصقالبة" وكانت هذه التجارة مربحة ذات عائد مادي مجزى حتى أن الأوربيين كانوا لا يتورعون عن بيع هؤلاء العبيد لتجار إفريقيا^(٧). وملا الرقيق قصور الخلفاء ومنازل الأغنياء في إفريقيا وكان يتم

(١) ابن عذاري : البيان ، ج ١ ، ص ١٩٠ ، ص ١٩٤ .

(٢) نفس المصدر ، ص ٢٣٧ .

(٣) زويلة : من مدن إقليم إفريقية ، وهي غير مسورة ، تقع على بداية حدود السودان ، يمتاز أهلها بخاصية لا توجد في غيرهم في حراسة مدينتهم فهم يعرفون اثر أقدام الغرباء أو الرجل أو المرأة . وهي من مدينة اطرابلس بين المغرب والقبلة ، ويجلب منها الرقيق إلى إفريقيا ومبايعتهم بثياب قصار حمر ، وبينها وبين بلد كانم أربعون مرحلة وأهل كانم سودان مشركون ويزعمون أن هناك قوم من بنى أمية استوطنوها عند تعرضهم للاضطهاد على يد العباسيين وهم على زى العرب وأحوالها . وبينها وبين مدينه سبهي خمسة أيام ، ولها طريق إلى جبل نقوسه ، وبين زويلة ومدينه اجدابيه أربعة عشر مرحلة ، افتتحها عقبه بن نافع مع غيرها من المدن بينها وبين مدينة برقه في أثناء فتح عمرو بن العاص لبرقه سنة ٢٣هـ كما ظل مقيما ببرقه وزويلة حتى استعمله معاوية بن أبي سفيان على إفريقية سنة ٥٥ هـ . - البكري : المغرب ص ١٠-١٢ . - القزويني : أثار البلاد : ص ٩٤ . - ابن أبي دينار : المؤنس ، ص ٢٧ . حسين مؤنس : فتح العرب ص ١٣١ .

(٤) البكري : المغرب ، ص ١١ . حسن عبدالوهاب : ورقات ، ص ٧٥ .

(٥) ابن عذاري : البيان ، ج ١ ، ص ١٨٦ . جورج مارسيه : بلاد المغرب ، ص ١٦١ .

(٦) المقدسي : أحسن التقاسيم ، ص ٢٤٢ .

(٧) Carins : The Muslim Discovery of Europe p.187-189.

تبادلهم كهدايا (١) ولم تكن الخدمة داخل القصور (٢) أو المنازل هي الحرفة الرئيسية لهؤلاء العبيد بل كانوا يقومون بأعمال أخرى هامة كالأعمال العسكرية ومارس هؤلاء العبيد حياتهم في حرية تامة داخل مجتمع إفريقية ووصل البعض منهم إلى أعلى الوظائف كقيادة الجيوش مثل جوهر الصقلي (٣) وكان منهم أيضا أصحاب الحرف الصناعية والتي لاقت كل الترحيب والرضى ليس فقط من جانب الأهالي بل من جانب الخلفاء أيضا لقدرتهم الفائقة على إتقان صناعاتهم (٤) ووجهت طوائف التجار المختلفة وجهها صوب القسطنطينية عاصمة الدولة البيزنطية لينهلوا من سلعها وبضائعها وصناعاتها المتميزة مثل الأواني الفضية والذهبية والملابس المطرزة والنباتات الطبية والأنسجة الحريرية والخيول والعبيد وصناعات النحاس الأحمر النادرة والأقفال والقيثارات.. الخ (٥).

ومن طوائف التجار الهامة طائفة تجار أدوات الزينة والتحف التي كانت تزين قصور الخلفاء والأمراء ومنازل الأغنياء وإن نظره فاحصه لما كتب عما جاء في وصف حفل زفاف كلا من المعز بن باديس والأميرة أم العلو لهو خير شاهد وأحسن مثال (٦) ومن الطوائف الأخرى طائفة تجار القطن ومنهم موسى القطان

-
- (١) ابن عذارى : البيان - ١ ص ٢٤٧ ، ص ٢٦١ ابن أبي دينار المؤنس ص ٨١ .
 (٢) بلغت بعض الجوارى مكانة مرموقة داخل قصور بني زيري وكن حاضنات للأمراء ، ويحظين بالرعاية والاهتمام الكبير من جانب الحكام . مثل الحاضنة فاطمة وهي إحدى الجوارى من إحدى الدول الأوربية تم أسرها أثناء إحدى الغزوات وصفت بالجمال والأدب وسعة الإدراك وعلو الهمة . اشتراها الأمير الصنهاجي المنصور وجعلها حاضنة لابنه باديس ، وأعلنت إسلامها وتسمت باسم فاطمة ولاقت الرعاية والتكريم من جانب أميرات القصر ، ورفعها المعز ابن باديس مكاناً لا تقا بها ، كما اشتهرت بحبها للخير والبر ، وكانت تقوم بأعمال الوقف من الكتب النفيسة والمؤلفات النادرة التي لا تزال باقية حتى اليوم ، مثل المصحف الشريف الموجود بخزانة مسجد سيدي عقبة الذي أهدته للمسجد ٤١٠ هـ ١٠٢٢ م ، وعاشت عزيزة الجانب مكرمة حتى توفيت سنة ٤٢٠ هـ / ١٠٣٢ م . - حسن عبدالوهاب : شهيرات التونسيات ، ص ٤٧ : ص ٤٩ .

(3) Carins The Muslim Discovery of Europe p.187-189.

(٤) جوذر : سيرة جوذر ص ٥٢ .

(5) Carins : The Muslim Discovery of Europe p.187-189.

(٦) ابن عذارى : البيان - ١ ص ٢٧٠ ، ٢٧٢ ابن أبي دينار المؤنس ص ٨٢ حسن عبدالوهاب بساط ص ٣٦ ، الهادي إدريس : الدولة الصنهاجية ، - ١ ص ١٧١ ، ص ١٧٩ .

ومحمد بن سلمون القطان ^(١) وطائفة الصوافيين الذين كان لهم سوق خاص بهم ^(٢) وطائفة تجار الكتان ^(٣) ولا تنسى طائفة تجار الملابس والمنسوجات بأنواعها المختلفة قطنية وحريرية والذين انتشروا بكثرة داخل أسواق إفريقية لتمتع إفريقية بصناعه متقدمة متميزة وشهرة كثيرا من منها مثل سوسه وقابس والقيروان وطراق .. الخ ولم يكتف تجار الأقطان بما يزرع بإفريقية بل ذهبوا إلى إيطاليا حيث جزيرة صقلية ذات الشهرة الواسعة بزراعة القطن ^(٤) . وقاموا بجلبه منها .

ومن تلك الطوائف طائفة تجار الستائر والأبسطة التي توضع داخل القصور ومنازل الصقوة سواء على الحوائط أو الأرضيات ومنها الأبسطة النفيسة سواء القطنية أو الصوفية أو الحريرية المزركشة والمحلاة بالذهب ^(٥) إلى جانب تجار نفس الصناعات من الأنواع البسيطة التي يقبل على شرائها عامه الشعب مثل الأبسطة المصنعة من نبات الحلفاء ^(٦) وهناك طائفة تجار الأخشاب سواء من داخل إفريقية ومنها خشب الزان الذي يتم جلبه من مدينة بونه ^(٧) أو من خارج إفريقية من إيطاليا ^(٨) حيث جزيرة صقلية ^(٩) أم من الشرق الأقصى حيث الهند التي يجلب

-
- (١) الخشني : قضاء قرطبة ، ص ٢١١ ، ص ٢٣٤ . ابن حوقل : صورة الأرض ، ص ٧٥ . ابن عذاري : البيان ، ح ١ ص ١٨١ ، ص ١٩٢ .
- (٢) الخشني : قضاء قرطبة ، ص ٢٥٣ .
- (٣) الخشني : قضاء قرطبة ، ص ٢٣٥ . ابن عذاري : البيان ، ح ١ ، ص ١٨٢ - ١٨٣ .
- (٤) إحسان عباس : العرب في صقلية ، ص ٧٣ .
- (٥) حسن عبدالوهاب : بساط العقيق ، ص ٣٤ .
- (٦) ابن عذاري : البيان ، ح ١ ، ص ١٨٢ .
- (٧) البكري : المغرب ، ص ٥٤ .
- (٨) صقلية : إحدى الجزر الهامة الكبيرة في البحر المتوسط ، وهي تقابل إفريقية ، وهي مثثلة

الشكل بين كل زاوية والأخرى مسيرة سبعة أيام ، وتتميز بالحصانه ، وتكثر بها المدن والقرى . كما تتميز بكثرة الماشية بها من الخيل والبغال والحمير والبقر والغنم والحيوانات البرية ، كما تتميز بكثرة المعادن المختلفة بها مثل الذهب والفضه والنحاس والرصاص والحديد إلى جانب معدن الشب ، والكحل والزاج والنوشادر والزئبق . كما تتميز بكثرة مياهها وأشجارها ومزارعها المليئة بأنواع الفاكهة المختلفة الأنواع الدائمة صيفاً وشتاً ، وبها الزعفران ، وقد بدأ نجمها يعلو بعد أن أفتتحها المسلمون وقام بتعميرها أهل إفريقية ، وبها جبال شامخة وعيون ماء وانهار جاريه ، ودورها تبلغ مسيرة ستة عشر يوماً وقطرها مسيره خمسه أيام بدأ المسلمون في غزو صقلية سنة ٣٦ هـ ٦٥٦م وكان أول من غزاها عبدالله بن قيس الفزاري

منها افضل أنواع الأخشاب وهو خشب الساج " العود" الهندي ذو الشهرة العالمية^(١) ولم تكن طائفة تجار الأخشاب هي الوحيدة التي تقوم بالاستيراد من الهند بل كانت هناك طوائف أخرى خاصة وأن الهند كانت تتميز بمنتجاتها المتنوعة المتميزة التي تقوم بتصديرها إلى أسواق العالم المختلفة مثل جوز الهند والياقوت الأحمر وجلود الحيوانات البرية كالنمور والفهود والأفيال وخشب الابانوس^(٢) ومن الطوائف الهامة تجار الملح الذي يستخرج بكثرة من ملاحات إفريقيا في تونس والمنستير وكان تجار هذه الطائفة يتوجهون إلى بلاد الجنوب التي تعاني نقصاً شديداً في هذا النوع من السلع ويقبلون عليه إقبالا شديداً ويشترونه بأموال كثيرة مثل بلاد السودان وغيرها^(٣) إلى جانب طائفة تجار الحبوب الذين يقومون بجليها من مناطق زراعتها الشهيرة من قلشانه وباجه ومدينة الأنصاريين^(٤).

= في عهد معاوية ابن أبي سفيان وأصاب منها أصناما وتمائيل من الذهب والفضة وتم بيعها في بلاد الهند ، واستمر الغزو الإسلامي لها في عهد الولاة مثل عباس بن أخيل في عهد موسى بن نصير ومحمد ابن يزيد والى إفريقية ٩٧ - ٩٩ هـ ٧١٥ - ٧١٧ م وعلى ١٣٠ هـ ٧٤٧ م وغزاها والى إفريقية عبدالرحمن ابن حبيب ١٣٥ هـ ٧٥٢ م و ١٦ هـ ٧٦٣ م وفتحها أسد ابن الفرات في عهد بنى الأغلب ٢١٢ هـ ٨٢٧ م وافتتح عدد من المدن وتوفي وخلفه محمد ابن أبي الجوارى الذى افتتح بالرمو العاصمة . وتكرر الغزو ٢٢٥ هـ ٨٣٩ م في عهد أبو الأغلب ، وخضعت لحكم الخلافة الفاطمية وعقد البيزنطيون معاهدة مع المعز لدين الله ٣٤١ - ٣٦٥ هـ ٩٥٣ - ٩٧٤ م واضطربت أحوالها في القرن الخامس الهجرى حتى استولى عليها النورمانديين على عهد روجر بن تنكرد ٤٨٤ هـ ١٠٩١ م.. ياقوت الحموى : معجم البلدان ح ٣ ص ٤٧٣ - ٤٧٥ .- القزوينى : آثار البلاد ، ص ٢١٥ : إبراهيم على طرخان : المسلمون في أوربا في العصور الوسطى ، سجل العرب ، المؤسسة العامة للثقافة بوزارة التعليم ، ١٩٦٦ ص ٨٨ - ٩٧ . محمد جمال الدين سرور : تاريخ الحضارة الإسلامية في الشرق من عهد نفوذ الأتراك إلى منتصف القرن الخامس الهجرى ، ط ٣ ، دار الفكر العربى ، القاهرة ١٩٧٣ م ، ص ١٥٤ .

(٩) جودر : سيرة جودر ، ص ١١٦ .

(١) ابن أبى دينار : المؤنس ، ص ٨١ .

(2) Bernard Lewis: the Arabs. p.87-88., the Muslim. p.85.

(٣) ابن حوقل : صورة الأرض ، ص ٩٨ ، البكرى : المغرب ، ص ٣٦ ، ص ٤٠ .

(٤) البكرى : المغرب ، ص ٤٧ ، ٥٦ ، ٦٧ .

ومن الطوائف التجارية الهامة ، طائفة تجار المعادن التي لاقت رواجاً كبيراً في إفريقية لتقدم الصناعات الثقيلة ، والخفيفة بها ، وكان التجار يحضرونها من صقلية حيث معادن الكبريت والشب والقطران والزفت ^(١) إلى جانب إحضارهما من مناطق استخراجهما بمدن إفريقية مثل بونه حيث الحديد ومدينة سرت حيث الشب ^(٢) السرتي ^(٣) إلى جانب معادن النحاس وحجر اللازورد من جبال كتامة وعمود الخرط من جبال الرحمن المقابلة لجزيرة سردينية ومعدن الذهب من جزيرة جربة ومن مدينة مجانة حيث معادن الحديد والفضة والرصاص ^(٤) ووجدت طائفة تجار العطور الذين امتدحهم الرسول صلى الله عليه وسلم فقال " مثل الجليس الصالح مثل الدار - إن لم يجزك (أى يعطيك) من عطره علقك من ريحه " كما كان الخليفة الثاني عمر بن الخطاب من المعجبين بهذه التجارة فقال " لو كنت تاجراً لما اخترت على العطر شيئاً إن فاتني ربحه لم يفتني ريحه ^(٥) وكان لهذه الطائفة سماط خاص بهم بمدينة القيروان يسمى سماط العطارين ^(٦) ومن العطور الشهيرة التي كان يحملها التجار ويقبل على شرائها الخلفاء والحكام هي المسك والكافور ^(٧) وعطر الورد ^(٨) ومن الطوائف الهامة أيضاً طائفة تجار الجلود والمصنوعات الجلدية إلى جانب تجار ورق الكتابة والرقاق الجلدية وذلك لحاجة الناس لها وهي من أهم التجات التي أدت دخلاً وفيراً لتجارها. ^(٩) وطائفة تجار مواد الصباغة المستخدمة في صبغ الثياب

-
- (١) إحسان عباس : العرب في صقلية ، ص ٧٤ .
- (٢) الشب : حجر معروف يستخدمه الإنسان في أشياء كثيرة أهمها عمل الصباغة الحمراء اللون ، وهو من المعادن التي يقبل على شرائها الروم ولهم رغبة شديدة فيه لعظيم فائدته ... وليس لأحد أن يشتريه أو يبيعه سوى الديوان ، ومتى وجد من صنفه مع أحد ، استهلك تغليظاً في عقوبة المتعدى عليه " . ابن مماتي : قوانين الدواوين ، ص ٣٢٨ - ٣٢٢ .
- (٣) ابن حوقل : صورة الأرض ص ٧١ - ٧٢ .
- (٤) البكري : المغرب ، ص ٤٦ ، ٥٣ ، جورج مارسيه : بلاد المغرب ، ص ٩٠ .
- (٥) الطهطاوي : الدولة الإسلامية ، ص ٢٧٩ .
- (٦) الخشني : قضاة قرطبة ، ص ٢٢٩ ، ٢٨٩ .
- (٧) البكري : المغرب ، ص ٢٤٦ ، ص ٥٧ . ابن أبي دينار : المؤنس ، ص ٨١ .
- (٨) مجهول : الاستبصار ، ص ٤٠ .
- (٩) حسن عبدالوهاب : بساط العقيق ، ص ٣٦ .

والأقمشة مثل تجار مدينة برقة ^(١) وتجار أهل سباب حيث كثر عندهم النبات الذي يستخرج منه صبغة النيل - النيلى - ^(٢) .

وطائفة تجار البلح (التمر) الذين كان لهم حضوراً واسعاً لشهرة إفريقية بإنتاجها الضخم المتميز من التمور ذات الأجناس المتعددة لاسيما منطقة الجريد بها. ^(٣) والتي يطلق على تجارها اسم التمار ^(٤) .

ويمكننا القول أنه في إقليم هام ونشط مثل إفريقية كانت لكل سلعة أو صناعه طائفة تجار خاصة بهم . ولقد أدر الدخل الضخم من التجارة على هؤلاء التجار باختلاف طوائفهم أموالا كثيرة مما مكنهم من تكوين الثروات الكبيرة ، وتملك المنازل ، والقصور ، والمراكب التجارية ، وغير ذلك مما تدعوا إليه علامات الترف والغنى . كما تعتبر التجارة من أحسن واجل الحرف التي يمتنها الإنسان فقد كان الرسول (ص) يتاجر قبل البعثة واتخذ كثيرا من الصحابة الرسول (ص) قدوة لهم فكانوا يتاجرون في أنواع التجارات المختلفة مما جعل الكثير منهم أصحاب ثروة ضخمة وأموال جمة ^(٥)

وقام تجار إفريقية بإنشاء نقابات خاصة بهم مسئولة عن شئونهم وتراقب تعاملاتهم وتمنع الغش ولها رئيس يطلق عليه شاهبندر التجار - وللنقابة أعضاء يسمون الأمناء ^(٦) وتعد التجارة من الحرف التي يتخلق أغلب أهلها بأخلاق المكايسة والمماحكة والغش والأيمان الكاذبة وهي صفات تبعد بالشخص عن المروءة ^(٧) ولما كانت التجارة من الحرف التي تستدعى كثرة السفر والانشغال بأمورها ، لذا فمن المستحب، إلا يقوم بمزاولتها الخلفاء والحكام حتى لا تشغلهم عن أمور الحكم ، ومصالح الرعية ، وتعطيل أمور التجار ، وقطع رزق غالب المستترزقين من أرباب كل آلة ، فانهم لابد يستعملون في المهمات الشريفة

(١) ابن حوقل : صورة الأرض ، ص ٦٩ .

(٢) البكرى : المغرب ص ١٠ . وسباب بلدة على الطريق من نقوسه إلى زويله كثيرة النخل ويزرعون هذا النبات بكثرة وهي بلدة صحراوية .

(٣) البكرى : المغرب ، ص ٢٤٨ ، ص ٥٢ . مجهول : الاستبصار ، ص ٣٦ .

(٤) الخشنى : قضاء قرطبة ، ص ٢٥٥ ، ٣٠١ . الطهطاوى : الدولة الإسلامية ، ص ٢٨٠ .

(٥) الخشنى : قضاء قرطبة ، ص ٢٨٤ . ابن عذارى : البيان ، ص ١٦٩ ، التيجانى : رحلة التيجانى ، ص ٢٩ . الطهطاوى : الدولة الإسلامية ، ص ٢٧٥ - ٢٨٣ .

(٦) عطيه القوصى : الحضارة الإسلامية ، ص ١٣٣ .

(٧) ابن خلدون : المقدمة ، ص ٢٧٨ - ٢٨٠ .

بالأجرة الناقصة (١) . ويعتبر تجار البز والعطارون أقرب طوائف التجار إلى الترف والنعيم (٢) وهما من التجارات الخصوصية بجانب الصيرفة (٣)

وأدت التجارة إلى فتح أبواب الرزق على مصراعيها لهؤلاء التجار، مما مكنهم من جمع ثروات ضخمة من الأموال ، تقدر في بعض الأحيان بالملايين من الدينارات ، والدراهم ، فكانوا أول الفئات تعرضاً للسلب والنهب ، خاصة أثناء الحروب ، وتصفية أموالهم ، مثلما حدث لتجار مدينة برقة في سنة ٣٠١ هـ - ٩٢١ م وسنة ٣٠٤ هـ - ٩٢٥ م (٤)

كما كان التجار من الفئات المطالبة بدفع تعويضات بعض الأشخاص المطالبين من جانب الحكومة وليس معهم مال أو ليس لهم أقرباء يتولون عنهم دفع هذه المبالغ ، مثلما حدث في سنة ٣٠٣ هـ - ٩٢٤ م عند وفاة قاضي القيروان محمد بن عمر المروذي (٥) .

أما الأموال التي كان يتركها التجار عقب وفاتهم دون أن يكون لهم عقب أو وريث يرثهم كانت تتول إلى حكام إفريقية سواء كانت أموالاً عينيه أم عقارات (٦) ومن الطوائف الأخرى التي كانت تمثل حضوراً كبيراً داخل أسواق إفريقية تجار الأندلس الذين تواجدوا بكثرة وكانت أعدادهم كثيرة .

وكان لهم حضوراً واسعاً في بعض مدن إفريقية مثل مدينة تنس والتي يرجع فضل إنشائها إلى تجار الأندلس لذا فقد كانت إحدى مناطق التركز لهم في إفريقية (٧) كما كان وجودهم يكثر في مدينتي طبرقة وباجه أيضاً (٨) إضافة إلى مدينة بونه (٩) ولقد لعب هؤلاء التجار دوراً حيويًا بالغاً في إمداد وإثراء أسواق تلك المدن خاصة ، وإفريقية عامه بالمنتجات

(١) غرس الدين خليل بن شاهين الظاهري : زبده كشف الممالك وبيان الطرق والمسالك ، تحقيق بولس راويس ، الطبعة الثانية ، القاهرة ١٩٨٨ ص ٦٠ .

(٢) آدم متز : الحضارة الإسلامية ، ح ٢ ص ٣٢٧

(٣) الطهطاوى : الدولة الإسلامية ، ص ٢٧٨ .

(٤) ابن عذارى : البيان ، ح ١ ص ١٧٠ ، ص ١٧٥ .

(٥) ابن عذارى : البيان ، ح ١ ، ص ١٧٣ . من أهل القيروان الشيعة كان قاضياً على القيروان

قبل حضور المهدي سجالاسه الذي أقره على منصبه وكان يوصف بأخذ الأموال على سبيل الرشوة ، ولم يلبث أن عزل وعذب ثم قتل ، الخشنى : قضاء قرطبة ، ص ٣٠٩ .

(٦) ابن عذارى : البيان ، ح ١ ، ص ١٩٠ .

(٧) ابن حوقل : صورة الأرض ، ص ٧٨ . البكرى : المغرب ، ص ٦١ .

(٨) ابن حوقل : صورة الأرض ، ص ٧٦ . البكرى : المغرب ، ص ٥٧ .

(٩) الحميرى : الروض المعطار ، ص ١١٥ .

والصناعات والسلع الاندلسية ^(١) مثل القسط الطيب والسنبل الطيب والجنطيانه - وهى نباتات طبية - والمر الطيب بقلعة أيوب وكهرباء الأرض بشرونه والقرمز الطيب من نواحي أشبيلية وشرونه وبلنسية ، إلى جانب حجر المرقشينا الذهبية فى جبال أبه ولا نظير لها فى الدنيا ، كما يتم جلب معدن الزئبق من جبال البرانس ، ومعدن الكحل بمدينة طرطوشه وغيرها من المعادن والفضه والزئبق ولكنه ليس معدن جيد كما يجلب من الأندلس الزعفران وعروق الزنجبيل ، ونشأت لدى البعض منهم مشاعر الحب والحنين لأرض إفريقية فقرروا أن يتخذوها وطناً لهم وأقاموا بها إقامة دائمة لاسيما المدن الهامة ومنهم أبو جعفر بن خيرون ^(٢) ولم تقتصر طوائف التجار من البلاد الواقعة فى شمال البحر المتوسط على تجار الأندلس بل وجدت طوائف من مختلف جمهوريات المدن الإيطالية الذين كان لهم دوراً نشيطاً فى مجال التجارة فى إفريقية مثل امالقي والبندقية وفينيسيا ^(٣) حيث اعتمدت إفريقية على هؤلاء التجار فى إمدادهم لها بأنواع هامة من التجارات كانت تفتقر إليها بشده مثل الأخشاب ، إلى جانب الأسلحة ^(٤) ومن الطوائف ذات التأثير الفعال والدور النشط داخل أسواق إفريقية برز أهل الذمة لاسيما اليهود الذين كانوا يفضلون الإقامة فى المدن الحضرية ويتبادلون التجارة فى مختلف أسواق إفريقية سواء فى الشرق حيث ظلميتا ^(٥) كما كان اليهود يتركزون فى أقصى الجنوب حيث مدينة سجلماسه المدينة التجارية العملاقة فهناك يوجد معدن الذهب ، ونشأت فى تلك المنطقة شبكة متداخلة ضمت بجانب إفريقية دولاً مثل أسبانيا وغرب أوربا ومصر والشرق الأدنى وظلت على أهميتها التجارية الثابتة لعهود طويلة ^(٦) ولم يكن هؤلاء التجار من اليهود الذين اتخذوا التجارة حرفة لهم يتركزون فى جنوب إفريقية يزاولون التجارة مع السودان وغانه فقط بل كانوا يقومون برحلات تجاريه أطول من ذلك عن طريق البحر المتوسط إلى الشرق الأقصى حيث الهند والصين واللذان تشتهران بتصدير عدد هام من السلع والبضائع والصناعات مثل الحديد والتوابل والعطور والأخشاب والنحاس

(١) الأمير شكيب ارسلان : الحلال السندسية فى الأخبار والآثار الاندلسية : مكتبه الحياة ، بيروت ،

بدون سنه ، ح ١ ، ص ١٧٩ ، ١٨١ .

(٢) ابن عذارى : البيان ، ح ١ ص ١٦٩ .

(٣) Bernard Lewis: the Arabs p.88.

(٤) ف . هايد : تاريخ التجارة فى الشرق الأدنى فى العصور الوسطى ، ترجمه احمد محمد رضا ،

الهيئة المصرية العامة للكتاب ، ح ١ ، ص ١٩٨٥ ص ١٢٨ - ١٢٩ .

(٥) أبو الفدا : تقويم البلدان ، ص ١٤٩ وانظر Bernard, Lewis, The Muslim p.189.

(٦) أرشيبالد لويس : القوى البحرية ، ص ٢٦٠ .

والعطور والحريز والأواني الفخارية والورق والحبر والسروج واللباد والكثير من السلع الأخرى^(١) وكان التجار اليهود في جميع البلاد على صلة متصلة ببعضهم البعض حيث يقومون بتبادل المعلومات الهامة عن الطرق التجارية والمراكز التجارية والفرص المتاحة للتجارة^(٢) كما لم يكتفى اليهود بتجارة الجنوب والشرق الأقصى بل مثلوا وسيطا تجاريا هاما بين إفريقية وغرب أوروبا^(٣) ولشهرة اليهود في المسائل المالية وحنكتهم التجارية فقد استعان ببعض منهم الخلفاء الفاطميون وقاموا بتقليدهم الوظائف المرموقة في الدولة ومن أشهرهم يعقوب بن كلس^(٤) وتمركز اليهود بصفة أساسية بمنطقة سجلماسة فتجار الذهب في هذه المنطقة من اغنى الطوائف لكثرة خام الذهب المستخرج بكميات اقتصادية حتى قيل من

(1) Bernard Lewis : The Arabs p.75-76.

- عطيه القوصي : الحضارة الإسلامية ، ص ١٣٢ . سرور : تاريخ الحضارة ، ص ١٤٨ .

(٢) ف . هايد : تاريخ التجارة في الشرق الأدنى - ح ١ ص ١٤٠ - ١٤٢ .

(3) Bernard Lewis: The Arabs.p.88.

(٤) يعقوب بن كلس : أبو الفرج يعقوب بن يوسف ابن إبراهيم بن هارون بن داود بن كلس ، وزير الخليفة الفاطمي العزيز بالله ، كان ابن كلس يهوديا يزعم أنه من سلاله هارون بن عمران عليه السلام . وقيل أنه كان يزعم أنه من ولد السموأل بن عاديا اليهودي صاحب الحصن المعروف بالأبلق ، ولد في بغداد ونشأ بها عند باب القز ، وتعلم الكتابة والحساب . وسافر إلى الشام ومنها إلى مصر سنة ٣٣١هـ / ٩٤٣م ودخل في خدمة بعض خواص كافور الإخشيدي حاكم مصر وأعجب كافور بذكائه ونجابته وشهامته وصيانيته وحسن إدراكه ، فألحقه بديوانه الخاص ، وبرزت مكانته عند كافور ولم يكن يتم عمل شئ من الدواوين إلا بعد توقيعه ، واسلم سنة ٣٥٦هـ / ٩٦٨م ، وقرأ القرآن وأخذ يتعلم على يد أحد الشيوخ المسلمين ، وظل في مكانته حتى توفي كافور الإخشيدي وقبض الوزير بن الفرات بعد وفاة كافور على جميع الكتاب واصحاب الدواوين بما فيهم ابن كلس الذي اقتدى نفسه بالمال ، ثم سار إلى المغرب والتحق بخدمة الخليفة المعز لدين الله حتى حضر إلى مصر وقيل انه عاد إلى مصر مع جيش جوهر الصقلي ، واخذ يترقى في المناصب حتى وصل إلى درجة وزير في عهد الخليفة العزيز بالله الفاطمي وكان أول وزير للفاطميين بمصر ، وكان محبا للعلم والعلماء ويقوم بالمجالس للاستماع ، وكان ينصب الموائد لخاصته ولغيرهم ، وكان يقوم بكشف مظالم الناس كل يوم عقب صلاة الصبح ، وكان ذا هيبة ووقار وتميز بالجود ومدحه الشعراء ، وتغير عليه الخليفة العزيز وقبض عليه سنة ٣٧٣هـ / ٩٨٥م ثم أطلق سراحه ٣٧٤هـ / ٩٨٦م وتوفي سنة ٣٨٠هـ / ٩٩٢م وكفن في خمسين ثوبا وحزن عليه العزيز بالله وصلى عليه . - ابن خلكان : وفيات الأعيان - ح ٧ ص ٢٧ : ص ٣٤ .

- Bernard Lewis: the Arabs.p.112.

كثرت أن الرياح تسقيه ^(١) وكان للتجار اليهود بالقيروان حى خاص بهم يسكنون فيه تجاه مسجدها الجامع ^(٢) .

ومثل التجار من أهل الذمة المسيحيين حضورا واسعا أيضا فى أسواق إفريقية وكانت مناطق انتشارهم تشمل شرق إفريقية حيث الحدود المشتركة مع مصر فكان الأقباط أغلبية بمدينة اجدابية وانتشروا بكثرة حول مدينة طرابلس فى الغرب والشرق منها . إلى جانب اليهود الذين كان لهم وجودا بمدينة جادوا عاصمة جبل نفوسة وفى كل هذه المناطق مارس هؤلاء التجار التجارة بحرية تامة وتنقلوا بسلعهم وبضائعهم فى كل مكان دونما عوائق تعترض طريقهم ^(٣) وكان المسيحيون ينتشرون أيضا بمدينة القيروان والمهدية وبونه ، ومدينة القلعة ، وبجاية. ^(٤) وانطلقت طرق التجارة من الجنوب حيث سجلماسه بتجارها المختلفون إلى السنغال وهو الطريق الغربى والطريق الثانى فى الوسط حيث يمتد عبر واحة وارقلان Ouargla واركلان حتى نهر النيجر . والطريق الثالث فى الشرق ويبدأ من طرابلس أو الجريد مارا بغدامس إلى قلب السودان ولقد أولى الفاطميون عناية هامة بتلك الطرق فقاموا بتوطيد الأمن عليها عن طريق نشر الأمن بين قبائل البربر المقيمة على هذه الطرق وعدم تعرضهم للقوافل التجارية المارة بهم ^(٥)

واستمرت هذه الطرق على حالتها المزدهرة إلى أن بدأ الغزو الهلالي لإفريقية مما أدى إلى انتشار الفوضى والاضطرابات التى عمت كل نواحي الحياة فى إقليم إفريقية وهددت الأمن الاجتماعى ، والاقتصادى ، وكانت ضربة قاصمة لحركة التجارة المزدهرة وأدى إلى تدهورها بالمدن الساحلية وحرمانها من أحد الموارد الهامة من الناحية المالية ^(٦)

ويرجع الفضل فى قيام تلك الطرق التجارية إلى التجار الاباضية الذين اهتموا بإنشائها وأقاموا عليها الزوايا والمساجد التى كانت تتحول إلى فنادق يتخذها التجار ك أماكن إقامة لهم ومخازن لحفظ بضائعهم وأمتعتهم ^(٧) فيها.

-
- (١) اليعقوبى : صفة المغرب ، ص ٢١ .
 (٢) برونشفيك : دائرة المعارف الإسلامية ، مادة تونس ، ح ٣ ، ص ١٧١ .
 (٣) البكرى : المغرب ، ص ٥ ، ٧ ، ٩ . ذنون : حوليات الجامعة التونسية ، عدد ١٨ ، ص ٢٨٦ .
 (٤) جورج مارسيه : بلاد المغرب ، ص ٢٠٠ - ٢٠١ .
 (٥) آرشيبالد لويس : القوى البحرية ، ص ٢٥٥ ، ص ٢٦٠ .
 (٦) Anthey Sillary : Africa social geography. page 47.
 (٧) حسين مؤنس : معالم تاريخ المغرب ، ص ١٢٠ - ١٢١ .

كما تميز مجتمع الجنوب " قسطينية " بوجود طوائف التجار من بقايا الروم والذين ظلت جذورهم العائلية بمدن الجنوب المختلفة يمارسون التجارة في حرية تامة واثروا ثراء كبيرا منها وتميزت منهم بعض العائلات مثل بنى بهلول في مدينة الحامة^(١)

كما انتشرت طوائف التجار من خارج إفريقية ومارسوا التجارة على نطاق واسع بها وكان لهم دورهم الهام في الحياة التجارية داخل الأسواق المختلفة منهم تجار من أهل سيراف^(٢) ولا عجب في ذلك حيث أضحت إفريقية تحت الحكم الفاطمي وبنى زيري قبلة للتجار من كل مكان وصارت مدنها موطنا ومأوى للعديد منهم وأحد المراكز التجارية العالمية^(٣)

(١) مجهول : الاستبصار ، ص ٤٣ . مدينة الحامة : من بلاد قسطينية . وتعرف بحامة بنى بهلول الذين يمثلون سادات قسطينية ، وهم من بقايا الروم الذين اسلموا على أموالهم . يشتهرون بالكرم الكثير وبر الاضياف مما من رفع شأنهم وذكرهم في تلك البلاد . ولمدينة الحامة حصن يسمونه القصر وهو ملك بنى بهلول وحاشيتهم . ويسكن الناس في أرباضها الواسعة . وتشتهر مدينة الحامة بكثرة إنتاجها الزراعي من التمر والزيتون وأنواع الفاكهة ، ومياها حارة . وهي أكثر بلاد الجريد إنتاجا للعنب الذي يشتهر بالطيب . وأهلها يقومون بعصره لعمل الشراب الطيب كما يزعمون أنه يستخدم في إنارة المصابيح كالزيت تماماً . - مجهول : الاستبصار ص ٤٣ - ٤٤ .

(٢) الخشني : قضاء قرطبة ، ص ٢٢٧ . سيراف : أحد أهم الموانئ الإسلامية في الخليج العربي ، تقع على شاطئ مجذب ، تمر بها صادرات واردة فارس ، وهي ميناء للتجار ومرسى للسفن التي تنقل التجارة بين موانئ العرب والفرس والصين ، نافست في تجارتها مدينة البصرة ، وكانت تنقل إليها البضائع من البصرة في سفن صغيرة ومنها إلى السفن الكبيرة التي تبحر إلى الصين والشرق الأقصى بالمنسوجات المتنوعة والمصنوعات المعدنية والحديد والذهب والفضة ، وكان تجارها اغنى تجار فارس ، ويقيمون بمساكن عالية مكونة من عدة طوابق مبنية من خشب الساج الهندي وغيره ، وكان لتجارها متاجر خاصة لهم بالبصرة ، وكان تجارها يقضون معظم حياتهم في البحر ، وكانوا كثيرو الإنفاق على مبانيهم وزينتها قليلا الاهتمام بثيابهم . سرور : تاريخ الحضارة ، ص ١٥٢ - ١٥٣ .

(٣) ابن حوقل : صورة الأرض ، ص ٦٠ - ٧٣ ، ص ٦٧ - ٧٨ . البكري ، المغرب ، ص ١٧ ، ص ٢٠ ، ص ٣٦ ، ص ٤٩ ، ص ٥٧ . مجهول : الاستبصار ، ص ٧٢٢ ، ص ١٠ - ١٦ ، ص ٢١ ، ص ٤١ ، الحميري : الروض المعطار ، ص ١١٥ ، ص ٣٦٦ ، ص ٤٦٩ .

الفصل الرابع

الفصل الرابع

نظم المعاملات المالية والتجارية

- المعاملات المالية .
- نظم المعاملات المالية .
- دور المحتسب في ضبط العملة والأسواق .
- النشاط التجاري وأثره على نواحي الحياة بإفريقية .
- المكوس .

المعاملات المالية والتجارية :

أ - السكة^(١)

مثلت السكة إحدى أهم الوظائف في إطار الخلافة الفاطمية . وهي تعنى في جوهرها النظر في النقود التي يتعامل بها الناس والعمل على حفظها مما يدخل إليها من الغش والنقص في عيارها أو وزنها من أي وجه من الوجوه . وذلك عن طريق ختمها بخاتم منقوش عليه نقوش خاصة والطرق عليها حتى تظهر تلك النقوش على النقود بما يشير إلى جودتها وخلوصها^(٢) .

بدأ تاريخ السكة الفاطمية قبل أن يتم الإعلان رسمياً عن قيام الخلافة الفاطمية بإفريقية بنحو خمس سنوات وذلك على يد القائد الفاطمي أبي عبد الله الشيعي^(٣) وقبل

(١) السكة هي الحديدة التي يطبع عليها الدراهم لذلك سميت الدراهم المضروبة سكة ، أبو الحسن على بن محمد بن حبيب البصري البغدادي الماوردي : الأحكام السلطانية والولايات الدينية ، دار بن خلدون : الإسكندرية ، بدون ، ص ١٦٠ .

(٢) ابن خلدون : المقدمة ، ص ١٥٨ . وانظر عبد المنعم ماجد : نظم الفاطميين ورسومهم في مصر ، الطبعة الثالثة ، مكتبة الانجلو المصرية ١٩٨٥ ، ح ١ ، ص ١٢٦ . جورجى زيدان : تاريخ التمدن ، ح ١ ، ص ١٤٦ .

(٣) أبو عبد الله الشيعي : هو الحسين ابن احمد بن محمد بن زكريا من أهل صنعاء وقيل من أهل الكوفة أخذ أسرار الدعوة عن ابن حوشب ذهب إلى إفريقية بعد وفاه دعاة الفاطميين ابي سفيان والحلواني وقام بالذهاب إلى مكة أثناء الحج وأخذ يتعرف على حجاج إفريقية من قبيلة كتامة وتبادل معهم الحديث عن آل البيت وفضائلهم وكان مقنعا في حديثه فتملك قلوبهم وسروا به واخذوا في تبادل الزيارات معه أثناء الحج وابلغهم أنه يريد مصر ليقوم بالتدريس بها فصحبوه إليها ثم طلبوا منه الذهاب معهم إلى إفريقية وذهب معهم ٢٨٠هـ / ٨٩٢م ، ونزل في فيج الاخير ثم أخذ يبيث دعوته فيهم وأنهم من انصار آل البيت الذين سيقاتلون في سبيل الدعوة واطهارها واخذ أمره ينتشر بين البربر وأطلقوا عليه أبا عبد الله المشرقي ، واستطاع هزيمة جيوش الأغلبة في ذلك الوقت واستطاع امتلاك العديد من المدن لضعف الأغلبة وانشغال زيادة الله عن أمور الدولة وأخذ يستولى على المدن الواحدة تلو الأخرى حتى دخل رقادة العاصمة سنة ٢٩٦هـ / ٩٠٨م ، وصارت له الكلمة المسموعة واطاعه البربر طاعه عمياء فكانوا لا يرفضون له امر وتغير الامر بعد دخول الخليفة الفاطمي عبيد الله المهدي ٢٩٧هـ / ٩١٠م فأخذ نجم أبي عبد الله في الاختفاء ووقعت بينه وبين المهدي الوحشة بعد أن اخذ يقلب عليه القبائل ويشكك في امره وأنه ليس المهدي الذي كان يدعو له حتى قتل هو وأخيه أبو العباس سنة ٢٩٨هـ / ٩١٠م على يد عروبه بن يوسف وجير بن نماسب . - ابن الأثير : الكامل ،

وصول عبيدالله المهدي الخليفة الأول إلى رقادة سنة ٢٩٧هـ - ٩١٨م ففي سنة ٢٩٢هـ أرسل أبو عبد الله أموالاً كثيرة إلى عبيدالله المهدي بسجلماسة فأهدى منها لبعض أتباعه ويدعى أحمد بن محمد بن عبيدالله من بني هاشم فقال " وصلني عبيدالله بمال كثير من دنانير لا توجد في ذلك البلد ، فكثير تعجبي منها ^(١) ولم تكن تلك النقود تشير صراحة إلى عبيدالله خوفاً عليه من العباسيين وأتباعهم ونقشت عليها الآية الكريمة " الحمد لله رب العالمين ^(٢) وأطلق عليها اسم السدييه ^(٣) ولما دخل عبيد الله المهدي مدينة رقادة سنة ٢٩٧هـ ^(٤) ٩١٨م ظلت العملة لا تشير إلى الفاطميين صراحة وأمر بنقش عبارة بلغت حجة الله " وعلى الوجه الآخر " تفرقت أعداء الله " ^(٥) .

ولقد ضرب الخليفة عبيد الله المهدي ٢٩٧ - ٣٢٢هـ - ٩٠٩ - ٩٣٤م ، مثلاً على قدرته السياسية ، وحنكته ، وذكائه ، حيث ترك العملة العباسية التي . كان يصدرها الأغلبية شائعة الاستعمال داخل إفريقية ، ولم يأمر بسحبها من الأسواق ، أو تغييرها بمجرد استيلائه على عاصمة الأغلبية ، مما أدى إلى عدم حدوث أزمة اقتصادية أو أزمة في تبديل العملة العباسية بالفاطمية أو حدوث غلاء في أسعار السلع ^(٦) مثلاً حدث بعد ذلك في عهد المعز بن باديس الصنهاجي حين أمر بتبديل السكة الفاطمية المتداولة في إفريقية بالسكة العباسية مما أحدث أزمة اقتصادية وغلاء الأسعار والإضرار بالشعب ^(٧) ولقد مثلت السكة إحدى التحديات الكبرى لدى الفاطميين في مواجهتهم مع العباسيين وذلك أن السكة من الوظائف

حـ ٨ ، ص ٣١ ومابعدا . الدرجيني : طبقات المشائخ ، حـ ١ ، ص ١٣٢ - ١٣٧ .
 اليماني : سيرة جعفر ، مخطوط ، وقه ٢١ ومابعدا . ابن عذارى : البيان ، حـ ١ ، ص ١٢٤
 ابن خلدون : العبر ، حـ ٤ ، ص ٣١ - ٣٧ . المقرئزي : الخطط ، حـ ٢ ، ص ١٦٠ - ١٦٢ . ابن أبي دينار : المؤنس ، ص ٥١ - ٥٣ . الباجي : الخلاصة النقية : ص ٣٥ - ٣٧ .
 الحبيب الجناحي : القيروان ، ص ٨٤ - ٨٥ .

(١) ابن عذارى : البيان ، حـ ١ ، ص ١٣٩ .
 (٢) سورة الفاتحة : آيه رقم ٢ .
 (٣) ابن عذارى : البيان ، حـ ١ ، ص ١٥١ .
 (٤) المالكي : رياض النفوس ، مخطوط رقم ٦٣٥٠ ، ميكروفيلم ٣٨٦٢١ ، ورقة ٦٥ .
 (٥) المقرئزي : الخطط ، حـ ٢ ، ص ١٦١ . ابن أبي الضياف : اتحاف أهل الزمان ، ص ١١٨
 ابن أبي دينار : المؤنس ، ص ٥٢ .
 (٦) أحمد عبدالرازق : الحضارة الإسلامية في العصور الوسطى ، دار الفكر العربي ، القاهرة ١٩٩٠ ، ص ٦٤ .
 (٧) ابن عذارى : البيان ، حـ ١ ص ٢٧٩ .

الدينية وإحدى شارات الخلافة^(١) كما تمثل السكة إحدى الوسائل الدعائية الهامة والتي يصل تأثيرها إلى أبعد مدى^(٢) وأن إصدارها يمثل إحدى الأعمال السيادية للدولة^(٣) لذلك فقد أبدى الفاطميون منذ قيام دولتهم اهتماما بالغاً بالسكة فكانوا ينتقون المشرفون عليها من خاصتهم وكانوا يولونها قاضى قضائهم لجلالة قدرها عندهم^(٤) وكانت تكتب فى سجل توليته إلى جانب الوظائف الأخرى التى يقوم بها ، وكان من اختصاص صاحب هذه الوظيفة القيام بعملية التفتيش على الدنانير والحضور إلى دار الضرب عند الفتح والإغلاق^(٥) وكانت دور الضرب تحوى بداخلها أماكن لحفظ وخزن الآلات المستخدمة فى عمليات السبك تسمى جواليق العهدة ويتعهد بها شخصان يحتفظ كل منهما بمفتاح لها لديه^(٦) واعتبر الفاطميون أن ضربهم للسكة واستقلالهم بها مظهراً من مظاهر أحقيتهم الدينية فى الخلافة على المسلمين^(٧) وأحد مظاهر التعبير عن مذهبهم الدينى وتأكيداً للصراع المذهبى الذى كان بينهم وبين العباسيين^(٨) .

-
- (١) ابن خلدون : المقدمة ، ص ١٥٨ ، جرجى زيدان : تاريخ التمدن ، ح ١ ، ص ١٤٠ .
 (٢) أرنولد توينبى : مختصر دراسة للتاريخ ، ترجمة فؤاد شبل ، تقديم محمد شفيق غربال ، أحمد عزت عبدالكريم ، الادارة الثقافية بجامعة الدول العربية ، القاهرة ١٩٦٤م ، ح ٣ ص ١١٦-١١٧ .
 (٣) نفس المصدر ، ص ١١٤ .
 (٤) المقرئى : الخطط ، ح ٢ ، ص ١٩٤ ، ص ٢٤٦ .
 (٥) عبدالمنعم ماجد : نظم الفاطميين ، ح ١ ، ص ١٢٦ .
 (٦) أبى الحسن على يوسف الحكيم : الدوحة المشتكى فى ضوابط دار السكة ، مطبعة معهد الدراسات الإسلامية بمريد ، ص ٥٥-٥٦ .
 (٧) مایسة محمود داود : المسكوكات الفاطمية بمجموعة متحف الفن الإسلامى ، دراسة أثرية ونقدية ، دار الفكر العربى ، القاهرة ١٩٩١ ، ص ١٩ .
 (٨) عبدالمنعم ماجد : نظم الفاطميين ، ح ١ ، ص ١٢٧ ، وفى سبيل الصراع بين العباسيين والفاطميين قبل قيام دولتهم ارسل الخليفة العباسى المكتفى بالله كتاباً لأهالى إفريقية يحثهم فيه على نصره زيادة الله بن الاغلب والحرب معه ضد القائد الشيعى أبى عبد الله وكان ذلك سنة ٢٩٢ هـ / ٩٠٤م ابن عذارى : البيان ، ح ١ ، ص ١٤٠ . كما قام الفاطميون بعد ذلك بمنع تصدير الأقمشة الراقية التى تنتجها دور الطراز الفاطمية إلى بغداد كنوع من الحرب الاقتصادية التى أثاروها ضد العباسيين . لويس : القوى البحرية ، ص ٣٢٨ .

ولما كانت الحاجة القوية والماسة إلى تحرير كل ما يتعامل به الناس من الدنانير والدرهم وذلك حفظاً لأموالهم ومصالحهم^(١) فقد اهتم الفاطميون بدور الضرب التي كانت قائمة من قبل بل زادوا في أعدادها خاصة في المدن الجديدة التي قاموا بإنشائها كالمهديّة والمنصورية وانتشرت دور الضرب في جميع المناطق التي بسط عليها الفاطميون نفوذهم من إفريقية غرباً وصقلية حتى الشام شرقاً واليمن جنوباً^(٢) ولأهمية تلك الدور فقد خضعت خضوعاً تاماً ومباشراً للدولة إذ لم يكن مسموحاً لأى فرد مهما بلغت درجته داخل الدولة أن يقوم بإنشاء دارا للسك خاصة به . بل وجدت عقوبات رادعة لكل من تسول له نفسه بغش العملة وأدى ذلك إلى قيام الدولة بضمان قيمة العملة ووزنها ونوعها والنص على وجهيها بالنقوش الدالة على أنها من إنتاج دار السك الحكومية وتسجيل قيمتها^(٣) وكان الشخص الذى يقوم بالنقش على النقود من الذين يجيدون إتقان الحظ وذلك من اجل إضفاء الجودة على السكة وليس من حقه أن يقوم بتغيير نص السكة أو زيادته إلا بأمر ويقوم بحفظ أدواته فى جوالق الازدواج ويكون معه بعض الثقة عندما يريد فتحها^(٤) وكان يسمح فى نفس الوقت لمن يريد من الأفراد أن يقوم بضرب نقوداً خاصة له داخل دور الضرب فى مقابل ضريبة يقوم بدفعها سواء كانت دنانير أم دراهم^(٥) وقد اختلفت قيمة تلك الضرائب من مكان لآخر وكانت نسبتها تمثل واحد بالمئة ويطلق على تلك النسبة من الضرائب اسم أجرة الضراب وثن الحطب وهى أحد الدخول الهامة لخزانة الدولة^(٦) .

ويتميز المشرفون على أعمال السكة بالمهارة والخبرة فى إذابة المعادن والنقش والوزن والطبع وينقسم السكاكون إلى ثلاثة أقسام عمال ومتعلمون ومعلمون^(٧) ولم يكن يسمح بتداول النقود إلا بعد القيام بالتأكد من عدة عمليات خاصة مثل خلوص السبك وتحديد

(١) شرف الدين الاسعد مهذب بن ابي المليح : كتاب قوانين الدواوين ، طبع على نفقة الجمعية الزراعية الملكية بأمر الامير عمر طوسون ، تحقيق عزيز سوريال ، الطبعة الاولى ، مكتبته مدبولي ، القاهرة ١٩٩١م ، ص ٣٣٢ . جورجى زيدان : تاريخ التمدن ، ح ١ ، ص ١٤٠ .

(٢) عبدالمنعم ماجد : نظم الفاطميين ، ح ١ ، ص ١٢٦ .

(٣) توينبى : مختصر دراسة التاريخ ، ح ٣ ، ص ١١٢ .

(٤) ابي الحسن : الدوحة ، ص ٥٥-٥٦ .

(٥) ابن مماتى : قوانين الدواوين ، ص ٣٣٢ .

(٦) جورجى زيدان : تاريخ التمدن ، ص ١ ص ١٤٥ . عبدالمنعم ماجد : نظم الفاطميين ، ح ١

ص ١٢٠ . ناصر النقشبندى : الدينار الإسلامى ، ح ١ ، ص ١٦ .

(٧) ابي الحسن : الدوحة ، ص ٤٧ .

العيار والنقش^(١) وكان قيام الدولة بالاختصاص فى عملية احتكار الضرب الخاصة بالنقود طبقا لما أشار به بعض الفقهاء من أن ضرب النقود لا تصلح إلا فى دار الضرب وبإذن السلطان^(٢) ولقد عنى الفاطميون عناية بالغة بنقودهم لاسيما العيار فكان وزن الدينار الفاطمى يساوى ٢٣,٥ قيراطا^(٣) ومارس الفاطميون سياسة خاصة محكمة تجاه العملة العباسية وعملوا على انهيارها -على الأقل- داخل المناطق التى خضعت لسيطرتهم فما إن حضر الخليفة الفاطمى المعز لدين الله (٣٤١ - ٣٦٥ هـ - ٩٥٣ - ٩٧٧ م) إلى مصر سنة ٣٦٢ هـ ٩٧٤ م حتى قام بإصدار أوامره المباشرة بأن يؤخذ الخراج بالدينار المعزى مما أدى إلى انهيار قيمة العملة العباسية الممثلة فى الدينار الراضى^(٤) ومنذ ذلك الوقت صارت العملة الفاطمية من أقوى العملات كما يجب أن تتوافر فى السكك العلم والمعرفة فى تمييز النقود الرديئة والصالحة وأن يكون له علم بأوصاف المعادن وما يصلحها أو يفسدها وأسباب غشها والأشياء المستخدمة فى إزالتها مع علم ودراية تامة بالخطوط والطوابع وأشكال الفتح وتصنيفه والخط وهمزته^(٥) وقد استمدت العملة الفاطمية قوتها بين نظيراتها من العملات بفضل انتشارها فى مساحة شاسعة ضمت إفريقية وصقلية ومصر والشام واليمن وذلك لأن قوه النقود تزداد كلما زادت مساحة الأرض التى تتداول فيها قانونا^(٦) وكان الدينار والدرهم العنصران الأساسيان للسكة الفاطمية مثل بقية العالم الإسلامى^(٧).

-
- (١) ابن خلدون : المقدمة ، ص ١٥٨ ، ص ١٨٢ - ١٨٣ .
 (٢) أبى يعلى : الأحكام السلطانية ، ص ٣٣٧ .
 (٣) مايسه محمود : المسكوكات الفاطمية ، ص ٢٠ .
 (٤) نفس المصدر والصفحة .
 (٥) أبى الحسن : الدوحة ، ص ٥٢ .
 (٦) توينبى : مختصر دراسة للتاريخ ، ح ٣ ، ص ١١٢ . عبد المنعم ماجد : نظم الفاطميين ح ١ ، ص ١٢٦ .
 (٧) عبد المنعم ماجد : نظم الفاطميين ، ح ١ ، ص ١٢٧ . وكان الخليفة الاموى عبد الملك بن مروان (٦٥ - ٨٦ هـ) اول من قام بسك عمله إسلامية خالصه سنة ٧٦ هـ . انظر جلال الدين السيوطى : تاريخ الخلفاء ، الطبعة الاولى ، دار الكتب العلمية ، بيروت ١٩٨٨ هـ ، ص ١٧٣ - ١٧٤ . وانظر الكرملى : تاريخ النقود ، ص ٤٠ . وانظر سيده الكاشف : الوليد بن عبد الملك ، وزارة الثقافة والارشاد القومى ، المؤسسة المصرية العامة للتأليف والترجمة والطباعة والنشر ، ص ١٧ . وانظر احمد عبدالرازق : الحضارة الإسلامية ، ص ١٦٠ وما بعدها ، ابن عذارى : البيان ، ح ١ ، ص ٣٤ .

وكان الدينار الفاطمي ينقص عن المتقال بمقدار حبة شعير ، وكانت سكنتهم مسدورة الكتابة كما كان للدينار ربع صغير ويتم التعامل بهما عدداً ، كذلك الدرهم زال له نصف . يسمونه القيراط وربع وثمان ونصف ثمن يسمونه الخرنوبه يؤخذ الجميع بالعدد (١) فكان درهم مدينة تلمسان يساوي ثمانية خرايب والخروبه تساوي أربعة حبات (٢) أما درهم مدينة تنس فكان يساوي اثنا عشر صقلية عدداً (٣) ولم يقتصر أمر تداول السكة الفاطمية وانتشارها على إقليم إفريقية فحسب بل شاع استخدامها في جميع المناطق التي وقعت تحت نفوذهم مثل صقلية وغيرها (٤)

وعند دخول الخليفة الفاطمي الأول عبيد الله المهدي ٢٩٧ - ٣٢٢هـ - ٩١٨م مدينة رقادة أخذ يعيد ترتيب نظم وقوانين الدولة من جديد فقام بتدوين الدواوين على أساس المذهب الشيعي وقام بتوزيع الوظائف الهامة على أنصاره وخاصة آل أمر السكة إلى أبي بكر الفيلسوف المعروف بابن القمودي الذي كان أول من تولى هذه الوظيفة للفاطمين في إفريقية (٥) .

إلا أن السكة الفاطمية لم تكن مغايرة تماماً لنمط السكة العباسية التي كانت سائدة في ذلك الوقت بإقليم إفريقية وكانت تصدرها الدولة الأغلبية فجاءت أنماطها كامتداد لها وكان وجه الاختلاف بينهما هو تغيير اسم الخليفة العباسي ووضع بدلا منه اسم الخليفة الفاطمي فحسب (٦) وذلك بعد أن قام الفاطميون بتثبيت أقدامهم في إفريقية .

ومرت السكة الفاطمية في تاريخها بعدة أنماط مختلفة حتى أخذت شخصيتها المستقلة المتميزة بها ، فالنمط الأولي للسكة الفاطمية أثناء الحرب مع الأغلبية وقبل دخول المهدي لمدينة رقاده عاصمة الأغلبية سنة ٢٩٧هـ / ٩١٨م لم يكن يشير مطلقاً إلى الفاطمين فلم تكن تحمل سوى عبارتان مبهمتان وضعتا على وجهي العملة وهما في الوجه الأول وبلغت حجة

(١) المقدسي : أحسن التقاسيم ، ص ٢٤٠ .

(٢) البكري : المغرب ، ص ٧٨ .

(٣) نفس المصدر ص ٦٣ .

(٤) Lane Pool - M.A - Acotologe Arabic Coins. Jondon 1897 Page 170-173.

- فتحية محمود علي : الحياة الاقتصادية والاجتماعية في مدن المغرب الساحلية ، رسالة ماجستير

غير منشورة ، كلية الآداب - جامعة المنيا ، ١٩٩٣ ، ص ١٧

(٥) ابن عذاري : البيان المغرب ، ج ١ ، ص ١٥١ ، ص ١٥٩ .

(٦) مایسه محمود : المسكوكات الفاطمية ، ص ٢٤ .

الله " والوجه الثانى " تفرق أعداء الله ^(١) وهكذا فلم تكن للسكة الفاطمية فى تلك المرحلة شخصية مستقلة تميزها داخل إقليم إفريقية ولا تشير إلى الخليفة الفاطمى المنتظر كنوع من سياسة السرية التى تميز بها الفاطميون - الشيعة - منذ بداية مطالبتهم بالحكم حتى قيام الخلافة الفاطمية ^(٢) .

أما النمط الثانى من أنمط السكة الفاطمية فقد جاء مغايراً للنمط الأول حيث وضح فيه الفكر السياسى للفاطميين وذلك بهدف العمل على انتزاع الزعامة السياسية والدينية من الخلافة العباسية فى العالم الإسلامى وبدأت تضاف إلى السكة ألقاب دينية لم توجد فى النمط الأول مثل لقب إمام وعبيدالله وأمير المؤمنين ^(٣) والمهدى ^(٤) .

ولم يكتف الفاطميون بتلك الألقاب والعبارات تمييزاً لسكتهم عن سكة العباسيين بل وضعوا لها علامة خاصة بهم تميزهم عن غيرهم وفى نفس الوقت تشير إلى مدى شرعية تلك السكة وأنها ضربت طبقاً للمعايير الرسمية للخلافة الفاطمية وتحت إشرافها وهى كلمة " عال " أو " عال غاية " ^(٥) .

ومع ذلك لم تكن السكة الفاطمية تختلف اختلافاً جذرياً عن السكة العباسية إذ ظل التشابه قائماً بين السكتين مع اختلاف اسم الخليفة فقط إلى جانب العبارات الدينية الخاصة بالفاطميين التى تشير إلى اختلاف المذهب الدينى وذلك حتى ولى الخلافة الفاطمية الخليفة الرابع المعز لدين الله ٣٤١ - ٣٦٥ هـ ٩٦٢ - ٩٨٦ م فطراً على العملة الفاطمية تغيير

(١) ابن خلدون : العبر ، ح ٤ ، ص ٣٦ .

(٢) محمد محمود إدريس : تاريخ الدولة الفاطمية ، ص ١١ .

(٣) لم تكن تلك الألقاب موحدة داخل الدولة الإسلامية ، بل اختلفت باختلاف المناطق بها ، فهناك بعض الألقاب التى لم تضاف إلى اسم ، وهناك ألقاب تضاف إلى الأسماء التى تدل على الرفع . ومنها ما يضاف إلى لفظ الجلالة الله . كما كان ينقش على النقود الفاظاً أخرى دالة على الرتب والوظائف ، وكان ينقش على بعض النقود أيضاً أدعية بعد ذكر أسماء الملوك أو العمال وكنامهم والقابهم ونعوتهم مثل دعاء " العز الدائم والعمر السالم ابداً " الذى وجد على دينار من دنائير الخليفة المعز لدين الله ، وكثير نقش الكنى على النقود مثل " أبو تميم " كنية الخليفة المعز لدين الله " أبو الفضل " كنية الخليفة الفاطمى القائم و " أبو الميمون " كنية الخليفة الفاطمى الحافظ لدين الله . الكرملى : النقود العربية ، ص ١٤٧ - ص ١٥٤ .

(٤) مایسة محمود : المسكوكات الفاطمية ، ص ٢٤-٢٥ ، عبدالممنع ماجد : نظم الفاطميين ، ح ١ ص ١٢٧ .

(٥) عبدالممنع ماجد : نظم الفاطميين ، ح ١ ص ١٢٨ .

جذريا عما كانت عليه من حيث التصميم والنقوش التي صارت تكتب في ثلاث دوائر متحدة المركز وتسير عكس عقارب الساعة (١) .

وفي سبيل تأكيد السيادة الفاطمية على إقليم إفريقية - وغيرها من المناطق - عقب تركهم لإفريقية سنة ٣٦١ هـ - ٩٨٢م في عهد المعز لدين الله واتخاذهم للقاهرة عاصمة للخلافة الفاطمية بدلا من المهديّة وبرغم وجود دورا لسك النقود في مختلف مدن إفريقية مطابقة للنقود التي تسكها دور السك بالقاهرة إلا أنهم حرصوا على إرسال السكة المضروبة بمصر إلى إقليم إفريقية حتى يتداولها الناس هناك وتذكرهم بولائهم للفاطميّين بمصر . وذلك مثلما حدث في عهد العزيز بالله الخليفة الخامس ٣٦٥ - ٣٨٦ هـ - ٩٨٦ - ١٠٠٧م حيث قام بإرسال نقودا تحمل اسمه إلى خليفته بإفريقية بلكين ابن زيري (٢) .

وكنوع من الترابط بين الخلافة الفاطمية بالقاهرة وبين خلفائهم من بنى زيري بإفريقية هذا الترابط الذي ينتج عن إصدار العملة (٣) .

أما السكة الفاطمية التي تم ضربها أثناء حكم الخليفة الفاطمي الثاني القائم بأمر الله ٣٢٢ - ٣٣٤ هـ - ٩٤٢ - ٩٥٥م التي تمثل النمط الثالث فلم تكن بها اختلافات كثيرة تميزها عن تلك التي قام بضربها والده المهدي فسارت على نهجها مع بعض الاختلافات مثل وضع اسمه وهو أبو القاسم محمد قبل عبارات التوحيد على وجه العملة مسبقة بعبارة " المهدي بالله " أما الظهر فقام بوضع لقبه " الإمام القائم بالله " أسفل الرسالة المحمدية ، وكان استخدام أبو القاسم "لقب المهدي" بالله له أكثر من معنى مقصود منها أولاً تأكيد لزعامته الدينية في العالم الإسلامي ثانياً بث نوع من التأثير النفسي في محاولة منه لجذب مزيداً من الأنصار للفاطميّين ثالثاً تخليد ذكر أبيه المهدي (٤) . الذي كان يكن له حبا صادقا ومودة خاصة ظهرت آثارها عقب وفاته في تصرفاته الخاصة وظلت مصاحبة له حتى وفاته (٥)

وبرغم تولى الخليفة الثالث المنصور بالله للحكم ٣٣٤ - ٣٤١ هـ - ٩٥٥ - ٩٦٢م إلا أن السكة الفاطمية لم يطرأ عليها كبير تغيير فاستمرت على نهج سكة أبيه وجده تمثل مرحلة انتقالية بين السكة الفاطمية المتميزة وبين التأثيرات العباسية ، وحملت السكة في عهد

(١) أحمد عبدالرازق : الحضارة الإسلامية ، ص ١٦٤ - ١٦٥ .

(٢) ابن ابي دينار : المؤنس ، ص ٧٥ .

(٣) توينبي : مختصر دراسة للتاريخ ، ح ٣ ص ١١٤ .

(٤) مايسه محمود : المسكوكات الفاطمية ، ص ٢٧ - ٢٨ .

(٥) ابن عذارى : البيان ، ح ١ ، ص ٢٠٨ .

المنصور اسم مدينة المنصورية وتميزت بثلاث طرز خاصة بها الطراز الأولي به أربعة سطور بالوجه وأربعة بالظهر أما الطراز الثاني فكان به خمسة أسطر والطراز الثالث ثلاثة أسطر بالوجه وأربعة أسطر بالظهر مع وجود خطان دائريان يفصلان بين الهامش والمركز وتاريخ الضرب في هامش الوجه ^(١) وأطلق عليها الدنانير الرباعية ^(٢)

وحين ارتقى الخليفة المعز لدين الله الفاطمي كرسى الخلافة سنة ٣٤١ - ٣٦٥ هـ - ٩٦٢ - ٩٨٦ م نجد أن الخلافة الفاطمية قد طرأ عليها تغييراً كبيراً في كافة أوجه حياة الخلافة عامة بما في ذلك مجال السكة ففي تلك المرحلة تحررت السكة الفاطمية من التأثير العباسي السنّي واختلفت عما سبقها من سكة الخلفاء الثلاثة الأول فجاءت مختلفة الطراز والوزن والعيار ^(٣) .

ونقش في وجه الدينار المعزى كما ذكر المقرئى ^(٤) في النقود الإسلامية "دعى الإمام المعز لتوحيد الأحد الصمد" وتحت سطر فيه "ضرب هذا الدينار بمصر سنة ثمان وخمسين وثلاثمائة" وفي الوجه الآخر "لا إله إلا الله" محمد رسول الله أرسله بالهدى ودين الحق ليظهره على الدين كله ولو كره المشركون . على أفضل الوصيين ، وزير خير المرسلين " وكثر ضرب هذا النوع من الدنانير .

وكان المعز لدين الله من الخلفاء الذين اهتموا كثيراً بأمر السكة ويعنى بها فكثيراً ما كان يأمر بالعناية بالعيار الخاص بالسكة والوزن أيضاً ^(٥) فصار سعر صرف هذا الدينار خمسة عشر درهماً ونصف ^(٦) كما ضرب دينار أيضاً في سنة ٣٥٣ هـ - ٩٦٤ م وكان وزنه يبلغ ٤,٢٠ جرام ^(٧)

وسار الخليفة الفاطمي العزيز بالله ٣٦٥ - ٣٨٦ هـ - ٩٧٥ - ٩٩٦ على النهج الذي اتبعه والده المعز من العناية بالسكة فجاءت مشابهة لها وإن اختلفت عنها في عدد الهوامش ،

(١) مايسه محمود : المسكوكات الفاطمية ، ص ٣١ - ٣٢ .

(٢) جوذر : سيرة الاستاذ جوذر ، ص ٦٠ .

(٣) مايسه محمود : المسكوكات ، ص ٣٦ - ٣٨ .

(٤) الكرملى : النقود العربية ، ص ٦٥ .

(٥) جوذر : سيرة جوذر ، ص ٩١ .

(٦) الكرملى : النقود العربية ، ص ٦٥ .

(٧) Lane Pool, Arabic Coins. P 154 - 155.

فكان بسكة العزيز هامشين فقط وتم دمج الهامش الأوسط والداخلي فسي هامش واحد (١)
وكانت صورة الدينار التي تم ضربها في عهد الخليفة العزيز بالله كما يلي :-

الوجه الأول :

الدائر الأول : محمد رسول الله أرسله " بالهدى ودين الحق ليظهره على الدين كله
ولو كره المشركون (٢) .

الدائر الثاني : لا إله إلا الله محمد رسول الله على خير صفوة الله .

الوجه الثاني (الظهر)

الدائر الأول : بسم الله ضرب هذا الدينار بمصر سنة ست وستين وثلثمائة .

الدائر الثاني : عبيدالله وليه نذار الإمام العزيز بالله أمير المؤمنين .

وعم ضرب هذا الدينار بصورة متتابعة في دور الضرب الخاضعة للفاطميين في
مصر سنة ٣٦٦ هـ وفي المنصورية ٣٦٧ هـ — ومدينة المهديّة ٣٧٤ هـ — وجزيرة
صقلية ٣٧٧ هـ (٣) .

ووجد نوع من التشابه في السكة التي ضربت في عهد الخليفة العزيز بالله ما بين
الدينار والدرهم في الطراز إلا أن الهامشين الذين يفصلان بين المركز والهامش الداخلي
والخارجي قل اتساعهما في الدراهم فأصبح خط دائري مزدوج حتى أن تاريخ الضرب كان
يكتب بالهامش الخارجي عكس غيرها من الدراهم (٤) .

وباعتلاء الخليفة الفاطمي الحاكم بأمر الله ٣٨٦ - ٤١١ هـ - ٩٩٦ - ١٠٤٠ م (٥)
تبدأ المرحلة الثانية من مراحل تطور السكة الفاطمية التي بدأت أولى مراحلها في عهد المعز
لدين الله وابنه العزيز بالله فكانت مرحلة ابتكار ومولد للشخصية الفاطمية ، وانقسمت سكة
الحاكم بأمر الله إلى ثلاثة طرز متميزة عن بعضها البعض ، فالطراز الأول يشبه دنانير أبيه
أما الطراز الثاني فتشابه في الشكل مع دنانير جده .

(١) مايسه محمود : المسكوكات الفاطمية ، ص ٥٣ - ٥٤ ..

(٢) ليست نظم آية كما يظهر للبعض .

(3) Lane Pool, Arabic Coins. P. 169.

- فتحية محمود على : الحياة الاقتصادية ، ص ١٦٩

(٤) مايسه محمود : المسكوكات الفاطمية ، ص ٥٥ - ٥٦ .

(5) Lane Pool, Arabic Coins. P.169.

- فتحية محمود على : الحياة الاقتصادية ، ص ١٦٩

الشكل الأول

الوجه	الظهر
مركز: ١ - لا إله إلا الله	١ - عبيدالله
٢ - وحده لا شريك له	٢ - ووليه المنصور أبو علي
٣ - محمد رسول الله	٣ - الإمام الحاكم بأمر الله
٤ - علي ولي الله	أمير المؤمنين أو
هامش خارجي محمد رسول الله أرسله	١ - عبيدالله ووليه
...المشركون .	٢ - الحاكم بأمر
هامش داخلي بسم الله ضرب هذا	٣ - الله أمير المؤمنين وعبد
الدين (أ) رد رد .. سنة ...	٤ - الرحيم ولي عهد المسلمين

الشكل الثاني

الوجه	الظهر
مركز ١ - علي	مركز : ١ - عبيدالله ووليه
٢ - لا إله إلا الله وحده	٢ - الإمام الحاكم بأمر الله أمير
٣ - لا شريك له محمد رسول الله	٣ - المؤمنين وعبدالرحيم (١)
٤ - ولي الله	٤ - ولي عهد المسلمين أو
هامش خارجي	١ - عبيدالله
محمد رسول الله أرسله ... المشركون	٢ - ووليه المنصور أبو علي
	٣ - الإمام الحاكم بأمر الله
	٤ - أمير المؤمنين

هامش خارجي

بسم الله ضرب هذا الدين (أ) رب ... سنة ...

(١) عبدالرحيم : ابن عم الخليفة الفاطمي الحاكم بأمر الله وهو أبا القاسم عبدالرحيم ابن الياس ابن ابي علي ابن المهدي بالله أبي محمد عبيد الله . تولى منصب ولاية العهد في حياة الخليفة الحاكم بأمر الله في صفر سنة ٤٠٤ هـ ١٠٢٥ م وتم وضع اسمه على السكة والبنود جنبا إلى جنب مع الخليفة الحاكم الذي أمر بقراءة السجلات الخاصة بذلك في نفس الوقت الذي ارسل فيه سجلا إلى واليه على إفريقية نصير الدولة باديس يعلمه بذلك ويأمره بقراءة السجل على الناس بالاقليم فتمت قراءة السجل بجامعة القيروان والمنصورية وذلك على مضض من نصير الدولة الذي أبدى اعتراضا - لم يبعث به إلى الخليفة وإنما أبداه لمن حوله قائلا " لولا أن الامام لا لايترض على تدبير لكاتبته - الخليفة الحاكم - الا يصرف هذا الأمر من ولده إلى ابن عمه " غير أن عبدالرحيم لم يستمر طويلا فقد تغير عليه الخليفة الحاكم وأمر بقتله .

ابن عذارى : البيان ، ح ١ ، ص ٢٦٠ ، المقریزی : اتعاظ الحنفا ، ح ٢ ، ص ١٠٠ - ص ١٠١ ، الخطط ، ح ٢ ، ص ٧٣ - ٧٤ .

الشكل الثالث

الوجه	الظهر
مركز ١ - لا إله إلا الله	مركز: ١ - المنصور
٢ - محمد رسول الله	٢ - أبو علي الإمام
٣ - علي ولي الله	٣ - الحاكم بأمر الله
هامش خارجي	٤ - أمير المؤمنين أو
محمد رسول الله أرسله ... المشركون	١ - عبيد الله وو
	٢ - ليه الإمام المنصور
	٣ - أمير المؤمنين أو
	١ - الإمام الحاكم
	٢ - بأمر الله أبو علي
	٣ - أمير المؤمنين
	هامش خارجي
	بسم الله ضرب هذا الدين (أ) ر ب ... سنة
	... (١) .

ويتضح من هذا الطراز خلوه من اسم ابن عمه وولي عهده عبدالرحيم والذي ظهر على الطراز الأول والثاني فقط مما يدل على أن هذا الطراز تم ضربه بعد تخلصه من ولي العهد .

ولم يقتصر ضرب الدنانير في عهد الحاكم بأمر الله على دور الضرب بمصر فقط بل ضربت بدور ضرب المهدية دنانير حملت اسمه مثل الدينار الذي يحمل تاريخ ضرب سنة ٣٨٨ هـ - ١٠٣٧ م.

الوجه الأول : محمد رسول الله أرسله بالهدى ودين الحق ليظهره على الدين كله ولو كره المشركون لا إله إلا الله محمد رسول الله . علي ولي الله .

الوجه الثاني : بسم الله ضرب هذا الدينار بالمهدية سنة ثمان وثمانين وثلثمائه الإمام الحاكم بأمر الله أمير المؤمنين .

وتم ضرب هذا الدينار في سنة ٣٩٠ هـ - ١٠٤٠ م بنفس النقوش واختلف نص الكتابة على الدنانير التي ضربت سنة ٤٠٤ هـ - ١٠٤٨ م (٢) فأصبحت عبد الله الإمام الحاكم

(١) مابسة محمود : المسكوكات الفاطمية ، ص ٥٧ - ٦٠ .

(2) Lane Pool . Arabic Coins. P163.

بأمر الله أمير المؤمنين كما اختلفت النقوش مرة أخرى في الدنانير التي تم ضربها سنة ٤١٢ هـ - ١٠٥٦ م^(١) وهي في عز الإمام المنصور الحاكم بأمر الله أمير المؤمنين^(٢) .

وبجانب تلك الدنانير تم ضرب الدراهم^(٣) أيضا والتي تم التوسع في ضربها في عهد الخليفة الحاكم بأمر الله وبدأت مصر تتحول إلى نظام المعدنين^(٤) Bimetollic System وصار الدرهم قوه قانونيه في المعاملات وتم تحديد قيمه الدرهم بالنسبة للدينار فكان الدينار يساوي ثمانية عشر درهماً^(٥) إلا أن هذه القاعدة لم تكن ثابتة ولم يدم الأمر طويلاً إذ سرعان ما تغير سعر الصرف بين الدينار والدرهم ففي ٣٩٥ هـ - ١٠٠٧ م زادت نسبة الصرف زيادة كبيرة فكان الدينار يساوي ستة وعشرون درهماً^(٦) وظلت هذه النسبة في ازدياد مطرد حتى وصل سعر الصرف بين الدينار والدرهم إلى أن الدينار يساوي أربعة وثلاثون درهماً وذلك في سنة ٣٩٩ هـ - ١٠١١ م ، ونتيجة لذلك سرعان ما تدخل الخليفة الحاكم بأمر الله في عملية ضبط سعر الصرف وأمر بإنزال دراهم جديدة إلى السوق ومنع التعامل بالدراهم القديمة وإرسالها إلى دار الضرب ووضعت قاعدة جديدة للصرف تمثلت في أن كل درهم جديد يساوي أربعة دراهم قديمه وكل دينار يساوي ثمانية عشر درهماً جديداً^(٧) وتميزت أيضا السكة التي تم ضربها في عهد الخليفة الفاطمي الظاهر لإعزاز دين الله ٤١١ - ٤٢٧ هـ - ١٠٢٠ - ١٠٣٥ م بالتنوع وحوث أربعة طرز مقلداً دنانير من سبقه من الخلفاء أمثال المعز والحاكم^(٨) وقام بضرب ديناراه الذهبى في دائرتين .

(1) Lane Pool . Arabic Coins. P165.

(2) Ibid. P167.

- فتحية محمود على : الحياة الاقتصادية ، ص ١٧٠ .

(٣) الدينار والدرهم ذكر البلاذري أنهما من الأوزان التي كانت تستعملها قریش قبل الإسلام واقرت بعد الإسلام فكانوا يزنون الذهب بوزن تسميه ديناراً وتزن الفضة بوزن تسميه درهم انظر الكرملی : النقود العربية ص ١٧ .

(٤) ذكر المقریزی عن نقود مصر : أن مصر من الاقطار التي كان النقد التي تتعامل به سواء في الجاهلية أم الإسلام في سائر دولها هو الذهب . كما ذكر ذلك الرسول صلى الله عليه وسلم في المدينة فقال " ومنعت مصر اربها ودينارها انظر الكرملی : النقود العربية ص ٥٩ .

(٥) مايسه محمود : المسكوكات الفاطمية ص ٦٢ .

(٦) المقریزی : اتعاظ الحنفا - ٢ ص ٥٨ .

(٧) الكرملی : النقود العربية ص ٦٦ .

(٨) مايسه محمود : المسكوكات الفاطمية ص ٦٦ - ٦٧ .

الوجه

دائر أول : محمد رسول الله أرسله ... المشركون

دائر ثانی : لا إله إلا الله وحده لا شريك له .

دائر الوسط محمد رسول الله - على ولي الله

الظهر

دائر أول بسم الله ضرب هذا الدينار بمصر سنة اثني عشرة وأربعمئة

دائر ثانی عبيدالله ووليه على أبو الحسن الإمام

دائر وسط الظاهر لإعزاز دين الله

وعم ضرب هذا الدينار ^(١) في العواصم التي خضعت للخلافة الفاطمية في المشرق

والمغرب ^(٢)

أما المسكوكات الخاصة بالخليفة الفاطمي المستنصر بالله ٤٢٧ - ٤٨٧ هـ - ١٠٤٨ -

١٠٩٩ م فقد مثلت نهاية المرحلة الثانية للسكة الفاطمية التي اتسمت بالابتكار والتنوع في

طرزها ووضوح كيان السكة الفاطمية كما أتت متشابهة مع سكة من سبقه من الخلفاء أجداده

وأبيه المعز والعزیز والحاكم والظاهر ^(٣) وتم في عهده ضرب العملات الصغيرة التي تقوم

بتسهيل عمليات التبادل التجاري داخل الأسواق فضربت في عهده أرباع الدنانير ^(٤) ومن

طرز نقود الخليفة المستنصر بالله

الوجه

الظهر

مركز : ١ - معد أو كلمة عال

مركز ١ - الإمام

٢ - لا إله إلا الله

٢ - معد أبوتميم

٣ - وحده لا شريك له

٣ - المستنصر بالله

٤ - محمد رسول الله

٤ - أمير المؤمنين

٥ - على ولي الله

هامش

٦ - كلمه (عال) أحياناً

يبدأ بعبارة بسم الله الرحمن الرحيم ضرب

هذا الدينـ(أ) ر ب ... سنة .. وأحياناً بدون

به محمد رسول الله ... المشركون

(١) الدينار : الدينار الشرعي هو المتقال وهو يساوي ٢٤ قيراط وكل سبعة مثاقيل تزن عشرة

دراهم : محمود ادريس تاريخ العراق : ص ٢٢٥.

(2) Lane Pool. Arabic Coins. P170-173.

(٣) مايسه محمود : المسكوكات الفاطمية ص ٧٠ - ٧٤ .

(٤) نفس المصدر والصفحة .

هامش

محمد رسول الله أرسله ..المشركون وأحيانا

يدون تاريخ الضرب

وكان الطراز الثالث يختلف الظهر فيه من حيث عدد الأسطر فكان إما أربعة أسطر
غالباً وستة أسطر أحياناً .

الوجه

الظهر

مركز ١- على

الشكل الأول

٢- لا اله إلا الله

مركز ١- معد

٣- وحده لا شريك له

٢- الإمام أبو

٤- محمد رسول الله

٣- تميم المستنصر

٥- ولي الله

٤- بالله أمير المؤمنين

هامش

هامش

محمد رسول الله أرسله ... المشركون

بسم الله الرحمن الرحيم ضرب هذا الدينـ(أ)

ر ب ... سنة

الشكل الثاني : مركز ١- الإمام

٢- معد أبو تميم

٣- المستنصر بالله

٤- أمير المؤمنين

هامش : بسم الله الرحمن الرحيم ضرب هذا

الدينـ(أ) ر ب ... سنة ...

الشكل الثاني

مركز ١- مسعد

٢- عبيدالله ووليه

٣- الإمام أبو تميم

٤- المستنصر بالله

٥- تظهر أحياناً كلمة عال

هامش بسم الله الرحمن الرحيم ضرب هذا

الدينـ(أ) ر ب ... سنة ...

يمثل عهد الخليفة الفاطمي المستنصر بالله آخر العهود التي ضربت فيها السكة
الفاطمية داخل إقليم إفريقية حيث دب النزاع والخلاف ما بين المعز بن باديس حاكم إفريقية

والخليفة المستنصر بمصر مما أدى إلى قيام المعز ابن باديس بتغيير نمط السكة الفاطمية الشيعية إلى طراز السكة العباسية السنية وإبدال الدعوة عامه للفاطميين داخل إقليم إفريقية وذلك سنة ٤٤٠ هـ - ٤٤١ هـ - ١٠٦١ - ١٠٦٢ م^(١)

فأمر بحذف اسم المستنصر بالله من الخطبة وإقامتها على منابر المساجد بإفريقية وبرقة وطرابلس للخليفة العباسي القائم بأمر الله ٤٢٢ - ٤٦٧ هـ - ١٠٤٣ - ١٠٨٨ م طبقاً لرسوم الخلافة العباسية^(٢)

وكانت جميع النقود المتعامل بها داخل إفريقية في عهد المعز حتى ٤٣٨ هـ - ١٠٤٦ م - ١٠٤٧ م من الطراز الشيعي ويتم ضربها داخل دور الضرب سواء المنصورية أو المهدية وغيرهما من المدن وتحمل اسم الخليفة الفاطمي المستنصر بالله ومنذ عام ٤٣٩ هـ - ١٠٤٧ م - ١٠٤٨ م إلى ٤٤٠ هـ - ١٠٤٨ م - ١٠٤٩ م أصبحت الدنانير تحمل اسم مدينة صبرة بدلاً من المنصورية وبدء من ٤٤١ هـ - ١٠٤٩ م - ١٠٥٠ م حتى سنة ٤٤٩ هـ - ١٠٥٧ م - ١٠٥٨ م أصبحت الدنانير على الطراز السني وتميزت بحذف العبارات الشيعية وألقاب الخليفة الفاطمي وأثبتت بها الآية الكريمة "ومن يبتغ غير الإسلام ديناً فلن يقبل منه وهو في الآخرة من الخاسرين"^(٣) وفي سنة ٤٤٦ هـ - ١٠٥٤ م - ١٠٥٥ م وسنة ٤٤٧ هـ - ١٠٥٥ م - ١٠٥٦ م ضرب بالمهدية ديناران وكانت أغلب الدنانير تنقش عليها عبارة "ضرب في مدينة عز الإسلام القيروان"^(٤).

وأطلق على الدينار الذي ضرب في عهد المعز ابن باديس ٤٤١ هـ - ١٠٦٢ م اسم التجارى ونقش على الوجه الآية الكريمة "ومن يبتغ غير الإسلام ديناً فلن يقبل منه وهو في الآخرة من الخاسرين"^(٥) وعلى الظهر لا إله إلا الله محمد رسول الله^(٦) وقام بضرب عدد

(١) ابن عذارى : البيان ، ح ١ ، ص ٢٧٧ - ٢٧٨.

(٢) محمد محمود ادريس : تاريخ الدولة الفاطمية ، ص ١٣٢.

(٣) سورة آل : عمران آية ٨٥ .

(٤) الهادي إدريس : الدولة الصنهاجية ، ح ١ ص ٢٣٠ - ٢٣١.

(٥) سورة آل : عمران آية ٨٥ .

(٦) كان رسم دينار المعز بن باديس

الوجه الأول . حول دائره . باسم الله ضرب بمدينة المنصورية سنة ... وبوسطها : ومن يبتغ

غير الإسلام ديناً فلن يقبل منه .

الوجه الآخر : حول دائره : يا ايها النبي إنا أرسلناك شاهداً ومبشراً ونذيراً . وبوسطها : لا إله

إله الله وحده لا شريك له ، محمد رسول الله .

أحمد بن عامر : الدولة الصنهاجية ص ٣٢ .

كثيراً من هذه الدنانير فى نفس الوقت الذى أمر فيه أن يتم جمع جميع النقود الموجود عليها أسماء الخلفاء الفاطميين داخل إفريقية وأمر بسبكها وبث هذا الأمر إلى الناس وإلى سائر عماله ، وكان ذلك فى شهر شعبان ، ويبدو أن الناس لم يأخذوا الأمر بجديه فكانوا لا يزالون يتعاملون بالنقود الفاطمية فما كان منه إلا أن شدد العقوبة فى شهر شوال وأمر منادياً أن يعلم الناس بذلك وإن من تصرف بسكة الفاطميين سوف تناله عقوبة شديدة ، فأدى ذلك إلى غلاء الأسعار وضاق الحال بالفقراء ووضعت قواعد جديدة للصرف فكان الدينار الجديد " التجارى " يساوى أربعة دنانير قديمه بنسبه ١ : ٤ ودرهمين والدينار الجديد يساوى خمسة وثلاثون درهماً^(١) ولم يكتب اسمه على الدينار واستمر فى ضربه مدة حكمه^(٢) .

وهناك أنواع أخرى من النقود شاع استعمالها فى بعض مناطق إفريقية خاصة بالتأثرين أمثال أبى الفهم الخرساني^(٣) وأبى ركة بمدينة برقة حيث ضرب السكة باسمه وألقابه^(٤) والشاكر لله حيث ضرب نقوداً ذهبية وفضية مغايرة للسكة الفاطمية وتتسبب إلى التقاليد السنية فكان الدينار الذى قام بضربه منقوشاً عليه كتابه دائرية بسم الله ضرب هذا الدينار سنة ستة وثلاثين وثلثمائة

الوجه الأول الإمام - محمد - رسول الله - الشاكر لله
كما نقش على الدينار أيضاً لقب أمير المؤمنين
الوجه : عبيدالله - لا إله إلا - الله وحدة لا شريك له - أمير المؤمنين (فراغ غامض)

الوجه الآخر : الإمام - محمد رسول الله - الشاكر لله
بسم الله ضرب هذا الدينار سنة خمس وأربعين وثلثمائة^(٥)
ومن سكة التأثرين أيضاً تلك التى قام بضربها أبى يزيد مخلد بن كيداد^(٦)

-
- (١) ابن عذارى : البيان - ١ ص ٢٧٨ - ٢٧٩ .
(٢) احمد ابن عامر : الدولة الصنهاجية ص ٣٢ .
(٣) نفس المرجع ، ص ٢٤١ .
(٤) ابن الجوزى : المنتظم - ٧ ص ٢٣٣ ، محمود ادريس تاريخ الدولة الفاطمية ص ١٣٢ .
(٥) محمود اسماعيل : الخوارج حاشية رقم ١٠١ ص ٢٢٤ .
(٦) أبو يزيد : هو أبو يزيد مخلد ابن كيداد ولد بالسودان وكان أبوه تاجراً من أهالى قسطليله ونشأ أبو يزيد بمدينة توزر وتعلم القرآن ومال إلى مذهب الخوارج النكارية الصفرية وصار منهم ، ذهب إلى مدينة تاهرت واقام بها واخذ فى تعليم الصبيان بها ثم انتقل منها إلى مدينة تقيوس كمعلم أيضاً ثم أخذ يحتسب على الناس أعمالهم وأمر بتغيير المنكر فكثرت لذلك اتباعه ، تلقب

فى الوجه: ربنا الله - لاحكم إلا الله - وحده لا شريك له - الحق المبين
فى الدائرة بسم الله الرحمن الرحيم - ضرب هذا الدينار بالقيروان سنة ثلاث
وثلاثين وثلاثمائة

الظهر :

الوجه الآخر العزة لله - محمد رسول الله - خاتم النبيين
الدائرة الأولى الذين آمنوا به وعزروه ونصروه واتبعوا النور الذى أنزل معه أولئك
هم المفلحون (١) .

الدائرة الثانية : محمد رسول الله - أرسله بالهدى ودين الحق ليظهره على الدين
كله (٢) .

بلقب شيخ المؤمنين بجيل الاوراس وأخذ يدعوا للناصر صاحب الاندلس ، أخذ يستولى على
مدن إفريقية فى أثناء الثورة التى قام بها فى عهد الخليفة الفاطمى القائم بأمر الله وارتكب فيها
اشياء كثيرة محرمه لا يقرها الدين الإسلامى كقتل النساء والاطفال ، وقيل أنه قتل فى جامع
مدينة سوسة فى يوم واحد ثلاثين الفا من أهلها ، قام باحتلال مدينة القيروان ٣٣٣هـ وضرب
فيها السكة التى تنسب إليه وأمن أهلها ، واستطاع هزيمة الجيوش الفاطمية تباعا واخذ فى
احتلال المدن الواحدة تلو الاخرى حتى استطاع الوصول إلى مدينة المهدية عاصمة الخلافة
وضرب عليها الحصار حتى أكل أهلها الدواب والميتة ، ومات الخليفة الفاطمى القائم بأمر الله
وأبو يزيد محاصرا لمدينة سوسة ثم تولى بعده ابنه المنصور وكانت الحرب بينهما سجالا حتى
استطاع المنصور سنة ٣٣٥ هـ هزيمة أبو يزيد فتحصن أبو يزيد وقلوب جيشه بجبال كتامه
وعجيسه ولقى هزيمة نكراء وأسلم عسكره وأولاده ومات من اثر جرح الم به سنة
٣٣٦هـ/٩٤٨م ، وصلب وسلخ جلده ووضع بأحد الاقفاص مع قردين حتى نسفته الرياح ثم
قاد الحرب بعده ابنه فضل الذى قتل على يد والى مدينة باغايه باحيطيط الذى قام بارسال رأسه
إلى الخليفة المنصور وهكذا تم القضاء على ثورة أبى يزيد التى كادت أن تنهى حكم الفاطميين
فى إفريقية ونقضى على خلافتهم انظر جونر : سيرة جونر ص ٤٨ - ٥١ : الدرجينى طبقات
المشائخ ح ١ ص ٩٦ - ١٠٤ ابن عذارى : البيان ح ١ ص ٢١٦ . أبى الفدا : المختصر
ص ٩٢-٩٣ ، ابن خلدون : العبر ح ٤ ص ٤٠-٤٥ . ابن أبى دينار المؤنس ص ٥٤ -
٥٩ ابن أبى الضياف : اتحاف أهل الزمان ص ١٢٤ - ١٢٥ . محمد محمود ادريس تاريخ
الدولة الفاطمية ص ٢٦ - ٢٧ ، محمد اليعلاوى شعراء افريقيون : حوليات الجامعة التونسية
عدد ١٧ سنة ٣١٧٩ ص ٤٩ ، ٥٥ ، ص ٧٠ .

(١) سورة المائدة :آية رقم ١٥٧ .

(٢) ليس نظم آية كما يظهر للبعض

أما الفلوس : فتطلق على أسماء قطع النقود الصغيرة ، التي يتم اللجوء إليها في حالة بيع وشراء الأشياء زهيدة الثمن . والتي تقل قيمتها عن الدينار ، والدرهم ، ولا يرجع تاريخ تلك العملة إلى تلك الفترة من العصور الوسطى ، بل هي قديمة ، لكنها لم تطلق عليها اسم السكة أو النقد ، إذ لم تكن قيمتها ترقى أبداً في أى عصر من العصور لتقف في صف الدينار أو الدرهم ، خاصة لدى الدول ذات المكانة والقوة السياسية والاقتصادية (١) .

وكانت الفلوس تتدرج على أساس القاعدة السداسية ، فكان الدرهم يساوى ستة دنانق ، والدانق يساوى اثني عشر قيراطاً ، والقيراط يساوى أربعة وعشرين طسوجاً ، والطسوج يساوى ثمانية وأربعين حبة (٢) .

وكانت الفلوس تصنع من النحاس الأحمر ويتم سكها بالسكة السلطانية فكان يكتب على أحد وجهيها اسم السلطان ولقبه ، ونسبه وعلى الوجه الآخر اسم البلد الذي ضربت به ، وتاريخ وسنة الضرب (٣) ولقوة الاقتصاد الفاطمي في إفريقية ، لم يلجأ الفاطميون ، والزيريون ، إلى ضرب تلك العملات الصغيرة المساعدة على نطاق واسع ، وذلك خوفاً منهم من قيام تلك العملات الصغيرة بطرد العملات الأقوى ، كالدينار والدرهم من التعامل داخل الأسواق (٤) .

واستعملت العملات الفضية المكسرة. (٥) في المعاملات التجارية اليسيرة رغم أنها كانت تواجه الاعتراض من جانب المتعاملين. (٦) الذين اعتبروها كأنها غير قانونية. (٧)

(١) الكرملى : النقود العربية ، ص ٧٤ .

(٢) آدم مترز : الحضارة الإسلامية ، جـ ٢ ، ص ٣١٩ .

(٣) ابن مماتى : قوانين الدواوين ، ص ٤٦٤ .

(٤) مايسه محمود : المسكوكات الفاطمية ، ص ٢٠ .

(٥) تعتبر التجارة السبب الأول في ظهور تلك العملات التي يتم اللجوء إليها في حالة دفع الثمن عن طريق وزن العملة ، وليس عدداً ، فكانت العملات أو القطع المكسرة تمثل تكملة للوزن ، وأيضاً يتم اللجوء إليها عندما يكون الشيء المباع من السلع زهيداً تافه القيمة ولا تساوى إلا ربع أو نصف درهم ، ولم تكن العملات المكسرة شائعة الاستعمال في إفريقية فقط بل في شرق العالم الإسلامى أيضاً أنظر ف . هايد : تاريخ التجارة في الشرق الأدنى في العصور الوسطى ط ترجمة : محمد رضا : الهيئة المصرية العامة لكتاب : ١٩٨٥ ، ص ٧٧ . واختلف الفقهاء في كراهية كسر النقود . فقد اعتبر الامام مالك وأكثر فقهاء المدينة أن كسر السكة مكروه ، وهو من جملة الفساد في الأرض وينكر على من يفعل ذلك ، فقد روى عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه نهى عن كسر سكة المسلمين . وكان عبد الملك بن مروان قد قطع يد رجل قام بقطع درهم من دراهم فارس ،

واستعملت تلك العملات كنققات للمنازل التي لا غنى عنها في الحياة اليومية ، حيث كان العدد القليل من تلك العملات يكفي نفقات أى منزل خاصة مع رخص الأسعار .^(١) وبدأت دور الضرب تتوسع في إصدار الفلوس بداية من حكم الخليفة الفاطمي الحاكم بأمر الله (٣٨٦-٤١١هـ-٩٩٨-١٠٢٣م) وذلك لمواجهة الزيادة التي طرأت على التعاملات التجارية البسيطة :مثل أجور العمال وأثمان بعض الأقمشة التي كانت تقدر بأجزاء من الدرهم^(٢) أو بالقراريط^(٣) التي تقدر بالفلوس^(٤) .

وعاقب إيان بن عثمان على قطع الدراهم بالضرب ثلاثين سوطاً والطواف بفاعله أمام أبو حنيفة وفقهاء العراق فقد ذهبوا إلى عدم كراهة كسر النقود . وقال الشافعي إن كسر السكة لحاجة غير مكروه أما كسرها لغير حاجة فمكروه لأن إدخال النقص على المال من نجد حاجة سفة . أما بن حنبل فكره أن تكسر السكة الموجود عليها اسم الله عز وجل ، وإن لم يكن عليها اسم الله عز وجل فغير مكروه . كما كان بعض القضاة مثل محمد بن عبدالله الانصاري قاضى البصرة ينهى عن كسر السكة لتعاد تبرأ على حالها مرصده للنفقة وكره البعض أيضاً كسرها لكي يتخذ منها أوانى وخزف . كما نهى عن أخذ اطرافها لأن ذلك يعد بخساً وتطيفاً . وكان ابن مسعود يكسر الزيوف وهو على بيت المال ، كما روى المروذى بإسناده عن علقمه بن عبدالله عن أبيه : " أن النبي صلى الله عليه وسلم نهى عن كسر سكة المسلمين الجائزة بينهم إلا من بأس " وقيل البأس إذا كانت رديئة . وقيل أيضاً أن قوم شعيب عليه السلام عزبوا في قطعهم للدراهم . وكان عليه السلام قد نهاهم عن حزف الدراهم ، أو قطع الدراهم . وهذا مصداقاً لقوله تعالى " أو أن نفعل في أموالنا ما نشاء " سورة هود الآية ٨٧ . الماوردى : الأحكام السلطانية ، ص ١٦٠ . أبى يعلى : الأحكام السلطانية ، ص ٢٠٣-٢٠٥ .

- (١) آدم مئز : الحضارة الإسلامية ، ج٢ ، ص ٣١٩ .
- (٢) عبد المنعم ماجد : نظم الفاطميين ، ج١ ، ص ١٢٧ .
- (٣) الكرملى : النقود العربية : ص ٧٦ ، محمد أمين صالح : النظم الاقتصادية ، ص ٢٩٠ .
- (٤) كان عبد الملك بن مروان أول من قام بضرب النقود الإسلامية مثل الدينار والدرهم ويعتبر الوزن الشرعى للدرهم أن كل عشرة دراهم = ٧ دنانير من قبل الدرهم الواحد يساوى خمسون حبه وخمساحبه من الشعير ومن الدرهم تركب الرطل والقدرح والصاع وما فوقه انظر الكرملى : النقود العربية ، ص ٣٩-٤٤ .
- (٥) يقال فيها القراط (أى بتشديد الراء) بكسرهما يختلف وزنه بحسب البلاد ، ويجمع على قراريط ووزنه عند الجوهريين : نصف دانق أى أربع حبات والكلمة تعريب اليونانية Keration الكرملى : النقود العربية ، ص ٣٣ .
- (٦) مایسة محمود : المسكوكات الفاطمية ، ص ٤٩-٥٠ .

ويفضل العناية الكبيرة التي لاقتها السكة في عهد الفاطميين فقد تبوأَت مكانة عالية مرموقة بين مثيلاتها من العملات الأخرى ، إن لم تكن فاقها حيث احتفظت السكة الفاطمية بقوتها منذ بداية ضربها حتى القرن الحادى عشر الميلادى فى حوض البحر المتوسط (١) .

ولم يكتف الفاطميون بضرب سكتهم العادية فقاموا بضرب عملات نقدية فى المناسبات العامة والأعياد الشهيرة مثل خميس (٢) العدس فضربت فيه الخرايب وهى دراهم خفاف مدورة تساوى ٨/١ العملة العادية ، كما كان يتم ضرب عملات نقدية فى أول العام تسمى الغرة وهى من الدنانير والدرهم المدورة أيضاً (٣) .

وهى ما يطلق عليها العملات التذكارية ، كما تم ضرب عملات نحاسية لم يكن يشترط ذكر اسم الخليفة عليها ، إذ ترك السلاطين حرية التصرف فيها وكانت تضرب على أساس أنها نقود مساعده ، لتسهيل التعامل التجارى (٤) .

الصكوك:

وشاع بجانب النقود وسائل للتعامل التجارى تسمى الحوالات المالية ، مثل الصكوك (٥) وهو فى الأصل سند الدين فكان الشخص إذا قام بشراء عقاراً أو ضيعة مثلاً كتب صكاً بها (٦) ولم يكن الصك قاصراً على اسم شخص واحد فقط بل كان يمكن أن يضم فى بعض الأحيان أكثر من شخص وفى هذه الحالة يتم كتابة أعداد الأشخاص وأسمائهم وأمام كل منهم المبلغ الذى يستحقه ثم يقوم الخليفة - السلطان - باعتماد هذا الصك عن طريق التوقيع أسفل

(١) ارشيبالد لويس : القوى البحرية ، ٢٥٥-٢٥٦ .

(٢) خميس العهد : يسميه العامة من أهل مصر خميس العدس ، وهو عيد للنصارى بمصر قبل عيد الفصح بثلاثة أيام . وهم يتبادلون الهدايا فيه . وكان من رسوم الخلافة الفاطمية فى هذا العيد ضرب خمسمائة دينار ذهباً عشرة آلاف خروبه وتقوم بتفريقها على جميع أرباب الرسوم . المقرئى : الخطط ، جـ ٢ ، ص ٣٩٢ .

(٣) المقرئى : الخطط ، جـ ٢ ، ص ٣٢١ ، عبد المنعم ماجد : نظم الفاطميين جـ ١ ، ص ١٢٨-١٢٩ .

(٤) محمد محمود إدريس : تاريخ العراق ، ص ٢٢٥ .

(٥) الصك : يعنى الكتاب وهى كلمة فارسية ، معربة واصله جك ، وجمعه صكوك ، وأصلاً وصكاكاً . وقديماً كان الأمراء يعطون الناس تلك الصكوك بدلاً من النقود . وكان يتم بيعها من أجل الحصول على المال العاجل وهو من الأمور المنهى عنها لأنه بيع مالم يقبض ابن منظور

: لسان العرب جـ ١٢ ، ص ٣٤٤ ، الرازى : مختار الصحاح ، ص ٣٦٧ .

(٦) آدم متز : الحضارة الإسلامية ، جـ ٢ ، ص ٣٧٩ .

الصك حتى يتم دفع الرواتب والأرزاق. ^(١) وشاع استخدام هذه الصكوك في إقليم إفريقية خلال الحكم الفاطمي وبنى زيري حيث لجأ إليها التجار أثناء قيامهم بإتمام عملياتهم التجارية التي كانت بمبالغ كبيرة ^(٢).

وكان لبلوغ التجارة الإسلامية عامه في ذلك الوقت درجة عظيمة من القوة حيث احتلت المكانة الأولى عالمياً ^(٣) كما تبوأ إفريقية في ذلك العصر مكانة تجارية مميزة وصار لها الصدارة في الحوض الغربي البحر المتوسط نتيجة للتقدم الحضاري لها في جانب الزراعة والصناعة وكان تجارها هم سادة البحر المتوسط يقومون بعقد الصفقات التجارية الضخمة ورغبة منهم في مواكبة هذا التطور في المعاملات المالية إلى جانب رغبتهم في إيجاد وسيلة للدفع أكثر أمناً وعاقبه من النقود وتكون مقبولة من باقي التجار وليست في حاجة إلى بذل مجهود لحملها أو حراستها، سهولة الإخفاء من اللصوص وقطاع الطرق لجأ التجار في إفريقية إلى استخدام تلك الحوالات ^(٤).

ولم يقتصر الأمر في استخدام الصكوك على الخلفاء أو الأمراء بل شاعت أيضاً بين الأفراد فكان الشخص الذي يريد شراء سلعة ما أيا كانت قيمتها في قدرته شرائها دون أن يكون مضطراً لدفع قيمتها نقداً في نفس اللحظة بل كان عليه إرسال الصك باسم السلعة وثمنها مع توقيع الصك فيقوم التاجر بالاحتفاظ بهذا الصك كوثيقة لديه وبعث السلعة إلى من يريدتها ثم يأخذ منه بعد ذلك قيمتها نقداً مما أدى إلى تيسير التعامل بين جميع الأفراد والتجار والحكومة. ^(٥) والصك بهذه الحالة يشبه الشيك في الوقت الحالي ويشبه أيضاً ما يطلق عليه الفيزا كارد.

(١) محمد محمود إدريس : تاريخ العراق ، ص ٢٢٧ .

(٢) ابن حوقل : صورة الأرض ، ص ٩٦-٩٧ .

(٣) آدم مئز : الحضارة الإسلامية ، ج ٢ ، ص ٣١٢ .

(٤) نفس المرجع : ج ٢ ، ص ٣١٩ . حواله : كلمة عربية ، وهي اصطلاح في الفقه الإسلامي

معناه تحويل دين من شخص إلى آخر . والحوالة اتفاق يتخلص بمقتضاه مدين من دينه بحلول

آخر محلة فيه ، وهكذا أخذت كلمة " حواله " تدل على الوثيقة التي يتم بها تحويل الدين ، ثم

أخذت بعد ذلك معنى الصك (الشيك) أو الاذن بالدفع لمصرف عام. انظر أ . ديتريش

A.Dietrich دائرة المعارف الإسلامية ، مادة حواله ج ١٦ ، ص ١٢٤ .

(٥) محمد محمود إدريس : تاريخ العراق ، ص ٢٢٧ .

السفاتج :

ومن وسائل التعامل التجارى الأخرى السفاتج وهى إحدى النتائج التى تمخضت عن زيادة النشاط التجارى وزيادة المعاملات وهى رقاع يقوم بكتابتها الجهابذة أو الصرافون بقيمة المبالغ التى يأخذونها منهم وهى قابلة للصرف فى أى بلد من عملاتهم^(١) وكان للجهابذة فى ذلك الوقت شأن كبير فى التعامل بالسفاتج والصكوك^(٢) وشاع استخدام هذه الوسائل فى مناطق عدة من العالم فى ذلك الوقت من العصور الوسطى^(٣).

ولم تكن السفتجة قابلة للصرف إذا كتب على ظهرها كلمة راجعة.^(٤) وكما نشأت الصكوك والسفاتج نتيجة لازدياد النشاط التجارى والمعاملات نشأ أيضاً عن استخدام تلك الوسائل ظهور الصرافين والجهابذة الذين لم يكن لهم عمل غير المال واستطاعوا كسب ثقة الناس وقاموا مقام البنوك وكان لكل جهبذ صكوكه الخاصة به التى تحمل شارته وكانوا يقومون بعلميات التسليف وقبول الحوالات والصكوك لقاء عمولة محددة تبلغ درهم عن كل دينار كما كان الصيارفة يأخذون الذهب والفضة من الناس ويعطونهم بدلا منها نقوداً تعادل تلك القيمة أى أنهم قاموا بدور الوسيط بين الناس ودور الضرب فى سبيل الاستفادة من الفرق بين المتعاملين ، وهكذا كان تعدد الوسائل المالية والتجارية من أهم وسائل تيسير التعامل بين طوائف الدولة المختلفة وراجت بفضلها الأعمال التجارية والمالية بين أقطار العالم الإسلامى من جهة وبين مراكز التجارة فى إفريقيا من ناحية أخرى^(٥) وكانت أسعار الفائدة على صرف الحوالات والشيكات فى العالم الإسلامى بقيمة ١٠٪ وكان لرجال المال اليهود دور هام فى عمليات الصرافة فى ذلك الوقت وكان كبار رجال الحركة المصرفية إما من أهل فارس أو من أهل البصرة وقد انتشروا فى كل مركز من مراكز التجارة.^(٦) وكان للصرافين بإفريقية مكانة هامة داخل الأسواق فمكانهم معروفا للجميع داخل السوق ففى مدينة

(١) محمد محمود إدريس : تاريخ العراق ، ص ٢٢٧ .

(٢) متر : الحضارة الإسلامية ، ج ٢ ، ص ٣٨٠ .

(٣) ناصر خسرو : سفرنامه ، ص ١٣٥ : متر الحضارة الإسلامية : ج ٢ ، ص ٣٧٩ ، أحمد أمين : ظهر الإسلام ، ج ٢ الطبعة الرابعة : مكتبة النهضة المصرية ١٩٦٦م ، ص ٢٤١ .

(٤) التتوخى : الفرج بعد الشدة ، ج ٣ حاشيه ٥ ، ١٨٦ .

(٥) محمد محمود إدريس : تاريخ العراق ، ص ٢٢٨- ٢٢٩ .

(٦) متر : الحضارة الإسلامية ج ٢ ، ص ٢٦٣ .

القيروان كان سوقهم بجوار المسجد الجامع لها ويفتح عليه أحد أبواب المسجد الذي سمي بباب الصرافين (١) .

نظم المعاملات التجارية :

تمثل الموازين والمكاييل بالإضافة إلى المئاقيل والدراهم أصول المعاملات والمبيعات داخل الأسواق ، وهي تختلف من إقليم إلى آخر . (٢) ولقد مثل الرطل بالنسبة للموازين الوحدة الأساسية للأوزان المستعملة داخل إقليم إفريقية خلال عصرى الفاطميين وبنى زيرى وكانت بغدادية . (٣) فى كل الإقليم إلا ما يوزن به الفلفل الذى يشف على البغدادى بعشره دراهم وهو الغالب فى إقليم إفريقية كله (٤) .

ولقد تباين الرطل فى إفريقية من مدينة إلى أخرى ففي مدينة تنس كان رطل اللحم بها يبلغ سبع وستون أوقية ورطل سائر الأشياء اثنتان وعشرون أوقية (٥) كما استخدم نوع من الأبطال وهو الأفريقى فى وزن اللحوم (٦) وكان الرطل بمدينة ارشقول اثنتان وعشرون أوقية (٧) .

ولقد أبدى الخلفاء الفاطميون اهتماما كبيرا بالعناية بالموازين داخل الأسواق فكانت الأبطال تتخذ من الرصاص ويتم وضع اسم الخليفة الحاكم على كل رطل منها كعلامة مميزة لها وإعطائها صفة الشرعية لاستخدامها داخل السوق . وكلما مر الزمن على تلك الأبطال وظهرت عليها علامات الاستهلاك والنقص تمت لها إعادة صب مره أخرى كالمرة الأولى حتى وإن كانت أكثر من رطل (٨) .

ولا يتم اتخاذ تلك الأبطال من الحجارة لتعرضها للتلف بصورة أسرع من الحديد والرصاص ، أما إن لم يجد البائع غير الحجارة لضيق ذات اليد كان يتم تجليد الأبطال بأحد المعادن حتى يتم الحفاظ عليها ولا يعرضها للتلف أو النقص وتختتم بخاتم المحتسب ليحق

(١) المقدسى : أحسن التقاسيم ، ص ٢٣١ .

(٢) الشيزرى : نهاية الرتبة ، ص ١٥ ، عطية القوصى : الحضارة الإسلامية ، ص ١٢٦ .

(٣) يساوى الرطل البغدادى ، ٤٠٨ جرام ، محمد أمين صالح ، النظم الاقتصادية ، ص ٢٨٠ .

(٤) المقدسى : أحسن التقاسيم ، ص ٢٤٠ .

(٥) البكرى : المغرب ، ص ٦٢ .

(٦) القلقشندى : صبح الأعشى ، ج ٥ ، ص ١١٥ .

(٧) البكرى : المغرب ، ص ٧٨ .

(٨) المقدسى : أحسن التقاسيم ، ص ٢٤٠ .

لصاحبها استخدامها في الأوزان .^(١) وعلى المحتسب أن يتفقدتها من آن لآخر للتأكد من سلامتها^(٢) .

أما أسواق القيروان فكان رطل اللحم والتين وسائر المأكولات فيها يساوي عشرة أرطال فلفليه .^(٣) وكانت المعاملات داخل أسواق بجاية وتونس يقار بان بعضهما البعض .^(٤) فكان رطل مدينة تونس يساوي اثنتا عشرة أوقيه^(٥) أما رطل مدينة تلمسان فكان يزيد بمقدار عشرة أوقيات^(٦) عن رطل تونس حيث ساوى رطل تلمسان اثنتان وعشرون أوقيه^(٧) وكان رطل اللحم بمدينة تيهرت يساوي خمسة أرطال^(٨) .

المكاييل :

استخدم إقليم إفريقية المكاييل المختلفة كغيره من الأقاليم الإسلامية والتي اتخذت الأسماء التي كانت سائدة في زمن النبي صلى الله عليه وسلم بالإضافة إلى مقاديرها أيضا عملا بقول النبي صلى الله عليه وسلم "المكيال مكيال أهل المدينة والوزن وزن أهل مكة"^(٩) .

واختلفت أسماء المكاييل داخل أسواق إفريقية ففي القيروان وما جاورها من مدن وقرى كان القفيز^(١٠) هو وخده الكيل الأساسية وهو يساوي ثمانى^(١١) وبيات والويبة تساوي أربعة

-
- (١) الشيزرى : نهاية الرتبة ، ص ١٩ .
- (٢) أبو يعلى : الأحكام السلطانية ، ص ٣٣٧ . الرطل : هو الذى يوزن أو يكال به ويزن مائه درهم أو يساوى اثنتا عشره أوقيه ، ومنه المراطله وهو بيع الذهب بالذهب والورق بالورق انظر المطرزي : كتاب المغرب ، ص ١٩٠ ، عطية القوصى : الحضارة الإسلامية ، ص ١٢٧ .
- (٣) البكرى : المغرب ، ص ٢٧ .
- (٤) القلقشندي : صبح الأعشى ، ج ٥ ، ص ١١٥ .
- (٥) المقدسى : احسن التقاسيم ، ص ٢٤٠ .
- (٦) كلمة يونانية وهى تختلف فى وزنها بين منطقة وأخرى ، عطية القوصى : الحضارة الإسلامية ، ص ١٢٧ .
- (٧) البكرى : المغرب ، ص ٧٨ .
- (٨) نفس المصدر ، ص ٦٩ .
- (٩) الطهطاوى : الدولة الإسلامية : ج ٢٤٨ ، محمد أمين : صالح النظم الاقتصادية ، ص ٢٧٩ .
- (١٠) مكيال يساوى ثمانيه مكاكيك وجمعه قفزان واقفزه ، الرازى : مختار الصحاح : مادة قفر ، ص ٥٤٦ .
- (١١) قيل يساوى ست عشرة وبيه : القلقشندي : صبح الأعشى ، ج ٥ ، ص ١١٤ .

أثمان والثمينة تساوى ستة أمداد ^(١) بمدا أو فى من مد النبى صلى الله عليه وسلم ومقدار تلك الزيادة فى القفيز كله اثنا عشر مداً فصار القفيز القروى ما بين مد وأربعة أمداد بمد النبى صلى الله عليه وسلم . ويستخدم القفيز فى معايرة الزيت وهو يساوى ثلاثة أرطال قلفليه ^(٢).

ومن المكايل الشائعة الاستخدام فى أسواق إفريقية "الربع" وهو وحده لكيل الزيت بمدينة صفاقس ^(٣) ومن المكايل التى وجدت بإفريقية على عهد الفاطميين الدوار وهى التى تشف على وية مصر بشيء يسير قد ألجم رأسها بعارضة من حديد وأقيم عمود من قاعها إلى العارضة ، فوقه حديد يدور على رأس الوية فإذا أترعها أدار الحديد فمسحت فم الوية وصح الكيل ^(٤) .

ومن المكايل أيضاً "المطر" وهو كيل يسع خمسة أقفزه من الزيت وكان يستخدمه أهل القيروان. ^(٥) وهناك كيل آخر يسمى "عموره" وهو يساوى ستون مدا بمد النبى صلى الله عليه وسلم وكان يستخدمه أهل مدينة أرشقول وهو نفس الكيل الذى كان يستخدم فى أسواق مدينة تلمسان. ^(٦) ويعتبر أصح الموازين وضعاً هو ما استوى جانباه واعتدلت كفتاه وكان تقب علاقته فى جانبى وسط القصبة فى ثلث سمكها فيكون تحت مرود العلاقة الثالث ومن فوقه الثلثان. ^(٧) ومن أنواع المكايل التى استخدمت بصفة أساسية فى أسواق إفريقية "الصفحة" ^(٨) وهى مكيال مدينة تنس وتساوى الصفحة ثمانية وأربعون قادوساً والقادوس يساوى ثلاثة أمداد بمد النبى صلى الله عليه وسلم ^(٩) ومن المكايل أيضاً "الوسق" وهو خمسة أقفزه ويعادل ستون صاعاً وهو فى الأصل ما يعادل حمل حمار ^(١٠) أو خمسة أساتير

(١) يساوى رطل وثلث ، وتختلف كميته وهو كلمة يونانية الاصل . الطهطاوى : الدولة الإسلامية ،

ص ٢٥٠ ، عطية القوصى : الحضارة الإسلامية ، ص ١٢٧ .

(٢) البكرى : المغرب ، ص ٢٦-٢٧ .

(٣) الحميرى : الروض ، ص ٣٦٦ .

(٤) المقدسى : أحسن التقاسيم ، ص ٢٤٠ .

(٥) البكرى : المغرب ، ص ٢٧ .

(٦) نفس المصدر ، ص ٧٨ .

(٧) الشيزرى : نهاية الرتبة ، ص ١٨ .

(٨) القلقشندي : صبح الاعشى ، ج ٥ ص ١١٤ .

(٩) البكرى : المغرب ، ص ٦٢ .

(١٠) عطية القوصى : الحضارة الإسلامية ، ص ١٢٨ .

وثالث (١) وتمت صناعة الصنّج من الزجاج المطبوع (٢) وزيادة في الاهتمام من جانب الخلفاء الفاطميين بالسوق وما جرى بها وما يستخدم فيها ولأهمية الموازين والمكاييل فى المعاملات فقد بادر الفاطميون بإنشاء داراً خاصة أطلقوا عليها اسم "دار العيار" مهمتها القيام بصنع الموازين والمكاييل والصنّج وإجازة ما يصلح منها ، وكانت تقع تحت إشراف المحتسب الذى يقوم بالذهاب إليها هو أو نائبه لمباشرة عملية العيار بنفسه ليحيز ما يجده صالحاً ويأمر بإعادة صنع ما فسد منها، وقامت هذه الدار بصنع أمثله للموازين والمكاييل والصنّج اتخذن إماماً وأمثلة يقاس عليها ما يتم عمله من الأوزان والصنّج والمكاييل التى يستخدمها الناس داخل السوق ، كما كان على باعة السوق الذهاب إلى تلك الدار بناءً على أمر المحتسب ليقوموا بعملية المعايرة لما معهم فيقوم المشرفون على هذه الدار بسحب ما فسد أو استهلك منها ، ويقوم الباعة بشراء غيرها من نفس الدار ، ثم قامت الدولة بعد ذلك بإضفاء نوع من التخفيف على الباعة فأصبح فى مقدورهم إصلاح ما فسد نظير دفع أجر على ذلك ، وخضعت هذه الدار خضوعاً تاماً للحكومة لذا نجد أنها تقوم بجميع أنواع الصرف عليها وعلى القائمين بها من توفير المعادن كالنحاس والحديد إلى جانب الزجاج والأخشاب وآلات التصنيع وأجور العمال والمشرفين (٣) وظلت هذه الدار بإفريقية فى عهد بنى زيرى وكانت تصنع بها نوعاً من الصنّج أحدهما فى شكل قطعة مدورة من الرصاص تزن رطلاً أى ١٦ أوقيه أو ٥٠٠ جرام تقريباً والنوع الثانى فى شكل قطعة مدورة من الزجاج مرسوم عليها مقالها : إما ثلاث جرامات وهو الوزن الرسمى للدرهم تقريباً وإما خمس جرامات وهو الوزن الرسمى للدينار تقريباً (٤) .

دور المحتسب فى ضبط العملة والأسواق :

قام المحتسب بدور كبير فى ضبط الموازين والمكاييل داخل الأسواق فى إقليم إفريقية فى عهد الفاطميين وبنى زيرى ، فالحسبة من الناحية الشرعية تدور حول الأمر بالمعروف

(١) المعدانى : كتاب المغرب ، ص ٤٨٤ : الطهطاوى : الدولة الإسلامية ، ص ٢٥٠ .

(٢) المقدسى : أحسن التقاسيم ، ص ٢٢٨ .

(٣) ابن ممتى : قوانين الدواوين ، ص ٣٣٣-٣٣٤ ، القلقشندى : صبح الأعشى جـ ٢ ، ص ٢٤٣ .

، مصطفى مشرفه : نظم الحكم بمصر ، ص ٣٢٠-٣٢١ .

(٤) أحمد ابن عامر : الدول الصنهاجية ، ص ٧٠ .

إذا ظهر تركه بين الناس والنهي عن المنكر إذا ظهر فعله بينهم^(١) مما ليس من خصائص الولاية والقضاة وأهل الديوان ونحوهم^(٢) كما تقوم بعلمية الإصلاح بين الناس^(٣) وإذا نظرنا إلى موقع الحسبة بين الوظائف الدينية الأخرى نجد أنها تمثل الواسطة بين وظيفتي القضاء والمظالم^(٤) فالحسبة تتفق مع القضاء في وجهين هما :-

أ- جواز الاستعداد على المستعدى عليه في حقوق الأدميين وذلك في ثلاثة أنواع فقط من الدعاوى هي ما يتعلق بعمليات البخس أو التطفيف في الكيل والميزان^(٥) أو ما يتعلق بعمليات الغش والتدليس في الأشياء المباعة أو أثمانها^(٦) أو ما يتعلق بتأخير الديون وعدم دفع المدينين لما عليهم من ديون لمستحقيها مع قدرتهم على ذلك^(٧) وجاز للمحتسب النظر في تلك الدعاوى لتعلقها بمعروف بين مندوب لإقامته وتعلقها بمنكر ظاهر مندوب لإزالته .

ب- إلزام المدعى عليه الخروج من الحق الذي عليه وذلك في الحقوق التي يجوز فيها للمحتسب سماع الدعوى إذا وجبت باعتراف مع القدرة وذلك لكون تأخيرها من المنكرات التي يختص بإزالتها . كما تختلف الحسبة والقضاء في أمرين هما :-

(١) الماوردي : الأحكام السلطانية ، ص ٢٤٧ . أبى عبدالله محمد بن أبى بكر الزرعى الدمشقي ابن قيم الجوزية : الطرق الحكمية في السياسة الشرعية أو الفراسة المرضية في أحكام السياسة الشرعية : تحقيق محمد حامد الفقى : دار الكتب العلمية بيروت ، ص ٢٣٧ . النويرى : نهاية الأرب في فنون الأدب ، ج٧ ، ص ٢٩١

(٢) تقى الدين ابن تيميه : الحسبة في الإسلام : تحقيق محمد زهرى النجار : منشورات المؤسسة السعيدية بالرياض لصاحبها فهد بن عبدالعزيز السعيد ، ١٩٧٤ ، ص ٢٦ .

(٣) الشيزرى : نهاية الرتبة ، ص ٦ .

(٤) النويرى : نهاية الأرب ، ج٦ ، ص ٢٩١ .

(٥) "ويل للمطففين الذين إذا اكتالوا على الناس يستوفون وإذا كالوهم أو وزنوهم يخسرون" قرآن كريم سورة المطففين آيه رقم ١-٢ وقال تعالى . "أوفوا الكيل ولا تكونوا من الخسرين . وزنوا بالقسطاس المستقيم" سورة الشعراء ١٨١-١٨٢ .

(٦) قال تعالى "ولا تبخسوا الناس أشياءهم" سورة الشعراء آية ١٨٣ .

(٧) قال تعالى "أن الله يأمركم أن تؤنوا الأمانات إلى أهلها . سورة النساء آيه ٤" ولا تخونوا الله وتكونوا آماناتكم . سورة الانفال آيه ٨ "والذين هم لأماناتهم وعهدهم راعون . سورة المؤمنون آيه ٢٣ ، سورة المعارج آيه ٧ .

أ- قصورها عن سماع عموم الدعاوى الخارجية عن ظواهر المنكرات كدعاوى العقود والمعاملات إلا أن يرد للمحتسب نص صريح بذلك وهنا يكون قد جمع بين وظيفتي القضاء والحسبة .

ب- أن الحسبة مقصورة على الحقوق المعترف بها فأما ما يدخله التجاحد والتناكر فلا يجوز له النظر فيها فلا يجوز للمحتسب سماع البينة على إثبات الحقوق أو أن يقوم بتحليف الشخص لنفى الحق . وهناك أمران تزيد فيهما الحسبة عن القضاء هما :-

أ- يجوز للمحتسب التأكد (التصفح) مما يأمر به من المعروف وما ينهى عنه من منكر حتى وإن لم يحضر أحد للاستعداد ب- أن للمحتسب استخدام كل ما من شأنه أن يؤدي إلى إتقان عمله من قوة السلطة والغلظة وذلك فيما يتعلق بالأمور المنكرة ^(١) فالحسبة إذا خادمه لمنصب القضاء ^(٢) . وهى أيضا واسطة بين أحكام القضاء وأحكام المظالم ^(٣) .

أما ما يتعلق بالاتفاق والاختلاف فيما بين الحسبة والمظالم فهما يتفقان فى أمرين هما أن الحسبة والمظالم موضوعها مستقر على الرهبة المختصة بسلطة السلطنة وقوة الصرامة كما يتفقان فى جواز التعرض فيهما لأسباب التصالح والتطلع إلى إنكار العدوان الظاهر . إلا أنهما يختلفان فى أمرين هما أن ولاية المظالم أعلى رتبة من الحسبة ويجوز لوالى المظالم أن يوقع إلى والى الحسبة والقاضى أيضاً ، ولا يجوز ذلك للمحتسب ، وأن النظر فى الحسبة موضوع لما رفه عنه القضاة ، أما النظر فى المظالم فهو موضوع لما عجز عنه القضاة ثانياً أنه يجوز لوالى المظالم أن يحكم ولا يجوز ذلك لوالى الحسبة ^(٤) ويمكن القول أن الفرق بين واجبات المحتسب وواجبات القاضى ورئيس الشرطة (المظالم) لم يكن محدداً تحديداً دقيقاً والفارق بينها فى بعض الأمور لا يرتبط بطبيعتها الجوهرية بمقدار ما يرتبط

(١) أبو يعلى : الأحكام السلطانية ، ص ٣٢٢-٣٢٣ ، النويرى : نهاية الأرب ، ج ٦ ، ص ٢٩٣-٢٩٥ .

(٢) ابن خلدون المقدمة ، ص ١٥٨ ، بزمى انصارى ، دائرة المعارف : مادة حسبه ، ص ١٤ ، ص ٢٨٧ .

(٣) ابن خلدون : المقدمة ، ص ٣٢٢ .

(٤) الماوردى : الأحكام السلطانية ، ص ٢٤٩-٢٥٠ ، النويرى : نهاية الأرب ، ج ٦ ، ص ٢٩٥ .

بالأسلوب الذى يمارسونه ^(١) فكثير من الأمور الدينية تكون مشتركة بين ولاية الأمر فمن قام منهم بأداء ما أشار إليه الدين وجب على الناس طاعته ^(٢) .

وكما اهتم الفقهاء بتعريف الحسبة اهتم اللغويون بتعريفها أيضاً فقل إن الحسبة من مصدر احتسابك الأجر على الله تعالى ، وهى اسم من الاحتساب كالعدة من الاعتداد ، والاحتساب هو طلب الأجر، ويكون فى الأعمال الصالحة وعند المكروهات ، وهو يعنى البدار أو الإسراع إلى طلب الأجر وتحصيله ، كما تعنى التجسس والإنكار ^(٣) ولها معان أخرى مثل الانتقام والرضى والانتهاى وحسن التدبير والكفاية ^(٤) واختلفت الآراء حول أول من أحدث الحسبة ، فالبعض يرجعها إلى عهد النبى صلى الله عليه وسلم وإلى الخلفاء الراشدين استناداً إلى ما جاء فى القرآن ^(٥) والسنة النبوية وأن الرسول صلى الله عليه وسلم جعل للسوق شخص قائم به ^(٦) ومن بعده الخلفاء الراشدين . وهناك البعض الذين يشيرون إلى أن الحسبة كاصطلاح لم توجد فى عهد الرسول (ص) ولا الخلفاء الراشدين من بعده، بل كانت أعمالها فقط أما الحسبة كاصطلاح إدارى فقد وجدت بعد ذلك فى أواخر الدولة الأموية أثناء خلافة هشام بن عبد الملك (١٠٥-١٢٥هـ - ٧٢٤-٧٤٣م) بالتحديد ^(٧) ثم تلاهم الخلفاء العباسيون فى تعيين المحتسب بالأسواق فكان هناك محتسب مختص بالزنادقة وكان

-
- (١) بزمى انصارى : دائرة المعارف الإسلامية : مادة حسبه ، ج ١٤ ، ص ٢٨٤-٢٨٥ .
- (٢) ابن تيمية : الحسبة فى الإسلام : ص ٢٦ .
- (٣) ابن منظور : لسان العرب مادة حسبة ، ص ٨٦٧-٨٦٨ ، محمد مرتضى الزبيدى : تاج العروس من جواهر القاموس : مطبعة مكرمة : الكويت ، سنة ١٩٦٦م ج ٢ ، ص ٢٧٥ .
- (٤) مجد الدين محمد ابن يعقوب الفيروزى : القاموس المحيط : بيروت للطباعة والنشر بيروت ١٩٧٩م مادة حسبه ، ص ٥٤:٥٥ الرازى : مختار الصحاح : ١٣٤-١٣٥ .
- (٥) "وإن يريدوا أن يخذعوك فإن حسبك الله" سورة الانفال آيه ٨ "يا أيها النبى حسبك الله ومن اتبعك من المؤمنين" نفس السورة والآية ، وانظر محمد فؤاد عبد الباقي : المعجم المفهرسى لالفاظ القرآن الكريم : دار الحديث: ١٩٨٧م ، ص ٢٠٠ ، ٢٠١ .
- (٦) قال أبو عمر بن عبد البر: واستعمل رسول الله (ص) سعيد بن سعيد بن العاصى بن أميه -بعد الفتح- على سوق مكة " وكان السائب بن يزيد وعبدالله بن عنبه بن مسعود عاملين على سوق المدينة فى عهد الخليفة عمر بن الخطاب رضى الله عنه - الطهطاوى : الدولة الإسلامية ، ص ١٥٤ ، عبدالله محمد عبدالله - ولاية الحسبة فى الإسلام : الطبعة الأولى ، مكتبة الزهراء : القاهرة ، ١٩٩٦م ص ١٠١ .
- (٧) سهام مصطفى أبوزيد : الحسبة فى مصر الإسلامية ، القاهرة ، ١٩٩٩ ص ٤١ .

ذلك أول مره يظهر فيها موظف يطلق عليه اسم محتسب وذلك فى عهد الخليفة العباسى المهدى ١٥٨-١٦٩هـ - ٧٧٨-٦٨٩م ^(١) وكان يسمى عمر الكلواذى ^(٢) .

وهناك من يرجع نظام الحسبة إلى عصر الدولة البيزنطية ^(٣) أو الإغريقية ^(٤) ومن الأسباب التى أدت إلى إحداث الحسبة رغبة الولاة فى تفادى التضارب فيما بين الأقاليم المختلفة ، والعمل على توحيد نظام الدولة الإدارى لزيادة النشاط الاقتصادى فى الدولة الإسلامية بعد فتح بلاد فارس والروم ووفود كثيراً من العمال، والصناع ، وأصحاب الحرف، منها إلى المدن الإسلامية المختلفة ^(٥) ومنها مصلحة الناس فى الاجتماع والتعاون على جلب المنافع والتناصر على دفع المضار ^(٦) ولهذا فقد تعدت الحسبة أصلها الدينى إلى الواجبات العملية التى تتفق والمصالح العامة للمسلمين ، لكون معظم سكان المدن من أصحاب الحرف والتجارة فلم تعد الحسبة تراقب الأخلاق فقط ، بل قامت بمراقبة الغش فى الصناعة المعاملة وصار ذلك الموضوع الأساسى للحسبة ^(٧) وتعد الحسبة من الوظائف الدينية الهامة التى يتولاها القائم بأمر المسلمين ، ثم أفردت بعد ذلك كوظيفة قائمة بذاتها عند انفصال وظيفة السلطان عن الخلافة ، ولقد تبوأ الحسبة لدى الفاطميين مكانة عظيمة ، فكانوا يسندونها إلى قضاتهم لجلالة قدرها عندهم ^(٨) وللحسبة خمسة مراتب هى : - ١- التعريف ٢- الوعظ بالكلام اللطيف ٣- السب والتعنيف بغير فحش ٤- المنع بالقهر بطريقة المباشرة ككسر الملاحى وإراقة الخمر واختطاف الثوب الحرير من لابس ، واستلاب الثوب المسلوب منه ورده على صاحبه ٥- التخويف والتهديد بالضرب ومباشرة الضرب له حتى يمتنع عما هو عليه كالمواظب على الغيبة والقذف ^(٩) وكما حظيت الحسبة بالمكانة العالية المرموقة داخل إطار الدولة الإسلامية انعكس ذلك بدوره على الشخص الذى تسند إليه هذه

(١) حسن إبراهيم : تاريخ الإسلام ، ج ٢ ، ص ٢٢٩ .

(٢) ابن كثير : البداية والنهاية ، ج ١٠ ، ص ١٥٩ .

(٣) سهام مصطفى : الحسبة فى مصر الإسلامية ، ص ٤٩ .

(٤) بذى انصارى : دائرة المعارف : مادة حسبة ، ج ١٤ ، ص ٢٨٤ .

(٥) عبدالله محمد : ولاية الحسبة ، ص ١٠١ .

(٦) أحمد مصطفى المراغى : الحسبة فى الإسلام ، ص ٨ .

(٧) عبدالمنعم ماجد : نظم الفاطميين ج ١ ، ص ١٦٢ المراغى : الحسبة فى الإسلام ، ص ٦٥ .

(٨) ابن خلدون : المقدمة ، ص ١٥٨ ، محمد حسنى عبدالحميد ، الحسبة والمحاسبه ، مكتبة

..... ، القاهرة ١٩٤٨ ، ص ٧ .

(٩) الغزالى : احياء علوم الدين ج ٢ ، ص ٤٦٩ .

الوظيفة حيث وضعت له كثيراً من الشروط والقواعد والآداب التي يجب أن تتوفر به حتى يكون جديراً بتولى هذا المنصب الدينى الخطير وهذه الشروط اللازمة فى كل من يتولى أمر الحسبة فى كل زمان ومكان فى مختلف المناطق فيجب على المحتسب أن يكون مكلفاً من أولى الأمر مسلماً قادراً. (١) خبيراً عدلاً ذا رأى وصرامة وخشونه فى الدين وعلم بالمنكرات الظاهرة. (٢) من وجوه العدول وأعيانهم. (٣) فقيهاً عارفاً بأحكام الشريعة وأن تكون أفعاله وأقواله خالصة لوجه الله تعالى وأن يقوم بكل السنن المأخوذة عن النبى (ص) ويتحلى بالرفق ولين القول وسماحة الوجه وسهولة الأخلاق وأن يعف يده عن أموال الناس برفض الهدايا والرشاوى (٤) من المتعيشين وأرباب الصناعات ، لقول رسول الله "ص" : كل لحم نبت من السحت فالنار أولى به قبل : وما السحت يا رسول الله ؟ قال الرشوة " فى الحكم. (٥) وبلغت الحسبة فى العهد الفاطمى درجة مرموقة حتى أن بعض الخلفاء كالحاكم بأمر الله قد تولى هذه الوظيفة بنفسه لعموم صلاحها وجزيل ثوابها (٦) وهى من الوظائف التى يتم توليها بالإرادة بعد عرضها من جانب ولى الأمر (٧) وكان أبو عبدالله الشيعى أول محتسب فى الدولة الفاطمية وكان يطلق عليه أبو عبدالله المحتسب، (٨) أما أول من تولى الحسبة فى إفريقية بعد دخول أبى عبدالله الشيعى هو الحسن بن أحمد المعروف بابن أبى خنزير وأمره أبو عبدالله بقتل من خرج ليلاً، أو يشرب الخمر، أو يحملها أو من وجدت عنده (٩) ثم تولى

-
- (١) الغزالى : إحياء علوم الدين ، جـ ٢ ، ص ٤٦٥ .
 (٢) أبو يعلى : الأحكام السلطانية ، ص ٣٢٢ ، بزمى انصارى : دائرة المعارف : مادة حسبه ، جـ ١٤ ، ص ٢٨٦ .
 (٣) القلقشندى : صبح الأعشى ، جـ ٣ ، ص ٤٨٣ ، جرجى زيدان : تاريخ النمرن ، جـ ١ ، ص ٢٥٠ .
 (٤) الشيزرى : نهاية الرتبة ، ص ٦ وما بعدها ، عطية مشرفة : نظم الحكم بمصر ، ص ٣١٦ - ٣١٧ .
 (٥) الطهطاوى : الدولة الإسلامية ، ص ١٥٠ .
 (٦) مجهول : سيرة الحاكم وحمزه بن على مخطط ، ورقة ٧٧ . عطية مشرفة : نظم الحكم بمصر ، ص ٣١٧ .
 (٧) ابن خلدون : المقدمة ، ص ١٥٨ ، حسن ابراهيم : المعز لدين الله ، ص ٢٠١ .
 (٨) ابن خلدون : العبر ، جـ ٤ ، ص ٣١ ، ابن عذارى : البيان جـ ١ ، ص ١٢٥ .
 (٩) ابن عذارى : البيان ، جـ ١ ، ص ١٥١ .

الحسبة في عهد المهدي محمد بن أبي سعيد ^(١) وأنشأ الفاطميون دار المحاسبات بمدينة
المهدية ^(٢)

دور المحتسب الأسواق :

استمد المحتسب قوة وسلطاناً كبيرين استناداً إلى قوة الحسبة المستمدة بدورها من
القرآن الكريم " ولتكن منكم أمة يدعون إلى الخير ويأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر
وأولئك هم المفلحون " ^(٣) وقوله تعالى " وتعاونوا على البر والتقوى ولا تعاونوا على الإثم
والعدوان " ^(٤) .

إلى جانب ماورد من الأحاديث النبوية الشريفة قال صلى الله عليه وسلم : " من رأى
منكم منكراً فليغيره بيده ، فإن لم يستطع فبلسانه ، فإن لم يستطع فبقلبه ، وذلك أضعف
الإيمان "

وينبغي للمحتسب ألا يقوم بمحابة ولي الأمر فيما يراه من الأمور المنكرة، وعلى ولي
الأمر أن يكون أول من يمثل ولا يعارض حتى يكون قدوة حسنة لمن خلفه ، وأن يبادر
بمعاوضة المحتسب في قراراته ^(٥) .

وتعددت الأعمال التي يقوم بها المحتسب في كافة نواحي الحياة ، مثل البحث عن
المنكرات ، والتعذير ، والتأديب وحمل الناس على المصالح العامة كالمنع من المضايقة في
الطرق ، ومنع الحمالين وأهل السفن من الإكثار في الحمل ، والحكم على أهل المباني
المتداعية للسقوط يهدمها وإزالة ما يتوقع من ضررها على السابلة .. الخ ^(٦) ولهذا فإن
الحسبة تقع على كل شيء منكر موجود في الحال ظاهراً للمحتسب بغير تجسس معلوم كونه
منكراً بغير اجتهد ^(٧) ولقد حظى السوق باهتمام كبير من جانب المحتسب والذي كان يطلق

(١) ابن عزاري : البيان ، جـ ١ ، ص ١٦٧ .

(٢) البكري : المغرب ، ص ٣٠ .

(٣) سورة آل عمران : آية ١٠٤ .

(٤) سورة المائدة آية ٢ .

(٥) الشيزري : نهاية الرتبة ، ص ٨ .

(٦) محمد حسنى عبد الحميد : الحسبة والمحاسبة ، ص ٧ ، حسن إبراهيم : تاريخ الإسلام جـ ٢ ،
ص ٣٠٠ ، جرجى زيدان ، تاريخ التمدن جـ ١ ، ص ٢٥٠ ، احمد عبدالرازق ، الحضارة

الإسلامية ، ص ١١٤ .

(٧) الغزالي : احياء علوم الدين ، جـ ٢ ، ص ٤٨٢ .

عليه فى إفريقية اسم صاحب السوق ،^(١) فله المحافظة على السوق نظيفاً ، فلا يسمح لأحد من أصحاب المحلات بإلقاء القاذورات فى الطريق ، ولا أن يعمل مصطبة له أمام دكانه ينشأ عنها تضيق الطريق على رواد السوق ولا يعمل على إخراج مجارى الأوساخ إلى الطريق ، كما عليه أن يأمر أهل السوق بكنسها وتنظيفها^(٢) ومن واجبه أيضاً منع الباعة بالبيع بأسعار مختلفة لرواد السوق^(٣) القيام بزيارات مفاجئة من غير إعداد ، ولا ترتيب ، ولا إشعار للسوق ليتعرف على كل أحوال السوق بنفسه ويمنع التاجر من أن يبيع للشخص المماكس - الذى يقوم بالفصال ، ثم يقوم ببيع نفس السلعة للشخص المسترسل - الذى لا يعرف الثمن ولا يقوم بالفصال - بسعر آخر لنهى الرسول صلى الله عليه وسلم عن ذلك بقوله " غبن المسترسل ربا " وبعد ذلك فى منزلة تلقى السلع^(٤) وله المنع من المعاملات المنكرة كالربا وما فى حكمها من أنواع البيوع الفاسدة وكل ما منع الشرع منه حتى وإن تراضى البائع والمشتري على ذلك^(٥) واتخاذ الأعوان والمساعدين - العرفاء - من أصحاب الأمانة والخبرة فى الصناعات المختلفة للإشراف على الصناعات ومنع الغش وإطلاع المحتسب على كل ما يدور داخل السوق وما هو فى حاجة إلى معرفته من فنون الصنعة وغيرها^(٦) لعدم قدرة المحتسب بمفرده بالإطلاع على كل ما يدور داخل السوق من أمر ، وفى نفس الوقت فإن العريف يقوم بنقل الأوامر والتعاليم التى تصدرها الحكومة إلى التجار كما يقوم العريف بالإنفاق على الأجور التى يتم دفعها لأهل الطوائف المختلفة قبل قيامهم بالعمل ، إلى جانب قيامه بفض النزاعات البسيطة التى قد تنشأ بين الأفراد وله فى مقابل ذلك نسبة من أجور العمال وإيراد أصحاب المصانع^(٧) .

-
- (١) ابن عزارى : البيان جـ ١ ، ص ١٦٧ .
 (٢) الشيزرى : نهاية الرتبة ، ص ١٤ .
 (٣) ابن تيميه : الحسبة فى الإسلام ، ص ٣٦ . ابن قيم الجوزية : الطرق الحكمية ، ٢٤٣ .
 (٤) الطهطاوى : الدولة الإسلامية ، ص ١٤٩ .
 (٥) النويرى : نهاية العرب ، جـ ٦ ، ص ٣٠٧ .
 (٦) الشيزرى : نهاية الرتبة ، ص ١٢ ، بزمى انصارى ، دائرة المعارف ، مادة حسبة ، جـ ٤ ، ص ٢٨٧ .
 (٧) راشد البراوى : حالة مصر الاقتصادية فى عصر الفاطميين ، مكتبة ، القاهرة ، ص ١٩٣-١٩٤ .

كما يقوم المحتسب بمنع أحمال الحطب ، والتبن ، وكل ذى رائحة كريهة من دخول السوق حتى لا تسبب ضرراً للناس ^(١) والعمل على منع من يقوم بالتعامل مع النساء إذ أظهرت عليه علامات الفسوق والفجور وتأديبه ومنعه من المعاملة. ^(٢) وعدم السماح للتجار باحتكار الطعام داخل الأسواق ^(٣) وإلزامهم ببيع ما لديهم لنهى النبي (ص) عن الاحتكار ^(٤) فقال: " لا يحتكر إلا خاطئ " ^(٥) وللمحتسب المنع من بيع الألعاب التى يلهو بها الأطفال والمنع من بيع الأواني الذهبية والفضية والملابس الحريرية للرجال أو الملابس القصيرة المبتذلة وغيرها ^(٦) ولا بد للمحتسب من معرفة أصول المبيعات والمعاملات داخل السوق من قناطر وأرطال ومثاقيل ودراهم وأن يكون على معرفة تامة بها وكميتها وذلك حتى تتم المعاملة داخل السوق من غير غبن أو غش على الوجه الذى حققه الشرع ^(٧) ولله القيام باختبارها إن استراب بها ويمنع من تطفيف الميزان والمكيال أو البخس فيها ^(٨) وكان للمحتسب مكاناً ظاهراً واضحاً وسط السوق يطلق عليه العتبة العلية ^(٩) .

وأخيراً . يمكن القول أن المحتسب كانت له اليد العليا والأمر النافذ والسلطان الذى لا يقهر فيما يختص بكل ما يتصل بالأسواق ودوره لا ينكر وقد أفاضت كتب الحسبة وبينت دور المحتسب بصورة ممتازة لاتدع لشخص أن يأتي بأحسن منها ^(١٠).

(١) الشيزرى : نهاية الرتبة ، ص ١٣ ، احمد عبدالرازق : الحضارة الإسلامية ، ص ١١٤ .

(٢) أبو يعلى : الأحكام السلطانية ، ص ٣٤٥ .

(٣) الشيزرى : نهاية الرتبة ، ص ١٢ .

(٤) عطيه مشرفه : نظم الحكم ، ص ٣٢٣ . الإحتكار : يعنى قيام التاجر بشراء السلع التى يحتاج إليها الناس ويقوم بتخزينها حتى يرتفع السعر، ثم يقوم ببيعها مما يمثل عبئاً على المشتريين ولولى الأمر فى ذلك أن يجبر هذا التاجر على بيع هذه السلع بقيمة المثل وقد كره الفقهاء الاحتكار وخصصوا فى قيام الشخص يأخذ الطعام من التاجر المحتكر حتى وإن لم يرد بيعها وذلك بثمن قيمة المثل لها. ابن تيميه: الحسبة فى الإسلام ص ٣٧-٣٨ .

(٥) ابن قيم الجوزيه : الطرق الحكيمة ، ص ٢٤٣ . ابن تيميه : الحسبة فى الإسلام ، ص ٣٧ .

(٦) الغزالى : أحياء علوم الدين ، ج-٢ ص ٥٠٢ .

(٧) الشيزرى : نهاية الرتبة ، ص ١٥ ، ابن تيميه : الحية فى الإسلام ، ص ٢٨-٢٩ .

(٨) أبو يعلى : الأحكام السلطانية ، ص ٣٣٧ .

(٩) عثمان الكعاك : الحضارة العربية ، ص ٩٣-٩٤ .

(١٠) بزمى أنصارى : دائرة المعارف : حسبه ، ج-١٤ ، ص ٢٨١-٢٨٣ .

وبصرف النظر عن واجب المحتسب نحو السوق ، فإن عمل المحتسب يمكن تقسيمها إلى ثلاث مجموعات هي أولا : أن المحتسب عليه مراقبة أداء الفرائض الدينية كحضور صلاة الجماعة ، والاستعمال الحسن واللائق للمساجد ، وصيانتها من كل ما من شأنه أن يحط من منزلتها وقدرها ثانيا : الاحتشام في السلوك بين الرجل والمرأة في الأماكن العامة كالشوارع والحمامات ثالثا : التمييز بين المسلمين وغير المسلمين داخل المجتمع ^(١) وكثيرا ما كان يجمع الشخص الواحد إما بين وظيفتي القاضي والمحتسب أو الشرطة والحسبة ^(٢) .

ومثل المحتسب الوسيلة التي بواسطتها تستطيع الحكومة السيطرة على الأسعار والتحكم في مستوى الإنتاج الصناعي داخل الأسواق ، فالمحتسب هو العين الساهرة والمحافظة على كل ما يمت إلى السوق بصلة ، وعليه أيضا منع التجار من تلقي السلع قبل مجيئها إلى السوق حتى لا يقوموا بتخريب البائع لعدم معرفته بالسعر السائد في السوق ^(٣) .

النشاط التجاري وأثره على نواحي الحياة في إفريقية ^(٤) .

إن النشاط التجاري الضخم الذي تمتعت به إفريقية خلال فترة حكم الفاطميين حتى انتقالهم إلى مصر ٣٦٢هـ/٩٧٤م في عهد المعز لدين الله ، وخلال فترة حكم بني زيري الذين حملوا الراية وأكملوا وأتموا ما بدأه أسلافهم من عناية واهتمام كبير بطرق التجارة ووسائلها حتى غدت إفريقية في عهدهم تتبوأ أعلى درجات التقدم الحضاري وأوجها فبلغت منتهى العز الشامخ والبذخ الأقمس ^(٥) وجعلوا من إفريقية أهم المناطق التجارية التي يرنوا إليها التجار بأبصارهم ويقصدونها من كل فج وصوب ^(٦) هذا النشاط التجاري الذي جذب إليه أولى الأمر من الخلفاء وأقربائهم ورجال دولتهم ^(٧) مما كان له أكبر الأثر في جميع

(١) بزمر أنصاري : دائرة المعارف : حسبه ، ج ١٤ ، ص ٢٨٥ .

(٢) نفس المرجع ، ج ١٤ ، ص ٢٨٧ .

(٣) ابن تيمية : الحسبة في الإسلام ، ص ٣٦-٣٧ .

(٤) أرشيبالد لويس : القوى البحرية : ص ٢٥٤، ٢٥٥-٢٧١، ٢٧٠ .

(٥) حسن عبدالوهاب : شهيرات التونسيات ، ص ٣٧-٣٨ ، أرشيبالد لويس القوى البحرية ،

ص ٢٥٤-٢٥٥، ٣٣٠ .

(٦) ابن حوقل : صورة الأرض ، ص ٦٩، ٧١، ٩٦ ، مجهول الاستبصار ، ص ٩، ١٥، ١٦، ٤٠ ،

البكري المغرب ، ص ٤٩ ، الحميري : الروض المعطار ، ص ٣٦٦، ٣٦٩ ، أرشيبالد لويس :

القوى البحرية : ص ٢٥٣ .

(٧) جوذر : سيرة جوذر ، ص ١٢١-١٢٧ ، أرشيبالد لويس ، القوى البحرية ، ص ٢٥٣ .

نواحي الحياة بإفريقية خاصة الحياة الاقتصادية والاجتماعية . فمن آثار النشاط التجاري على نواحي الحياة الاجتماعية بإفريقية هو قدرة الكثيرين من التجار على إقتناء السفن التجارية لنقل السلع والبضائع بين أسواق وموانئ إفريقية وخارجها خاصة تجار مدن سوسة ، (١) وطرابلس (٢) وغيرهما من تجار المدن الأخرى . (٣) كما انعكس أثر النشاط التجاري بشكل هام على الناحية العمرانية في اتخاذ المباني المنيفة المونقة ذات الزخارف الجميلة والقصور المزيفة كأحد المظاهر الاجتماعية الهامة المتولدة عن النشاط التجاري وظهر ذلك في طول إفريقية وعرضها ففي مدينة تونس كانت مبانيها حسنة المنظر مونقة عجيبة ، حيث استخدم الأهالي الرخام في تزيينها وتنميقها من الخارج فكان لكل منزل بها لوحان من الرخام، قائمين بجانب الباب وآخر فوقهما مكان العتبة (٤) ولم يكن أثر النشاط التجاري بالعاصمة المهدية بأقل ظهوراً عنه في المدن الأخرى فكثرت بالمهدية القصور والمنازل النظيفة (٥) كما ألقى النشاط التجاري بأثره الحسن على مدينة القيروان المدينة التجارية المركزية " فلم يهمل أهلها العناية بمنازلهم ودورهم فقاموا بزخرفتها ، وتزيينها ، وتنميقها ، ووجهوا عنايتهم إليها من كافة الوجوه ، حتى أصبحت أحسن منازل أهل إفريقية (٦) واتسع عمرانها وانتشرت بها حياة الدعة والبذخ والرخاء وتخللتها المباني الحضرية والحمامات التي تفنن أهلها في بنائها ونظافتها كما أحبطت المدينة بالبساتين وامتدت حولها الضواحي الزاهرة بها كالمنصورية ورقادة وحلولا والعباسية وقلشانه والتي لم تكن حياة التحضر والرقى بها بأقل من القيروان (٧) وبمدينة القلعة كان النشاط التجاري بها أفضل الأثر في جعلها أحسن المدن قصوراً ومنازل (٨) .

ومن الآثار الحسنة للنشاط التجاري على الناحية الاجتماعية قيام كثيراً من النجار بإقامة الفنادق في مدن إفريقية (٩) .

(١) الهادي إدريس : الدولة الصنهاجية ، ج ١ ، ص ٢٦٤ .

(٢) ابن عزاري : البيان ، ج ١ ، ص ١٦٩ .

(٣) الخشني : قضاة قرطبة ، ص ٢٨٤ ، مجهول الاستبصار ، ص ١٨ .

(٤) البكري : المغرب ، ص ٤٠ .

(٥) ابن حوقل : صورة الأرض ، ص ٩٦ .

(٦) نفس المصدر : ص ٩٤ .

(٧) احمد ابن عامر : الدولة الصنهاجية ، من ٥٧-٥٨ .

(٨) الحميري : الروض المعطار ، ص ٤٦٩ .

(٩) ابن عزاري : البيان ، ج ١ ، ص ١٦٩ .

وبمدينة سجلماسة كان أثر النشاط التجارى واضحاً جلياً فى جميع نواحيها الاجتماعية فأقيمت بها القصور العالية التى تشبه قصور مدينة الكوفة ذات أبواب رفيعة ، وجعل النشاط التجارى أهالى سجلماسة متميزون فى ملابسهم حتى فاقوا أهل المغرب فى هذه الناحية كما ساعدهم على طلب العلم وصارت لهم مروءة وسماحة ورجاحة وغير ذلك من الأمور ^(١) كما كان للنشاط التجارى آثاره الحسنة الملموسة على أهالى مدينة طرابلس فصاروا متميزون مرموقون بالنسبة لمن جاورهم من أهالى المدن الأخرى وتميزوا بنظافة الأعراض والثياب والأحوال يرتدون الملابس الجميلة ويقتصدون فى معاشهم وهم حسناو العشرة ذوى سماحة كثيرة ويتميزون بمعاملتهم الحسنة ، وطاعة سلطانهم ، وقيامهم ببناء الأربطة وحبهم للغير من الغرباء ^(٢) .

ومن آثار النشاط التجارى على الحياة الاجتماعية بإفريقية هو كثرة جلب الرقيق بأعداد كثيرة سواء للاشتغال فى الزراعة ، أم داخل قصور الحكام والأمراء ، ومنازل الأهالى ، خاصة وأن كثيراً من هؤلاء الرقيق كان يتقن الحرف الصناعية ^(٣) ولا شك فقد أدى تنوع الرقيق إلى جلب عادات وتقاليده الاجتماعية كثيرة إلى إفريقية . وكما كان للنشاط التجارى أثره الحسن على الحياة الاجتماعية فى كثير من المناطق إلا أنه فى البعض منها كان له الأثر السيئ على العادات الاجتماعية ففى مدينة مرسى الخرز كان شرب الخمر والمسكرات وظهور الخلاعة والمجون أحد هذه التأثيرات ^(٤) .

ومن الآثار الحسنة ذات القيمة للنشاط التجارى ربط مناطق إفريقية المختلفة ببعضها البعض ، وكذلك التقدم الصناعى والحرفى ، وجلب بعض المأكولات الأجنبية مثل الشعرية vermicelli المكرونة الرقيقة غير المتقوبة ^(٥) وبصفة عامة يمكن القول أن النشاط التجارى كان له أثره الخاص فى تطور الأبحاث العلمية بكافة صورها إلى جانب تغذية الفقهاء بالمسائل الفقهية المختلفة التى تنشأ بين التجار ، كما أحيت لدى البعض كثرة المغامرات وجعلت الكثير منهم يهتم بالنواحى الخاصة بالعلوم المختلفة كالجغرافيا والكيمياء ^(٦) .

(١) ابن حوقل : صورة الأرض ، ص ٩٠، ٩٦ .

(٢) نفس المصدر ، ص ٧٢ .

(٣) جودر : سيرة جودر ، ص ٥٢ .

(٤) ابن حوقل : صورة الأرض ، ص ٧٧ .

(٥) مارتينو ماريو : الملمسون فى صقلية ، ص ٣٥ .

(٦) جمال الدين سرور : تاريخ الحضارة ، ص ١٦٥ .

كما أثر النشاط الاقتصادي على حياة أهالي إفريقية، فأدى إلى تنوع ملابسهم، حيث كانت لهم عناية واهتمام بالغين بملابسهم ساعدهم على ذلك التنوع الكبير في أنواعها من حبت الخامة أو من حيث الألوان والصباغة فكان التجار بمدينة برقه يتميزون عن باقي أهالي إفريقية بثيابهم الحمراء (١).

وكان الكثير من أهالي إفريقية يرتدون الملابس الحسنة المونقة التي كانت تأخذ نصيباً كبيراً من أموالهم حتى وإن كان هذا على حساب قوتهم (٢) وظهر أثر النشاط التجاري على نوع وسائل الانتقال التي كانت تستخدمها طوائف الشعب بإفريقية، فكان التجار يستخدمون الحمير المصرية في تنقلاتهم من وإلى الأسواق (٣) ومن آثار النشاط التجاري على الناحية الاجتماعية والاقتصادية داخل إفريقية ما كان يظهر أثناء حفلات الزواج وما يقدم للعروس من المهر وما شابه ذلك فكان أبناء الخلفاء والحكام يقدم لهم كل غال ونفيس من الأواني الذهبية والفضية وكل ما يلزم البيت (٤).

أما الطبقات الأقل والتي تتساوى الدخول بها فلم يكن أهالي العروس يغالون في طلب المهور لبناتهن وإذا قام أحد الأشخاص بمخالفة تلك العادة وهذا العرف فإنه كان يواجه باللوم والتوبيخ وربما أدى ذلك إلى انتقاص الناس له (٥) وساعد النشاط التجاري خاصة في المدن الساحلية على انتشار حفلات اللهو، والغناء، وإقامة حفلات السمر، ولكنها كانت تواجه بالإنكار من جانب الفقهاء. (٦) وكان للنشاط التجاري أثره الفعال في تهذيب الطوائع لدى التجارى وأهالي المراكز التجارية في إفريقية مثل أهالي مدينة طرابلس، حيث عدوا من أحسن الناس معاملة للتجار (٧) وبصفة عامة فقد أثر النشاط التجاري على جميع السكان بجميع مدن إفريقية خاصة المرتبط منها بالطعام فكانوا يهتمون كثيراً به ويتفننون في أصنافه وإعداده إلى جانب صناعة الحلوى (٨).

(١) ابن حوقل : صورة الأرض ، ٦٩ .

(٢) عياض البحصيبي : ترتيب المدارك وتقريب المسالك : مخطوط ، ج ١ ، ص ٣٠٤ .

(٣) المقدسى : أحسن التقاسيم ، ص ٢٢٦ ، ٢٣٩ .

(٤) ابن أبي دينار : المؤنس ، ص ٨٢ .

(٥) عياض : ترتيب المدارك ، ج ١ : ص ٣١٩ مخطوط .

(٦) عياض : ترتيب المدارك ، ج ١ ، ص ٣١٩ مخطوط .

(٧) ابن حوقل : صورة الأرض ، ص ٧٢ .

(٨) احمد بن عامر : الدولة الصنهاجية ، ص ٥٩ .

المكوس التجارية الشرعية : (العشور) .

تمثل العشور الضريبة التي يتم فرضها على تجار أهل الذمة من النصارى واليهود والذين يأتون ببضائعهم وسلعهم تجاراً إلى البلاد الإسلامية طبقاً لما صولحوا عليه من العهد والذمة^(١) وهى إحدى الضرائب الشرعية المقررة عليهم^(٢) ولم تكن تلك العشور التجارية مفروضة في عهد الرسول صلى الله عليه وسلم ، أو في عهد خليفته أبو بكر الصديق وعمر بن الخطاب رضى الله عنهما كما جاء في الحديث الشريف ، حدثنا أبو معاوية عن الأعمش عن شقيق عن مسروق أنه قال " والله ما علمت عملاً أخوف عندي أن يدخلني النار من عملكم هذا " وما بي أن أكون ظلمت فيه مسلماً ولا معاهداً ديناراً ولا درهماً . ولكنى ما أدري ما هذا الحبل الذي لم يسنه رسول الله صلى الله عليه وسلم ولا أبو بكر ولا عمر . قالوا : فما حملك على أن دخلت فيه ؟ قال : لم يدعني زياد ولا شريح ، ولا الشيطان حتى دخلت فيه " ^(٣) وأن هذه العشور كانت موجودة قبل الإسلام في الجاهلية فكان ملوك العرب والعجم جميعاً يأخذون هذه العشور من التجار إذا مروا بها عليه ، وبطلت هذه العشور على تجار المسلمين بعد الإسلام . كما قال الرسول صلى الله عليه وسلم : " ليس على المسلمين عشور ، إنما العشور على اليهود والنصارى " وأيضاً حدثنا حجاج عن ابن حريد قال : " أخبرني عمر بن دينار قال أخبرني مسلم بن شكره قال وقال غير حجاج مسلم ابن مصبح أنه سأل بن عمر : أعلمت أن عمراً أخذ من المسلمين العشر ؟ قال . لا ، لم أعلمه . وفي حديث آخر . حدثنا عبدالرحمن عن سفيان عن إبراهيم بن مهاجر قال " سمعت زياد بن حريد يقول " أنا أول عاشر عشره في الإسلام " قلت : من كنتم تعشرون ؟ قال : ما كنا نعشر مسلماً ولا معاهداً كنا نعشر نصارى بنى تغلب " عن عبدالرحمن عن سفيان عن عبدالله بن خالد العيسى عن عبدالرحمن بن معقل قال : " سألت زياد بن حريد : من كنتم تعشرون ؟ قال : ما كنا نعشر مسلماً ولا معاهداً ، قلت : فمن كنتم تعشرون ؟ قال : تجار الحرب كما كانوا يعشروننا إذا أتيناهم ^(٤) وجاء في أكثر من حديث عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أن صاحب العشور من أهل النار فعن عقبه بن عامر أنه سمع رسول الله

(١) الطهطاوى : الدولة الإسلامية ، ص ٢٢٤ .

(٢) ابن ممتى : قوانين الدواوين ، ص ٣٢٦ ، القلقشندي : صبح الاعشى ، ج ٣ ، ص ٤٥٩ .

(٣) أبو عبيد القاسم ابن سلام : كتاب الاموال ، تحقيق محمد خليل هراس ، دار الكتب العلمية ، بيروت ص ٥٢٦ .

(٤) أبو عبيد : الاموال ، ص ٥٦٢ - ٥٢٧ .

صلى الله عليه وسلم يقول : " لا يدخل الجنة صاحب مكس " وأيضاً عن أبى الخير قال سمعت روفع ابن ثابت يقول : سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول : " أن صاحب المكس فى النار " قال : يعنى العاشر . وعن عبدالله بن عمر قال : أن صاحب المكس لا يسأل عن شيء ، يأخذ كما هو فيرمى به فى النار " وعن مالك ابن عتاهيه قال : " قال رسول الله صلى الله عليه وسلم " من لقي صاحب عشور فليضرب عنقه ^(١) وكان الخليفة عمر بن الخطاب رضى الله عنه أول من أوجد العشور فى الإسلام فكان يأخذها من تجار أهل الحرب لأنهم كانوا يأخذونها من تجار المسلمين عند قيامهم بالتجارة فى بلادهم ^(٢) وتخضع ضريبة العشور فى تقديرها إلى رأى ولى الأمر وذلك فى جميع المناطق التى تخضع له ، فإن رأى أن إحدى المناطق أو المدن فى حاجة إلى السلع أو بضائع بعينها إما لقلتها بها أو رغبة منه فى زيادتها بهذه المدينة فله الحق فى تخفيض نسبة العشور المفروضة على تجار أهل الذمة القادمين إليها حتى النصف كحافز لهم وتشجيعاً لجلب السلع والبضائع إلى هذه المدينة أو تلك المنطقة ^(٣) كما له الحق أيضاً فى أن يأمر برفع قيمة العشور كلية عن البضائع والسلع زيادة فى تشجيعهم على زيادة جلب السلع والبضائع إلى المناطق الإسلامية ^(٤) .

كما يجب إعطاء التجار من غير المسلمين الحرية فى جلب ما يروق لهم من السلع والبضائع وفقاً لأمانهم وعهدهم حتى وإن كانت هذه السلع لا يقبل عليها المسلمون كالخمر ولحم الخنزير وذلك فى المناطق التى تخضع لحكم المسلمين ويوجد بها أكثرية من أهل الذمة يقبلون على شرائها . أما ما يتصل بالعشور المأخوذة عليهم فهناك اختلاف قيل يتم تركهم حتى يبيعوها بعد أن يقوم تاجرین عدلين من أهل الذمة بتقييمها ^(٥) ثم يؤخذ منهم نصف العشر ^(٦) وقيل يؤخذ منهم العشر من ثمن البيع ^(٧) وتمثل العشور إحدى الضرائب الحولية أو السنوية إذ لا يتم أخذها من التاجر إلا مرة واحدة فقط فى العام فى المرة الأولى حتى وإن قام التاجر بالذهاب والإياب أكثر من مرة فى العام الواحد كما كان يفعل الخليفة عمر بن

(١) أبو عبيد : الأموال ، ص ٥٢٤ - ٥٢٥ .

(٢) نفس المصدر ، ص ٥٢٩ - ٥٣٢ .

(٣) نفس المصدر ، ص ٥٣١ . المقرئى : الخطط ، جـ ٣ ، ص ١٩٧ .

(٤) القلقشندى : صبح الاعشى ، جـ ٣ ، ص ٤٥٩ .

(٥) المقرئى : الخطط ، جـ ٣ ، ص ١٩٩ ، الطهطاوى ، الدولة الإسلامية ، ص ٢٢٥ .

(٦) أبو يوسف يعقوب بن ابراهيم : الخراج : المطبعة السلفية : القاهرة ، ١٣٩٢هـ ، ص ١٨٤ .

(٧) الطهطاوى : الدولة الإسلامية ، ص ٢٢٥ .

الخطاب رضى الله عنه حدثنا محمد ابن كثير عن حماد بن سلمه عن عطاء ابن السائب عن بن زياد بن حريد . " أن أباه كان يأخذ من نصراني في كل سنة مرتين ، فأتى عمر بن الخطاب ، وقال : يا أمير المؤمنين ، أن عاملك يأخذ مني العشر في السنة مرتين ، فقال عمر ليس ذلك له ، إنما له في كل سنة مرة ، ثم أتاه فقال : أنا الشيخ النصراني ، فقال عمر : وأنا الشيخ الحنيف ، قد كتبت لك في حاجتك ^(١) وعلى التاجر أن يأخذ إيصالاً بما دفعه من عشور ، يثبت فيه قيامه بدفع قيمة العشر عن تجارته فلا يقوم بدفع العشر مرة أخرى . فيما يعرف بالازدواج الضريبي - كما حدد ذلك الخليفة عمر بن عبد العزيز : " ثم يكتب - العاشر - بما يأخذ منهم البراءة ولا يأخذ منهم ذلك المال ولا من ربحه زكاة سنة واحدة ^(٢) ولم تترك العشور في تحديدها إلى عامل العشر إنما كان يقوم بتحديددها ولي الأمر - الخليفة - وعلى عامل العشر عدم تجاوز ذلك سواء بالزيادة أو بالنقص على جميع التجار سواء كانوا مسلمين أم من أهل الذمة أو من أهل الحرب ، فقد حدد الخليفة عمر بن الخطاب رضى الله عنه ذلك كما جاء في الحديث : حدثنا معاذ عن بن عون عن أنس بن سيرين قال : " بعث إلى أنس بن مالك ، فأبطأت ثم بعث إلى فأتيته فقال : أن كنت لأرى أنى لو أمرتك أن تعض على حجر كذا وكذا ابتغاء مرضاتى لفعلت ، اخترت لك عين عمل فكرهته أنى أكتب لك سنة عمر قلت : " اكتب لى سنة عمر ، فكتب : " يأخذ من المسلمين من كل ٤ درهماً درهم ، ومن أهل الذمة من كل عشرين درهماً درهم . وممن لا ذمة له من كل عشرة دراهم درهم . قلت ومن لا ذمة له ؟ قال : الروم كانوا يقدرون الشام " وعن زياد بن حدير قال : " استعملنى عمر على العشر ، فأمرنى أن أخذ من تجار المسلمين ربع العشر . وعنه أيضاً قال " أمرنى عمر أن أخذ من تجار أهل الذمة مثل ما أخذ من تجار المسلمين ، وعنه قال " أمرنى عمر أن أخذ من نصارى بنى تغلب العشر ، ومن نصارى أهل الكتاب نصف العشر ، وعن السائب بن يزيد قال : " كنت عاملاً على سوق المدينة في زمن عمر قال : فكنا نأخذ من النبط العشر " ^(٣) أما المقرئى ^(٤) فذكر أن النمي يدفع ديناراً على كل عشرين دينار أما ما ينقص عن ذلك فبحسابه حتى تصل إلى عشرة دراهم ، فإن نقصت عن عشرة دراهم ولو بمقدار ثلث دينار فليس على التاجر شيء من العشور . وقال أبو يوسف ^(٥)

(١) أبو عبيد : كتاب الأموال ص ٥٣٦ . القلقشندي : صبح ج ٣ ، ص ٤٥٩ .

(٢) أبو عبيد : كتاب الأموال ص ٥٣٦ .

(٣) نفس المصدر ، ص ٥٣٠ ، ٥٣١ .

(٤) الخطط ، ج ٣ ، ص ١٩٨ .

(٥) الخراج ، ص ١٤٤ .

إما أن تكون مائتي درهم أو عشرين مثقالاً من الذهب ، وما قل عن ذلك لا يتم فرض العشر عليه وحتى وأن تم حساب عدد مرات عبور التاجر بتجارته فبلغت قيمتها ألف درهم فليس عليه شيء ولا يتم إضافة بعضه إلى بعض . وذكر أبو عبيد ^(١) أنا المال لا يأخذ عليه العشر حتى يبلغ مقداره مائة درهم وعند ذلك يأخذ منه نصف العشر وهذا رأى سفيان أما غير سفيان من أهل العراق فقالوا يأخذ العشر إذا بلغت التجارة مائتي درهم ولا يأخذ منه شيء أن قال أنه مدين أو أن هذا المال ليس ملكه وحلف على ذلك ، وذكروا أن الذي يأخذ عليه العشر من التجارة هو الصامت والمتاع والرقيق وما أشبهه من الأموال التي تبقى في أيدي الناس ، فأما إذا مر بفاكهة وما شابهها فلا يأخذ منه شيء ، وقد شبه أهل العراق ذلك بأنها صدقة وذهبوا إلى أن عمر بن الخطاب رضى الله عنه لم يحدد الحد الأدنى من المال الذي يأخذ عليه العشر أما الإمام مالك فقد حدد بأن يأخذ نصف العشر حتى وأن لم تبلغ التجارة مقدار مائتي درهم وعلى أي نوع من التجارة سواء ما كان يبقى في أيدي الناس أم لا .

وتتميز العشور أنها ضريبة تجارية تفرض على جميع التجار أيا كانت ديانتهم غير أنها تختلف في قيمة ما يؤخذ من التاجر حسب دينه فالتاجر المسلم يقوم بدفع ربع العشر والتاجر الذمي يقوم بدفع نصف العشر أما التاجر الحربي فيقوم بدفع العشر كاملاً على كل ما يمر به التاجر من بضائع وسلع تكون مخصصة للتجارة وعلى عامل العشور أخذ العشر عن التجارة الظاهرة فقط وعدم تفتيش التاجر ^(٢) .

وعلى ولى الأمر السماح لمن يطلب من التجار من أهل الحرب الحضور لمزاولة التجارة في البلاد الإسلامية إذا طلبوا ذلك منه على أن يقوموا بدفع ما يفرض عليهم من عشور على تجارتهم ^(٣) وأعطى نظام العشور التاجر المسلم ميزه أكبر مما يحصل عليه تجار أهل الذمة وأهل الحرب فلا يؤخذ منه عشر عما يمر به من مال أو متاع أدى زكاتها أما التاجر الذمي والمشارك فلا يقبل منه ذلك لعدم فرض الزكاة عليهم ، كما لا يتم فرض العشور على مال المضاربة أو البضاعة بعد أن يحلف صاحبها ولا يؤخذ العشر من مال العبد سواء كان ماله أو مال سيده حتى يحضر سيده ^(٤) وعلى عمال العشور أن يتحلوا ببعض الأمور الحسنة منها: أن يكونوا من أهل الصلاح والدين فلا يظلمون التجار سواء

(١) الأموال ، ص ٥٣٢-٥٣٣ .

(٢) المقرئى : الخطط ، ج ٣ ، ص ١٩٨ .

(٣) نفس المصدر والصفحة .

(٤) أبو يوسف : الخراج ، ص ١٤٤ .

المسلمين أم غيرهم ولا يأخذوا منهم أكثر مما هو مفروض عليهم ولا يتجاوزوه ، وعلى ولى الأمر مراعاة ذلك ومكافأة المحسن منهم ومجازاة المسيء ومعاقبته على ظلمه وتعديده حتى يزداد المحسن منهم ويرتدع المسيء^(١) ومن الأمور المستحبة أيضاً فى من يقوم بتعشير التجار، أن يكون على علم ودراية بإحدى اللغات الأجنبية أو أكثر وذلك لأنه يقوم بنقل الحقوق والواجبات التى تقوم بفرضها الحكومة الإسلامية على التجار الأجانب^(٢) .

وكانت ضريبة العشور تؤخذ فى بعض الأحيان عيناً^(٣) وعلى تجار أهل الذمة دفع العشور عما يديرونه من تجارة لهم فى البلاد الإسلامية أما إذا قام بالتجارة فى بلده ولم يخرج بتجارته منها فلا يقوم بدفع العشر عليها مثل تجار أهل الذمة فى مصر أو العراق أو الشام^(٤) .

ونتيجة لكثرة النشاط التجارى فقد زادت نسبة العشور التى يتم فرضها على التجار الأجانب فصار يؤخذ منهم الخمس^(٥) وهو ضعف العشر بل أصبح من الممكن بعد الاتفاق أن يتم تحصيل الضريبة فى كل مره يأتى فيها التاجر ببضاعته وفى بعض الأحيان كان يتم فرض أكثر من ضريبة الخمس وكان يدفع ما بين عشرين إلى خمسة وثلاثين ديناراً عن كل مائة دينار^(٦) ويجب التفريق بين ما يتم أخذه من عشور من تجار المسلمين وبين ما يتم أخذه

(١) أبو يوسف : الخراج ، ص ١٤٢-١٤٨ .

(٢) الطهطاوى : الدولة الإسلامية ، ص ٢٢٥ .

(٣) عبدالمعزم ماجد : نظم الفاطميين ، ج ١ ، ص ١٣٩ .

(٤) المقرئى : الخطط ، ج ٣ ، ص ١٩٩-٢٠٠ .

(٥) الخمس: عبارة عما يستأدى من تجار الروم الوارد بين على الثغر بمقتضى ما صولحوا عليه ، وربما بلغ ما يستخرج منهم عما قيمته ما به دينار ما يناهز خمسة وثلاثين ديناراً ، وإنما انحط عن العشرين ديناراً ويسمى كلاهما خمساً . ومن كنايس الروم من يستأدى منه المعشر ، إلا أنه لما كان الخمس أكثر . كانت النسبة إليه أشهر . ولذلك ضرائب مستقره وعوايد مستمره ، وأوضاع مألوفه ، طرائق فيما بين المباشرين له معروفة ، واستدفعت من المستخدمين فيه ضريبة مما إلى جارى عليه" وكان الخمس من الكثرة حيث ذكر ابن مماتى أنه لم يذكر سوى ما تمس الحاجة إليه وتغاضى عن أشياء أخرى كثيرة خوفاً من حشو الكتاب بما لا فائده منها . ابن مماتى : قوانين الدواوين ، ص ٣٢٦ .

(٦) القلقشندى : صبح الأعشى ، ج ٣ ، ص ٤٥٩ . وكان كيقباز أحد ملوك الفرس أول من أخذ العشر ، وقيل أن أول من أخرج العشر من مواشيه وزروعه وجميع ماله هو نبي الله إبراهيم عليه السلام المقرئى : الخطط ج ٣ ، ص ١٩٩-٢٠٠ .

من عشور تجار أهل الذمة لاختلاف سبيل صرف هذه العشور فكل ما يتم أخذه من عشور المسلمين يتم صرفه في مصرف الصدقة^(١) أما ما يتم أخذه من أهل الذمة فسيبيله سبيل الخراج^(٢) .

وأستغل الفاطميون تلك الضريبة استغلالاً جيداً ومنظماً طوال فترة حكمهم على جميع المناطق التي خضعت لسيطرتهم إذ فرضت على جميع أنواع التجارات وفي جميع المدن التجارية سواء كانت ساحلية أم داخلية فمن المناطق الساحلية التي وجدت بها ضريبة العشور قرية طبرقة حيث كانت تعشر بها السفن التجارية خاصة ما كانت تأتي من الأندلس^(٣) .

وبالمثل كانت مدينة أجدايه فالى جانب تعشير السفن بها كانت تعشر بها القوافل التجارية الآتية من الجنوب حيث بلاد السودان^(٤) . كما كانت مدينة تنس أكثر المناطق التي تعشر بها سفن تجار الأندلس^(٥) .

وفي أقصى الشرق من إفريقية وجدت منطقتان هامتان هما صبرة ولبدة بمدينة طرابلس حيث كانت تعشر بها أنواع التجارات الصادرة ، والواردة منها إلى خارج وداخل إفريقية وهما من المناطق التي استحدثتا في عهد الفاطميين^(٦) ولم يفرق الفاطميون في المعاملة بين التاجر المسلم وغيره حيث أخذت منه العشور أيضاً في مدينة عيذاب من التجار القادمين من اليمن وزنجبار والحبشة^(٧) .

(١) حدد الله عز وجل الفئات التي يجب أن توزع عليهم أموال الصدقات بقوله تعالى " إنما الصدقات للفقراء والمساكين والعاملين عليها والمؤلفة قلوبهم وفي الرقاب والغارمين وفي سبيل الله وابن السبيل فريضة من الله والله عليم حكيم . سورة التوبة آية ٦٠ . الماوردي : الأحكام السلطانية ، ص ١٢٥-١٢٧ . أبو يعلى : الأحكام السلطانية ، ص ١٤٧-١٤٩ . ابن مماتي : قوانين الدواوين ، ص ٣١٤-٣١٥ .

(٢) أبو يوسف : الخطط ج ، ص ١٤٥ .

(٣) ابن حوقل : صورة الأرض ، ص ٧٦ .

(٤) نفس المصدر ، ص ٧٠ .

(٥) نفس المصدر ، ص ٧٨ .

(٦) نفس المصدر ، ص ٧١ .

(٧) ناصر خسرو علوى : سفرنامه : ترجمة يحيى الخشاب : الهيئة المصرية العامة للكتاب ،

ولوطأة هذه الضريبة فقد استنكرها البعض ، مثل أبي يعلى ^(١) خاصة عندما تكون الأموال منتقلة من بلد لآخر في حدود الدولة الإسلامية ، فهي في رأيه محرمة ، ولا يبيحها الشرع ولا يسوغها الاجتهاد ، ولا تعبر عن سياسات العدل التي يجب أن تسود داخل إطار الدولة الإسلامية ووصف الدول التي تأخذها بأنها دول جائرة لقول النبي - صلى الله عليه وسلم " : إذا لقيتم عاشراً فاقتلوه " ومثلت مدينة سجلماسة إحدى المناطق الهامة التي تؤخذ على التجار بها العشر ^(٢) .

ولقد تمسك الفاطميون بهذه العشور بسبب الأموال الضخمة التي كانوا يحصلونها من التجار ، حيث كان التجار الأجانب الذين يفدون بتجارهم إلى موانئ إفريقية خلال حكم الفاطميين وبنى زيرى يقومون بدفع ما قيمته ١٠٪ للحكومة ^(٣) .

المكوس غير الشرعية (الضرائب) .

تتمثل المكوس غير الشرعية في مجموعة الضرائب والمكوس ^(٤) التي فرضها الفاطميون وبنى زيرى ، داخل إقليم إفريقية ، حيث اتسمت السياسة الضريبية ^(٥) للفاطميين منذ البدايات الأولى لحكمهم بالقسوة والجور وطبعوها بطابع الجشع المالى البالغ وقاموا باستخدام تلك الأموال في خدمة أغراضهم الشخصية كالتجارة وشراء العبيد للحرب والغزو

(١) الأحكام السلطانية ، ص ٢٧٦ .

(٢) ابن حوقل : صورة الأرض ، ص ٩٧ .

(٣) ارشيبالد لويس : القوى البحرية ، ص ٢٦٢ .

(٤) المكس - مكس في البيع يمكس إذا جبي مالا والمكس يعنى النقص والظلم وقيل أنها دراهم كانت تؤخذ من بائعى السلع في الأسواق في الجاهلية ، أو درهم كان يأخذه المصدق بعد فراغه من الصدقة، وتماكسا في البيع تشاما . والمكس يعنى في اللغة الجباية ، والمكس أيضاً انتقاص الثمن في البيعة : انظر الفيروزبادى القاموس والمحيط ، ج-٢ ، ص ٢٥٢ وأنظر المقرئى : الخطط ، ج-٣ ، ص ١٩٧ .

(٥) الضرائب : تعرض الضرائب والمكوس نظراً لقله العائد المتاح من المغارم الشرعية كالصدقات والخراج والجزية - الخ وتزداد الحاجة إلى الضرائب كلما زاد الترفى في الدولة وتقليدها لغيرها من البلاد والدول السابقة عليها ، وكثرة نفقات الحاكم سواء بخاصته أم عطائه وما يتطلبه الانفاق على الجيوش والحاميات لذا يلجأ أولى الأمر إلى فرض الضرائب المتنوعة على السلع والبضائع وغيرها داخل الأسواق وهي تزداد في نهاية عهد الدولة مما يؤدي إلى قلة العمران وكساد الأسواق: ابن خلدون : المقدمة ، ص ١٩٦ ، ١٩٧ .

وإحضار الغنائم^(١) وتعددت طرق جباية الضرائب لدى الفاطميين حيث أحكم الفاطميون قبضتهم على مداخل ومخارج إفريقية وكان نظامهم الضريبي نافذاً فقاموا بإنشاء المنافذ الجمركية ومراصد التحصيل في المدن التجارية الحدودية الهامة والتي كانت تمثل ملتقى للقوافل التجارية فأقيمت بمدينة طرابلس نقطتين هامتين لأخذ الضرائب في منطقتي صبره وليده على كل ما هو خارج وداخل إليهما مثل الجمال والأحمال والمحامل والبغال والرقائق والغنم والحمير^(٢) كما فرض الفاطميون الضرائب على الأهالي الذين يقومون بأداء فريضة الحج حيث أمر المهدي سنة ٣٠٩هـ - ٩٢١م أن يكون طريق الحجاج ماراً بمدينة المهدينة ولا يتعدونه لغيره^(٣) كما فرضت الضرائب على كل ما هو داخل أو خارج من مدينة تنس^(٤) وكان الولاة والقائمون على جمع هذه الضرائب لا يتركون منها شيئاً بسبب النسبة التي كانوا يحصلون عليها فكلما كانت الضرائب كثيرة كلما كانت نسبتهم زائدة^(٥) وفرض الفاطميون الضرائب على تجار قابس من اليهود^(٦).

كما فرض الفاطميون المكوس والضرائب على جميع التجارات التي كانت تخرج أو تدخل إلى مدينة سجلماسه وعلى كل ما يباع ويشترى من الإبل، والغنم، والبقر، إلى غير ذلك^(٧) وكانت هذه الضرائب مثمرة للغاية حيث تعتبر سجلماسه الملتقى الرئيسى لقوافل عبور الصحراء^(٨) ولم يتورع الفاطميون عن فرض الضرائب، حتى في أشد الأوقات محنة على أهالي إفريقية^(٩) وكان عمال الجباية من أكثر الناس مهارة في أخذ الضرائب فلا يدعون تاجراً أو قافلة تمر بهم دون تفتيشهم تفتيشاً دقيقاً خوفاً من حيلة البعض في إخفاء ما معه ولا يدعونه يمر دون استيفاء تلك الضرائب^(١٠).

-
- (١) حسين مؤنس : مدخل ، ص ١٣٢ .
 (٢) ابن حوقل : صورة الأرض ، ص ٧١ .
 (٣) ابن عذارى : البيان جـ ١ ، ص ١٨٦ ، ابن خلدون : المقدمة ، ص ١٩٧ .
 (٤) ابن حوقل : صورة الأرض ، ص ٧٨ .
 (٥) جورج مارسليه : بلاد المغرب ، ص ١٦٨ . ابن حوقل : صورة الأرض ، ص ٧٠ .
 (٦) ابن حوقل : صورة الأرض ، ص ٧٢ .
 (٧) نفس المصدر ، ص ٩٦-٩٧ .
 (٨) جورج مارسليه : بلاد المغرب ، ص ١٦٦ : لويس : القوى البحرية ، ص ٣٣١ .
 (٩) ابن عذارى : البيان ، جـ ١ ، ص ١٨١ .
 (١٠) ابن حوقل : صورة الأرض ، ص ٧٠-٧١ .

وظهرت سياسة الفاطميين المالية بصورة جلية منذ دخول عبيد الله المهدي مدينة رقاده ٢٩٧هـ-٩٠٩م حين طلب منه الأهالي الأمان لأحوالهم فأعرض عنهم فخافه أهل العقل منذ ذلك الوقت ^(١) وبهذا فقد خالف سياسة قائده أبي عبدالله الذي منع جنده من النهب وسلب الأسواق ^(٢) برغم وعده لهم بذلك قبل دخول القيروان .

ومثلت مدينة صبره أحد أهم المنافذ الجمركية والتي تتحصل فيها الضرائب يومياً فلم يكن هناك تاجراً أو غيره يستطيع دخول القيروان إلا بعد قيامه بدفع ما قرر عليه من ضرائب ^(٣) .

وكان مجموع الأموال المتحصلة من مدينة صبره يومياً نحو مائة وثلاثون ألف درهم فقد كان عدد أبوابها خمسة أبواب وكان دخل أحد أبوابها في كل يوم ستة وعشرون ألف درهم ^(٤) .

وتحت وطأة الضرائب وتشدّد الجباة لجأ أهالي بعض المدن بجعل أبواب بيوتهم أقل ارتفاعاً عن غيرها من المدن : خوفاً من الجباة وحتى لا تستطيع الدواب دخولها وكان ذلك بمدينة قلشانه القريبة من القيروان. ^(٥) وكان على كل مدينة ساحلية تشتهر بالتجارة دفع الجبايا لبيت المال ، غير الجبايا الأخرى ، وكانت دخول المدن تختلف فيما بينها فجباية ساحل القيروان والذي يضم مدن سوسة ، والمهدية وصفاقس ، وتونس ، كان يمد بيت المال بثمانين ألف متقال ^(٦) .

وكانت جباية مدينة ققصة خمسون ألف دينار ^(٧) وكانت جباية مدينة القل التي تمثل مرسى مدينة القسنطينة عظيمة ^(٨) وسار بنو زيري على نفس السياسة الضريبية للفاطميين ففي عهد

(١) ابن عزاري : البيان ج١، ص١٥٨، محمود اسماعيل المالكيه والشريعة بإفريقية ، المجلة التاريخية ج٢٣، ١٩٧٦، ٨٤ .

(٢) ابن عزاري : البيان ، ج١ ، ص ١٥٠-١٦٦ . محمود إسماعيل : المالكية والشريعة : المجلة التاريخية، ج٢٣، ٧٨ .

(٣) البكري : المغرب ، ص٢٥ ، أرشيالد لويس ، القوى البحرية ، ص ٣٣٠ .

(٤) مجهول : الاستبصار ، ج٦ .

(٥) البكري : المغرب ، ص ٢٩ .

(٦) نفس المصدر ، ص ٣٦ .

(٧) مجهول : الاستبصار ، ص ٤٠ .

(٨) نفس المصدر ، ص ١٨٠ .

بلكين^(١) بلجين (بلقين) ابن زيرى (٣٦١-٣٧٣هـ) وبمجرد توليه الملك قام بإرسال الحياة إلى سائر أنحاء إفريقية وكان مسئول الجباية بإفريقية في ذلك الوقت أحد المساعدين لبلكين والذي قام الخليفة الفاطمي المعز بتعيينه قبل الرحيل للقاهرة لمساعدته وهو أبو مضر زيادة الله بن عبدالله بن القديم^(٢) ومن أكبر أنواع الجبايا التي وقعت على أهالي إفريقية بسائر نواحيها ما يمكن أن نسميه غرم التعيين وذلك في سنة ٣٦٦هـ / ٩٧٨م حيث جمع عبدالله الكاتب عامل إفريقية والقيروان الناس وأخذ من أعيانهم ستمائة رجل من الأغنياء ووقع عليهم هذا الغرم فكان يأخذ من أحدهم عشرة آلاف دينار ومن الآخر ديناراً وكان مجموع ما جمعه من القيروان فقط يزيد على أربعمئة ألف دينار ، ويبدو أن الأهالي شعروا بالضيق وقاموا بالشكوى إلى الخليفة بمصر فأمر نائبه على إفريقية بالكف عن ذلك . وقام بإرجاع بعض صرر الأموال - التي كانت دون شك للشيعنة - إلى أصحابها وكان هذا الغرم عاما على جميع طبقات الناس بإفريقية ولم ينج منه سوى الفقهاء والصلحاء والأدعياء وأولياء السلطان^(٣) وبلغت الأموال المتجمعة في عهد عبدالله الكاتب مبلغاً عظيماً حتى بنى لها بيتان

(١) أبو الفتوح يوسف ابن زيرى بن مناد : تولى إفريقية سنة ٣٦١هـ ، ٩٨٢م عقب خروج الخليفة الفاطمي الرابع المعز لدين الله من إفريقية إلى مصر وأمر جميع عماله بالسمع والطاعة له وظل أبى الفتوح الخليفة المطيع لأمر الخلفاء الفاطميين وتبادل الهدايا معهم طمعا في ودهم وإظهار الولاء لهم وقام باجتياح المغرب سنة ٣٦٣هـ - ٩٧٥م واعاده إلى امرة الفاطميين وأضاف الخليفة العزيز بالله مدن طرابلس وسرت واجدابيه إلى ملك يوسف بعد أن طلبها منه ، ثم قام باجتياح المغرب مرة أخرى في عهد العزيز وغذا برغواطه (بنى غواطه) وانتصر عليهم بعد حروب كثيرة وفرت من امامه قبائل زناته ثم توفي سنة ٣٧٣هـ - ٩٩٤م عقب عودته من هذه الحرب بمكان يقال له واركنفو وهو في طريقه إلى مدينة سجلماسة لتخليصها من يد ابن خزرون الزناتى الذى استطاع دخولها وأخذ أموالها . وقام ببناء مدينة أشير بسفح جبل تيطرى كما تم بناء مدن مليانه والجزائر المنسوبة لبنى مزغنه والمديه في عهده . ابن عزارى : البيان ، ج١ ، ص ٢٢٨ - ٢٣٢ ، ص ٢٣٧ - ٢٣٩ . الذهبى : العبر في خبر من غبر ، ج٢ ص ١٥٧ . ابن أبى دينار : المؤنس، ص ٧٤-٧٥ . الباجى : الخلاصة النقية ، ص ٤٣-٤٥ . ابن أبى الضياف : اتحاف أهل الزمان ، ص ١٣١ - ١٣٢ . احمد ابن عامر : الدولة الصنهاجية ، ص ١٠-١٣ - ١٩ . الجناجى : القيروان، ص ٩٨ - ١٠٠ .

(٢) الهادى إدريس : الدولة الصنهاجية ج١ ، ص ٨٠ ، ٨١ ، أرشيبالد لويس : القوى البحرية ، ص ٣٣٠-٣٣١ .

(٣) ابن عزارى : البيان ، ج١ ، ص ٢٣٠ .

أحدهما من الجريد والآخر من الخشب ووضعها بهما ^(١) وأشار بن حوقل ^(٢) إلى مجموع المبالغ المتجمعة من الضرائب على التجارة بإفريقية سنة ٣٣٦هـ وسنة ٣٦٠هـ بما قيمته سبعمائة إلى ثمانمائة ألف دينار . ولم يكن الفاطميون يسمحون بخفض أو إلغاء الضرائب المفروضة على الأهالي بأى صورة من الصور ^(٣) وبرغم علمهم بما كان يعايشه الأهالي من صعوبات ^(٤) .

واستمرت بعض أنواع الضرائب طوال مدة حكمهم بالمغرب ، ومصر ، مثل الضريبة التى فرضت سنة ٣٠٩هـ / ٩٢١م على حجاج إفريقية الذين كانوا يلاقون ضغطاً شديداً وعنتاً بالغاً من جانب الجباة الموكولون بذلك وكانت تقدر هذه الضريبة بسبعة دنانير ونصف دينار مصرى على كل حاج ولم يكن ينح منها أحد من الحجاج حتى من ليس لديهم القدرة على النفقة أو من ليس لديه فائض من المال وكان الجباة يبتكرون أنواعاً من التعذيب لإجبار الحجاج على الدفع ، وكما كانت المهدية محطة الدفع الأولى بإفريقية كانت مدينة عيذاب المصرية على ساحل البحر الأحمر هى المحطة التالية لأخذ الضريبة حتى أطلق عليها البعض اسم عذاب . وكانت الضرائب تشمل كل شئ مما يباع أو يشتري مما دق أو جل حتى كان يؤدى على شرب الماء ضريبة فضلاً عما سواه ^(٥) وكان على كل حاج أخذ إيصال براءة من الجباة بأنه قام بدفع ما عليه من المكوس حتى يتسنى له الذهاب إلى مدينة جدة فيقوم بدفع المكوس مرة أخرى لصاحب مكة . وفى ظل هذا النظام الشديد القبضة من الحياة لم يكن يسمح لأى شخص بالعبور دون دفع المكس وإن تم العثور على شخص ثبت عدم دفعه للمكس طوالب به من سمح له بالمرور ، وكان بعض الحجاج يتعرضون للحبس وعدم التمكن من أداء فريضة الحج لقلة ما معه من مال وفى أحيان أخرى يقوم الحجاج بدفع المكس لبعضهم ^(٦) .

(١) ابن عزارى : البيان ، ج ١ ، ص ٢٣٨ .

(٢) صورة الأرض ، ص ٩٤ .

(٣) الخشنى : قضاة قرطبه وعلماء إفريقية ، ص ٢٢٢-٢٢٣-٢٢٨ .

(٤) نفس المصدر : ص ٣٠١-٣٠٢ .

(٥) ابن جبير : الرحلة ، ص ٥٥ .

(٦) الحميرى : الروض المعطار ، ص ٤٢٤ .

وفرضت الضرائب على جميع أنواع الصناعات بأسواق إفريقية المختلفة ^(١) وكانت الضرائب على مدينة بونه غير ما تمثله جباية بيت المال بها عشرون ألف دينار ^(٢) ومن أكثر المدن التي فرضت عليها الضرائب لأهميتها التجارية مدينة مرسى الخرز فكان للسلطان أمناء خاصين به على ما يخرج منها غير ما تتم جبايته على ما يخرج منها من معدن المرجان إلى جانب المناظر الذي يلي صلاتها ومعاونها ^(٣) .

وهناك أنواع عدة من الضرائب مثل ضريبة الأرتفاق ^(٤) التي يقوم بدفعها الأشخاص الساعون إلى تقلد الوظائف الهامة أو ضمان بقائهم في مناصبهم دون تغيير . وعملت السياسة الضريبة للمهدى على وقوع عدد كبير من الأغنياء في الفقر والفاقة حتى عجزوا عن الصرف على ما تبقى لهم من الأرض الزراعية ^(٥) .

وبالرغم من كثرة تلك الضرائب وفداحتها فقد ازدادت ثروة إفريقية ، في أثناء حكم الفاطميين وبنى زيري ، وعمها الرخاء في جميع مجالات الحياة بها تجاريا وصناعيا وزراعيًا بصورة لم تشهدها من قبل ^(٦)

(١) عبد المنعم ماجد : نظم الفاطميين ، جـ ١ ، ص ١٨٨ .

(٢) الحميري : الروض المعطار ، ص ١١٥ .

(٣) ابن حوقل صورة الأرض ، ص ٧٦ .

(٤) جورج مارسيل : بلاد المغرب ، ص ١٦٧ .

(٥) محمود إسماعيل : المالكية والشيعة : المجلة التاريخية ، جـ ٢٣ ، ص ٨٤-٨٥ .

(٦) آدم متز : الحضارة الإسلامية ، جـ ٢ ، ص ٢٥٤-٢٥٥ .

الخاتمة

الخاتمة

الخاتمة

توصلت من خلال بحث " أسواق إفريقية خلال العصر الفاطمي وبنى زيري ٢٩٦/٤٤٠ هـ - ١٠٥٢/٩١٨ م" إلى نتائج هامة ومتعددة، عما كانت عليه أسواق إفريقية خلال تلك الحقبة التاريخية الهامة من تاريخها الإسلامي، وأظهرت العديد من النتائج منها: مدى التقدم الحضاري الذي تمتع به إقليم إفريقية في كافة نواحي الحياة في القرية والمدينة على السواء، وأن إفريقية في مجال الزراعة مثلت إحدى المناطق الزراعية الهامة بما كانت تنتجه أرضها الخصبة من المحاصيل الزراعية الهامة، والفاكهة، والثمار، والأشجار، مما أدى إلى تمتعها بالاكتماء الذاتي لها بل جعلتها منطقة هامة في تصدير المحاصيل والمنتجات الزراعية كالزيتون والقطن والكتان والقمح والشعير وغيرها من البلدان الأخرى.

كما أثبتت الدراسة أيضا أن إقليم إفريقية تحت حكم الفاطميين، وبنى زيري، إتبعت في المجال الزراعي به أساليب علمية هامة في نظم الري المتقدمة في ذلك الوقت مثل نظام الري عن طريق النضج إلى جانب الوسائل المعروفة الأخرى.

وأثبتت الدراسة أيضا في المجال الصناعي. مدى التقدم الذي كانت عليه إفريقية كإحدى أهم القلاع الصناعية واحتلت مكانة عالية مرموقة في العالم الإسلامي وحظيت بها الصناعات المختلفة خفيفة كانت أو ثقيلة أو صناعات الزينة وصناعة الزيوت، مرتبة عالية بين جارتها من الدول ونافست بجودتها وحسنها وتأنقها مثيلاتها من الدول المتقدمة في ذلك الوقت ووجدت صناعاتها المختلفة طريقها بيسر وسهولة وقوه إلى الخارج، وتهافتت عليها الأسواق.

أما فى المجال التجارى فقد بينت الدراسة أن إفريقية لم تكن تقل بأى حال من الأحوال عن غيرها فصارت لها مكانة مرموقة وصارت إفريقية سيدة الجزء الغربى للبحر المتوسط وقامت بعقد المعاهدات التجارية مع غيرها وصار تجارها سادة للبحار يجوبون بحريه وأمان بسفنهم التجارية موانئ العالم شرقاً وغرباً شمالاً وجنوباً ، كما كان لموقعها المتميز أحد الاسباب الهامة التى عملت على جذب التجار من مختلف انحاء العالم واكتظت موانئها على كثرتها بسفن وتجار العالم ليلاً ، ونهاراً ، وعلى مدار ساعات اليوم والعام .

أما من ناحية استخدام وانشاء الطرق التجارية. فبينت الدراسة تمتع إقليم إفريقية بشبكة هامة مترامية مترابطة للطرق التجارية ، ربطت بين جميع اجزائها مما سهل عمليات الانتقال السلس للأمن للأفراد والتجار .

وأوضحت الدراسة فى مجال السكة تمتع إفريقية بسكة قوية وتمتعها باستخدام موحد للصرف بها وكان الفاطميين قد شرعوا فى ضرب سكتهم قبل أن يتم الاعلان عن قيام الخلافة بنحو خمس سنوات واتباعهم قاعدة النقد الموحد ، أو قاعدة الذهب مثل غيرها من الدول المتقدمة فى ذلك الوقت . إلى جانب استخدام وسائل أخرى كالصكوك ، والسفانج ، مما جعل التبادل التجارى يتميز بالسهولة واليسر والتخفيف عن كاهل المتعاملين داخل الاسواق .

وأوضحت الدراسة المتوسط الذى كانت عليه الاسعار، فى مختلف مدن إفريقية ، ودور الثوار فى ضرب سكة خاصة بهم فى المناطق التى قاموا بالثورة فيها ، كما تبين مدى ما استفادت به إفريقية فى النواحي المختلفة نتيجة للنشاط التجارى الضخم بها .

الملحق

الملحق

ملحق رقم ١

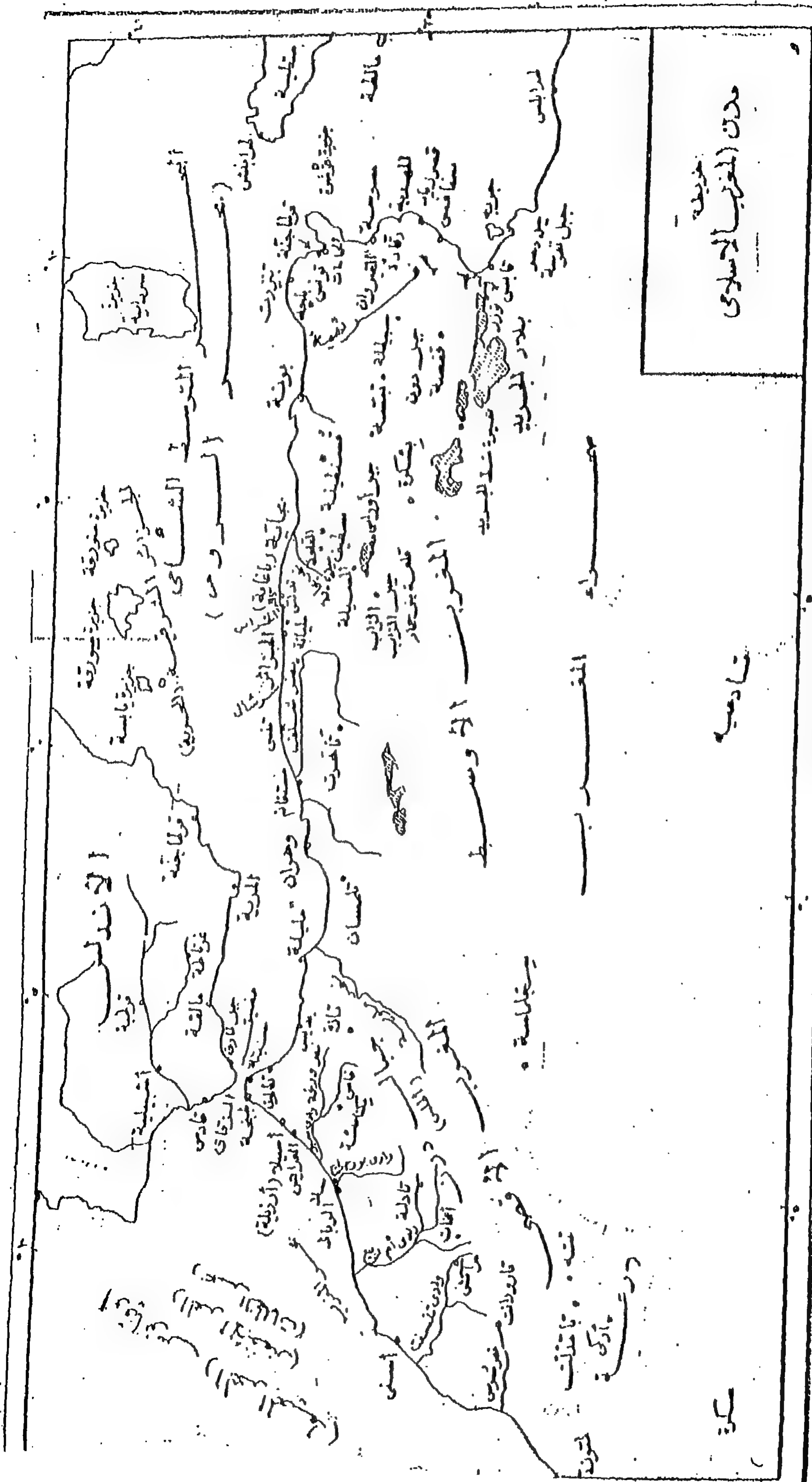
الخلفاء الفاطميون

- ١- المهدي أبو محمد عبيد الله بن الحسن بن علي ٢٩٧هـ - ٣٢٢هـ
- ٢- القائم بأمر الله أبو القاسم نزار بن محمد بن المهدي ٣٢٢هـ - ٣٣٤هـ
- ٣- المنصور بالله أبو الطاهر إسماعيل ٣٣٤هـ - ٣٤١هـ
- ٤- المعز لدين الله أبو تميم معد بن المنصور ٣٤١هـ - ٣٦٥هـ
- ٥- العزيز بالله أبو منصور نزار ٣٦٥هـ - ٣٨٦هـ
- ٦- الحاكم بأمر الله أبو علي منصور بن العزيز ٣٨٦هـ - ٤١٠هـ
- ٧- الظاهر لإعزاز دين الله أبو هاشم علي بن الحاكم ٤١٠هـ - ٤٢٧هـ
- ٨- المستنصر بالله أبو تميم معد بن الظاهر ٤٢٧هـ - ٤٨٧هـ

ملحق رقم ٢

حكام إفريقية من أسرة بني زيري

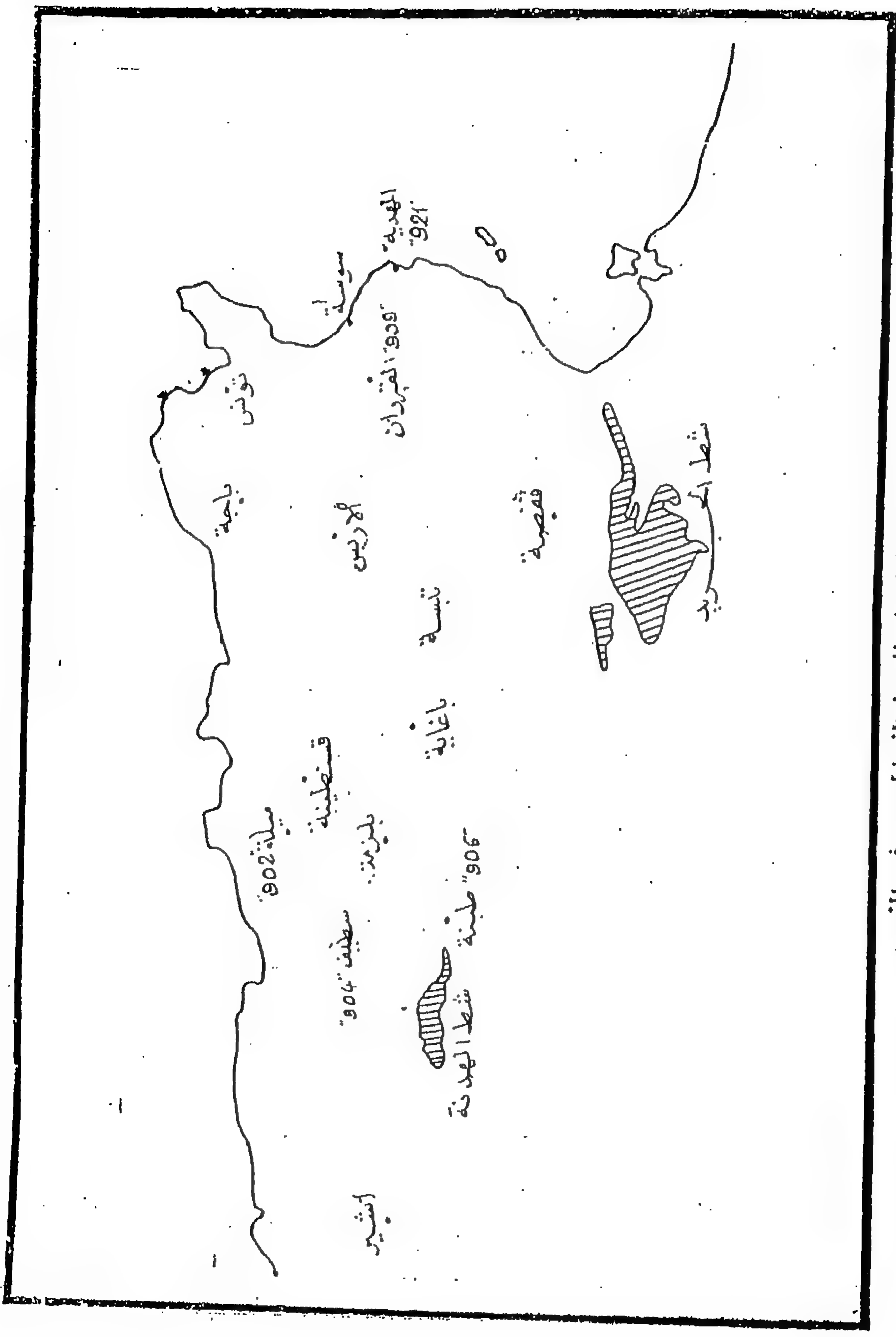
- ١- أبو الفتوح يوسف بلكين بن زيري ٣٦١هـ - ٣٧٣هـ
- ٢- المنصور بن بلكين بن زيري ٣٧٣هـ - ٣٨٦هـ
- ٣- باديس بن المنصور بن يوسف ٣٨٦هـ - ٤٠٦هـ
- ٤- المعز بن باديس ٤٠٦هـ - ٤٥٣هـ
- ٥- تميم بن المعز بن باديس ٤٥٣هـ - ٤٥٦هـ
- ٦- يحيى بن تميم ٤٥٦هـ - ٥٠١هـ
- ٧- علي بن يحيى ٥٠١هـ - ٥٠٩هـ
- ٨- الحسن بن علي ٥٠٩هـ - ٥٤٣هـ



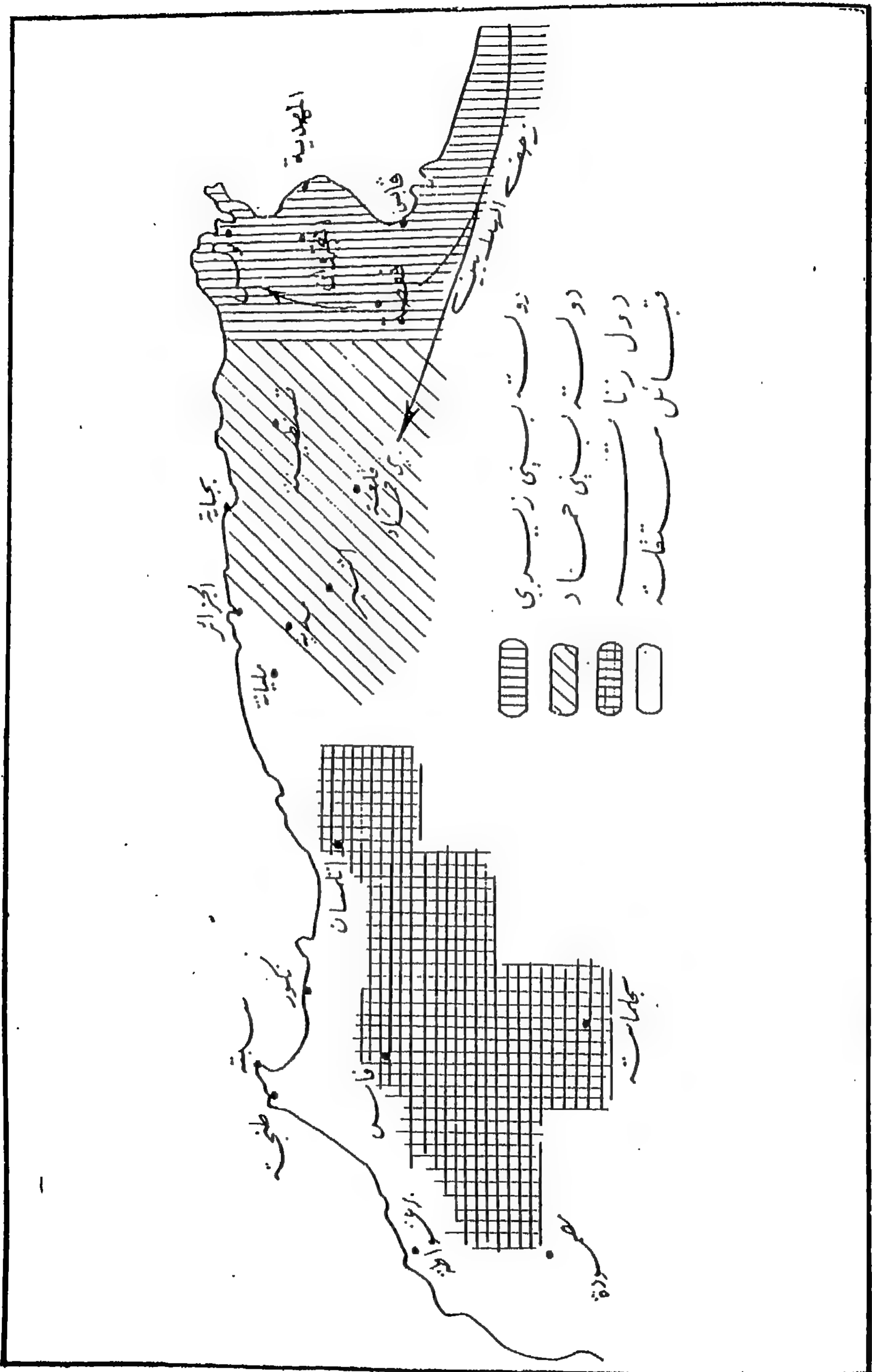
مغرب
مدن المغرب الاسلامي

تاريخ

عبد المصطفى ماجد - ٢ طبع العالم الاسلامي

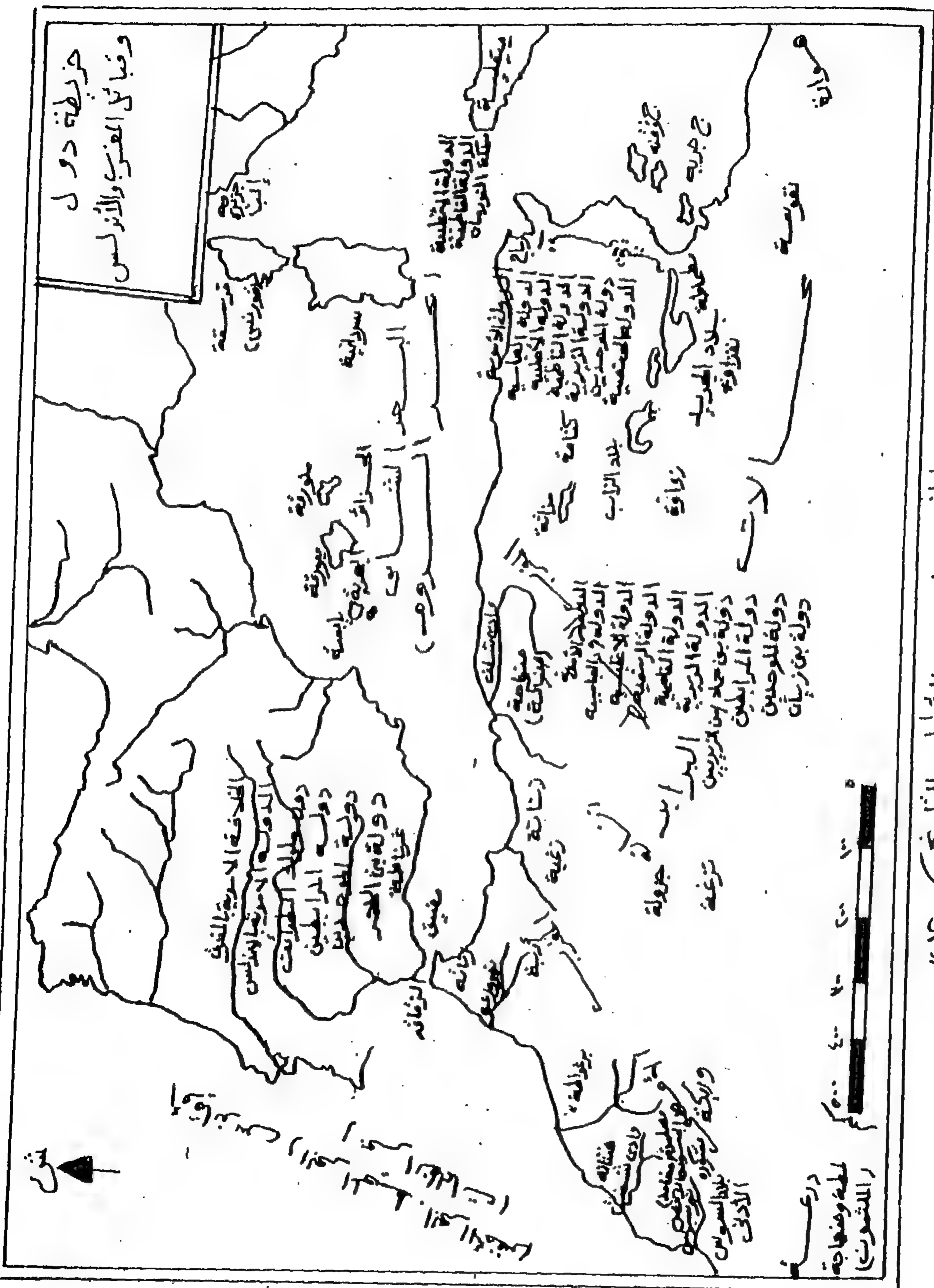


7- مراحل انتشار نفوذ الفساطيين في المغرب
الحسين الجفاتي - القروا

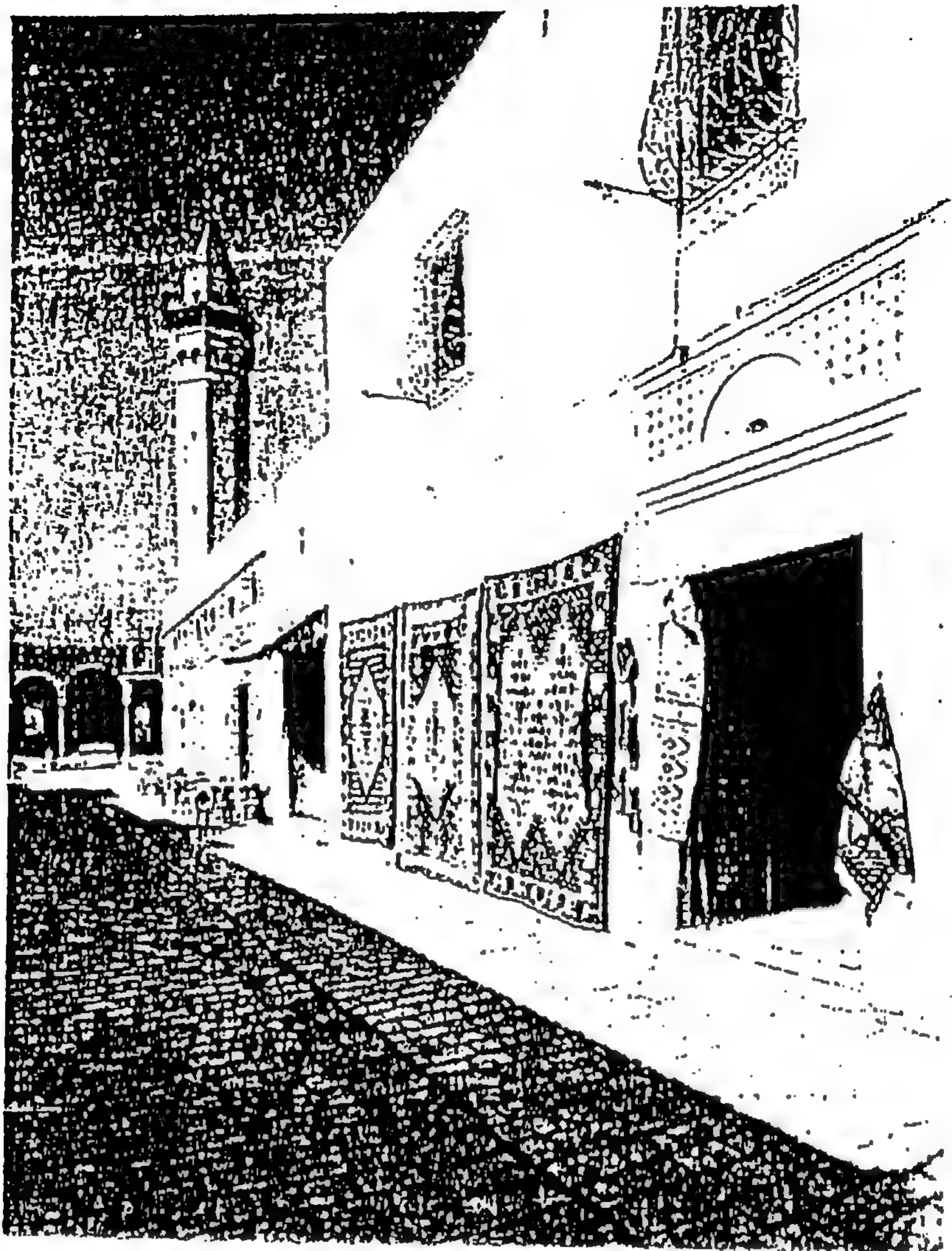




خريطة من عمل الياس



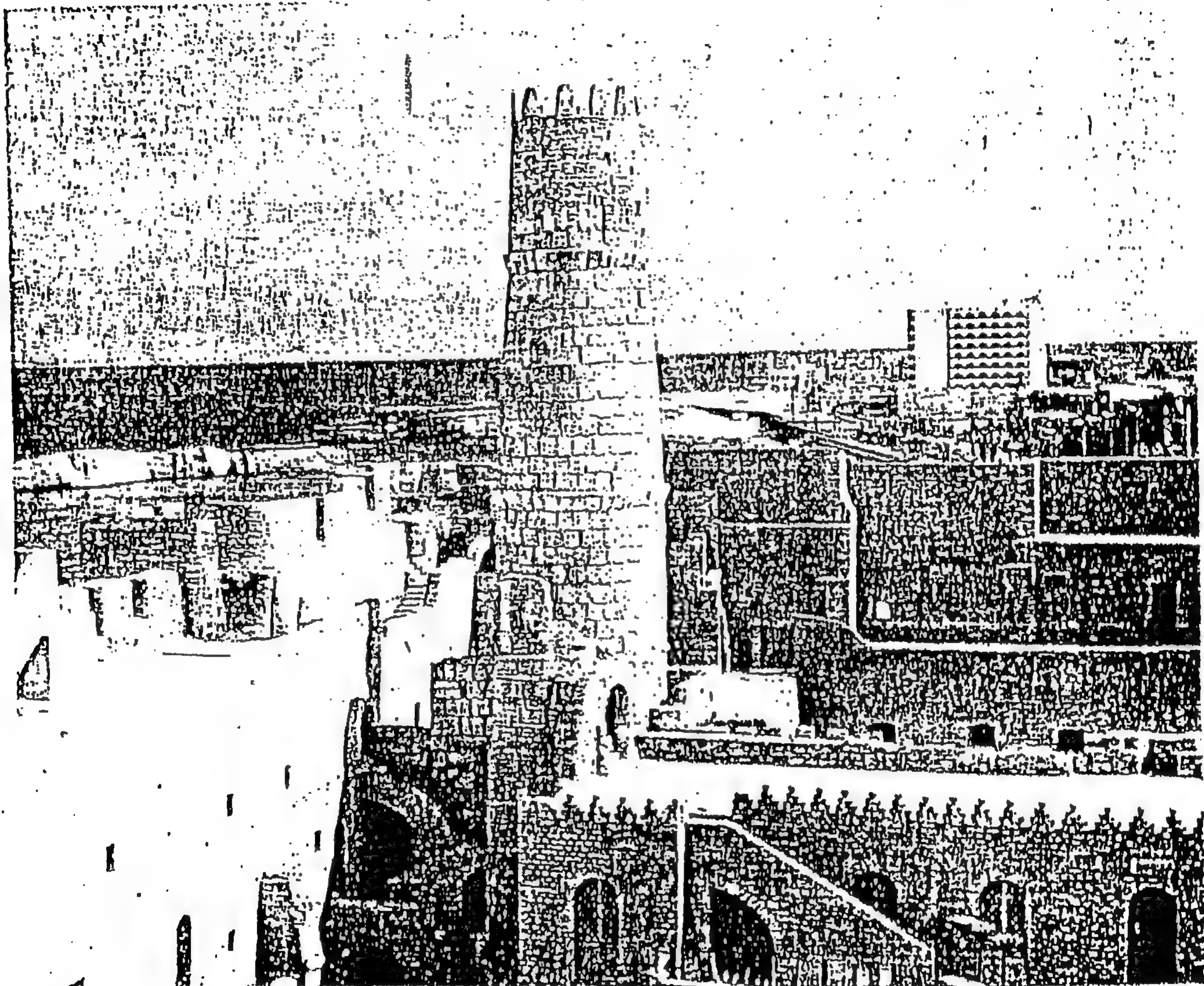
عبد المنعم صاحب: الأطللس الناصري، ص ١٢٠



تمتاز أسواق تونس بطابعها الشرقي

الأصيل ونظاماتها

أحمد مبرح - تونس



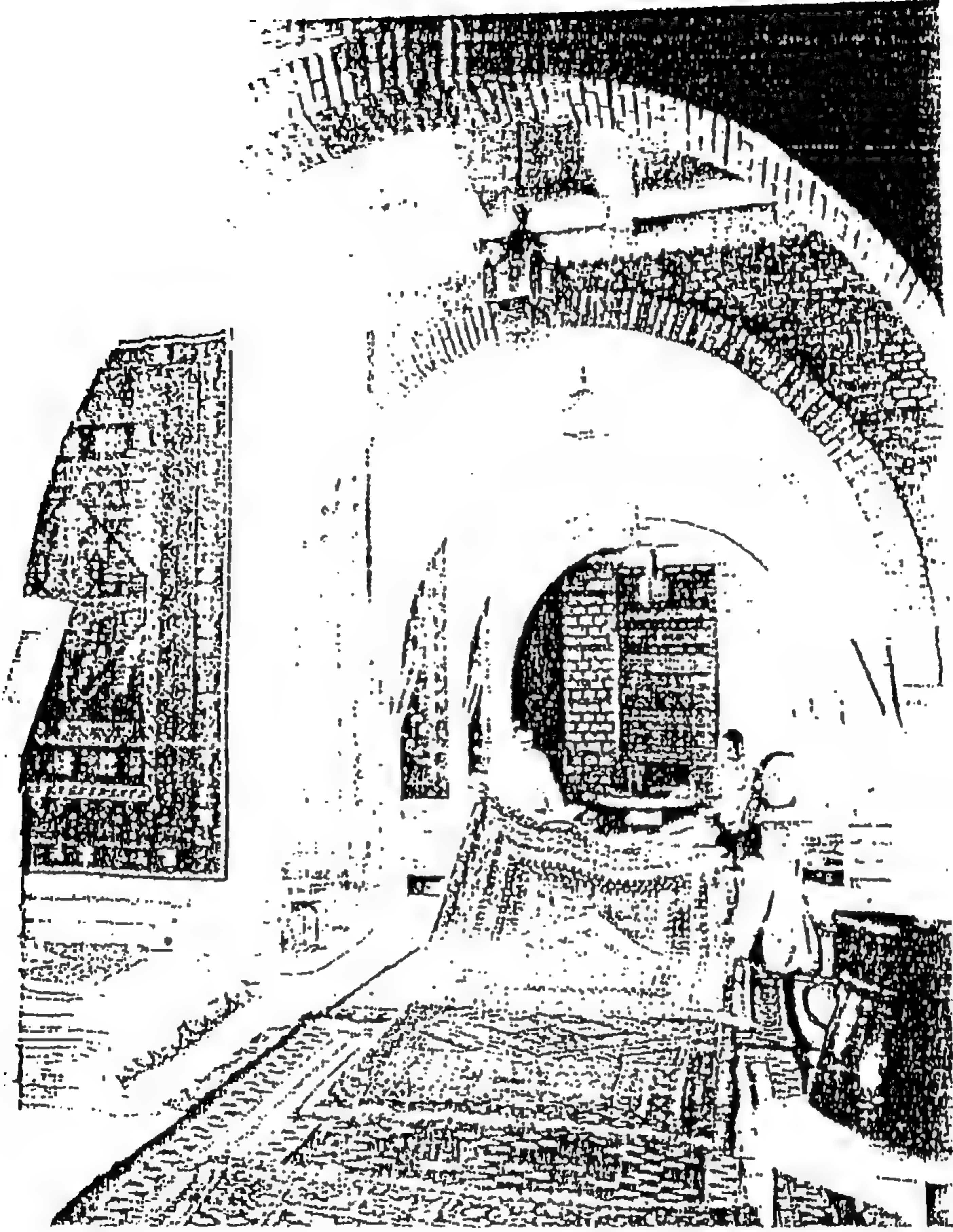
رباط مونسیر
أحمد پاجه تونس



تطريز الملابس بخيوط الذهب والفضة حرلة لنية
 بدم التونسيون فيها وتتجلى فيها روعة الفن الإسلامي
 أحمد ماجة - تونس

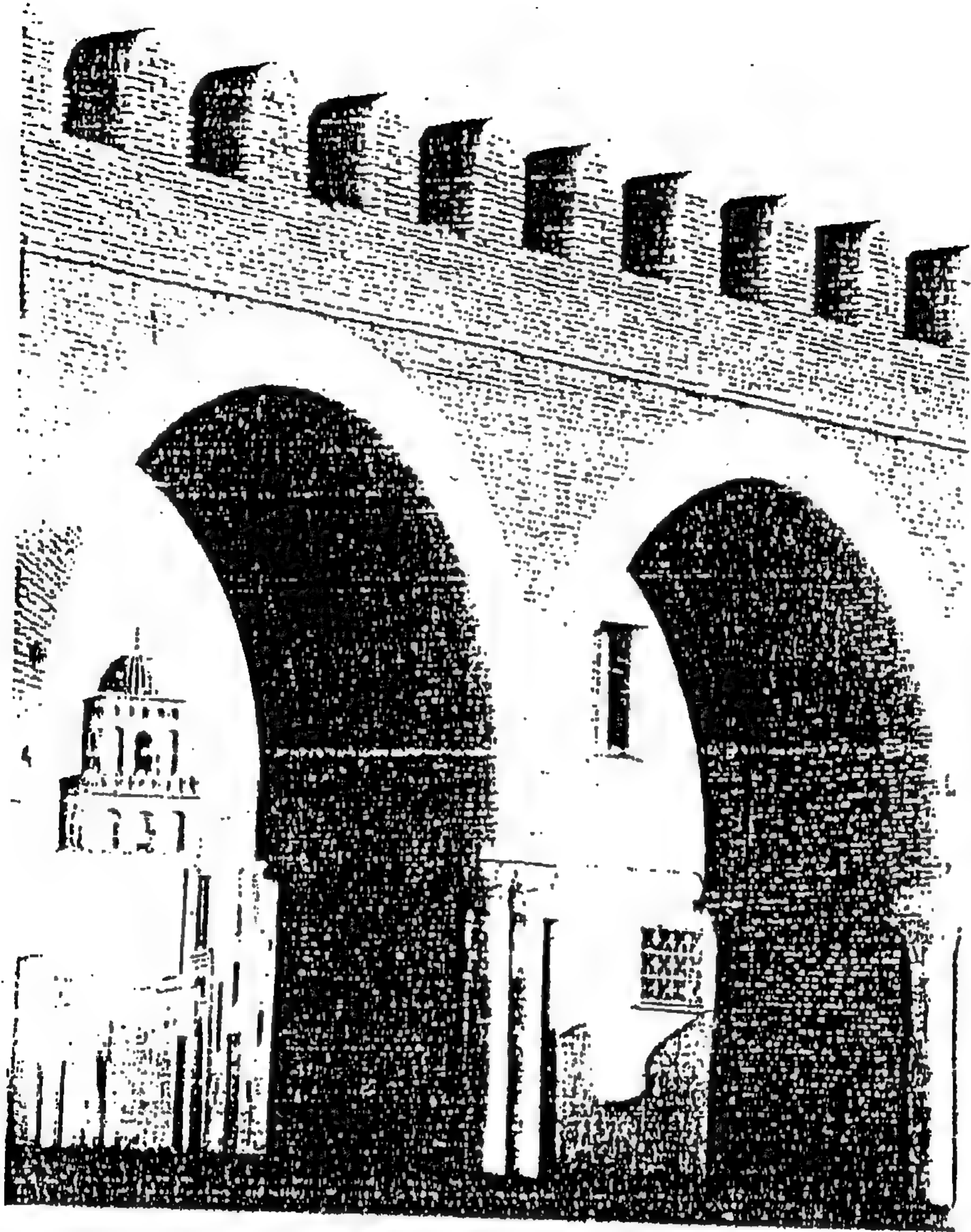


الشوارع القديمة في تونس بعددما العربية
أ حصر هليج «تونس»

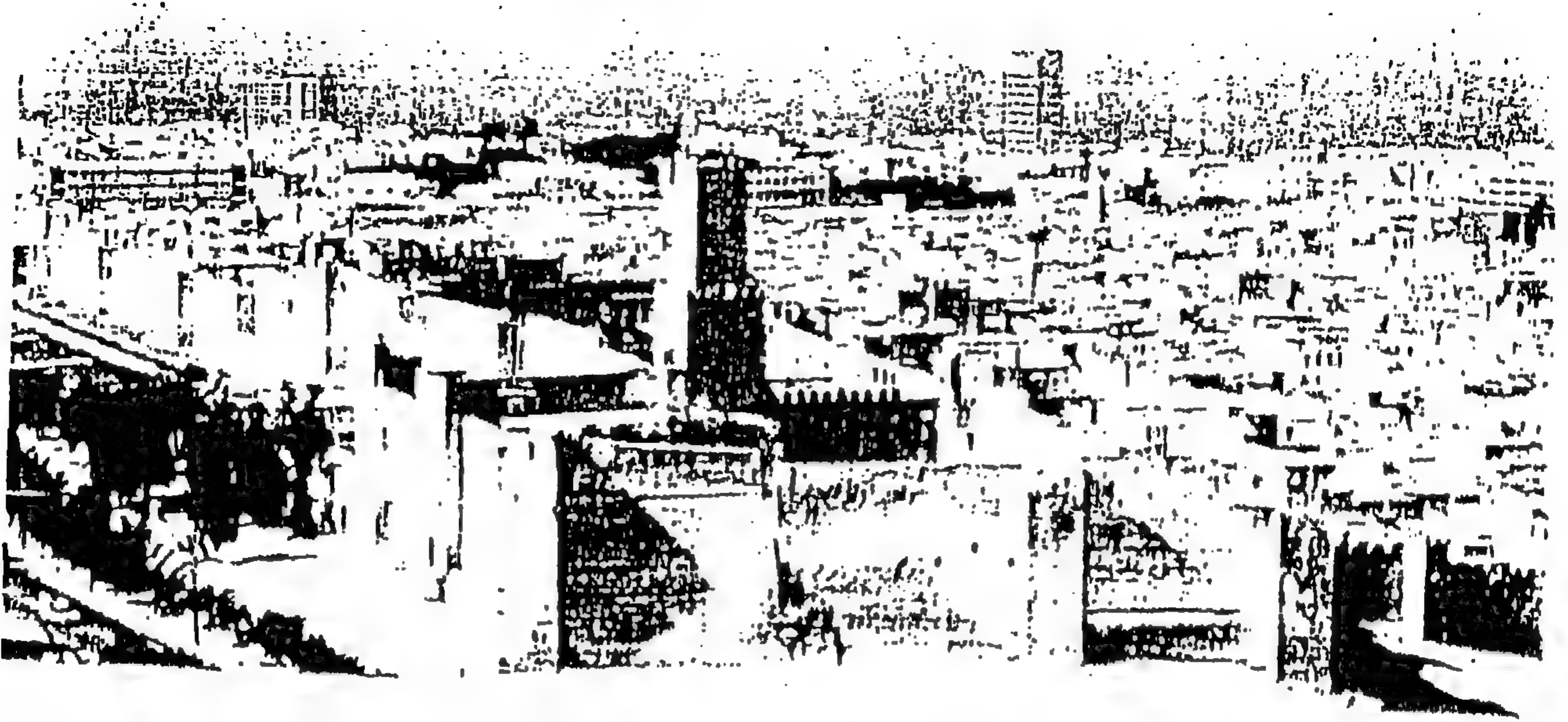


صناعة السجاد اليدوي من الحرف الشهيرة

في مدينة تونس
أحمد صليحة - تونس



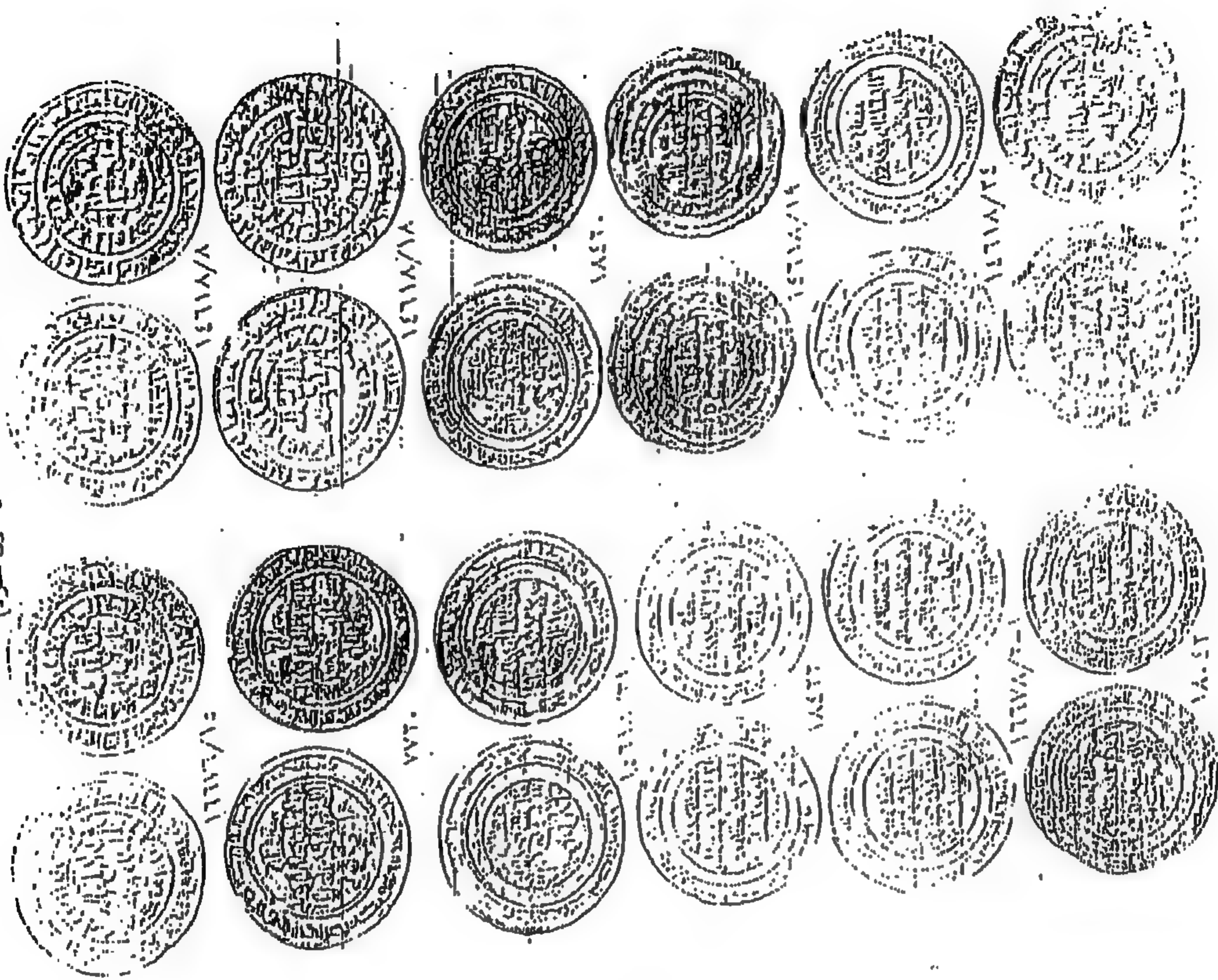
ابواب مدينة القيروان وأسوارها
أحمد مهابي - تونس



مدينة سوسة واسوارها القديمة
أحمد ملاح - تونس

(لوحة ١٧) نتائج التفتيش الحاكم بأمر الله

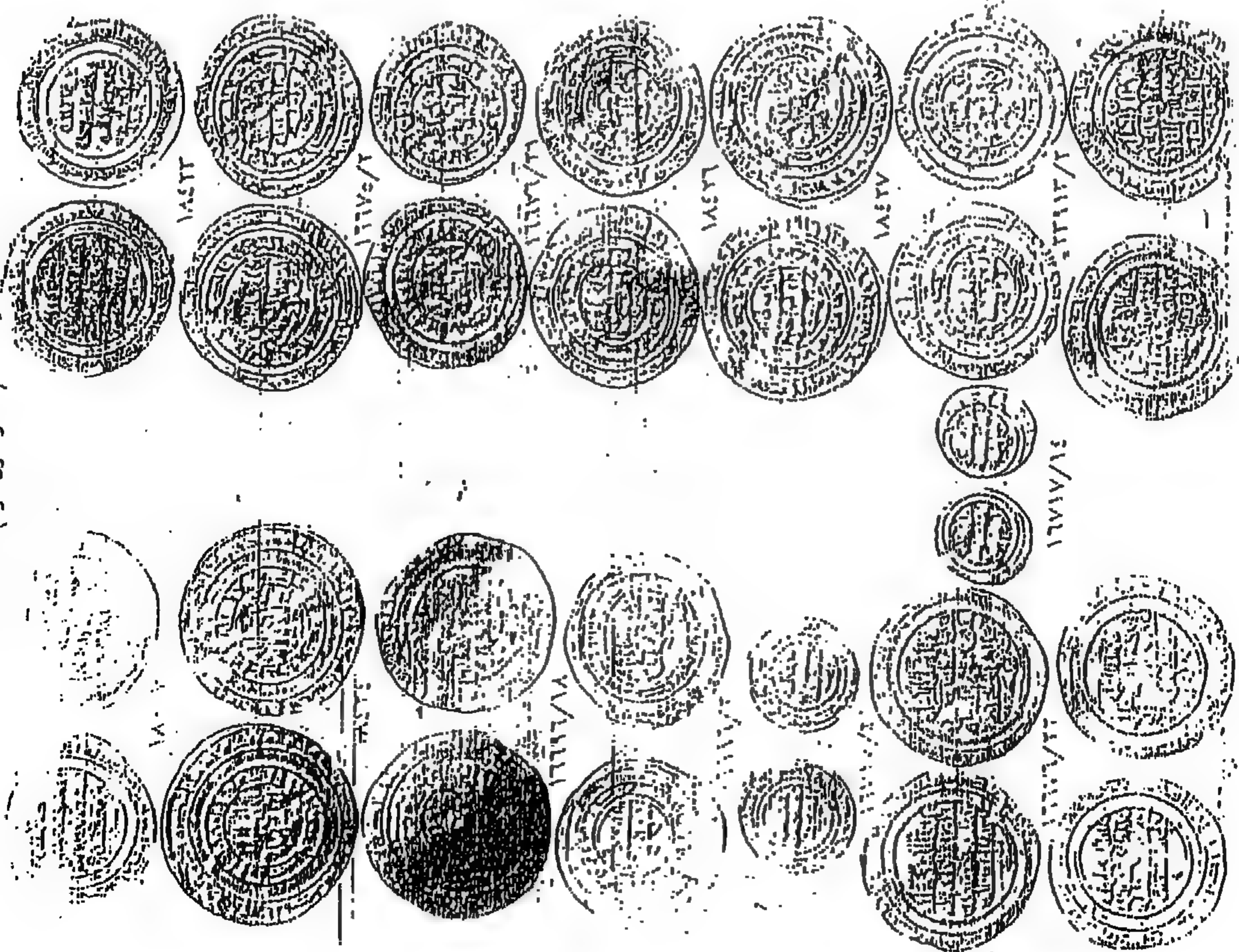
(تشر لأول مرة)

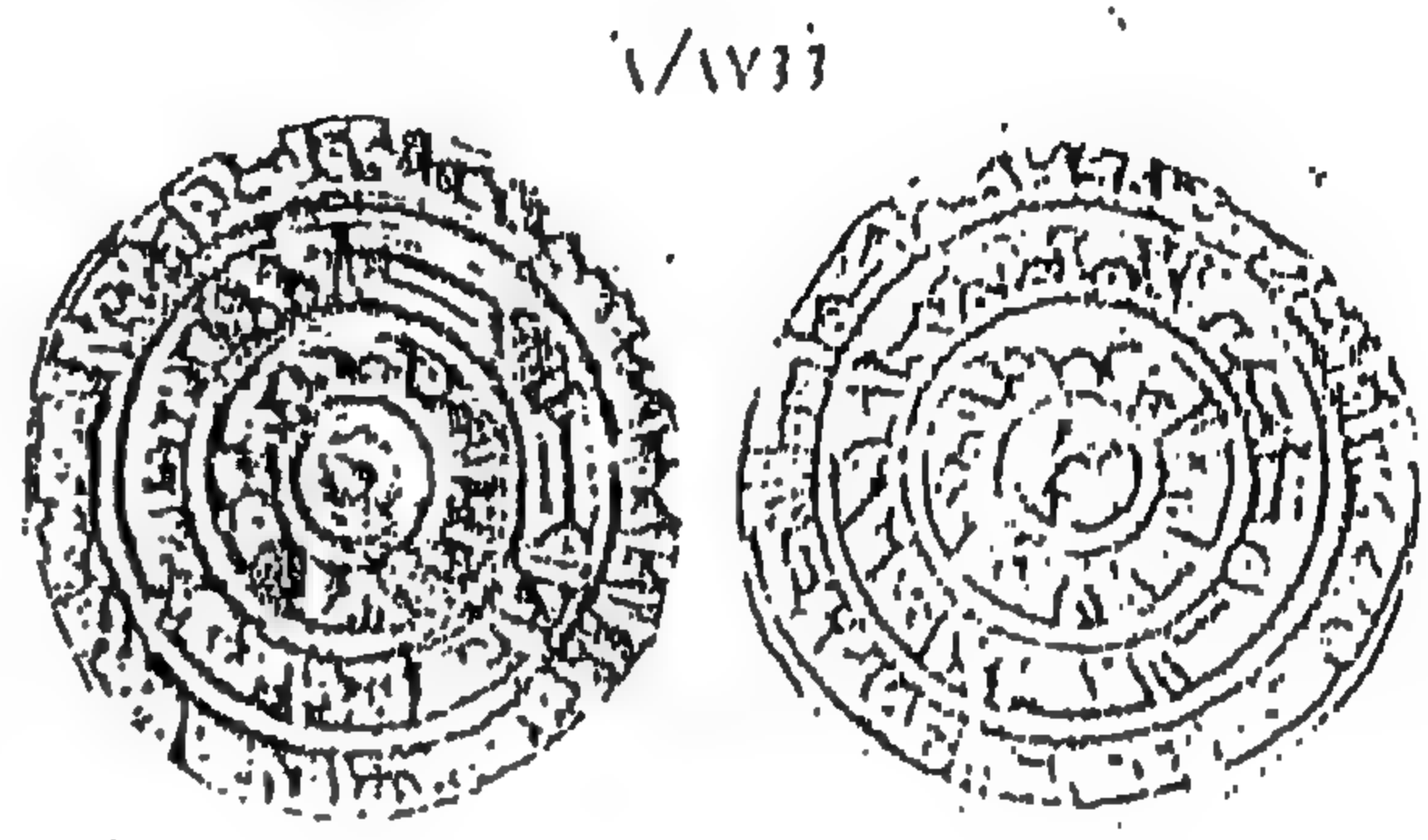
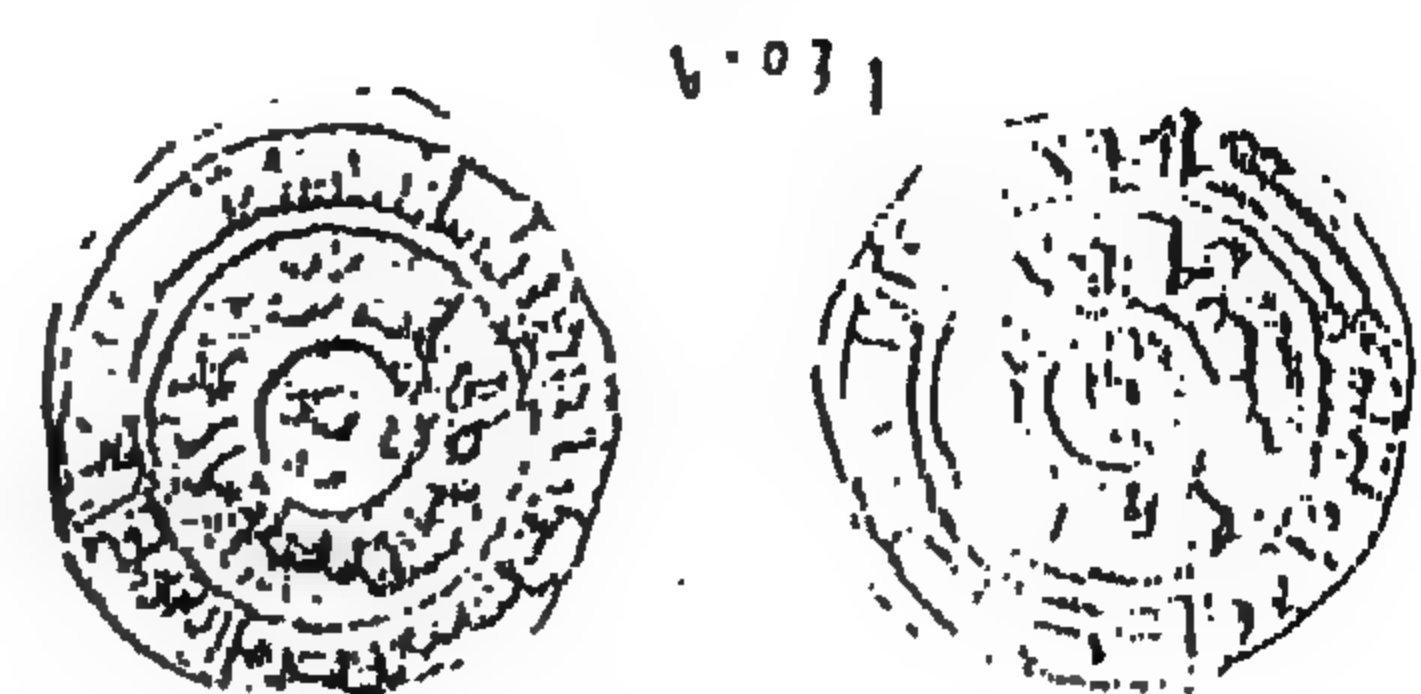
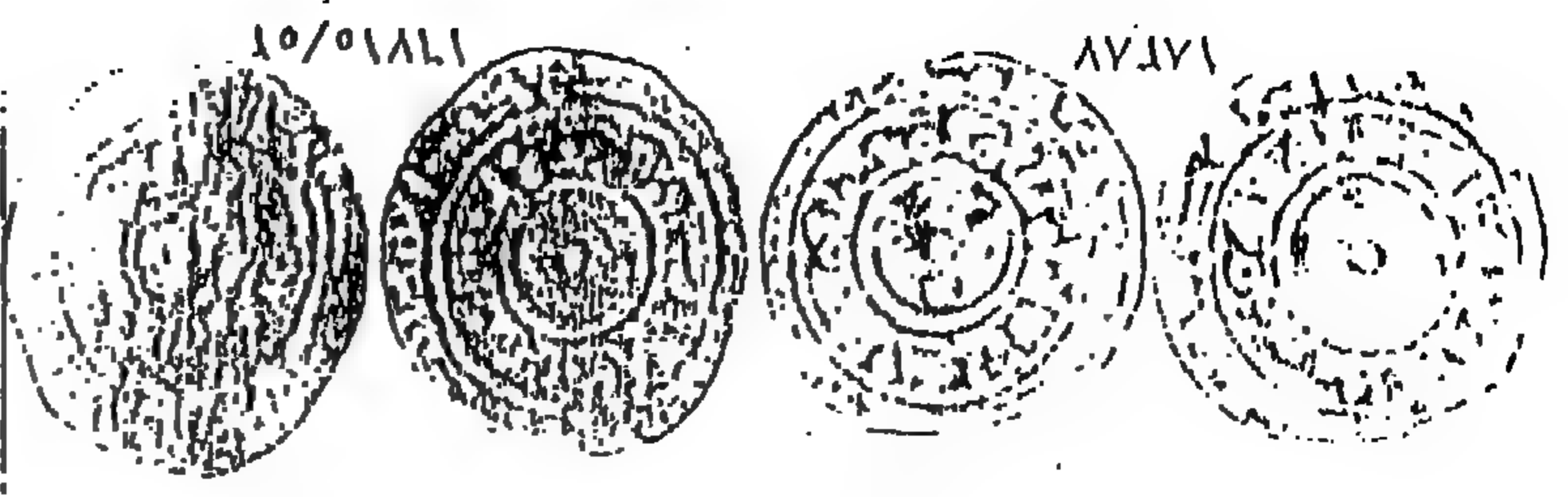
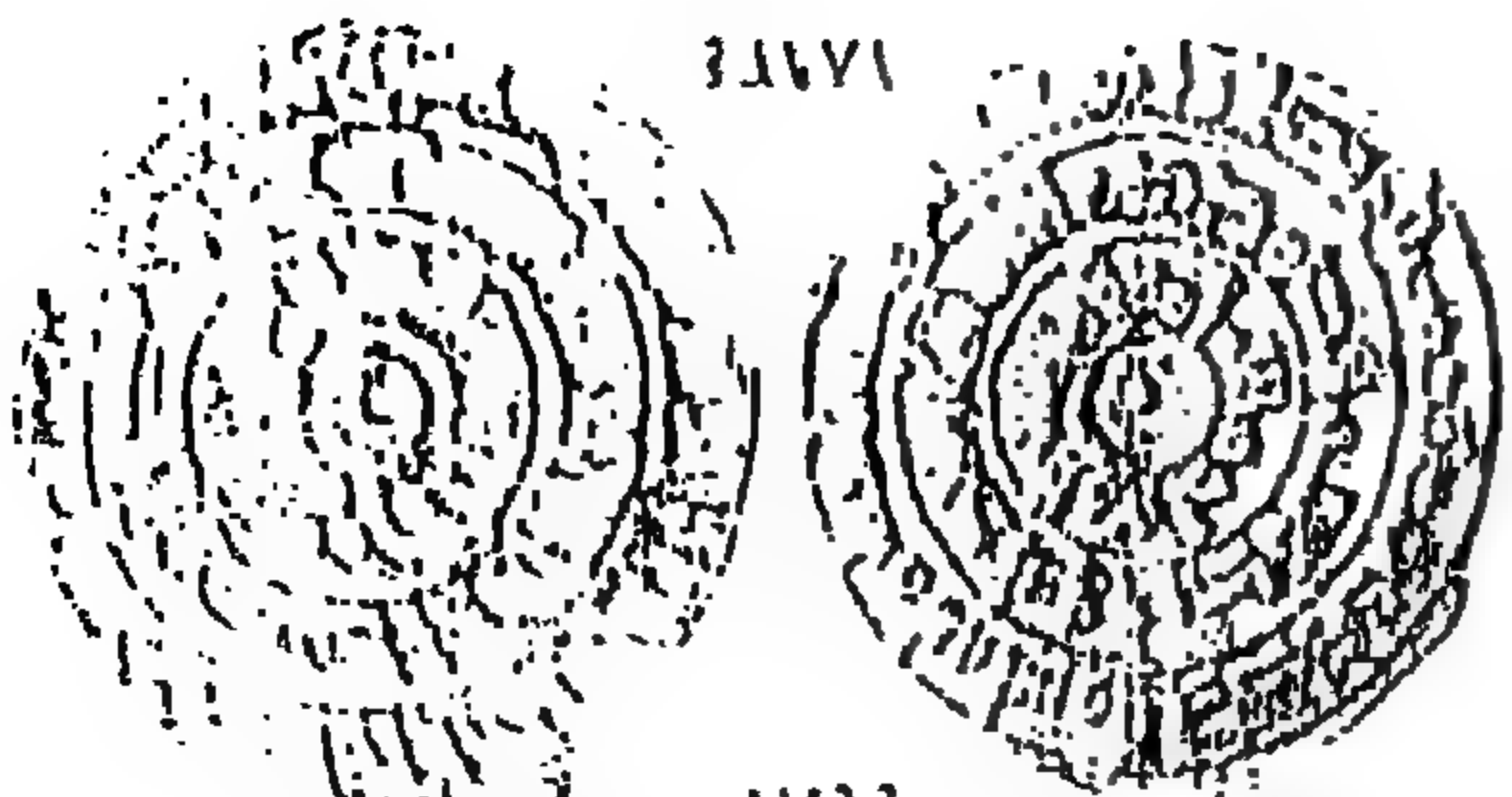


د. مايسة محمود دارود
المسكوكات الفاطمية

(لوحة ١٨) نتائج التفتيش الحاكم بأمر الله

(تشر لأول مرة)





الدرهم الخليفة العباسي (٨٠٠ هـ)



الدرهم الخليفة العباسي (٨٠٠ هـ)



الدرهم الخليفة العباسي (٨٠٠ هـ)

تمت (٩) در اعم و قيس الخيفة الميز الدراهم

五

三

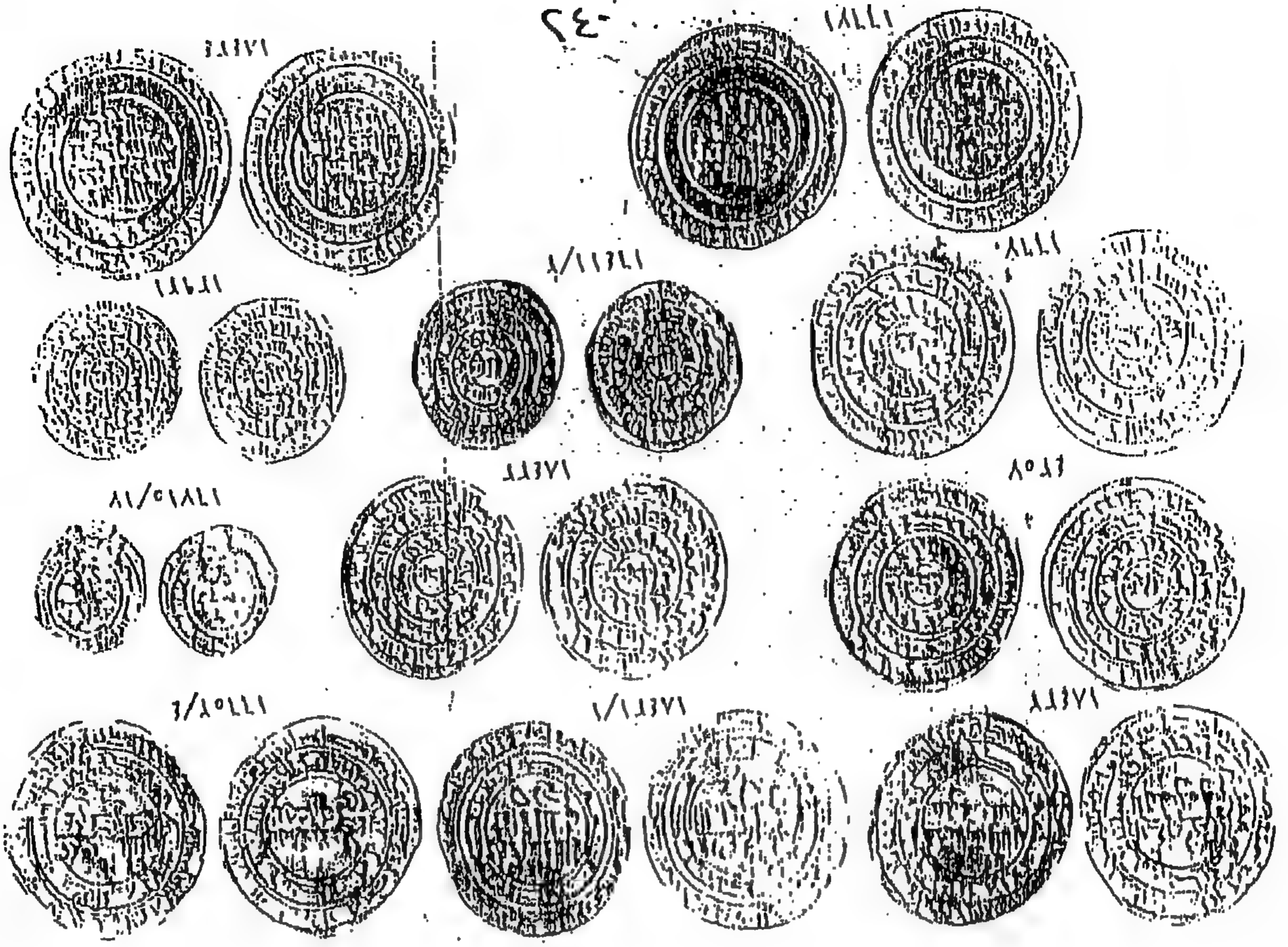
1/32/11

الشيخ () دبير

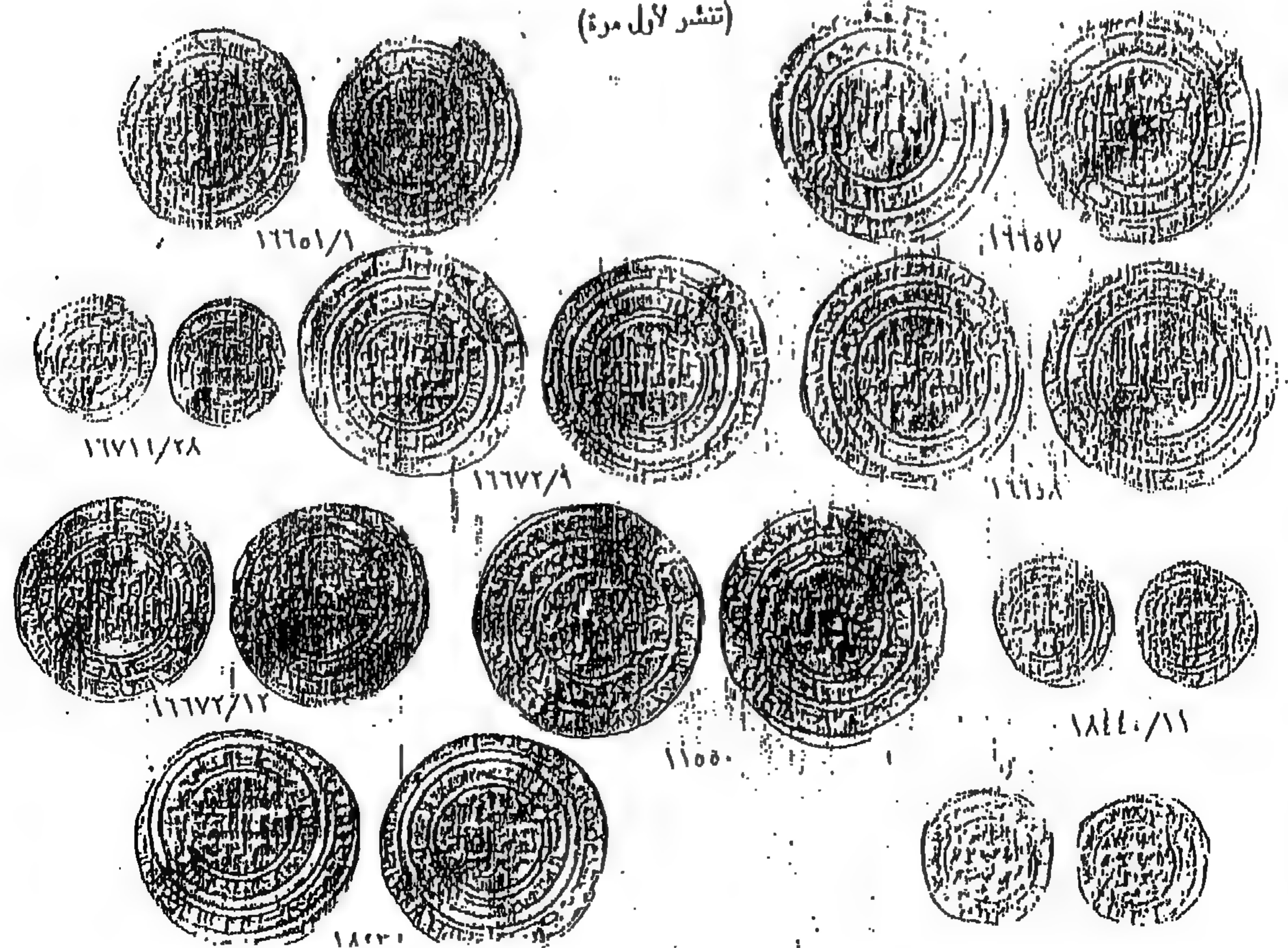
15

دریا بسطه بحر و باوند
۱۱۵۱۱۱۱۱۱۱۱

(تشر لأول مرة)

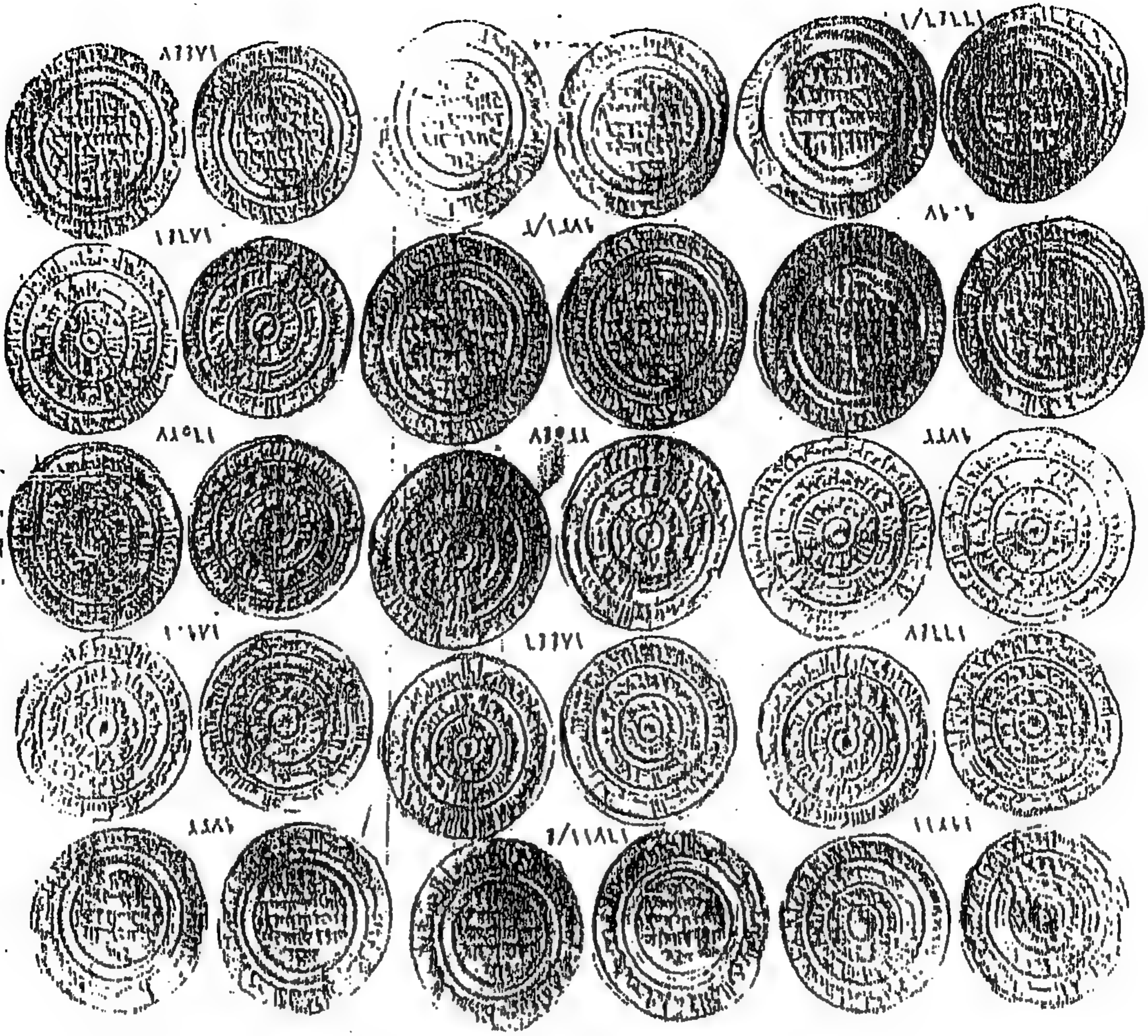


(الحة ٢٤) لثانير الخليفة الظاهر لإعزاز دين الله
(تشر لأول مرة)

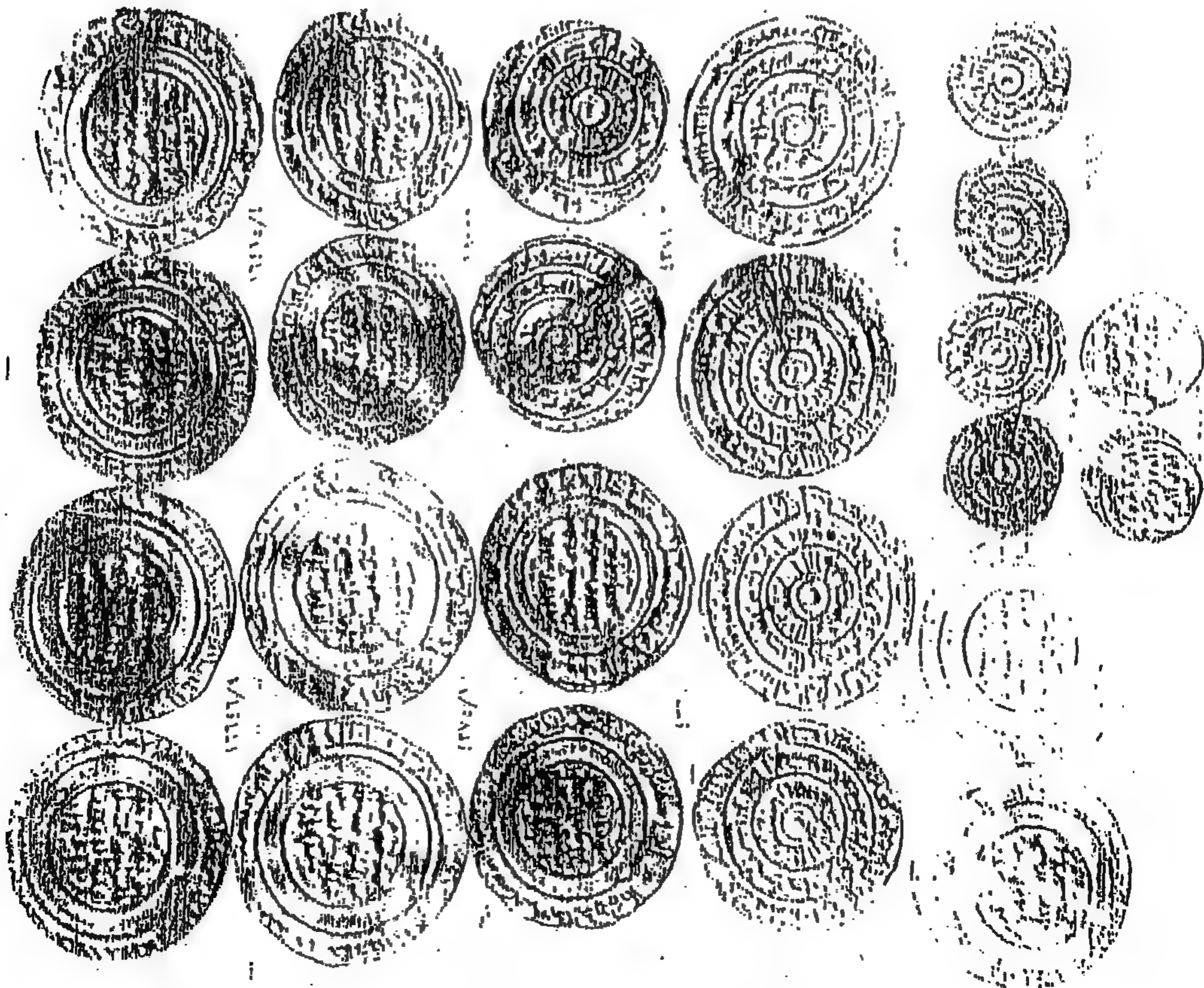


د/ مالهيه محمود طاهر
الكتاب الناطية

(لوحة ٣١) مئانير الخليفة المستنصر بالله
(تتشر لأول مرة)



(لوحة ٣٢) مئانير الخليفة المستنصر بالله
(تتشر لأول مرة)



د/مايعة محمود داد
المكتبة الفاطمية

المصادر
والمراجع

المصادر والمراجع

- المخطوطات
- المصادر المطبوعة
- المراجع العربية
- المراجع المترجمة
- الرسائل العلمية
- الدوريات.
- المعاجم
- المراجع الأجنبية

المخطوطات :

١- أبو زكريا : توفى فى النصف الثانى من القرن الرابع الهجرى / النصف الثانى من القرن العاشر الميلادى ، يحيى ابن أبى بكر الوركلى (٤٧١هـ / ١٠٨١م)
كتاب السيرة وأخبار الأئمة

مخطوط بدار الكتب مزج رقم ٩٠٣٠ ميكروفيلم ١٨٤٢٥.

٢- عياض : توفى "٥٤٤هـ / ١١٥٦م عياض موسى اليعصبى
ترتيب المدراك وتقريب المسالك

مخطوط بدار الكتب رمز ح رقم ٩٦٧٣ ميكروفيلم ٣٨٥٩٦ ، ٣٨٦٠ ٤ أجزاء .

٣- المالكى : توفى فى نهاية القرن الرابع الهجرى / نهاية القرن العاشر الميلادى ،
أبوبكر عبدالله بن محمد المالكى

رياض النفوس فى طبقات فقهاء مدينة القيروان وتونس

مخطوط بدار الكتب رمز ح رقم ٦٣٥٠ ميكروفيلم ٣٨٦٢١ .

٤- مجهول

سيرة الحاكم وحمزه ابن على

مخطوط بدار الكتب رمز جلال الحسينى رقم ٥٧٩ ميكروفيلم ٣٠٧٣٨ .

٥- النيسابورى : ت أواخر القرن الرابع الهجرى / أواخر القرن العاشر الميلادى ، أحمد
بن ابراهيم

استتار الامام .

مخطوط بدار الكتب رمز ح رقم ١١٤٩٧ ميكروفيلم ١٨٣٩٦ ، ١٦٤٥ .

٦- الوسيانى : ت ٤٧١هـ / ١٠٩٢م أبو الربيع عبدالسلام الوسيانى .

سير أبى الربيع

مخطوط بدار الكتب رمز ح رقم ٩١١٣ ميكروفيلم ٣٢٧١ .

٧- اليمانى : ت فى القرن الرابع الهجرى / العاشر الميلادى ، محمد ابن محمد اليمانى :

سيرة الحاجب جعفر ابن على وخروج المهدي بن سلميه ووصوله إلى سجدته

مخطوط بدار الكتب رمز ح رقم ١١٤٩٧ ميكروفيلم ٥٦٠٢ ، ١٦٤٦ .

قائمة المصادر المطبوعة

- ١- أبوزيد القيروانى : ت ٣٨٦هـ / ٩٩٨م . أبى زيد القيروانى :
متن الرسالة
تحقيق الشيخ أحمد نصر ، مطبعة الاستقامة بمصر ، القاهرة ١٩٥٢.
- ٢- ابن الأثير : ت ٦٣٠هـ / ١٢٤٢م أبى الحسن على بن محمد الجزرى :
الكامل فى التاريخ
٨ أجزاء ، دار صادر ، بيروت ، بدون .
- ٣- أسد الغابة فى معرفة الصحابة
تحقيق محمد ابراهيم البنا، محمد أحمد عاشور ، محمود عبدالوهاب فايد ، جـ ٢ ،
جـ ٤ ، دار الشعب ، القاهرة .
- ٤- الاصطخرى : ت ٣٠٩هـ / ٩٥١م أبو اسحق ابراهيم بن محمد الفارسى الاصطخرى :
المسالك والممالك
تحقيق محمد جابر ، محمد شفيق غربال ، الجمهورية العربية المتحدة ، وزارة
الثقافة والارشاد القومى ، القاهرة ١٩٦١م.
- ٥- ابن أعثم : ٣١٤هـ / ٩٢٦م . أبى محمد أحمد بن أعثم الكوفى :
كتاب الفتوح
٨ أجزاء، الطبعة الأولى ، مطبعة مجلس دائرة المعارف العثمانية بحيدر اباد ،
الدكن، الهند ، دار الندوة الجديدة، بيروت ، بدون .
- ٦- ابن إياس : ت ٩٣٠هـ / ١٥٢٣م . محمد بن أحمد إياس الحنفى :
بدائع الزهور فى وقائع الدهور
تحقيق محمد مرتضى ، الهيئة المصرية العامة للكتاب ، القاهرة ، ١٩٨٢م .

٧- الباجي المسعودي : ت ١٢٥٣هـ / ١٨٦٥م . أبى عبدالله محمد الباجي
المسعودي :

الخلاصة النقية في أمراء إفريقية

نسخة بدار الكتب المصرية ، هدية من محرم بك بيرم في رمضان ٢٦ يولييه
١٨٩٧م .

٨- البخاري : ت ٢٥٦هـ / ٨٦٩م . أبى عبدالله اسماعيل بن ابراهيم الجعفي
البخاري :

كتاب التاريخ الكبير

٨ أجزاء ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، بدون .

٩- البغدادى " ت ٧٣٩هـ / ١٣٥١م " صفى الدين عبدالمؤمن بن عبدالحق :

مرصد الاطلاع على اسماء الامكنة والبقاع "مختصر معجم البلدان لياقوت"

٣ أجزاء ، تحقيق محمد البجاوى ، دار المعرفة ، بيروت ، ١٩٥٤م .

١٠- البكري : ت ٤٨٧هـ / ١٠٩٩م أبى عبيد الله بن عبدالعزيز البكري :

المغرب في ذكر بلاد إفريقية والمغرب

دار المثنى ، بغداد ، بدون .

١١- البلاذري : ت ٢٨٤هـ / ٨٩٦م . أحمد بن يحيى بن جابر

فتوح البلدان

القاهرة ١٩٥٩ .

١٢- البيروني : ت ٤٣٠هـ / ١٠٤٢م . أبى الريحان محمد بن أحمد البيروني :

كتاب الجماهر في معرفة الجواهر

مكتبة المتنبى ، القاهرة .

١٣- التيجاني : ت ٧١٩هـ / ١٣٣١م . أبو عبدالله محمد بن أحمد :

رحلة التيجاني

تقديم حسن حسنى عبدالوهاب ، المطبعة الرسمية التونسية ، تونس ، ١٩٥٨م .

- ١٤- التيفاشى : أحمد بن يوسف التيفاشى :
ازهار الافكار فى جواهر الاحجار
القاهرة ، ١٩٧٧ م .
- ١٥- ابن تيميه : ت ٧٢٨ هـ / ١٣٢٧ م . تقى الدين أبو العباس أحمد بن عبد الحليم بن
عبد السلام :
الحسبة فى الإسلام " وظيفة الحكومة الإسلامية"
تحقيق محمد زهرى النجار ، المؤسسة السعيدية ، الرياض ، ١٩٧٤ م .
- ١٦- الجاحظ : ت ٢٥٥ هـ / ٨٦٨ م . عمرو بن بحر بن محبوب :
البيان والتبيين
جزآن ، تحقيق حسن السندوبى ، الطبعة الأولى ، المكتبة التجارية الكبرى ، القاهرة
١٩٢٦ .
- ١٧- ابن جبير : ت ٦١٤ هـ / ١٢٢٢ م . أبو الحسن محمد بن أحمد بن جبير الكنانى
الاندلسى
رحلة ابن جبير
تقديم محمد مصطفى زيادة ، دار الكتاب اللبنانى ، بيروت .
- ١٨- جوزر : ت فى القرن الرابع الهجرى ، العاشر الميلادى . أبى على منصور
العزيزى الجوزى :
سيرة الاستاذ جوزر
تقديم د/ محمد كامل حسين ، د/ محمد عبدالهادى شعيرة ، دار الفكر العربى ،
مطبعة الاعتماد ، القاهرة ، ١٩٥٤ م .
- ١٩- ابن الجوزى : ت ٥٩٧ هـ / ١٤٠٥ م ، أبى الفرج عبدالرحمن بن على بن محمد بن
على بن الجوزى :
المنتظم فى تاريخ الامم والملوك
الطبعة الأولى ، مطبعة دائرة المعارف العثمانية ، حيدرآباد ، الدكن ١٣٥٨ هـ .

- ٢٠- أبو الحسن علي يوسف الحكيم :
الدوحة المشتبكة في ضوابط دار السكة
مطبعة معهد الدراسات الاسلامية ، مدريد .
- ٢١- الحميري : ت ٩٠٠ هـ / ١١١٢ م . محمد بن عبد المنعم الحميري :
الروض المعطار في خبر الأقطار
تحقيق د/ إحسان عباس ، مكتبة لبنان ، ١٩٧٤ م .
- ٢٢- ابن حوقل : ت ٣٨٠ هـ / ٩٩٢ م . أبو القاسم محمد بن حوقل النصيبى :
صورة الأرض
مكتبة الحياة ، بيروت ، ١٩٧٩ م .
- ٢٣- الخشنى : ت ٣١٦ هـ / ٩٧٣ م . أبى عبدالله محمد بن حارث الخشنى :
قضاة قرطبة وعلماء إفريقية
مكتبة الخانجي ، القاهرة ، ١٩٩٤ م .
- ٢٤- ابن خلدون (ت ٨٠٨ هـ / ١٤٠٥-١٤٠٦ م) عبدالرحمن بن محمد بن خلدون
الحضرمي المغربي :
العبر وديوان المبتدأ والخبر " والمسمى بتاريخ ابن خلدون "
٧ أجزاء مؤسسة جمال للطباعة والنشر ، بيروت ، ١٩٧٩ م .
- ٢٥-
مقدمة ابن خلدون
دار بن خلدون ، الاسكندرية ، بدون .
- ٢٦- ابن خلكان "ت ٦٨١ هـ / ١٢٨١ م " أبى العباس شمس الدين أحمد بن محمد
أبى بكر :
وفيات الاعيان وأنباء أبناء الزمان
٨ أجزاء ، تحقيق د، احسان عباس ، دار صادر ، بيروت ، ١٩٦٨ م .

- ٢٧- الدباغ ت ٦٩٦هـ / ١٠٠٨م . أبوزيد عبدالرحمن محمد الانصارى الأسيدى:
معالم الايمان فى معرفة أهل القيروان
جزءان تحقيق ابراهيم شيوح ، مكتبة الخانجي ج ١ ، القاهرة ، ١٩٦٨م .
- ٢٨- الدرجينى : ت ٦٧٠هـ / ١٢٨٢م أبو العباس أحمد بن سعيد الدرجينى :
كتاب طبقات المشائخ بالمغرب
جزءان تحقيق ابراهيم طلال ، القاهرة ١٩٧٤م .
- ٢٩- ابن أبى الدم : ت ٤٦٢هـ / ١٢٥٤م . شهاب الدين ابراهيم بن أبى الدم الحموى:
التاريخ الإسلامى " التاريخ المظفرى"
جزءان ، تحقيق حامد زيان ، دار الثقافة للنشر والتوزيع، القاهرة ١٩٨٥ م .
- ٣٠- ابن أبى دينار ت ١٠٩٢هـ / ١٦٣١م . محمد بن أبى القاسم الرعينى القيروانى:
كتاب المؤنس فى اخبار إفريقية وتونس
مطبعة الدولة التونسية بحاضرتها المحمية ، تونس ، ١٢٨٦هـ .
- ٣١- الذهبى : ت ٧٤٨هـ / ١٣٤٧م . الحافظ الذهبى :
العبر فى خبر من غير
٣ أجزاء ، تحقيق أبوهاجر محمد السعيد - القاهرة .
- ٣٢- الرازى . محمد بن أبى بكر عبدالقادر الرازى :
مختار الصحاح
دار التنوير العربى ، بيروت ، ١٩٨٤م ، الطبعة الثانية ، وزارة المعارف
العمومية ، المطبعة الاميرية ، بولاق ، القاهرة ، ١٩٣٧م .
- ٣٣- الزبيدى : ت ٨١٧هـ / ١٤٢٩م . محمد مرتضى الحسينى الزبيدى :
تاج العروس فى جواهر القاموس
٢١ جزء ، تحقيق عبدالستار أحمد فراج ، مطبعة حكومة الكويت ، الكويت ،
١٩٦٥م .

- ٣٤- السلاوي: ت ١٣١٩هـ / ١٩١١م . أحمد بن خالد الناصر السلاوي:
الاستقصا لأخبار دول المغرب الأقصى
القاهرة ١٨٩٤م .
- ٣٥- ابن سيده "ت ٤٥٨هـ / ١٠٧٠م" أبي الحسن علي بن اسماعيل الاندلسي
كتاب المخصص
٥ مجلدات ، المكتب التجاري للطباعة والتوزيع والنشر ، بيروت ، بدون .
- ٣٦- السيوطي : ت ٩١١هـ / ١٥٠٥م عبدالرحمن بن أبي بكر جلال الدين السيوطي:
تاريخ الخلفاء
تحقيق محمود رياض الحلبى ، دار المعرفة ، بيروت ، ١٩٩٧م .
- ٣٧-
مرصد الاطلاع فى أسماء الأمكنة والبقاع
القاهرة ١٩٣٩م .
- ٣٨- ابن شاهين . غرس الدين خليل بن شاهين الظاهري
زبدة كشف الممالك وبيان الطرق والمسالك
تحقيق ، بولس راديس ، المطبعة الجمهورية ، باريس ١٨٩٤م . الطبعة الثانية ،
القاهرة ١٩٨٨ .
- ٣٩- الشيزري : ت ٥٨٩هـ / ١١٩٣م . عبدالرحمن بن نصر الشيزري :
نهاية الرتبة فى طلب الحسبة
تحقيق السيد الباز العرينى ، دار الثقافة ، بيروت .
- ٤١- ابن أبي الضياف: أحمد بن أبي الضياف:
تحاف أهل الزمان بأخبار ملوك تونس وعهد الأمان
تحقيق لجنة من كتابه الدولة للشئون الثقافية والأخبار ، نشر كتاب الدولة للشئون
الثقافية والاخبار ، تونس ، ١٩٦٣م .

- ٤٢- الطبري: ت ٣١٠هـ / ٦٢٢م . أبوجعفر محمد بن جرير الطبري:
تاريخ الأمم والملوك
١٢ جزء ، دار التراث العربي ، بيروت ، بدون .
- ٤٣- الطهطاوي : ت ١٢٩٠هـ / ١٨٧٣م . رفاعه الطهطاوي:
الدولة الإسلامية نظامها وعمالها
تعليق عبدالرحمن حسن ، فاروق حامد ، مكتبة الآداب ، القاهرة .
- ٤٤- ابن عبدالحكم (ت ٢٥٧هـ / ٨٧١م) عبدالرحمن بن عبدالله بن عبدالحكم بن
أعين القرشي :
فتوح إفريقيا والاندلس
تحقيق / عبدالله أنيس الطباع ، الشركة العالمية للكتاب ، بيروت ، ١٩٨٧م .
- ٤٥- ابن عبدالحكم :
فتوح مصر وأخبارها
الطبعة الأولى ، مطبعة مديولى ، القاهرة ١٩٩١ .
- ٤٦- أبو عبيد: ت ٢٢٤هـ / ٨٣٦م . أبو عبيد القاسم بن سلام :
كتاب الأموال
تحقيق محمد خليل هراس ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، بدون .
- ٤٧- أبو العرب ت ٣٣٣هـ / ٩٤٥م . أبو العرب محمد بن أحمد بن تميم القيرواني :
طبقات علماء إفريقية وتونس
جزءان ، تحقيق على الشابي ، نعيم حسن ، الدار التونسية للنشر ، تونس .
- ٤٨- ابن عزرى " توفى فى نهاية القرن السابع الهجرى ، نهاية القرن الثالث عشر
الميلادى " ابن عزرى المراكشى :
البيان المغرب فى أخبار الاندلس والمغرب
تحقيق ج.س. كولان ، أ.ليفى بروفنسال ، دار الثقافة ، بيروت ، بدون .

- ٤٩- الغزالي ت ٥٠٥هـ / ١١١٧م أبو حامد بن محمد الغزالي :
إحياء علوم الدين
- ٤ أجزاء ، تحقيق محمد عبدالمالك الزغبى ، عامر النجار ، مكتبة فياض ، دار المنار ، الاصلاح الدين المنصورة ، بدون .
- ٥٠- غلبون : أبى عبدالله محمد بن خليل غليون الطرابلسي :
تاريخ طرابلس الغرب المسمى التذكار فيمن ملك طرابلس وما كان بها من الاخبار على قصيدة الشيخ أحمد بن عبدالدائم الاتصاري الطرابلسي
تحقيق الطاهر أحمد الزاوى ، المطبعة السلفية ومكتبتها ، القاهرة ، ١٣٤٩م.
- ٥١- أبو الفدا ت ٧٣٢هـ / ١٣٤٤م . عماد الدين اسماعيل بن بن عمر المعروف بابى الفدا :
تقويم البلدان
دار صادر ، بيروت ، بدون .
- ٥٢-
المختصر فى أخبار البشر (تاريخ أبى الفدا)
٤ أجزاء دار المعرفة للطباعة والنشر ، بيروت ، بدون .
- ٥٣- الفيروزبادى " ت ٨١٧هـ / ١٤٢٩م مجد الدين محمد بن يعقوب الفيروزبادى :
القاموس المحيط
دار بيروت للطباعة والنشر ، بيروت ، ١٩٧٩م .
- ٥٤- ابن قتيبه " ت ٢٧٦هـ / ٨٨٨م " أبى محمد عبدالله ابن مسلم بن قتيبه الدينورى :
الامامة والسياسة (تاريخ الخلفاء)
جزءان ، تحقيق على شيرى ، الطبعة الأولى ، دار الاضواء ، بيروت ، ١٩٩٠م .
- ٥٥- القرمانى " ت ١٠١٩هـ / ١٦٣١م ، أحمد بن يوسف القرمانى :
أخبار الدول وآثار الأول فى التاريخ
٣ أجزاء ، تحقيق أحمد حطيط ، فهمى سعد ، عالم الكتب ، بيروت ، ١٩٩٢م .

٥٦- القزويني "ت ٦٨٢هـ / ١٢٩٠م . زكريا بن محمد محمود القزويني :

آثار البلاد وأخبار العباد

دار بيروت للطباعة والنشر ، بيروت ، ١٩٧٩م .

٥٧- القلقشندي "ت ٨٢١هـ / ١٤١٨م . شهاب الدين أحمد بن علي بن أحمد القلقشندي:

صبح الاعشى في صناعة الانشا

٨ أجزاء نسخة مصوره عن الطبعة الاميرية ، القاهرة ، بدون ٤١ جزء ، طبعة الهيئة المصرية العامة للكتاب ، القاهرة ، ١٩٨٥م .

٥٨-

مآثر الأتافة في معالم الخلافة

٣ أجزاء ، تحقيق عبدالستار أحمد فراج ، عالم الكتب ، بيروت ، بدون .

٥٩- ابن قيم الجوزيه "ت ٧٥١هـ / ١٣٦٢م " أبى عبدالله محمد بن أبى بكر الزرعى الدمشقى :

الطرق الحكمية في السياسة الشرعية أو الفراسة المرضية في أحكام السياسة الشرعية

تحقيق : محمد حامد الفقى ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، بدون .

٦٠- الكتبى : ت ٧٦٤هـ / ١٣٧٦م . محمد بن شاکر الكتبى:

فوات الوفيات والذيل عليها

تحقيق د/احسان عباس ، ج٢، ٤ دار الثقافة ، بيروت .

٦١- ابن كثير "ت ٧٧٤هـ / ١٣٧٢م " عماد الدين أبو الفدا اسماعيل بن كثير الدمشقى:

البداية والنهاية

١٢ جزء ، تحقيق مكتب التراث ، دار إحياء التراث العربى ، مؤسسة التاريخ العربى ، بيروت .

- ٦٢- الماوردي "ت ٤٥٠هـ / ١٠٥٨م أبو الحسن علي بن محمد بن حبيب البصري
البغدادى :
- الأحكام السلطانية والولايات الدينية
دار ابن خلدون ، الاسكندرية ، بدون .
- ٦٣- مجهول :
- الاستبصار فى عجائب الامصار
تحقيق ، دى جوى ، فيينا ١٨٥٢ ، سعد زغلول عبدالحميد ، الاسكندرية ١٩٥٨م .
- ٦٤- المراكشى "ت ٦٤٧هـ / ٢٥٩م . عبدالواحد بن علي التميمي
المعجب فى تلخيص اخبار المغرب
تحقيق محمد سعيد العريان ، محمد العربى العلمى ، مطبعة الاستقامة ، القاهرة
١٩٤٩م .
- ٦٥- المطرزي "ت ٥٣٨هـ / ١١٥٠م أبى الفتح ناصر بن عبدالسيد المطرازي
الحنفى:
- كتاب المغرب فى ترتيب المغرب
دار الكتاب العربى ، بيروت ، بدون.
- ٦٦- المعدانى "ت ١١٤٠هـ / ١٧٢٨م . أبى علي الحسن بن رحال المعدانى :
- كشف القناع عن تضمين الصناع
تحقيق محمد أبو الاجفان ، الدار التونسية للنشر ، تونس ، ١٩٨٦م .
- ٦٧- المقدسى ت ٣٨٧هـ / ٩٩٧م . شمس الدين أبو عبدالله محمد بن أبى بكر
البشارى :
- أحسن التقاسيم فى معرفة الأقاليم
مكتبة مدبولى ، القاهرة ، بدون .
- ٦٨- المقرئى ت ٨٤٥هـ / ١٤٤١م . تقى الدين أحمد بن علي بن عبدالقادر بن
محمد :
- المواعظ والاعتبار بذكر الخطط والآثار
٤ أجزاء ، مكتبة الآداب ، القاهرة ، بدون.

- ٦٩- المقرئى
اتعاط الحنفا بذكر الأئمة الفاطميين الخلفاء
٤ اجزاء تحقيق محمد حلمى ، القاهرة ١٩٩٦م
- ٧٠- ابن ممتى " ت ٦٠٦هـ / ١٢٠٤م . شرف الدين الاسعد مهذب بن أبى المليح :
كتاب قوانين الدواوين
- طبعة الجمعية الزراعية الملكية بإشاره حضرة صاحب السمو الامير عمر طوسون
تحقيق ، عزيز سوريال عطيه ، الطبعة الأولى ، مكتبة مدبولى ، القاهرة ١٩٩١ .
- ٧١- ناصر خسرو، ت ٤٨١هـ / ١١٠٨م . أبومعين الدين ناصر خسرو القاديانى
المروزي:
سفرنامه
- ترجمة وتحقيق يحيى الخشاب ، الهيئة المصرية العامة للكتاب ، القاهرة ١٩٣٠م .
- ٧٢- النويرى ، ٧٣٣هـ / ١٣٤٥م . شهاب الدين أحمد بن عبد الوهاب النويرى :
نهاية الأرب فى فنون الأدب
- ١٨ جزء نسخة مصوره عن طبعة دار الكتب المصرية ، وزارة الثقافة والارشاد
القومى ، المؤسسة المصرية العامة للتأليف والترجمة والطباعة والنشر ، القاهرة
١٩٥٤م .
- ٧٣- ابن الوردى ت ٧٤٩هـ / ١٣٦١م سراج الدين أبى حفص بن عمر بن الوردى :
خريدة العجائب وفريدة الغرائب
مطبعة مصطفى البابى الحلبي وأولاده ، القاهرة ، ١٩٣٩م .
- ٧٤- اليعقوبى : ت ٢٨٢هـ / ٨٩٤م . أحمد بن أبى يعقوب بن واضح :
صفة المغرب المأخوذة من كتاب البلدان
طبعة ليدن (د.ت) .
- ٧٥-
تاريخ اليعقوبى ،
جزءان دار صادر للطباعة والنشر ، دار بيروت للطباعة والنشر ، بيروت ١٩٦٠م

٧٦- أبو يعلى " ت ٤٥٨هـ / ١٠٧٠م. " أبو يعلى محمد بن الحسين الفراء :

الاحكام السلطانية

تقديم محمود حسن ، دار الفكر ، بيروت ، ١٩٩٤م .

٧٧- أبو يوسف " ت ١١٣هـ / ٧٢٥م . يعقوب بن ابراهيم بن حبيب الانصارى الكوفى :

كتاب الخراج

المطبعة السلفية ، القاهرة ، ١٣٩٢هـ .

المراجع العربية :

- ١- أبو صالح الألفى : الفن الإسلامى (اصوله . فلسفته - مدارسه ، دار المعارف بمصر ، القاهرة .
- ٢- أحمد أمين : ظهر الإسلام ، الطبعة الرابعة ، مكتبة النهضة المصرية ، ١٩٦٦م .
- ٣- أحمد عبدالرازق : الحضارة الإسلامية فى العصور الوسطى ، دار الفكر العربى ، القاهرة ١٩٩٠م .
- ٤- أحمد مصطفى المراغى : الحسبة فى الإسلام ، مطبعة عيسى البابى الحلبي وشركاه ، القاهرة .
- ٥- أنستاس مارى الكرملى : رسائل فى النقود العربية والإسلامية وعلم النميات ، الطبعة الثالثة، مكتبة الثقافة الدينية ، القاهرة ، ١٩٨٧م .
- ٦- إبراهيم أحمد العدوى : الأمويون والبيزنطيون " البحر المتوسط بحيرة اسلاميه مكتبة الانجلو المصرية ، القاهرة ١٩٥٣م .
- ٧- إبراهيم على طرخان : المسلمون فى أوربا فى العصور الوسطى مؤسسة سجل العرب ، بإشراف الإدارة العامة للثقافة بوزارة التربية والتعليم ، ١٩٦٦م .
- ٨- إحسان عباس : العرب فى صقلية : دار المعارف بمصر ، القاهرة ١٩٥٩م .
- ٩- جرجى زيدان : تاريخ التمدن الإسلامى ، طبعة جديدة ، راجعها وعلق عليها د. حسين مؤنس ، دار الهلال ، القاهرة ، ١٩٥٨م .
- ١٠- حسن إبراهيم حسن : تاريخ الإسلام السياسى والدينى والثقافى والاجتماعى ، الطبعة العاشرة ، مكتبة النهضة المصرية ، القاهرة ، ١٩٦٥، ١٩٧٢، ١٩٨٣ .
- ١١- حسن إبراهيم حسن ، طه أحمد شرف : المغز لدين الله ، الطبعة الثانية ، مكتبة النهضة المصرية ، القاهرة ، ١٩٦٤م .
- ١٢- حسن الباشا : دراسات فى الحضارة الإسلامية ، دار النهضة العربية ، مطبعة جامعة القاهرة والكتاب الجامعى ، القاهرة ، ١٩٩٢م .

- ١٣- حسن الباشا : فنون التصوير الإسلامى فى مصر ، الهيئة المصرية للكتاب ، القاهرة ١٩٩٤م .
- ١٤- حسن حسنى عبدالوهاب : بساط العقيق فى حضارة القيروان وشاعرها ابن رشيق ، الطبعة الثانية ، كتبة المنار ، تونس ١٩٧٠م .
- ١٥- _____ : شهيرات التونسيات ، المطبعة التونسية ، تونس ١٣٥٣هـ .
- ١٦- _____ : ورقات عن الحضارة العربية بإفريقية العربية ، القسم الثانى ، مكتبة المنار ، تونس ، ١٩٧٠م .
- ١٧- حسين مؤنس : فتح العرب للمغرب ، مكتبة الثقافة الدينية ، القاهرة ، بدون .
- ١٨- _____ : معالم تاريخ المغرب والاندلس ، الطبعة الأولى دار مطابع المستقبل ، القاهرة ١٩٨٠ ، طبعة دار الرشد ، ١٩٩٢م .
- ١٩- ذكى محمد حسن : فنون الإسلام ، دار الرائد العربى ، بيروت .
- ٢٠- _____ : كنوز الفاطميين ، دار الكتب المصرية ، القاهرة ، ١٩٣٧م .
- ٢١- سعاد ماهر محمد : النسيج الإسلامى : الجهاز المركزى للكتب الجامعية والمدرسية والوسائل التعليمية ، القاهرة ، ١٩٧٧م .
- ٢٢- سعد زغلول عبدالحميد : تاريخ المغرب العربى : منشأة المعارف ، الاسكندرية ، ١٩٩٠م .
- ٢٣- سعيد عبدالفتاح عاشور : المدينة الإسلامية واثرها فى الحضارة الأوربية ، الطبعة الأولى ، دار النهضة العربية ، القاهرة ١٩٦٣م .
- ٢٤- سهام مصطفى أبوزيد : الحسبة فى مصر الإسلامية ، الهيئة المصرية العامة للكتاب ، القاهرة ، ١٩٨٦م .
- ٢٥- السيد سابق : فقه السنه ، دار الفتح للاعلام العربى ، القاهرة ، ١٩٩٤م .
- ٢٦- السيد طه السيد أبوسديره : الحرف والصناعات فى مصر الإسلامية منذ الفتح العربى حتى نهاية العصر الفاطمى "٢٠-٥٦٧هـ-٦٤١-١١٧١م" ، سلسلة الألف كتاب الثانى عدد ٩٥ ، الهيئة المصرية العامة للكتاب ، القاهرة ١٩٩١م .

- ٢٧- السيد عبدالعزيز سالم ، أحمد مختار العبادى : تاريخ البحرية الإسلامية فى حوض البحر الأبيض المتوسط " البحرية الإسلامية فى المغرب والاندلس ، مؤسسة شباب الجامعة ، ١٩٩٣ م .
- ٢٨- سيده اسماعيل كاشف : الوليد بن عبد الملك ، وزارة الثقافة والارشاد القومى ، المؤسسة العامة للتأليف والترجمة والطباعة والنشر ، القاهرة ، ١٩٦٢ م .
- ٢٩- شكيب أرسلان : الحلل السندسية فى الأخبار والآثار الاندلسية ، مكتبة الحياة ، بيروت ، بدون .
- ٣٠- الطاهر أحمد الزاوى : تاريخ الفتح العربى فى ليبيا ، الطبعة الثانية ، دار المعارف ، ١٩٦٣ م .
- ٣١- عبدالرحمن الجزيرى : الفقه على المذاهب الأربعة ، دار الفكر ودار الكتب العلمية ، بيروت ، ١٩٨٦ م .
- ٣٢- عبدالرحمن الرافعى : سعيد عبدالفتاح عاشور : مصر فى العصور الوسطى من الفتح العربى حتى الغزو والعثمانى الطبعة الأولى ، دار النهضة العربية ، القاهرة ، ١٩٧٠ م .
- ٣٣- عبدالله محمد عبدالله : ولاية الحسبة فى الاسلام ، الطبعة الأولى ، مكتبة الزهراء ، القاهرة ، ١٩٩٦ م .
- ٣٤- عبدالمنعم ماجد : الأطلس التاريخى للعالم الإسلامى فى العصور الوسطى ، الطبعة الثانية ، دار الفكر العربى ، ١٩٦٧ م .
- ٣٥- _____ : نظم الفاطميين ورسومهم فى مصر جزآن ، الطبعة الثالثة ، مكتبة الانجلو المصرية ، القاهرة ج١ ١٩٨٥ ج٢ ١٩٧٨ م .
- ٣٦- عثمان الكعاك : الحضارة العربية فى حوض البحر المتوسط ، معهد الدراسات العربية ، ١٩٦٥ م .
- ٣٧- عطيه القوصى : الحضارة الإسلامية ، دار الثقافة العربية ، القاهرة ، ١٩٨٥ م .
- ٣٨- عطيه مصطفى مشرفه : نظم الحكم بمصر فى عصر الفاطميين الطبعة الأولى ، دار الفكر العربى ، القاهرة ، ١٩٤٨ م .
- ٣٩- مايسه محمود داود . المسكوكات الفاطمية بمجموعة متحف الفن الإسلامى دراسة اثرية وتقدية ، دار الفكر العربى ، القاهرة ، ١٩٩١ م .

- ٤٠- محمد أمين صالح : النظم الاقتصادية في مصر والشام في صدر الإسلام ، مكتبة سعيد رأفت ، جامعة عين شمس ، القاهرة ، ١١ .
- ٤١- محمد العروسي المطوى : سيرة القيروان ، الدار العربية للكتاب ، تونس ١٩٨١ م .
- ٤٢- محمد جمال الدين سرور ، تاريخ الحضارة الإسلامية في الشرق ، الطبعة الثالثة ، دار الفكر العربي ، القاهرة ، ١٩٧٣ م .
- ٤٣- محمد حسنى عبدالحميد : الحسبة والحاسبة كيف تطور نظام المحتسب ، مطبعة مصر ، القاهرة ، ١٩٤٣ م .
- ٤٤- محمد عبدالله عنان : الحاكم بأمر الله وأسرار الدعوة الفاطمية ، الطبعة الثالثة ، مكتبة الخانجي بالقاهرة ، دار الرفاعي بالرياض ، ١٩٨٣ م .
- ٤٥- محمد فؤاد عبدالباقي : اللؤلؤ والمرجان ، جزآن ، القاهرة ، بدون .
- ٤٦- _____ : المعجم المفهرس لألفاظ القرآن الكريم ، دار الحديث ، القاهرة ، ١٩٨٧ .
- ٤٧- محمد محمود إدريس : تاريخ الدولة الفاطمية منذ قيامها بالمغرب إلى سقوطها في مصر ، دار النهضة العربية ، ١٩٩٧ م .
- ٤٨- _____ : تاريخ العراق والمشرق الإسلامى خلال العصر السلجوقى الأول ، مكتبة نهضة الشرق ، القاهرة ، ١٩٨٥ م .
- ٤٩- _____ : دراسات في التاريخ والحضارة الإسلامية دار الثقافة للطباعة والنشر ، القاهرة ، ١٩٨٤ م .
- ٥٠- يسرى عبدالرازق الجوهري : دراسات في جغرافية الموارد الاقتصادية ، منشأة المعارف ، الاسكندرية ، ١٩٧٣ م .
- ٥١- _____ : شمال إفريقيا دراسة في الجغرافيا التاريخية ، دار الجامعات المصرية ، ١٩٧٠ .

المراجع الأجنبية المترجمة :

- ١- متر (آدم) : الحضارة الإسلامية في القرن الرابع الهجرى ، ترجمة محمد عبدالهادى أبوريده ، القاهرة ، ١٩٥٧ م .

٢- لويس (أرشيبالد) : القوى البحرية والتجارية فى حوض البحر المتوسط ، ترجمة أحمد محمد عيسى ، تقديم محمد شفيق غربال ، مكتبة النهضة المصرية ، القاهرة ١٩٦٠ .

٣- كونل (أرنست) : الفن الاسلامى : ترجمة ، أحمد موسى ، مطبعة أطلس ، القاهرة ، ١٩٦١ م .

٤- توينبى (أرنولد) : مختصر دراسة للتاريخ ترجمة ، فؤاد محمد شبل ، مراضة ، محمد شفيق غربال ، أحمد عزت عبدالكريم ٣ أجزاء ، الادارة الثقافية بجامعة الدول العربية ، ١٩٦٤ م .

٥- ج.كرامب أ. جاكوب : تراث العصور الوسطى ، ترجمة ، محمد بدران ، محمد مصطفى زياده ، مؤسسة سجل العرب ، القاهرة ، ١٩٦٥ م .

٦- مارسيه (جورج) : بلاد المغرب وعلاقتها بالشرق الإسلامى ، ترجمة ، محمود عبدالصمد هيكل ، مراجعة وتقديم ، مصطفى أبوضيف ، منشأة المعارف ، الاسكندرية ، ١٩٩١ م .

٧- ف.هايد : تاريخ التجارة فى الشرق الأدنى فى العصور الوسطى ، ترجمة ، أحمد محمد رضا ، تقديم ، عز الدين فوده ، الهيئة المصرية العامة للكتاب ، ١٩٨٥ م .

٨- مورانوا (مارتينو ماريو) : المسلمون فى صقلية ، بيروت ، ١٩٥٧ م .

٩- إدريس (الهادى روجى) : الدولة الصنهاجية ، تاريخ إفريقية فى عهد بنى زيرى من القرن العاشر إلى القرن الثانى عشر الميلادى ، ج١ ترجمة حمادى الساحلى ، الطبعة الأولى ، دار الغرب الإسلامى ، بيروت ، ١٩٩٢ م .

١٠- ديرونت (ويل) : قصة الحضارة : ٢٦ جزء ترجمة ، محمد بدران ، الطبعة الثانية ، مطبعة لجنة التأليف والترجمة والنشر ، القاهرة ، ١٩٦٤ م .

الرسائل العلمية والدوريات

الرسائل العلمية:

١- فتحية محمود على ، الحياة الاقتصادية والاجتماعية فى مدن المغرب الساحلية رسالة ماجستير ١٩٩٣ م ، مكتبة الرسائل ، كلية الآداب جامعة المنيا .

٢- نريمان عبدالكريم أحمد . مجتمع إفريقية خلال عصر الولاة ، رسالة دكتوراه ، مكتبة الرسائل ، جامعة عين شمس .

الدوريات

دائرة المعارف الإسلامية ٢٠ جزء إعداد وتحرير ، إبراهيم ذكى خورشيد ، أحمد الشنتاوى ، د، عبدالحميد يونس ، النسخة العربية ، مطبعة دار الشعب .

G.Yevr مادة إفريقية ، ج٣ .

G.Yevr ، مادة بونة ، ج٨ .

A.S .Bazmee Ansarie ، مادة حسبة ، ج١٤ .

A.Dietrich .مادة حوالة ، ج١٦ .

W.J.Despois ، مادة برقه ، ج٨ .

Rabert Brunschvig . مادة تونس، ج١٠ .

W.J.Fishel . مادة جهيد ، ج١٢ .

Georges Marcais . مادة تاهرت ، ج٩ .

أبو اسحق اطفيش ، مادة بربر ، ج٦ .

٢- المجلة التاريخية المصرية :

أ- صابر دياب ، دراسات فى عالم البحر المتوسط فى العصور الوسطى . المجلة التاريخية المصرية ١٩٧٠ ، ج٢٤ .

ب- محمود إسماعيل . المالكية والشيعة بإفريقية ابان قيام الدولة الفاطمية ١٩٧٦ ، ج٢٣ .

٣- حوايات الجامعة التونسية :

أ- عبدالواحد ذنون طه . استيطان القبائل البربرية فى شمال إفريقية ، حوايات الجامعة التونسية ، تونس ، ١٩٨٠ ج١٨ ..

ب- محمد اليعلاوى . شعراء إفريقيون معاصرون للدولة الفاطمية ، حوايات الجامعة التونسية، تونس ، ١٩٧٩ ، ج١٧ .

المعاجم:

١- الرازي : محمد ابن أبي بكر عبدالقادر الرازي ، مختار الصحاح دار التنوير العربي ، بيروت ، ١٩٨٤ م .

٢- ابن منظور : ت ٧١١ هـ / ١٣٢٣ ، جمال الدين محمد ابن مكرم الانصاري ، لسان العرب ٢٠ جزء ، طبعة مصوره عن طبعة بولاق ، الدار المصرية للتأليف والترجمة ، مطابع توستار ، القاهرة .

٣- ياقوت الحموي ت ٦٢٦ هـ / ١٢٢٠ م شهاب الدين أبو عبدالله ياقوت ابن عبدالله الحموي ، معجم البلدان ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، ١٩٧٩ م .

المراجع الأجنبية :

- 1- B.Davidson. Afficanin history London 1968.
- 2- Bernard Lewis, The Arabs. in History Hutchinson. Universty . library , London.
- 3- Bernard lewis, & Others : The World of. Islam. faith, people, Culture Thames and Hudson.
- 4- Crane Brinton, & Others : A History, of, civili zation pre , history to 1715 fifth Edition. Prentice - Hall, Inc., Englewood cliffs, New jersey.
- 5- Lonepool. M.A cotalog Arabic coins London 1897.
- 6- Norman Daniel. The Arabs. and . Mediaval Europe.Longman. Librairieduliban. Beirut 1957.
- 7- Trevor Cairns. Barbarians. christians and muslims. cambridge, university, press. New Yourk. new, rochelle melbourn. sydney.
- 8-William, H. Enger : Africa south of the sohara 17 the dition Europa publication limited. 1988.

ملخص الرسالة

تناول هذا البحث " أسواق إفريقية خلال العصر الفاطمي وبنى زيرى " من سنة ٢٩٦-٤٤٠ هـ - ٩٠٨-١٠٥٢ م وهذا البحث يوضح حدود إفريقية ، ولماذا أطلق عليها هذا الاسم والآراء المختلفة التى ساقها المؤرخون . وهو يوضح أيضاً ، أهمية إقليم إفريقية من الناحية الاقتصادية فى الزراعة ، والصناعة ، والتجارة ، والأهمية الحربية، أيضاً أوضح البحث أنواع الأراضى الزراعية من حيث الخصوبة والجودة ومناطق وجودها وبيان أهم الموارد المائية التى حظى بها إقليم إفريقية سواء كانت أنهار أم بحيرات أم عيون ماء وأهم المناطق والمدن التى وجدت بها تلك الموارد المائية إلى جانب مواجل الماء التى انتشرت بصورة كبيرة فى مدن إفريقية والتى كانت بمثابة مخازن للماء يلجأ إليها أهالى المدن فى سد حاجاتهم من مياهها عند فقدهم للماء . وأوضح البحث أيضاً نظم الرى المتبعة فى إفريقية التى كانت كثيرة ومتعددة داخل الاقليم ونظام كل منطقته فى إفريقية . كما تناول البحث أهم المنتجات الزراعية التى كان يتميز بها الاقليم وأنواع المحاصيل سواء كانت حبوب أم محاصيل صناعية إلى جانب أنواع الفاكهة المتعددة وأصناف الثمار والأشجار وأهم المدن والقرى وأنواع المحاصيل التى اشتهرت بإنتاجها وكانت تمثل علامة بارزة لها ، ثم تناول البحث عنصر الصناعة فى إفريقية خلال العصر الفاطمي وبنى زيرى ومعنى الصناعة والأسباب التى أدت إلى قيامها ونهضتها داخل الاقليم وأهم الموارد المعدنية التى وجدت داخل إفريقية كالحديد والنحاس والفضة والرصاص ومناطق تواجدها ، وأهم الحرف الصناعية التى برز فيها أهالى إفريقية بالإضافة إلى أهم الصناعات التى قامت على الموارد الخام زراعية أم صناعية ؟ وعوامل قيامها وتقدمها وأهم المراكز الصناعية فى إفريقية والصناعات التى كان يتميز بها كل مركز . بالإضافة إلى أهم المراكز التجارية وأهمية النشاط التجارى ، وعوامل ازدهار التجارة حتى أصبحت إفريقية أحد أهم المراكز التجارية العالمية وانشطها فى الحوض الغربى للبحر المتوسط ، وأهم مراكز التجارة الساحلية والداخلية موضعاً موقعها وتاريخ فتحها وأهم ما تميزت به هذه المراكز من موارد وصناعات وسلع ، وأشار البحث إلى أهم الطرق التجارية التى ربطت بين مختلف مدن وقرى إفريقية وأطوال هذه الطرق وأهم المراكز والمدن التى كانت تقع عليها . كما تناول البحث أسواق إفريقية معرفاً معنى كلمة السوق وأهم الأسس والمبادئ التى تقوم عليها الاسواق والتنظيمات والتقسيمات الداخلية ومناطق عمل الصناعات ، ومناطق بيع السلع والمنتجات وموقع السوق داخل المدن ومزايا وعيوب تقسيم الاسواق وأهم الوظائف الحيوية التى وجدت داخل اسواق إفريقية والتى كان لها الأثر الفعال فى تنشيط عمليات التبادل التجارى داخل الاسواق وأهم الصفات التى يجب ان يتحلى بها أصحاب تلك الوظائف ، وهذه الوظائف

هى السمسرة والدلالة ، والوكيل ، والشروط التى وضعت لاحكام الرقابة على هؤلاء الموظفين. وتناول البحث أهم المنشآت التى أقيمت داخل أسواق إفريقية ودور الخلفاء الفاطميين فى إقامة هذه المنشآت ، سواء كانت قيسريات أو فنادق ودورها الهام داخل الأسواق، وسبب إقامتها ، وما تميزت به أسواق إفريقية من نظم فى الأسواق حيث كان لكل مدينة نظام معين فى إقامة السوق من حيث البناء أو المكان ، وتناول البحث أيضا نظم البيع المختلفة التى وجدت داخل إقليم إفريقية بأسواقه المتعددة مثل نظام البيع النقدي أو المقايضة أو نظام البيع بالوفّر والحمل وغيرها من النظم ، ثم يتناول البحث أسعار المدن والقرى فى إفريقية لجميع المنتجات والسلع داخل الأسواق وما تميزت به مدن إفريقية من رخص كثير لجميع أنواع السلع والبضائع على مر الايام . ثم تناول البحث طوائف التجار المختلفة التى كانت تملأ أسواق إفريقية فى طولها وعرضها فأشار البحث إلى تجار كل طائفة سواء كانوا من الأهالى أم من خارج الإقليم وأهم السلع والمنتجات التى كانوا يقومون بجلبها من وإلى الأسواق ودور تلك الطوائف الهام فى إمداد الأسواق بما يلزمها من البضائع بشكل مستمر غير منقطع رغم بعد المسافات وخطرها فى كثير من الأحيان ، وأهم الطوائف التجارية من خارج الإقليم سواء من مصر أم الأندلس أم إيطاليا بمدنها أم إنجلترا والهند والصين والتجار اليهود والنصارى وأهم التجارات التى كانوا يقومون بها ومناطق تركزهم والمخاطر التى كان التجار يتعرضون لها إلى جانب الغرامات المالية . وتناول البحث أيضا المعاملات المالية داخل إقليم إفريقية ممثلة فى السكة الفاطمية منذ بداية سكها وأنواعها وما كان عليها من كتابات ونقوش ودور كل خليفة فى عنايته بالنقود ومقام بسكه حكام بنى زيرى وسكة الثائرين والخارجين على الخلافة الفاطمية .

وأهمية النقود وسبب عناية الفاطميين بها ومقدار وزنها وأهمية دور سك النقود والقائم عليها وشروط اختياره وأوجه الصرف على هذه الدور وتخزينها بما تحتاج اليه من مواد مثل الذهب والفضة والأخشاب ومقدار الضرائب التى تحصل عليها الحكومة على ما يتم ضربه من نقود خاصة بالافراد . إلى جانب العملات الصغيرة المساعدة وما كان يتم ضربه فى مناسبات خاصة كالأعياد والمناسبات. ومن المعاملات الأخرى التى شاع إستخدامها بصورة واسعة داخل إقليم إفريقية فى سبيل تسهيل عمليات التعامل داخل الأسواق مثل السفاتج والصكوك وتعريف كلا منهما وكيفية إستخدامها كصورة من صور التطور فى نظم المعاملات المالية فى إفريقية أثناء حكم الفاطميين وبنى زيرى ودور الصيارفة والجهاذة فى هذا الشأن إلى جانب إيضاح نظم المعاملات التجارية والممثلة فى الموازين والمكاييل والارطال والمواد التى تصنع منها والأختلافات فيما بين الأسواق فى إستخدام تلك النظم ودور دار العيار الخاصة فى صناعة هذه المعاملات أو إصلاح الفاسد منها وتناولت الدراسة أيضا دور المحتسب " عامل

السوق " البارذ والهام فى الأسواق موضعاً أهم الشروط والآداب الواجب توافرها فى من يتولى هذه الوظيفة الهامة وما يتخذه من أعوان ومساعدين له لتسهيل عملية ضبط الأسواق والإشراف الدقيق عليها وتعريف معنى الحسبة شرعاً ولغة وأول من أحدثها فى الإسلام ولماذا أحدثت ؟ وأوجه الاتفاق والاختلاف بين الحسبة وكلاً من وظيفة القضاء والمظالم وما ينبغى على المحتسب معرفته لى يكون ملماً بواجبات وظيفته حتى يستطيع أدائها على أكمل وجه وأتمه لما تمثله هذه الوظيفة من أهمية داخل الأسواق . واخيراً يتناول البحث الآثار الحسنة التى تولدت فى إفريقية نتيجة للنشاط التجارى الضخم الذى عم جميع أوجه الأنشطة داخل إقليم إفريقية وما انتجه هذا النشاط من آثار حسنة أو آثار سيئة فى بعض المناطق من إفريقية خلال العصر الفاطمى وبنى زيرى .

Summary

This research deals with the African markets during the Fatimid and Beni Zerian age (296-440H , 908-1052 A.D.) It shows the boundaries of Africa and why it was called so, discussing all the opinions of the historians . The research sheds light on the economic importance of Africa (in terms of agriculture , industry , and trade) , as well as , its military importance , It also discusses the types of arable land of fertility , quality and water resources (rivers – lakes or springs) , in addition to water tanks which prevailed in the African cities and which were considered water stores for the population . The research also studies the various systems in Africa , as well as , the agriculture products for each region : cereal , crops . fruit and trees.

Moreover, the treats industry in Africa during the Fatimid Beni Zerian Age : the causes for its establishment , the mineral resources (iron , copper , silver -) their places , the outstanding crafts and the most important industrial centersetc . Trade centers , the factors of flourishing trade (as Africa became the most active worked center in the west part of the Mediterranean basin) are also dealt with . Besides , the research treats the trade ways that connected between different towns and villages of Africa , as well as the most prominent towns of those ways .

The meaning of the word “ market “ , the principles of markets , their internal organization , the industries areas , the places of the disadvantages inside the towns , the advantages and disadvantages of the market and the essential jobs of the African markets are also discussed . The research treats the personal qualities for those jobs (mediators- agents – broker ..etc) as well as the condition controlling those employees , It also sheds light on the buildings establishing by the Fatimid Caliphs inside the markets of Africa, the reasons behind erecting them and the characteristics of those markets .

The different selling systems (cash- barteretc) and the prices of different goods are also discussed .

It is worthy that the prices of different goods in African cities were very reasonable . Then, the research deals with the merchants categories . It differentiates between the motive and foreign merchants and the with role they played in supplying the markets with the required goods continuously , in spite of the long and after dangerous distances . The goods brought by those merchants , the categories of foreign merchants (from Egypt , Spain , Italy, England , India , China , Jewish and Christian) , their places , the dangers they faced and the financial fined are also discussed , Then, the research shows the financial dealing in the African region- represented by the Fatimid coining – and Beni Zeian coin as well as the coing of the rebellious against the Fatimid Caliph ship . The research also discussed why the Fatimid took care of coining , their weights, the coing houses , the condition for the workers , the expenditure on those houses and their supplying materials such as gold , silver and wood . Moreover , the research deals with the taxes imposed for coining , as well as the special occasions.

Furthermore , the research deals with other dealing which were widespread in Africa, such as , check and document. It shows their meanings and how they were used as a proof of the development of financial dealings in Africa during the age of the Fatimids and Beni Zeri . The study also discussed the role of both bankers and “ Jahabizza” in this respect . In addition , measurements of weight and amount, the merchants . From which they were made , the differences between markets in using those measurements and the role of measurement houses in creating and correcting those dealings are discussed .

Then , the study treats the significant role of “ Al– Mohtaseb” or the official of the market , the conditions required for jobs and the assistants he used to help him control the market, The research also deals with the definition of “ Al

– Hesba “ , when it was first used and the reason of calling it so , as well as the similarities and differences between “ Hesba” and the job of the judge . Finally , the research discusses the advantages of the big commercial activity for Africa and minor disadvantages in some areas during the Fatimid and Beni Zerian Age .



Minia University
Faculty of Arts
Dpartment of History

The Efricia Markets
During the Fatimid
And
Beni Zeri Age

(296-440 H. / 908-1052 A. D.)

An M.A. Thesis

Submitted by

Mohammad Abd El Zaher Ahmad

Supervised by

Prof. Mohammad Mahmoud Fdris

Head of History Dept.

Faculty of Arts – Minia University

(1420 H. / 2000 A. D.)

